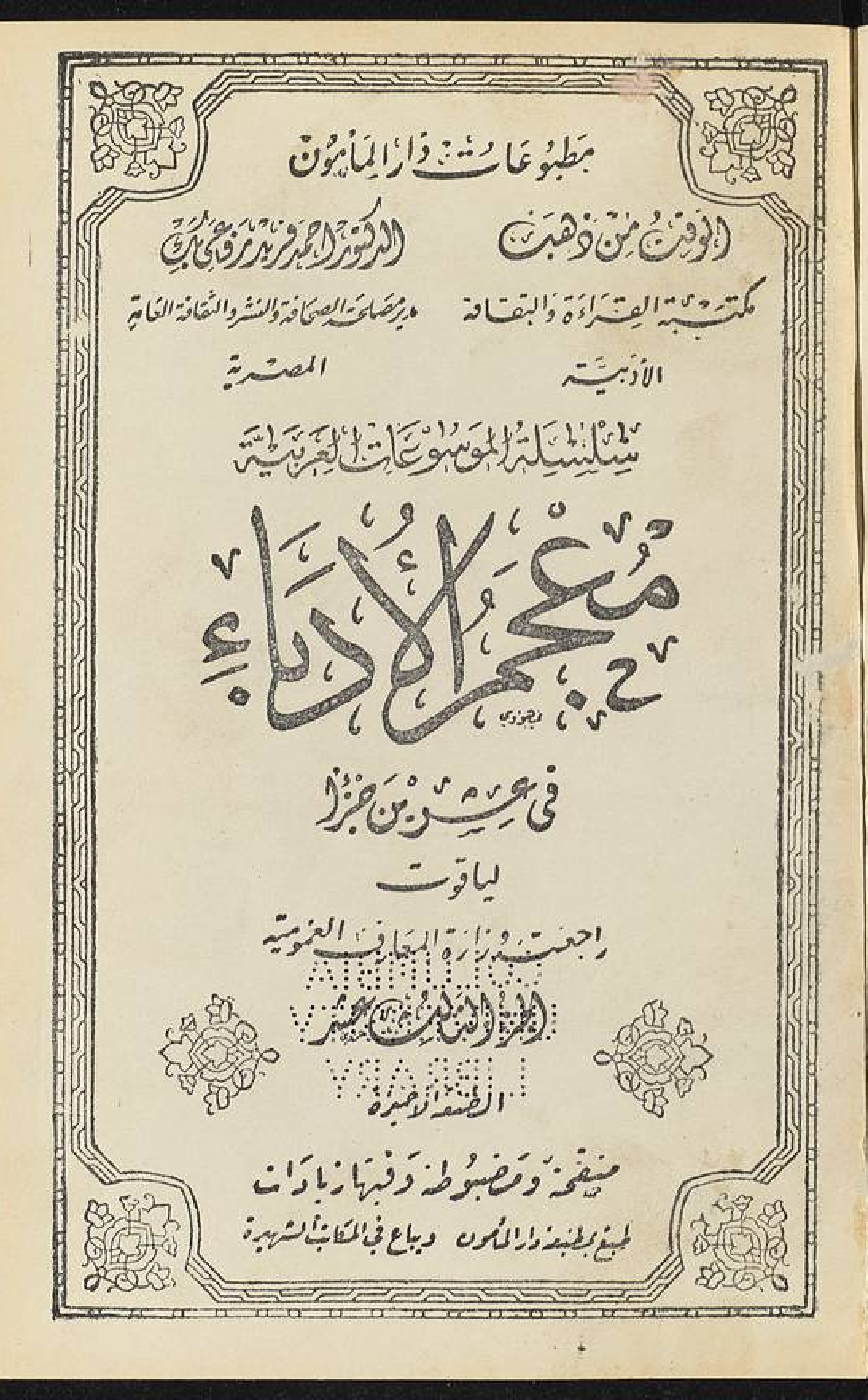


مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب — الدكتور أحمد فريد رفاعي بك

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية — مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء الثالث عشر

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين. أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

العماد الأصفهاني

﴿ ١ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْأَحْمَرُ صَاحِبُ الْكِسَائِيِّ * ﴾

على بن الحسن الأحمر

قَالَ الْجِمَّابِيُّ (١) : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّولِيُّ : الْأَحْمَرُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ مُؤَدِّبُ الْأَمِينِ لَمْ يَصِرْ إِلَى أَحَدٍ قَطُّ مِنَ التَّأْدِيبِ مَا صَارَ إِلَيْهِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ : الْأَحْمَرُ اسْمُهُ عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ ، وَمَاتَ الْأَحْمَرُ فِيمَا ذَكَرَهُ الصُّولِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ فَرَجٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الطُّوَالَ يَقُولُ : مَاتَ الْأَحْمَرُ قَبْلَ الْفَرَّاءِ بِمُدَّةٍ ، قَالَ : أَحْسِبُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ ، وَمَاتَ الْفَرَّاءُ سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعٍ .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ : رَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ

---

(١) فى بعض الطبعات المرزبانى ، وفى القاموس الجماب : صانع الجماب جمع جبة فلعلها صيغة مبالغة نسب إليها فقيل : جمابى ، وإن قلت الجبابى ككلابى كانت نسبة إلى الجمع وهذا ممنوع عند بعض الصرفيين فان شئت فانسب اليه « عبد الخالق »

(*) ترجم له فى كتاب الأعلام جزء ثان صفحة ٦٦٣ بما يأتى قال :
هو شيخ النحاة فى عصره وكان من الجند على باب الرشيد وصحب الكسائى فأخذ عنه العربية وأوصله الكسائى إلى الرشيد فعهد إليه بتأديب أبنائه واستمر فى نعمة إلى أن توفى بطريق الحج ، وله من الكتب : تفنن البلغاء ، وكتاب التصريف
وترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٣٣٤

عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ الْكِسْرَوِيُّ ، عَنِ ابْنِ قَادِمٍ صَاحِبِ الْكِسَائِيِّ قَالَ : كَانَ الْأَحْمَرُ صَاحِبُ الْكِسَائِيِّ رَجُلاً مِنَ الْجُنْدِ مِنْ رِجَالِ النَّوْبَةِ عَلَى بَابِ الرَّشِيدِ ، وَكَانَ يُحِبُّ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مَجَالِسِ الْكِسَائِيِّ إِلَّا فِي أَيَّامِ غَيْرِ نَوْبَتِهِ ، وَكَانَ يَرْصُدُ مَصِيرَ الْكِسَائِيِّ إِلَى الرَّشِيدِ وَيَعْرِضُ لَهُ فِي طَرِيقِهِ كُلَّ يَوْمٍ ، فَإِذَا أَقْبَلَ تَلَقَّاهُ وَأَخَذَ بِرِكَابِهِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَمَاشَاهُ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ السِّتْرَ ، وَسَاءَلَهُ فِي طَرِيقِهِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ بَعْدَ الْمَسْأَلَةِ ، فَإِذَا دَخَلَ الْكِسَائِيُّ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ ، فَإِذَا خَرَجَ الْكِسَائِيُّ مِنَ الدَّارِ تَلَقَّاهُ مِنَ السِّتْرِ وَأَخَذَ بِيَدِهِ وَمَاشَاهُ يُسَائِلُهُ حَتَّى يَرْكَبَ وَيُجَاوِزَ الْمَضَارِبَ ثُمَّ يَنْصَرِفَ إِلَى الْبَابِ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ يَتَعَلَّمُ الْمَسْأَلَةَ بَعْدَ الْمَسْأَلَةِ حَتَّى قَوِيَ وَتَمَكَّنَ وَكَانَ فَطِناً حَرِيصاً ، فَلَمَّا أَصَابَ الْكِسَائِيَّ الْوَضَحُ [1] فِي وَجْهِهِ وَبَدَنِهِ كَرِهَ الرَّشِيدُ مُلَازَمَتَهُ أَوْلَادَهُ ، فَأَمَرَ أَنْ يَرْتَادَ [2] لَهُمْ مَنْ يَنُوبُ عَنْهُ مِمَّنْ يَرْتَضِي بِهِ ، وَقَالَ :

---

(١) بياض في الجلد ويقال له البرص والبرش (٢) أي يبحث ثم يختار

إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَنَحْنُ نُحِبُّ أَنْ نُوَدِّعَكَ(١) وَلَسْنَا نَقْطَعُ عَنْكَ جَارِيكَ(٢) ، فَجَعَلَ يُدَافِعُ بِذَلِكَ وَيَتَوَقَّى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِرَجُلٍ فَيُغْلَبَ عَلَى مَوْضِعِهِ ، إِلَى أَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ الأَمْرُ وَشُدِّدَ وَقِيلَ لَهُ : إِنْ لَمْ تَأْتِنَا أَنْتَ مِنْ أَصْحَابِكَ بِرَجُلٍ أَرَدْنَا نَحْنُ لَهُمْ مَنْ يَصْلُحُ ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ أَنَّ سِيبَوَيْهِ يُرِيدُ الشُّخُوصَ إِلَى بَغْدَادَ وَالأَخْفَشَ ، فَقَلِقَ لِذَلِكَ ثُمَّ عَزَمَ عَلَى أَنْ يُدْخِلَ إِلَى أَوْلَادِ الرَّشِيدِ مَنْ لَا يَخْشَى نَاحِيَتَهُ وَمَنْ لَيْسَ مِمَّنِ اشْتَدَّ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لِلأَحْمَرِ : هَلْ فِيكَ خَيْرٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَسْتَخْلِفَكَ عَلَى أَوْلَادِ الرَّشِيدِ ، فَقَالَ الأَحْمَرُ : لَعَلِّي لَا أَفِي بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ الْكِسَائِيُّ : إِنَّمَا يَحْتَاجُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَى مَسْأَلَتَيْنِ فِي النَّحْوِ وَثِنْتَيْنِ مِنْ مَعَانِي الشِّعْرِ وَأَحْرُفٍ مِنَ اللُّغَةِ ، وَأَنَا أُلَقِّنُكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ ذَلِكَ فَتَحْفَظُهُ وَتُعَلِّمُهُمْ ، فَقَالَ : نَعَمْ .

فَلَمَّا أَلَحُّوا عَلَيْهِ قَالَ : قَدْ وَجَدْتُ مَنْ أَرْضَاهُ ، وَإِنَّمَا

---

(١) أى أن نريحك ونجملك فى دعة (٢) أى راتبك

أَخَّرْتُ ذَلِكَ حَتَّى وَجَدْتُهُ وَأَسْمَاهُ لَهُمْ . فَقَالُوا : إِنَّمَا
اُخْتَرْتَ لَنَا رَجُلًا مِنْ رِجَالِ النَّوْبَةِ وَلَمْ تَأْتِ بِأَحَدٍ
مُتَقَدِّمٍ فِي الْعِلْمِ ، فَقَالَ : مَا أَعْرِفُ أَحَدًا فِي أَصْحَابِي
مِثْلَهُ فِي الْفَهْمِ وَالصِّيَانَةِ ، وَلَسْتُ أَرْضَى لَكُمْ غَيْرَهُ ،
فَأُدْخِلَ الْأَحْمَرُ إِلَى الدَّارِ وَفُرِشَ لَهُ الْبَيْتُ الَّذِي فِيهِ بِفَرْشٍ
حَسَنٍ ، وَكَانَ الْخُلَفَاءُ إِذَا أَدْخَلُوا مُؤَدِّبًا إِلَى أَوْلَادِهِمْ
فَجَلَسَ أَوَّلَ يَوْمٍ أَمَرُوا بَعْدَ قِيَامِهِ بِحَمْلِ كُلِّ مَا فِي الْمَجْلِسِ
إِلَى مَنْزِلِهِ مَعَ مَا يُوصَلُ بِهِ وَيُوهَبُ لَهُ .

فَلَمَّا أَرَادَ الْأَحْمَرُ الِانْصِرَافَ إِلَى مَنْزِلِهِ دُعِيَ لَهُ بِحَمَّالِينَ
فَحَمَلَ مَعَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ مَعَ بَزٍّ[1] كَثِيرٍ ، فَقَالَ الْأَحْمَرُ : وَاللهِ
مَا يَسَعُ بَيْتِي هَذَا ، وَمَا لَنَا إِلَّا غُرْفَةٌ ضَيِّقَةٌ فِي بَعْضِ
الْخَانَاتِ لَيْسَ فِيهَا مَنْ تَحْفَظُهُ غَيْرِي ، وَإِنَّمَا يَصْلُحُ مِثْلُ
هَذَا لِمَنْ لَهُ دَارٌ وَأَهْلٌ . وَكُلُّ شَيْءٍ وَمَا يُشَاكِلُهُ ، فَأُمِرَ
بِشِرَاءِ دَارٍ لَهُ وَجَارِيَةٍ وَحُمِلَ عَلَى دَابَّةٍ وَوُهِبَ لَهُ غُلَامٌ
وَأُقِيمَ لَهُ جَارٍ[2] وَلِمَنْ عِنْدَهُ ، فَجَعَلَ يَخْتَلِفُ إِلَى الْكِسَائِيِّ

(١) البز : الثياب (٢) أى راتب

كُلَّ عَشِيَّةٍ وَيَتَلَقَّنُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَوْلَادُ الرَّشِيدِ وَيَغْدُو عَلَيْهِمْ فَيُلَقِّنُهُمْ ، وَكَانَ الْكِسَائِيُّ يَأْتِيهِمْ فِي الشَّهْرِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ فَيَعْرِضُونَ عَلَيْهِ بِحَضْرَةِ الرَّشِيدِ مَا عَلَّمَهُمُ الْأَحْمَرُ وَيَرْضَاهُ ، فَلَمْ يَزَلِ الْأَحْمَرُ كَذَلِكَ حَتَّى صَارَ نَحْوِيًّا وَجَلَّتْ حَالُهُ ، وَعُرِفَ بِالْأَدَبِ حَتَّى قُدِّمَ عَلَى سَائِرِ أَصْحَابِ الْكِسَائِيِّ ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ لَهُ ذِكْرٌ وَلَا يُعْرَفُ .

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ الْجَهْمِ السِّمَّرِيُّ[1] قَالَ : كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا الْأَحْمَرَ تَلَقَّانَا الْخَدَمُ فَنَدْخُلُ قَصْراً مِنْ قُصُورِ الْمُلُوكِ فِيهِ مِنْ فَرْشِ الشِّتَاءِ فِي وَقْتِهِ مَا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ إِلَّا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَدْفَعُ إِلَيْنَا دَفَاتِرَ الْكَاغَدِ وَالْجُلُودَ قَدْ صُقِلَتْ ، وَالْمَحَابِرَ الْمَخْرُوطَةَ وَالْأَقْلَامَ وَالسَّكَاكِينَ وَيَخْرُجُ إِلَيْنَا وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الْمُلُوكِ يَنْفَحُ[2] مِنْهَا رَائِحَةُ الْمِسْكِ وَالْبَخُورِ فَيَلْقَانَا بِوَجْهٍ مُنْطَلِقٍ وَبِشْرٍ حَسَنٍ حَتَّى نَنْصَرِفَ . وَنَصِيرُ إِلَى الْفَرَّاءِ فَيَخْرُجُ إِلَيْنَا مُعَبِّساً قَدِ اشْتَمَلَ بِكِسَائِهِ فَيَجْلِسُ

---

(١) سمر بكسر السين والميم المشددة المفتوحة ذكرها ياقوت ونسب إليها محمد بن الجهم المذكور (٢) أى يفوح مايتبخر به من عود ونحوه «عبد الخالق»

لَنَا عَلَى بَابِهِ وَنَجْلِسُ فِي التُّرَابِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَكُونُ أَحْلَى فِي قُلُوبِنَا مِنَ الْأَحْمَرِ وَجَمِيلِ فِعْلِهِ .

وَحَدَّثَ سَلَمَةُ قَالَ : كَانَ الْأَحْمَرُ قَدْ أَمْلَى عَلَى النَّاسِ شَوَاهِدَ النَّحْوِ ، فَأَرَادَ الفَرَّاءُ أَنْ يُتَمِّمَهَا فَلَمْ يَجْتَمِعْ لَهُ أَصْحَابُ الْكِسَائِيِّ كَمَا اجْتَمَعُوا لِلْأَحْمَرِ ، فَقَطَعَ وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ . قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ : أَخْبَرَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ سَلَمَةَ ابْنِ عَاصِمٍ صَاحِبِ الفَرَّاءِ قَالَ : كَانَ بَيْنَ الفَرَّاءِ وَالْأَحْمَرِ تَبَاعُدٌ وَجَفَاءٌ ، فَحَجَّ الْأَحْمَرُ فَمَاتَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَقِيلَ لِلْفَرَّاءِ : إِنَّ الْأَحْمَرَ قَدْ نُعِيَ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَرْجَعَ وَتَوَجَّعَ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَقُولُ :

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُهُ صَدُوقًا سَخِيًّا ذَكِيًّا عَالِمًا ذَا مُرُوءَةٍ وَمَوَدَّةٍ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — فَقِيلَ لَهُ : أَيْنَ هَذَا مِمَّا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِ بِالْأَمْسِ ؟ قَالَ : وَاللهِ مَا يَمْنَعُنِي مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَنْ أَقُولَ فِيهِ الْحَقَّ ، وَمَا تَعَدَّيْتُ فِيهِ قَطُّ فِي قَوْلٍ ، وَلَا تَحَرَّيْتُ فِيهِ إِلَّا الصِّدْقَ قَبْلُ وَالْآنَ .

وَأَنْشَدَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنِى الْأَحْمَرُ غُلَامُ الْكِسَائِىِّ لِنَفْسِهِ :

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ دُعُوا لِلنَّدِىِّ
وَفَاضَ السُّرُورُ بِأَرْضِ الطَّرَبْ

وَهِىَ أَرْبَعَةُ أَبْيَاتٍ قَالَ : وَقَرَأْتُ لَهُ أَيْضًا أَبْيَاتًا يَسِيرَةً ضَعِيفَةً .

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِىُّ يَهْجُو الْكِسَائِىَّ وَالْأَحْمَرَ :

أَفْسَدَ النَّحْوَ الْكِسَائِيْ ـ ـى وَثَنَّى ابْنُ غَزَالَهْ[1]
وَأَرَى الْأَحْمَرَ تَيْسًا فَاعْلِفُوا التَّيْسَ النُّخَالَهْ

وَقَالَ ثَعْلَبٌ : كَانَ الْأَحْمَرُ يَحْفَظُ الْأَرْبَعِينَ أَلْفَ بَيْتٍ شَاهِدٍ فِى النَّحْوِ سِوَى مَا كَانَ يَحْفَظُ مِنَ الْقَصَائِدِ ، وَكَانَ مُقَدَّمًا عَلَى الْقُرَّاءِ فِى حَيَاةِ الْكِسَائِىِّ ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ التَّصْرِيفِ ، كِتَابُ تَفَنُّنِ الْبُلَغَاءِ .

---

(١) يعنى الأحمر

٢ - عَلِىُّ بْنُ الْحَسَنِ الْهُنَائِىُّ (١) *

على بن الحسن الهنائى

الْمَعْرُوفُ بِكُرَاعِ النَّمْلِ . مَنْسُوبٌ إِلَى هُنَاءَةَ بْنِ مَالِكِ ابْنِ فَهْمِ بْنِ غَنْمِ بْنِ دَوْسِ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَهْرَانَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَصْرِ بْنِ الْأَزْدِ أَبُو الْحَسَنِ اللُّغَوِىُّ مَاتَ « أَخْلَى مَوْضِعَهُ » . وَجَدْتُ خَطَّهُ عَلَى الْمُنَضَّدِ مِنْ تَصْنِيفِهِ ، وَقَدْ كَتَبَهُ فِى سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ . مُتَقَدِّمُ الْعَصْرِ فِى أَيَّامِ ابْنِ دُرَيْدٍ ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمِ فَقَالَ : هُوَ مِنْ أَهْلِ

---

(١) فى كتاب الاشتقاق اسمه هناءة

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة صفحة ٥٤٠ بما يأتى قال :

يعرف بكراع النمل ، فأنه كان دميم الخلقة ، لغويا ، نحويا ، من علماء مصر ، خلط المذهبين ، وأخذ عن النحويين البصريين والكوفيين ، وكان إلى قول البصريين أميل ، وصنف كتباً فى اللغة روى فيها عن أبى يوسف الأصبهانى وأبى عبيد القاسم بن سلام ، وكتبه فى مصر مرغوب فيها ، وكذلك فى المغرب ، وكان خطه صحيحا قليل الخطأ ، وكان يورق تصانيفه ، لم أر له خطا فى غيرها ، ورأيت جزءا من كتابه المنضد من خطه ، وقد كتب فى آخره إنه أكمله تصنيفاً وورقه فى سنة تسع وثلاثمائة ، وتصانيفه ذكرها ياقوت .

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٣٣٣

مِصْرَ وَكَانَ كُوفِيًّا وَأَخَذَ عَنِ الْبَصْرِيِّينَ وَيُعْرَفُ بِالرَّوَاسِيِّ [١] قَبِيلَةٌ مِنَ الأَزْدِ، وَكُتُبُهُ بِمِصْرَ مَوْجُودَةٌ مَرْغُوبٌ فِيهَا. وَقَالَ غَيْرُهُ: لَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ الْمُنَضَّدِ أَوْرَدَ فِيهِ لُغَةً كَثِيرَةً مُسْتَعْمَلَةً وَحُوشِيَّةً [٢]، وَرَتَّبَهُ عَلَى حُرُوفِ أَلِفٍ بَاءٍ تَاءٍ ثَاءٍ إِلَى آخِرِ الْحُرُوفِ، ثُمَّ اخْتَصَرَهُ فِي كِتَابِ الْمُجَرَّدِ، ثُمَّ اخْتَصَرَهُ فِي كِتَابِ الْمُنَجَّدِ. وَلَهُ كِتَابُ أَمْثِلَةِ الْغَرِيبِ عَلَى أَوْزَانِ الأَفْعَالِ أَوْرَدَ فِيهِ غَرِيبَ اللُّغَةِ، وَكِتَابُ الْمُصَحَّفِ، وَكِتَابُ الْمُنَظَّمِ.

« ٣ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ فُضَيْلِ بْنِ مَرْوَانَ »

علي بن الحسن الفارسي

فَارِسِيُّ الأَصْلِ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمِ وَقَالَ: لَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ الأَصْنَامِ وَمَا كَانَتِ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) في الفهرست: الدوسي وما في ياقوت أصح لنسبته إلى الأزد إذ فيهم الرواس

(٢) الحوشي من الكلمات: ما يعده علماء البلاغة غرابة « عبد الخالق »

﴿ ٤ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِىءُ * ﴾

علی بن الحسن المقرىء

ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ التَّمِيمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ النَّجَّارِ فِي تَارِيخِ الْكُوفَةِ فَقَالَ: وَانْتَهَى تَارِيخُ قِرَاءَةِ عَاصِمٍ إِلَى الطَّبَقَةِ الثَّامِنَةِ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِىءُ، وَكَانَ شَيْخاً مُبَارَكاً تَلَقَّنَ عَلَيْهِ خَلْقٌ عَظِيمٌ، وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ فَوْقَ أَلْفِ نَفْسٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَكَانَ السَّبْقُ مِنَ الْعَصْرِ يَبِيتُ النَّاسُ لِلدَّرْسِ [١]، وَحَفَّظَ خَلْقاً عَظِيماً الْقُرْآنَ، وَآخِرُ مَنْ شَاهَدْنَا مِنْهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ يُونُسَ الْهُذَلِيُّ، وَكَانَ عَجِيبَ الْمَعْنَى لَفَّاظاً بِالْقُرْآنِ مُتَمَكِّناً مِنَ اللِّسَانِ، وَقَدْ قَرَأَ بِالسَّبْعَةِ مِنْ عِدَّةِ وُجُوهٍ، وَقَرَأَ بِالشَّوَاذِّ [٢] أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي بِلَالٍ الْبُنْدَارُ، وَهُوَ أَلَّفَ قِرَاءَةَ عَلِيِّ بْنِ حَسَنٍ أَحْسَنَ تَأْلِيفٍ

---

(١) المعنى أن الناس كانوا يتسابقون لحضور درسه حتى إن منهم من كان يبيت بمكانه حتى يدرك له مكانا (٢) لعله سقط ذكر « كذلك »

(*) راجع مرآة الزمان مجلد ١٣ صفحة ٢٨٠

وَصَنَّفَهَا أَتْقَنَ تَصْنِيفٍ . وَمِنْ رِجَالِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمَرْزَقِيِّ الْمَخْزُومِيُّ الْخَزَّازُ وَكَانَ أَحَدَ الْأَبْدَالِ الزُّهَّادِ ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ خَلْقٌ عَظِيمٌ مِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ السِّمْسِمَانِيُّ [١] الْمُعَدَّلُ

﴿ ٥ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ يُلَقَّبُ بِابْنِ الْمَاشِطَةِ * ﴾

علي بن الحسن الكاتب

الْكَاتِبُ ، يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَقَالَ : يُلَقَّبُ بِابْنِ الْمَاشِطَةِ ظُلْماً [٢] ، كَانَ فِي أَيَّامِ الْمُقْتَدِرِ ، وَلَهُ صِنَاعَةٌ فِي الْخَرَاجِ وَتَقَدُّمٌ فِي الْحِسَابِ ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ جَوَابِ الْمُعْنِتِ [٣] ، كِتَابُ الْخَرَاجِ لَطِيفٌ ، كِتَابُ تَعْلِيمِ نَقْضِ الْمُؤَامَرَاتِ .

---

(١) نسبة إلى سمسم بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه رملة بالبحرين « عبدالخالق »

(٢) يريد ابن النديم أن يقول : إنه ظلم في تلقيبه بابن الماشطة

(٣) من أعنته : أوقعه في العنت وهو التعب وذلك لمن يسأل تحدياً لا استفهاما

(*) ترجم له في كتاب فهرست ابن النديم صفحة ١٩٥

هو أبو الحسن ، ولقبه المظلوم فيه ابن الماشطة ولم يكن بعيد العهد ، وله صناعة وتقدم في الحساب وصناعة الخراج ، وله من الكتب: جواب المعنت ، كتاب الخراج لطيف ، كتاب تعليم نقض المؤامرات

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْمَاشِطَةِ الْكَاتِبُ ، أَحَدُ الْكُتَّابِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي أَعْمَالِ السُّلْطَانِ ، الْعَالِمِينَ بِأُمُورِ الْكَتَبَةِ وَالْخَرَاجِ ، وَرَأَيْتُهُ شَيْخاً كَبِيراً بَعْدَ الْعَشْرِ وَالثَّلَاثِمِائَةِ ، وَجَاوَزَ التِّسْعِينَ وقَالَ :

إِذَا عُمِّرَ الْإِنْسَانُ تِسْعِينَ حِجَّةً
فَأَبْلِغْ بِهِ عُمْراً وَأَجْدِرْ بِهِ شُكْرَا

لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ قَالَ مُعْلِناً :
أَلَا إِنَّ رَبِّي وَاعِدٌ مِثْلَهُ غفرَا

وَقَالَ : وَكَانَ قَدْ عُزِلَ عَنْ عَمَلٍ كَانَ إِلَيْهِ وَحُبِسَ :

قَالُوا حُبِسْتَ فَقُلْتُ : الْحَبْسُ لَا عَجَبٌ
حَبْسُ الْكَرَامَةِ لَا حَبْسُ الْجِنَايَاتِ [1]

حَبْسُ الْعِمَالَةِ [2] بَعْدَ الْعَزْلِ عَادَتُنَا
رَيْثَ التَّتَبُّعِ أَوْ رَفْعِ الْجَمَاعَاتِ

---

(١) لاعجب مفعول فقلت ، والحبس مبتدا خبره حبس الكرامة

(٢) كان الغالب أن العامل إذا عزل حوسب وربما حبس واستصفى ماله ، فهو يقول : إن هذه صارت عادة « عبد الخالق »

وَلَهُ :

إِذَا ضَاقَ صَدْرِى بِالْحَدِيثِ أَفَضْتُهُ
إِلَى الْأَخِ وَالْإِخْوَانِ كَىْ أَجِدَ الرشْدَا
فَإِنْ كَتَمُوهُ كَانَ حَزْماً مُؤَيَّداً
وَإِنْ أَظْهَرُوهُ لَمْ أَخُنْ لَهُمُ[1] عَهْدَا
وَقُلْتُ اشْتَرَكْنَا فِى الْخَطَايَا بِذِكْرِهِ
فَأَلْزَمْتُهَا نَفْسِى لِأَنَّ لَهَا الْمَبْدَا[2]

قَالَ أَبُو عَلِىٍّ التَّنُوخِىُّ : حَدَّثَنِى أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِىُّ بْنُ هِشَامٍ : سَمِعْتُ عَلِىَّ بْنَ الْحَسَنِ الْكَاتِبَ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الْمَاشِطَةِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْكِتَابِ الْمَعْرُوفِ بِجَوَابِ الْمُعْنِتِ فِى الْكِتَابَةِ ، وَعَاشَ حَتَّى بَلَغَ مِائَةَ سَنَةٍ ، وَكَانَ قَدْ تَقَلَّدَ مَكَانَ أَبِى فِى أَيَّامِ حَامِدٍ لَمَّا غَلَبَ عَلِىُّ بْنُ عِيسَى عَلَى الْأُمُورِ قَالَ : سَمِعْتُ الْفَضْلَ بْنَ مَرْوَانَ وَزِيرَ الْمُنْتَصِرِ بِاللهِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ وَذَكَرَ خَبَراً وَقَالَ فِى مَوْضِعٍ آخَرَ :

---

(١) فى الأصل « لهما » فأبدلت بها لهم ولعل التثنية لاعتباره أن الاخ والاخوان شيئان (٢) فى الاصل « الجدا »

حَدَّثني أبو الحسنِ الكاتبُ المعروفُ بابنِ الماشطةِ وكانَ يتقلّدُ قديماً العمالاتِ ثمّ صارَ من شيوخِ الكتّابِ، وتقلّدَ في أيامِ حامدِ بنِ عبّاسٍ ديوانَ بيتِ المالِ.

﴿ ٦ – عليُّ بنُ الحسنِ بنِ محمّدِ بنِ يحيَى * ﴾

علي بن الحسن المصري

يُعرفُ بعلّانٍ المصريّ، ذكرَهُ أبو بكرٍ الزُّبيديُّ في كتابِه فقالَ: كانَ نحويّاً من ذوي النظرِ والتدقيقِ في المعاني، وكانَ قليلَ الحفظِ لأصولِ النحوِ، فإذا حفظَ الأصلَ تكلّمَ عليهِ فأحسنَ وجوّدَ في التعليلِ ودقّقَ القولَ ما شاءَ، ماتَ في شوّالٍ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وثلاثمائةٍ.

﴿ ٧ – عليُّ بنُ الحسنِ بنِ حبيبٍ اللغويُّ * ﴾

علي بن الحسن الصقلي

أبو الحسنِ الصّقليُّ. ذكرَهُ ابنُ القطّاعِ فقالَ: أحدُ رجالِ اللغةِ المعدودينَ والعلماءِ بها المبرّزينَ وممّنْ تناولَ

(*) راجع أنباه الرواة صفحة ٥٤٠

(*) ترجم له في كتاب أنباه الرواة صفحة ٥٥٣ قال:
هو أبو الحسن الصقلي، من أهل صقلية المقيمين بها
وترجم له في كتاب بغية الوعاة صفحة ٣٣٢

الرَّمْىَ الْبَعِيدِ بِقُرْبِ فَهْمٍ ، وَأَوْضَحَ الْمُبْهَمَاتِ بِنُورِ عِلْمٍ ، وَكَانَ مُضْطَلِعاً بِنَقْدِ الشِّعْرِ وَمَعَانِيهِ ، نَاهِضاً بِأَعْبَاءِ الْغَرِيبِ وَمَبَانِيهِ ، فَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

أَهَابُ الْكَأْسَ أَشْرَبُهَا وَإِنِّى
لَأَجْرَأُ مِنْ أُسَامَةَ (١) فِى النِّزَالِ (٢)

أُرَاوِغُهَا مُرَاوَغَةً كَأَنِّى
أُلَاقِى عِنْدَ ذَاكَ شَبَا (٣) الْعَوَالِى

﴿ ٨ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ حَسُّولٍ * ﴾

على بن الحسن بن حسول

أَبُو الْقَاسِمِ ، مِنْ كَلَامِ ابْنِ حَسُّولٍ رُقْعَةٌ كَتَبَهَا إِلَى الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ يَسْتَرْضِيهِ فِى شَيْءٍ وَجَدَهُ عَلَيْهِ : مَوْلَانَا الصَّاحِبُ الْأَجَلُّ كَافِى الْكُفَاةِ كَالْبَحْرِ يَتَدَفَّقُ ، وَالْعَارِضِ (٤) يَتَأَلَّقُ (٥) ، فَلَا عَتْبَ عَلَى مَنْ لَا يُرْوِيهِ سَيْبُ (٦)

---

(١) علم جنس للأسد (٢) النزال : القتال (٣) شبا العوالى : أطراف الرماح

(٤) العارض : السحاب (٥) أى يضىء (٦) أى عطاء

غَوَادِيهِ [١] أَنْ يَسْتَشْرِفَ [٢] لِلرَّائِحَاتِ [٣] الرَّوَاعِدِ مِنْ طَوْلِهِ [٤]، فَيَشِيمَ [٥] بَوَارِقَهَا وَيَسْتَمْطِرَ سَحَابَهَا، وَاللهُ تَعَالَى يُدِيمُ إِحْيَاءَ الْخَلْقِ بِصَوْبِ [٦] حَيَائِهِ، وَدِيَمِ [٧] أَنْوَائِهِ الْمُنْهَلَّةِ مِنْ فُتُوقِ سَمَائِهِ. وَكَانَ غَايَةُ مَا رَجَاهُ خَادِمُهُ وَتَمَنَّاهُ أَنْ يَسْلَمَ عَلَى بَلَايَا أَحْدَقَتْ [٨] بِهِ، وَمَنَايَا حَدَّقَتْ [٩] إِلَيْهِ، وَأَجَلٍ نَازَلَ أَمَلَهُ، وَسَيْفٍ صَقِيلٍ تَلَمَّظَ [١٠] لَهُ، وَحِينَ كَفَاهُ مَوْلَانَا مِنْ ذَلِكَ مَا كَفَاهُ آخِذاً بِيَدَيْهِ، وَبَاسِطاً جَنَاحَ رَحْمَتِهِ عَلَيْهِ، طَالَبَتْهُ نَفْسُهُ بِتَوْقِيعِهِ الْعَالِي، لِيَتَوَقَّى [١١] بِهِ وَقَائِعَ اللَّيَالِي. فَتَصَدَّقَ أَدَامَ اللهُ تَمْكِينَهُ عَلَيْهِ بِتَوْقِيعَيْنِ فِي مُدَّةِ أُسْبُوعَيْنِ أَنْقَذَاهُ مَغْمُوراً، وَأَنْشَرَاهُ [١٢] مَقْبُوراً، وَقَدْ أَبْطَرَتْهُ [١٣] الْآنَ النِّعْمَةُ، وَنَزَتْ [١٤] بِهِ الْبِطْنَةُ، وَأَطْمَعَتْهُ فِي تَوْقِيعٍ ثَالِثٍ، فَطَمِعَ وَأَصْدَرَ كِتَابَهُ هَذَا وَانْتَظَرَ، فَإِنْ رَآى مَوْلَايَ أَنْ يُحَقِّقَ رَجَاءَهُ وَيَسْتَغْنِمَ

---

(١) جمع غادية : السحب والمراد غوادى الشخص والضمير عائد على من
(٢) أى يتطلع (٣) السحائب (٤) عطائه وتطوله (٥) شام البرق : نظر إليه (٦) الصوب المطر (٧) جمع ديمة : معظم الماء . والمراد كرم الممدوح (٨) أى أحاطت (٩) أى نظرت بحدة (١٠) تلمظت الحية : أخرجت لسانها (١١) أى يتخذه وقاية (١٢) أحيياه وبعثاه حالة كونه مقبورا (١٣) البطر : سوء احتمال النعمة والطغيان بها (١٤) نزا به قلبه إلى كذا : طمح

دُعَاءَهُ وَدُعَاءَ مَنْ وَرَاءَهُ فَعَلَ إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ،
فوقَّعَ الصَّاحِبُ عَلَى ظَهْرِهَا : سَيِّدِى أَبُو الْقَاسِمِ[1] ـ أَيَّدَهُ اللهُ ـ ،
قَدَّمَ حُرْمَةً ، وَأَتْبَعَ عَثْرَةً ، وَأَظْهَرَ إِنَابَةً ، فَاسْتَحَقَّ
إِقَالَةً ، فَعَادَ حَقُّهُ طَرِيًّا[2] كَأَنْ لَمْ يَخْلَقْ ، وَظَنُّهُ قَوِيًّا
كَأَنْ لَمْ يُخْفِقْ[3] ، وَلَوْ حَضَرَ لَأَظْهَرْتُ مَبْسِمَ الرِّضَا عَلَيْهِ ،
بِمَا أَصْرِفُهُ مِنْ مَزِيدِ الْبَسْطَةِ إِلَيْهِ ، وَإِذْ قَدْ غِبْتَ فَأَنْتَ
لِى يَدُ حَقٍّ وَلِسَانُ صِدْقٍ ، فَنُبْ فِى ذَلِكَ مَنَابًا يَمْحُو آثَارَ
السُّخْطِ كَأَنْ لَمْ تَشْهَدْ ، وَيُرْخِصُ أَخْبَارَ الْعَتْبِ كَأَنْ لَمْ
تُعْهَدْ ، هَذَا وَأَحْسِبُ تَوْقِيعِى كَافِيًا فِيمَا أَمَّلَهُ ، وَمُغْنِيًا فِيمَا
أَنَالَهُ أَمَلَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ[4] .

﴿ ٩ – عَلِىُّ بْنُ الْحَسَنِ الْقُهِسْتَانِىُّ[5] ﴾

على بن الحسن القهستاني

أَبُو بَكْرٍ الْعَمِيدُ ، أَحَدُ مَنْ أَشْرَقَ بِنُورِ الْآدَابِ
شَمْسُهُ ، وَتَقَدَّمَ وَإِنْ تَأَخَّرَ زَمَانُهُ بِالْفَضْلِ يَوْمُهُ وَأَمْسُهُ ،

---

(١) سيدى مبتدأ (٢) أى جديدا لم يبل (٣) أخفق الرجل : غزا ولم يغنم ، والمراد خاب (٤) لا يعجبنى مثل هذا الأسلوب من الترسل فانه يزعج الذهن ويحمله ما يكده ليرجع الكلام بعضه إلى بعض وما هكذا الترسل على أن رسالة الصاحب فيها شىء من الجزالة (٥) نسبة إلى قوهستان بضم القاف وكسر الهاء وتخفف النسبة إليه فتحذف الواو « عبد الخالق »

وَسَمَا بِفَضْلِ أَدَبِهِ كُلُّ أَفَاضِلِ جِنْسِهِ ، مَشْهُورٌ فِى أَهْلِ خُرَاسَانَ ، مَذْكُورٌ مَعْرُوفٌ بَيْنَهُمْ لَا يُجْهَلُ قَدْرُهُ ، وَلَا يُطْمَسُ بَدْرُهُ . وَكَانَ قَدْ اتَّصَلَ فِى أَيَّامِ السُّلْطَانِ مَحْمُودِ ابْنِ سُبُكْتِكِينَ بِوَلَدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ فِى أَيَّامِ أَبِيهِ لَمَّا قَلَّدَهُ الْخُوزِسْتَانَ ، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى عُلُومِ الْأَوَائِلِ ، وَيُدْمِنُ النَّظَرَ فِى الْفَلْسَفَةِ ، فَقُدِحَ فِى دِينِهِ وَمُقِتَ لِذَلِكَ . وَكَانَ كَرِيمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا ، وَلِىَ الْوِلَايَاتِ الْجَلِيلَةَ . وَلَهُ أَشْعَارٌ فَائِقَةٌ وَرَسَائِلُ رَائِقَةٌ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمِزَاحِ ، رَاغِبًا فِى اللَّهْوِ وَالْمِرَاحِ [1] ، لَهُ فِى ذَلِكَ خَاطِرٌ وَقَّادٌ ، وَحِكَايَاتٌ مُتَدَاوَلَةٌ . وَقَدْ دُوِّنَتْ رَسَائِلُهُ ، وَشَاعَتْ فَضَائِلُهُ ، وَكَانَ يُدْمِنُ الْمِزَاحَ حَتَّى فِى مَجْلِسِ نَظَرِهِ ، وَكَانَ يُعَاتَبُ عَلَى ذَلِكَ فَلَا يَدَعُهُ لِغَلَبَةِ طَبْعِهِ عَلَيْهِ . وَكَانَ قَدْ تَوَلَّى الْعَرْضَ فَجَرَى يَوْمًا بَيْنَ يَدَيْهِ فِى مَجْلِسِ الْعَرْضِ ذِكْرُ الْمُعَمَّى فَقَالَ : قَدْ كَانَ عِنْدِى الْبَارِحَةَ جَمَاعَةٌ « سَمَّاهُمْ » مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِمْ مِثَالًا يَصْعُبُ اسْتِخْرَاجُ مِثْلِهِ ، فَوَقَفُوا فِيهِ وَهُوَ :

---

(١) المراح بكسر الميم : البطر والأشر

مَلِيحَةُ القَدِّ وَالْأَعْطَافِ قَدْ جَعَلَتْ
فِى الحِجْرِ طِفْلًا لَهُ رَأْسَانِ فِى جَسَدِ
قَدْ ضُيِّقَتْ مِنْهُ أَنْفَاسَ الخِنَاقِ بِلَا
جُرْمٍ وَتَضْرِبُهُ ضَرْبًا بِلَا حَرَدِ
فَتَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْهُ حِينَ تَضْرِبُهُ
كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ مَاضِغِ الْأَسَدِ

ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ سَاءَنِى وَاللّٰهِ فُلَانٌ « لِرَجُلٍ أَسْمَاهُ » إِذْ لَمْ يَفْهَمْ هذَا القَدْرَ . فَقَالَ لَهُ غُلَامٌ أَمْرَدُ مِنْ أَوْلَادِ الْكُتَّابِ كَانَ يَتَعَلَّمُ فِى دِيوَانِهِ : قَدْ عَرَفْتُ — أَطَالَ اللّٰهُ — بَقَاءَ الشَّيْخِ العَمِيدِ هذَا الْمُعَمَّى وَهُوَ الطَّبْلُ : فَقَالَ لَهُ مُبَادِرًا كَأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَعَدَّ لَهُ ذَلِكَ : عَهْدِى بِكَ تَسْتَدْخِلُ الْأَعْوَرَ ، فَكَيْفَ صِرْتَ تَسْتَخْرِجُ الْأَعْمَى ؟ فَخَجِلَ الْغُلَامُ وَضَحِكَ الحَاضِرُونَ .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ : وَحَدَّثَنِى أَبُو الفَضْلِ قَالَ : بَلَغَنِى أَنَّ القُهُسْتَانِىَّ أَنْشَدَ مَرَّةً بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ

بَيْتاً مِنَ الْمُعَمَّى فَلَمْ يَعْرِفْهُ هُوَ وَلَا نُدَمَاؤُهُ وَهُوَ :

دَقِيقَةُ السَّاقِ لَا عُرُوقَ لَهَا

تَدُوسُ رِزْقَ الْوَرَى بِهَامَتِهَا

فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : مَا نَفْهَمُ هَذَا وَلَا نَعْرِفُ شَيْئاً يُشْبِهُهُ فَفَسِّرْهُ . قَالَ : هُوَ مِغْرَفَةُ الْبَاقِلَّانِيِّ يَغْرِفُ بِهَا الْمَاءَ وَيَهْشِمُ بِرَأْسِهَا الْخُبْزَ وَالثَّرِيدَ وَهُوَ رِزْقُ الْوَرَى ، فَاسْتَبْرَدَهُ وَثَقُلَ عَلَيْهِ عَدَمُ فَهْمِهِ لَهُ ، وَهُوَ لَعَمْرِى مُسْتَبْرَدٌ حَقِيقَةً . قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ كَانَ يَتَمَيَّزُ عَلَى أَهْلِ خُرَاسَانَ بِحُسْنِ الْأَخْلَاقِ وَالسَّخَاءِ وَكَثْرَةِ الْمَعْرُوفِ وَالْعَطَاءِ . وَكَانَ الشُّعَرَاءُ يَقْصِدُونَهُ دَائِماً لِمَا اشْتَهَرَ مِنْ سَمَاحَتِهِ وَفَائِضِ مُرُوءَتِهِ ، فَأَنْشَدَهُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ قَصِيدَةً بَارِدَةً غَيْرَ مَرْضِيَّةٍ فَغَفَلَ عَنْهُ وَأَخَّرَ صِلَتَهُ ، فَكَتَبَ بَيْتَيْنِ فِي رُقْعَةٍ وَسَأَلَ الدَّوَاتِيَّ أَنْ يَتْرُكَهَا فِي دَوَاتِهِ ، فَفَعَلَ وَكَانَ الْبَيْتَانِ :

أَبَا بَكْرٍ هَجَوْتُكَ لَا لِطَبْعِي
فَطَبْعِي عَنْ هِجَاءِ النَّاسِ نَابِ[1]

وَلَكِنِّي بَلَوْتُ الطَّبْعَ فِيهِ
فَإِنَّ السَّيْفَ يُبْلَى فِي الْكِلَابِ

فَوَقَعَتْ بِيَدِ الْعَمِيدِ بَعْدَ أَيَّامٍ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا اُسْتَحْسَنَهَا وَسَأَلَ الدَّوَانِيَّ عَنِ الرَّجُلِ فَعَرَّفَهُ إِيَّاهُ فَأَمَرَ بِطَلَبِهِ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ سَافَرَ ، فَأَرْسَلَ خَلْفَهُ مَنْ اُسْتَعَادَهُ مِنْ عِدَّةِ فَرَاسِخَ ، فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ قَامَ لَهُ وَأَكْرَمَهُ وَتَلَقَّاهُ بِالْإِجْلَالِ وَقَالَ : لَوْ كَانَ مَدِيحُكَ كَهِجَائِكَ لَقَاسَمْتُكَ نِعْمَتِي ، فَإِنِّي مَا سَمِعْتُ بِأَحْسَنَ مِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، وَوَصَلَهُ وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ ، فَاُسْتَجْرَأَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُثِيبُ إِلَّا عَلَى الْهِجَاءِ . قَالَ : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الْقُهُسْتَانِيُّ لَهِجاً بِالْغِلْمَانِ شَدِيدَ الْمَيْلِ إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ سَبْعُمِائَةِ غُلَامٍ فِي خَيْلِهِ فَعَلِقَ الْعَمِيدُ أَحَدَهُمْ وَأَحَبَّهُ حُبّاً مُفْرِطاً وَلَمْ

(١) أى بعيد لا يسوغه

يَسْتجرِئُ أَنْ يُبدِىَ ذلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ سُوءِ الْعاقبةِ ،
فاتّفقَ أَنْ عادَ الْغِلْمَانُ يوْماً مِنْ بعضِ التّصيُّداتِ فلقيهُمُ
الْعَمِيدُ فِى صحْنِ الدّارِ فسلَّمُوا عليْهِ وقرُبَ ذلِكَ الْغُلَامُ مِنْهُ
وكَانَ قدْ عرفَ ميْلهُ إليْهِ فقرَصَ فخِذهُ ، وكَانَ مُحمَّدٌ مشْرِفاً
عليْهِمْ ينظُرُ إلى ذلِكَ ، فنزَلَ واسْتدْعى الْخَدَمَ وأمرَهُمْ
بضَرْبِهِ فضرَبُوهُ ضرْباً مُسْرِفاً ثُمَّ أنفذَهُ إلى الْعَمِيدِ وقالَ
لَهُ : قدْ وهبْنَاهُ مِنْكَ وصفَحْنَا عنْ ذنْبِكَ ، فلوْ لمْ يُساعِدكَ
هذَا الْفاجِرُ على ذلِكَ لمَا أمْكنكَ فِعْلهُ ، ولكِنْ لا تعُدْ
إلى مِثْلِ هذَا ، فاسْتحْيَا الْعَمِيدُ وقالَ : هذَا أعْظمُ مِنَ الضّرْبِ
والْأَدبِ وتأخّرَ عنْ دارِهِ حياءً فأنْفذَ مُحمَّدٌ واسْتدْعاهُ
وبسَطَهُ حتّى زالَ انْقِباضُهُ ، وكَانَ مُحمَّدٌ لا رأْىَ لهُ فِى
الْغِلْمَانِ ولا ميْلَ عِنْدَهُ إليْهِمْ ، وكَانَ لِمعْرِفتِهِ بمحبّةِ الْعَمِيدِ
لهُمْ لا يزَالُ يهَبُ مِنْهُ واحِداً بعْدَ واحِدٍ ، وشكَا الْخَدَمُ إلى
مُحمَّدٍ أَنّ بعْضَ الْغِلْمَانِ الدّارِيّةِ يُمكِّنُ باقِى الْغِلْمَانِ مِنْ وَطْئِهِ
ولا يمْتنِعُ عليْهِمْ مِنَ الْغشْيانِ فقالَ : أيفْعلُ هذَا طبْعاً أمْ

يَسْتَجْعِلُ[1] عَلَيْهِ ؟ فَقَالُوا : بَلْ يَسْتَجْعِلُ عَلَيْهِ ، فَتَقَدَّمَ بِإِخْرَاجِهِ وَإِنْفَاذِهِ إِلَى الْعَمِيدِ وَقَالَ : قُولُوا لَهُ هَذَا بِكَ أَشْبَهُ لَا بِنَا ، نُخَذْهُ مُبَارَكًا لَكَ فِيهِ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْعَمِيدُ فِي الْمِيمَنْدِيِّ وَزِيرِ مَحْمُودٍ :

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الْوَزِيـ
ـرِ وَمَنْ ذَوِيهِ زَائِدَهْ[2]

وَغَسَلْتُ مِنْ مَعْرُوفِهِمْ
كِلْتَا يَدَيَّ بِوَاحِدَهْ[3]

وَضَرَبْتُهُمْ عُرْضَ الْجِدَا
رِ فَلَيْسَ فِيهِمْ فَائِدَهْ

وَمِنْ مَشْهُورِ قَوْلِهِ :

وَمُعَقْرَبِ الْأَصْدَاغِ[4] فِي
خَدَّيْهِ وَرْدٌ يَنْتَثِرْ[5]

---

(١) أي يأخذ عليه أجرة وجعلا (٢) كأنها مفعول مطلق . أي سآمة زائدة (٣) يريد بفعله واحدة (٤) الصدغ : الشعر المتدلى بجانب الأذن ويشبه بالواو فيقولون واوات الأصداغ وبالعقارب (٥) كأن المراد شيوعه في خديه فهو منثور فيها

لَاعَبْتُـــهُ بِالْــكَعْبَتَيْـ

ـنِ مُسَامِحًا حَتَّى قَمَرْ (١)

فَازْدَادَ حُسْنًا وَجْهُـــهُ

لَمَّــا رَأَى حُسْنَ الظَّفَرْ

فَنَعَرْتُ (٢) نُغْرَةَ عَاشِقٍ

قَمَرَ الْقَمَــرْ قَمَرَ الْقَمَــرْ

وَلَهُ :

وَمُقَرْطَقٍ (٣) فِی صَحْنِ غُرَّةِ وَجْهِهِ

مُتَصَرِّفٌ صِرْفِ الْجَمَالِ وَتَحْتُهُ (٤)

عَاقَرْتُهُ (٥) أَسْكَرْتُهُ قَبَّلْتُــهُ

جَدَلْتُهُ (٦) فَقَحَتُهُ سَرَحْتُــهُ

وَلَهُ مِنْ أَبْيَاتٍ كَانَ يُغَنَّى بِهَا فِی حَضْرَةِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ :

---

(١) الكعب والكعبة من أداة الألعاب وقمر غلب (٢) أی صاح وصوت بخيشومه (٣) قرطقه : ألبسه القرطق وهو قباء ذو طاق واحد معرب قرطه (٤) تقول وتحت فلاناً : بلغت منه ، وصرف الجمال صفة لمقرطق يريد خالص الجمال ومتصرف مبتدأ خبره فی صحن وهو اسم مكان (٥) أی ساقيته العقار : وهي الخمر (٦) ألقيته على الأرض

قُمْ يَا خَلِيلِي فَاسْقِنِي
كَشُعَاعِ خَدِّكَ مِنْ شَرَابِ[1]
فَلَقَدْ يَمُرُّ الْعَيْشُ مُنْـ
ـقَرِضاً وَلَا مَرَّ السَّحَابِ
فَانْعَمْ[2] بِعَيْشِكَ مَا اسْتَطَعْـ
ـتَ وَلَا تُضِعْ شَرْخَ الشَّبَابِ
فَلَكَمْ أَضَعْتَ مِنَ الشَّبَا
بِ وَمَا اسْتَفَدْتَ سِوَى اكْتِئَابِ

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ : ثُمَّ وَرَدَ الْعَمِيدُ إِلَى بَغْدَادَ فِي أَوَائِلِ سِنِي نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ ، وَمَدَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْقَادِرَ بِاللهِ وَالْأَجَلَّ عَمِيدَ الرُّؤَسَاءِ أَبَا طَالِبِ بْنَ أَيُّوبَ كَاتِبَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ ، وَبَلَغَنِي الْآنَ فِي

(١) القصيدة من الكامل ولك إنشادها بقافية مقيدة أو مطلقة فان شئت سكنت حرف الروى « الباء » وإن شئت كسرته (٢) تمتع بالعيش ما دمت فى ريعان شبابك وهو معنى ردده الشعراء كثيرا ، قال المتنبى :

أنعم ولذ فللأمور أواخر ... أبدا إذا كانت لهن أوائل
ما دمت من أرب الحسان فإنما ... روق الشباب عليك ظل زائل

يريد أنعم فى الدنيا مادمت مرغوبا فيك من الحسان وما دمت راجعة إلى انعم « عبد الخالق »

سَنَةَ إِحدَى وَثَلَاثِينَ أَنَّهُ اتَّصلَ بِالْمُلُوكِ السَّلجُوقِيَّةِ الغُزِّ الْمُتَمَلِّكِينَ عَلَى خُرَاسَانَ وَخُوارِزْمَ وَالْجَبلِ ، وَأَنَّهُمْ عَرَضُوا عَلَيْهِ الخِدَمَ الْجَلِيلَةَ فَاختَارَ مِنْهَا مَا يَظُنُّ مَعَهُ سَلَامَةَ الْعَاقِبَةِ وَالْخَلَاصَ مِنَ التَّبِعَةِ ، وَمِنْ قَصِيدَتِهِ فِي الْقَادِرِ :

وَلَمْ يَرَنِي ذُو مِنَّةٍ غَيْرُ خَالِقِي
وَغَيْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِبَابِهِ
غَنِينَا بِلَا دُنْيَا عَنِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
وَإِنْ مَا الْغِنَى إِلَّا عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ (١)

وَمِمَّا بَلَغَنِي مِنْ شِعْرِهِ :

رَأَيْتُ عَمَّاراً وَلَيْتِي لَمْ أَرَهْ
حَازَ لِتِلْكَ الطَّلْعَةِ الْمُنْكَرَهْ
لَا أَحْمَدُ اللهَ عَلَى خَلْقِهِ
فَلَوْ أَرَادَ الْحَمْدَ مَا صَوَّرَهْ

---

(١) بيان المراد أن الغنى هو الاستغناء عن الشيء لا مايظنه الناس من أنه الاستيلاء على الشيء وإن مخففة من إن اسمها محذوف والجملة بعدها خبر مفيدة للقصر

وَلَهُ يَهْجُو ابْنَ كَثِيرٍ الْعَارِضَ[١] :

فَلَسْنَا نُرَجِّى الْخَيْرَ مِنْ إِبْنِ وَاحِدٍ
فَكَيْفَ نُرَجِّيهِ مِنِ ابْنِ كَثِيرِ

وَلَهُ فِيهِ :

وَطُولٌ بِلَا طَوْلٍ وَعَرْضٌ بِلَا عِرْضٍ[٢]

وَهَجَاهُ بِأَبْيَاتٍ تُصَحَّفُ :

مَالِى وَهٰذَا الْعَارِضَ بْنَ كَثِيرِ
شَيْخَ الْعَمِيدِ وَمَا لَهُ يَشْنَانِى[٣]
وَهُوَ الْفُؤَادُ بِرُوحِهِ وَأُحِبُّهُ
وَيَتِيــــهُ أَيْنَ رَأَيْتُهُ وَرَآنِى
وَيَغُضُّ مِنْ قَدْرِى وَيُخْمِلُ جَاهِدًا
ذِكْرِى وَيُخْفِى فِى الْجَنَانِ جِنَانِى
يُرِيدُ فِى الْخِنَانِ خِنَانِى .

---

(١) العارض : من يعرض الأوراق على سيده (٢) العرض : موضع المدح والذم من الانسان . يريد ولا شرف (٣) أى يبغضنى

﴿ ١٠ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْوَحْشِيِّ ﴾

﴿ النَّحْوِيُّ الْمَوْصِلِيُّ * ﴾

علي بن الحسن الوحشي

أَبُو الْفَتْحِ . قَالَ السِّلَفِيُّ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْفَرَجِ هِبَةُ اللهِ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ بْنِ الْحَدَّادِ الْكَاتِبُ بِثَغْرِ آمِدَ قَالَ : أَنْشَدَنِي ابْنُ الْوَحْشِيِّ النَّحْوِيُّ لِنَفْسِهِ :

أَبْكِي عَلَى الرَّبْعِ قَدْ أَقْوَى (١) كَأَنِّي مِنْ
سُكَّانِهِ أَوْ كَأَنْ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ

لَا تَلْحَنِي فِي بُكَائِيهِ فَسَاكِنُهُ
لَمْ أُلْفِهِ هَاجِرِي يَوْماً فَأَهْجُرُهُ

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٣

راجع أنباه الرواة ج أول صفحة ٥٤٧

(١) أقوى : خلا

﴿ ١١ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الطَّيِّبِ ﴾
﴿ الْبَاخَرْزِيُّ السِّنْخِيُّ * ﴾

على بن الحسن الباخرزى

أَبُو الْحَسَنِ، « وَقَالَ : أَبُو الْحَسَنِ الْبَيْهَقِيُّ كُنْيَةُ الْبَاخَرْزِيِّ أَبُو الْقَاسِمِ وَهُوَ الصَّحِيحُ » . وَبَاخَرْزُ مِنْ نَوَاحِي نَيْسَابُورَ، ذَكَرَهُ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ فِي الْخَرِيدَةِ فَقَالَ : وَهُوَ الَّذِي صَنَّفَ كِتَابَ دُمْيَةِ الْقَصْرِ فِي شُعَرَاءِ الْعَصْرِ، قَالَ : وَطَالَعْتُ هَذَا الْكِتَابَ بِأَصْفَهَانَ فِي دَارِ الْكُتُبِ الَّتِي لِتَاجِ الْمُلْكِ

(*) ترجم له فى كتاب طبقات الشافعية جزء ثالث صفحة ٢٩٨ قال :

هو أبو الحسن الباخرزى الأديب، مصنف دمية القصر. وباخرز ناحية من نواحى نيسابور والدمية ذيل على تتمة الثعالبي. تفقه على الشيخ أبى محمد الجوينى ثم أخذ فى الأدب وتنقلت به الأحوال إلى أن قتل بباخرز فى ذى القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة وله شعر ذكره ياقوت عدا البيت التالى :

بصورة الوثن استعبدتنى وبها فتنتنى وقديما هجت لى شجنا

وقال أيضا :

عجبت من دمعتى وعينى من قبل بين وبعد بين
قد كان عينى بغير دمع فصار دمعى بغير عين

وقال أيضا :

أصبحت عبدا لشمس ولست من عبد شمس
أنى لأعشق شىء وحق من شق خمسى

يريد إنى لأعشق إنسان، وعليك إدراك ركة المعنى والأسلوب « عبد الخالق »

بِجَامِعِهَا ، وَبَعَثَنِي ذَلِكَ عَلَى تَأْلِيفِ كِتَابِي هَذَا ، « يَعْنِي كِتَابَهُ الَّذِي نَقَلْتُ هَذَا مِنْهُ ، وَسَمَّاهُ خَرِيدَةَ الْقَصْرِ فِي شُعَرَاءِ الْعَصْرِ » . قَالَ : وَمَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . قَالَ : قُتِلَ فِي مَجْلِسِ أُنْسٍ بِبَاخَرْزَ وَذَهَبَ دَمُهُ هَدَراً قَالَ : وَكَانَ وَاحِدَ دَهْرِهِ فِي فَنِّهِ ، وَسَاحِرَ زَمَانِهِ فِي قَرِيحَتِهِ وَذِهْنِهِ ، صَاحِبَ الشِّعْرِ الْبَدِيعِ ، وَالْمَعْنَى الرَّفِيعِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ قَالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبْنَاءَ الْعَصْرِ بِأَصْفَهَانَ مَشْغُوفِينَ بِشِعْرِهِ ، مُتَيَّمِينَ بِسِحْرِهِ ، وَوَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ مَعَ الْوَزِيرِ الْكُنْدُرِيِّ ، وَأَقَامَ بِالْبَصْرَةِ بُرْهَةً ثُمَّ شَرَعَ فِي الْكِتَابَةِ مَعَهُ مُدَّةً ، وَاخْتَلَفَ إِلَى دِيوَانِ الرَّسَائِلِ وَتَنَقَّلَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ فِي الْمَرَاتِبِ وَالْمَنَازِلِ ، وَلَهُ دِيوَانٌ كَبِيرٌ وَمِمَّا أَوْرَدَهُ فِي دُمْيَةِ الْقَصْرِ لِنَفْسِهِ :

وَلَقَدْ جَذَبْتُ إِلَيَّ عَقْرَبَ صُدْغِهَا
فَوَجَدْتُهَا جَرَّارَةً (١) مَجْرُورَهْ

---

(١) تجر الناس إليها ويريد بمجرورة : سهولتها وانقيادها

وَكَشَفَتْ لَيْلَةَ جَلْوَةٍ عَنْ سَاقِهَا
فَرَأَيْتُهَا مِمْكَارَةً (١) مَمْكُورَةً (٢)

قَالَ: وَمِمَّا أَنْشَدْتُ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

زَكَاةُ رُءُوسِ النَّاسِ فِي عِيدِ فِطْرِهِمْ
يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَاعٌ مِنَ الْبُرِّ
وَرَأْسُكِ أَغْلَى قِيمَةً فَتَصَدَّقِي
بِفِيكِ عَلَيْنَا فَهُوَ صَاعٌ مِنَ الدُّرِّ

وَقَالَ فِي عِذَارِ غُلَامٍ يَكْتُبُ خَطًّا مَلِيحاً :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا فَاقَ خَطُّ عِذَارِهِ
فِي الْحُسْنِ خَطَّ يَمِينِهِ الْمُسْتَمْلَحَا
مَنْ يَكْتُبُ الْخَطَّ الْمَلِيحَ لِغَيْرِهِ
فَلِنَفْسِهِ لَا شَكَّ يَكْتُبُ أَمْلَحَا

وَلَهُ :

قَالُوا الْتَحَى (٣) وَمَحَا الْإِلَٰهُ جَمَالَهُ
وَكَسَاهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ وَمَحَاقِ

(١) الممكارة : ذات الساق الحسناء الغليظة ، وفى الاصل مكارة « عبد الخالق »
(٢) المكورة المستديرة : الساقين (٣) نبتت لحيته

كَتَبَ الزَّمَانُ عَلَى مَحَاسِنِ خَدِّهِ
هَـذَا جَزَاءُ مُعَذِّبِ الْعُشَّاقِ

وَلَهُ :

مَا أَنْتَ بِالسَّبَبِ الضَّعِيفِ وَإِنَّمَا
نُجْحُ الْأُمُورِ بِقُوَّةِ الْأَسْبَابِ
فَالْيَوْمَ حَاجَتُنَا إِلَيْكَ وَإِنَّمَا
يُدْعَى الطَّبِيبُ لِكَثْرَةِ الْأَوْصَابِ(١)

وَلَهُ :

يَرُوقُكَ بِشْراً وَهُوَ جَذْلَانُ مِثْلَمَا
تَخَافُ شَبَاهُ(٢) وَهُوَ غَضْبَانُ مُحْنَقُ
كَذَا السَّيْفُ فِي أَطْرَافِهِ الْمَوْتُ كَامِنٌ
وَفِي مَتْنِهِ ضَوْءٌ يَرُوقُ وَرَوْنَقُ

وَلَهُ :

قَالَتْ وَقَدْ سَاءَلْتُ عَنْهَا كُلَّ مَنْ
لَاقَيْتُهُ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي

(١) هذان البيتان للزبير بن بكار يقولها للفتح بن خاقان . ويروى لشدة الأوصاب (٢) شبا كل شیء : حده . وشبا السيف : حده الذى يقطع

أَنَا فِى فُؤَادِكَ فَارْمِ طَرْفَكَ نَحْوَهُ
تَرَنِى فَقُلْتُ لَهَا وَأَيْنَ فُؤَادِى

وَقَالَ يَصِفُ الشِّتَاءَ وَالْبَرْدَ :

لَبِسَ الشِّتَاءُ مِنَ الْجَلِيدِ جُلُودَا
فَالْبَسْ فَقَدْ بَرَدَ الزَّمَانُ بُرُودَا (١)
كَمْ مُؤْمِنٍ قَرَصَتْهُ أَظْفَارُ الشِّتَا
فَغَدَا لِأَصْحَابِ الْجَحِيمِ حَسُودَا
وَتَرَى طُيُورَ الْمَاءِ فِى أَرْجَائِهَا
تَخْتَارُ حَرَّ النَّارِ وَالسَّفُّودَا (٢)
فَإِذَ رَمَيْتَ بِسُؤْرِ كَأْسِكَ فِى الْهَوَا
عَادَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْعَقِيقِ (٣) عُقُودَا
يَا صَاحِبَ الْعُودَيْنِ لَا تُهْمِلْهُمَا
حَرِّقْ لَنَا عُوداً وَحَرِّكْ (٤) عُودَا

(١) برود جمع برد « الثوب » (٢) هو حديدة يشوى عليها اللحم جمعها سفافيد
(٣) أى تجمدت قطراته فصارت كعقود العقيق (٤) العود الأول : الحطب للدفء . والثانى آلة الطرب « المزهر » للسماع

وَمِنْ غَيْرِ كِتَابِ الْخَرِيدَةِ مِمَّا رُوِيَ لَهُ :

إِنْسَانُ عَيْنِي قَطُّ مَا يَرْتَوِي

مِنْ مَاءِ وَجْهٍ مَلُحَتْ(١) عَيْنُهُ

كَذَلِكَ الإِنْسَانُ مَا يَرْتَوِي

مِنْ شُرْبِ مَاءٍ مَلُحَتْ(٢) عَيْنُهُ

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : وَلَمَّا وَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ مَدَحَ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللهِ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي صَدَّرَهَا دِيوَانَهُ وَهِيَ :

عِشْنَا إِلَى أَنْ رَأَيْنَا فِي الْهَوَى عَجَبَا

كُلَّ الشُّهُورِ وَفِي الأَمْثَالِ عِشْ رَجَبَا(٣)

أَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ أَنِّي ضُحَى ارْتَحَلُوا

أَوْقَدْتُ مِنْ مَاءِ دَمْعِي فِي الْحَشَا لَهَبَا

وَأَنَّ أَجْفَانَ عَيْنِي أَمْطَرَتْ وَرِقَا(٤)

وَأَنَّ سَاحَةَ خَدِّي أَنْبَتَتْ ذَهَبَا(٥)

---

(١) من الملاحة والحسن . والعين : الباصرة (٢) من الملوحة . والعين : عين الماء التي تنبع من الأرض (٣) المثل : « عش رجبا تر عجبا » يريد إنا رأينا الشهور كلها عجباً مع أن المثل : « بين جمادى ورجب ترى العجب » (٤) الورق : الفضة ، يريد دمعا فى صفاء الفضة (٥) لما تلا رحيلهم من صفرة وجهه الشبيهة بالذهب « عبد الخالق »

وَإِنْ تَلَهَّبَ بَرْقٌ مِنْ جَوَانِبِهِمْ
تَوَقَّدَ الشَّوْقُ فِي جَنْبَيَّ وَالْتَهَبَا

قَالَ: فَاسْتَهْجَنَ الْبَغْدَادِيُّونَ شِعْرَهُ وَقَالُوا: فِيهِ بُرُودَةُ الْعَجَمِ، فَانْتَقَلَ إِلَى الْكَرْخِ وَسَكَنَهَا وَخَالَطَ فُضَلَاءَهَا وَسُوقَتَهَا مُدَّةً وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ، وَاقْتَبَسَ مِنْ اصْطِلَاحَاتِهِمْ ثُمَّ أَنْشَأَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا:

هَبَّتْ عَلَيَّ صَبًا تَكَادُ تَقُولُ
إِنِّي إِلَيْكَ مِنَ الْحَبِيبِ رَسُولُ
سَكْرَى تَجَشَّمَتِ الرُّبَى لِتَزُورَنِي
مِنْ عَلِيَّ وَهُبُوبُهَا تَعْلِيلُ

فَاسْتَحْسَنُوهَا وَقَالُوا: تَغَيَّرَ شِعْرُهُ وَرَقَّ طَبْعُهُ، وَمِنْ شِعْرِهِ:

حَمْلُ الْعَصَا لِلْمُبْتَلَى بِالشَّيْبِ عُنْوَانُ الْبِلَى
وُصِفَ الْمُسَافِرُ أَنَّهُ أَلْقَى الْعَصَا كَيْ يَنْزِلَا
فَعَلَى الْقِيَاسِ سَبِيلُ مَنْ حَمَلَ الْعَصَا أَنْ يَرْحَلَا

وَذَكَرَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ زَيْدٌ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ مَشَارِبِ التَّجَارِبِ، وَأَخْبَارِ الْوَزِيرِ أَبِي نَصْرٍ

الكُنْدُرِيّ « وَكُنْدُرُ قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ طُرَيْثِيثَ » قَالَ : كَانَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْبَاخَرْزِيُّ شَرِيكَهُ فِي مَجْلِسِ الْإِفَادَةِ مِنَ الْإِمَامِ الْمُوَفَّقِ النَّيْسَابُورِيِّ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَجَاءَهُ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ فَقَالَ مُدَاعِبًا :

أَقْبَلَ مِنْ كُنْدُرٍ مُسَيْخِرَةٌ
لِلنَّحْسِ فِي وَجْهِهِ عَلَامَاتُ
يَحْضُرُ دُورَ الْأَمِيرِ وَهْوَ فَتًى
مَوْضِعُ أَمْثَالِهِ الْخَرَابَاتُ
فَهْوَ جَحِيمٌ وَدُبْرُهُ سَعَةً
كَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ

قَالَ : وَكَانَ أَوَّلَ عَمَلِ الْكُنْدُرِيِّ حَجْبَةُ الْبَابِ ثُمَّ تَمَكَّنَ فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَكَ وَصَارَ وَزِيرًا مُحَكَّمًا فَوَرَدَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ وَهُوَ بِبَغْدَادَ فِي صَدْرِ الْوَزَارَةِ فِي دِيوَانِ السُّلْطَانِ ، فَلَمَّا رَآهُ الْوَزِيرُ قَالَ لَهُ : أَنْتَ صَاحِبُ « أَقْبَلَ » ؟ فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ ، فَقَالَ الْوَزِيرُ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا

فَإِنِّى قَدْ تَفَاءَلْتُ بِقَوْلِكَ « أَقْبَلَ » ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ قَبْلَ إِنْشَادِهِ وَقَالَ لَهُ : عُدْ غَدًا وَأَنْشِدْ ، فَعَادَ فِى الْيَوْمِ الثَّانِى وَأَنْشَدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ :

أَقْوَتْ مَعَاهِدُهُمْ بِشَطِّ الْوَادِى
فَبَقِيتُ مَقْتُولًا وَشَطَّ (١) الْوَادِى

وَسَكِرْتُ مِنْ خَمْرِ الْفِرَاقِ وَرَقَّصَتْ
عَيْنِى الدُّمُوعَ عَلَى غِنَاءِ الْحَادِى

وَمِنْهَا :

فِى لَيْلَةٍ مِنْ هَجْرِهِ شَتْوِيَّةٍ (٢)
مَمْدُودَةٍ مَخْضُوبَةٍ بِمِدَادِ

عَقِمَتْ بِمِيلَادِ الصَّبَاحِ وَإِنَّهَا
فِى الْإِمْتِدَادِ كَلَيْلَةِ الْمِيلَادِ

وَمِنْهَا :

غَرَّ الْأَعَادِى مِنْهُ رَوْنَقُ بِشْرِهِ
وَأَفَادَهُمْ بَرْدًا عَلَى الْأَكْبَادِ

---

(١) شطت الدار : بعدت (٢) يقال فى النسب إلى شتوة : شتوى ويحرك

هَيْهَاتَ لَايَخْدَعُهُمْ إِيمَاضُهُ (١)
فَالْغَيْظُ تَحْتَ تَبَسُّمِ الْآسَادِ
فَالْبَهْوُ (٢) مِنْهُ بِالْبَهَاءِ مُوَشَّحٌ
وَالسَّرْحُ (٣) مِنْهُ مُورِقُ الْأَعْوَادِ
وَإِذَا شَيَاطِينُ الضَّلَالِ تَمَرَّدُوا
خَلَّاهُمُ قُرَنَاءَ (٤) فِي الْأَصْفَادِ

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِنْشَادِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَالَ عَمِيدُ الْمُلْكِ لِأُمَرَاءِ الْعَرَبِ: لَنَا مِثْلُهُ فِي الْعَجَمِ، فَهَلْ لَكُمْ مِثْلُهُ فِي الْعَرَبِ؟ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ مَغْرِبِيَّةٍ (٥) قَالَ: وَكَانَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَكُ قَدْ بَعَثَ وَزِيرَهُ الْكُنْدُرِيَّ وَكِيلًا فِي الْعَقْدِ عَلَى بِنْتِ «خُوَارِزْمَشَاه» فَوَقَعَ إِرْجَافٌ (٦) وَرُفِعَ إِلَى السُّلْطَانِ أَنَّ عَمِيدَ الْمُلْكِ زَوَّجَهَا مِنْ نَفْسِهِ وَخَانَ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا مَا كَانَ، فَتَغَيَّرَ رَأْيُ السُّلْطَانِ عَلَيْهِ فَحَلَقَ عَمِيدُ الْمُلْكِ لِحْيَتَهُ

---

(١) الأيماض: لمع البرق. إستعارة للابتسام ومعنى هـذا البيت هو قول الشاعر:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

(٢) البهو: البيت المقدم أمام البيوت (٣) كل شجر لا شوك فيه

(٤) أى مكبلين فى القيود (٥) لعله: معزية (٦) أرجف القوم فى الشىء: خاضوا فيه، والارجاف واحد الأراجيف: أى أخبار الفتن والشر

وَجَبَّ مَذَاكِيرَهُ حَتَّى سَلِمَ مِنْ سِيَاسَةِ السُّلْطَانِ ، فَمَدَحَهُ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بِهَذَا النُّقْصَانِ وَمَا سَبَقَهُ بِهَذَا الْمَعْنَى أَحَدٌ حَيْثُ قَالَ :

قَالُوا مَحَا السُّلْطَانُ عَنْهُ بَعْدَكُمْ
سِمَةَ الْفُحُولِ وَكَانَ قَرْماً صَائِلاً

قُلْتُ اُسْكُتُوا فَالْآنَ زَادَ فُحُولَةً
لَمَّا اغْتَدَى عَنْ أُنْثَيَيْهِ[1] عَاطِلاً

فَالْفَحْلُ يَأْنَفُ أَنْ يُسَمَّى بَعْضُهُ
أُنْثَى لِذَلِكَ جَذَّهُ[2] مُسْتَأْصِلاً

وَلَمَّا قَتَلَ السُّلْطَانُ الْبَرْسَلَانُ[3] الْوَزِيرَ أَبَا نَصْرٍ الْكُنْدُرِىَّ قَالَ الْبَاخَرْزِىُّ يُخَاطِبُ السُّلْطَانَ :

وَعَمُّكَ أَدْنَاهُ وَأَعْلَى مَحَلَّهُ
وَبَوَّأَهُ مِنْ مُلْكِهِ كَنَفاً رَحْبَا

قَضَى كُلُّ مَوْلًى مِنْكُمُ حَقَّ عَبْدِهِ
فَخَوَّلَهُ الدُّنْيَا وَخَوَّلْتَهُ الْعُقْبَى

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَهَذَا مَعْنًى لَطِيفٌ وَمَقْصِدٌ ظَرِيفٌ ،

---

(١) أى خصيتيه (٢) أى قطعه (٣) ى كثير من كتب التوارخ وفى معجم البلدان أنه ألب أرسلان

فَلِلّٰهِ دَرُّ الشُّعَرَاءِ وَقَرَائِحِهِمْ وَالْأُدَبَاءِ وَمَنَائِحِهِمْ .

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ آلَاتِ تَنَاسُلِ الْكُنْدُرِيِّ مَدْفُونَةٌ بِخُوَارِزْمَ ، وَدَمُهُ مَصْبُوبٌ بِمَرْوِ الرُّوذِ ، وَجَسَدُهُ مَقْبُورٌ بِقَرْيَةِ كُنْدُرَ مِنْ طُرَيْثِيثَ ، وَجُمْجُمَتُهُ وَدِمَاغُهُ مَدْفُونَانِ بِنَيْسَابُورَ ، وَشَوَاتُهُ(١) مَحْشُوَّةٌ بِالتِّبْنِ وَقَدْ نُقِلَتْ إِلَى كَرْمَانَ فَدُفِنَتْ هُنَاكَ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْبَاخَرْزِيُّ فِي ذَلِكَ :

مُفْتَرِقًا فِي الْأَرْضِ أَجْزَاؤُهُ
بَيْنَ قُرًى شَتَّى وَبُلْدَانِ

جَبَّ خُوَارِزْمُ(٢) مَذَاكِيرَهُ
طُغْرُلْبَكٌ ذَاكَ الْمَلِكُ الْفَانِي

وَمَصَّ مَرْوُ الرُّوذِ مِنْ جِيدِهِ
مُعَصْفَرًا يَخْضِبُهَـــا قَانِي

فَالشَّخْصُ فِي كُنْدُرَ مُسْتَبْطَنٌ
وَرَاءَ أَرْمَاسٍ وَأَكْفَانِ

وَرَأْسُهُ طَارَ وَلَهْفِي عَلَى
مُجْتَمِعِهِ فِي خَيْرِ جُثْمَانِ

---

(١) الشواة واحدة الشوى : قحف الرأس أى جلدته (٢) فى الأصل « بخوارزم » والباء تكسر البيت فحذفتها ، وجعلت خوارزم فاعلا على التجوز العقلى ، والعلاقة المكانية « عبد الخالق »

خَلَوْا بِنَيْسَابُورَ مَضْمُونَهُ
وَقِحْفُهُ الْخَالِى بِكَرْمَانِ
وَالْحُكْمُ لِلْجَبَّارِ فِيمَا مَضَى
وَكُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَانِ

وَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فَائِقَةٍ يَمْدَحُ فِيهَا الشَّرِيفَ ذَا الْمَجْدَيْنِ أَبَا الْقَاسِمِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى بْنِ جعفرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، نَقِيبَ الطَّالِبِيِّينَ بِمَرْوَ « وَفِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُنْيَةَ الْبَاخَرْزِيِّ أَبُو الْقَاسِمِ » أَوَّلُهَا :

حِيَالَكَ مِنْ تَحْتِ ذَيْلِ الْحُبَى (١) شُعَاعٌ كَحَاشِيَةِ الْمَشْرَفِيِّ (٢)

وَيَقُولُ فِيهَا :

وَسُقْتُ الرَّكَائِبَ حَتَّى أَنَخْنَ
بِسَبْطِ الْأَنَامِلِ سِبْطِ النَّبِيِّ

(١) جمع حبوة: وهى مايحتبى به الرجل من عمامة أو ثوب (٢) أى السيف ، يقول : إن نوره يشع من تحت ذيل حبوته كما يشع ضوء المشرفى ويتألق . وحاشية الشىء : طرفه وجانبه والحيال : الناحية فهو ظرف راجع إلى شعاع أى شعاع حيالك « عبد الخالق »

عَلِيِّ بْنِ مُوسَى مُوَاسِي[١] الْعُفَاةِ[٢]

أَبِي الْقَاسِمِ السَّيِّدِ الْمُوسَوِيِّ

وَمِنْهَا :

نَمَاهُ[٣] الْفَخَارُ إِلَى جَدِّهِ

عَلِيٍّ[٤] فَطَارَ بِجَدٍّ عَلِيّ[٥]

وَلَا يَتَأَشَّبُ[٦] عِيصُ[٧] السَّرِيِّ[٨]

إِذَا هُوَ لَمْ يَكُنِ ابْنَ السَّرِيِّ

أَبَا قَاسِمٍ يَا قَسِيمَ السَّخَاءِ

إِذَا جَفَّ ضَرْعُ الْغَمَامِ الْحَبِيِّ[٩]

وَفَدْتُ إِلَيْكَ مَعَ الْوَافِدِينَ

وُفُودَ الْبِشَارَةِ غِبَّ النَّعِيِّ[١٠]

وَزَارَكَ مِنِّي سَمِيٌّ كَنِيٌّ[١١]

فَرَاعِ حُقُوقَ السَّمِيِّ الْكَنِيِّ

---

(١) إسم فاعل من واساه : ساعده (٢) جمع عاف : وهو الفقير (٣) عزاه ونسبه (٤) على : هو الأمام على كرم الله وجهه (٥) أى رفيع (٦) تأشب الشجر: التف واجتمع (٧) العيص : الأصل (٨) أى الشريف الوجيه . والمعنى لايجتمع شرف الأصل لشريف مالم يكن ابن شريف (٩) الحبي : السحاب يشرف من الأفق على الأرض ، أو الذى بعضه فوق بعض . (١٠) الذى يخبر بموت المائت (١١) من اسمه وكنيته كاسمك وكنيتك

فَهَذِى الْقَصِيدَةُ بِكْرٌ تَصِلُ (١)

عَلَى نَحْرِهَا حَصَيَاتُ الْحُلِيِّ

جَعَلْتُ هَوَاكَ جِهَازاً لَهَا

فَجَاءَتْكَ مَائِسَةً كَالْهَدِيِّ (٢)

سَحَرْتُ بِهَا أَلْسُنَ السَّامِرِينَ

وَلَمْ أَتْرُكِ السِّحْرَ لِلسَّامِرِيِّ (٣)

وَلَمَّا نَشَرْتُ أَفَاوِيقَهَا (٤)

طَوَى النَّاسُ دِيبَاجَةَ (٥) الْبُحْتُرِيّ

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي سَعْدٍ لِأَبِي الْقَاسِمِ الْبَاخَرْزِيِّ وَكَنَاهُ أَبَا الْحَسَنِ :

---

(١) يريد أن قصيدته بكر لم يسبقه إليها أحد وأن أبياتها درر « حصيات » من الحلى تصل صليل السيوف ولها صوت حسن « عبد الخالق »

(٢) العروس . يقال هدى العروس إلى بعلها : زفها إليه

(٣) السامرى : الذى فتن بنى إسرائيل (٤) لعل الأفاويق جمع فواق ، من فاق بنفسه فواقا : إذا كانت على الخروج أو مات وهذا يناسبها نشرت ، وكنت على وشك أن أجعلها أقاويلها جمع أقوال جمع قول وتكون نشرت بمعنى أبرزت غير أنى أبقيتها ونبهت على ما كنت أريده ليكون للقارىء الخيار « عبد الخالق »

(٥) أى حسن الأسلوب وعذوبته

يَا فَالِقَ الصُّبْحِ مِنْ لَأْلَاءِ غُرَّتِهِ [١]

وَجَاعِلَ اللَّيْلِ مِنْ أَصْدَاغِهِ سَكَنَا

لَا غَرْوَ أَنْ أَحْرَقَتْ نَارُ الْهَوَى كَبِدِي

فَالنَّارُ حَقٌّ عَلَى مَنْ يَعْبُدُ الْوَثَنَا

وَأَنْشَدَ لَهُ وَكَنَّاهُ أَبَا الْقَاسِمِ :

كَتَبْتُ وَخَطِّي حَاشَ وَجْهَكَ شَاهِدٌ

بِأَنَّ بَنَانِي مِنْ أَذَى السُّقْمِ مُرْتَعِشْ [٢]

وَنَفْسِيَ إِنْ تَأْمُرْ تَعِشْ فِي سَلَامَةٍ

فَأَهْدِ لَهَا مِنْكَ السَّلَامَ وَمُرْ تَعِشْ [٣]

﴿ ١٢ — عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ صَدَقَةَ * ﴾

علي بن الحسن الوزير

الْوَزِيرُ ابْنُ الْوَزِيرِ أَبُو الْحَسَنِ ، لَمْ يَسْتَقِلَّ بِالْوَزَارَةِ إِنَّمَا نَابَ عَنْ أَبِيهِ ، وَكَانَ أَبُوهُ وَزِيرَ الْمُسْتَرْشِدِ ، وَكَانَ

(١) هي بياض في جبين الفرس والمراد وجهه (٢) من الارتعاش والاضطراب

(٣) مر فعل أمر ، تعش فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر

(*) راجع مرآة الزمان صفحة ٢٦١ مجلد ١٢

فِى أَبِيهِ كِفَايَةٌ وَشَهَامَةٌ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَلَّى الْوَزَارَةَ مِنْ بَنِى صَدَقَةَ ، وَكَانَ أَبُوهُ يُلَقَّبُ جَلَالَ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ يُلَقَّبُ شَرَفَ الدَّوْلَةِ ، وَلَمَّا مَاتَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ دَخَلَ الْأَقْفَاصِىُّ الشَّاعِرُ الْمَوْصِلِىُّ إِلَى قَبْرِهِ وَقَالَ وَهُوَ يَبْكِى :

نَزُورُكَ فِى ثَوْبَىْ خُشُوعٍ وَذِلَّةٍ
كَأَنَّكَ تُرْجَى فِى الضَّرِيحِ وَتُرْهَبُ
وَنَلْثِمُ تُرْبًا مِنْ رَفِيعٍ مُحَجَّبٍ
كَمَا يُلْثَمُ الْبَيْتُ الرَّفِيعُ الْمُحَجَّبُ
وَتُرْنِى بِمَا قَدْ كُنْتَ مُمْتَدِحًا بِهِ
فَيُحْزِنُنَا مِنْكَ الَّذِى كَانَ يُطْرِبُ

وَمَاتَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ فِى جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَأَمَّا شَرَفُ الدَّوْلَةِ فَقَالَ السَّمْعَانِىُّ فِى تَارِيخِهِ : هُوَ غَزِيرُ الْفَضْلِ وَافِرُ الْعَقْلِ ، لَهُ مَعْرِفَةٌ بِاللُّغَةِ ، حَسَنُ الْخَطِّ مَلِيحُهُ ، دَيِّنٌ خَيِّرٌ مَشْغُولٌ بِالْعِبَادَةِ وَالْعُزْلَةِ ، سَمِعَ بِقِرَاءَتِى بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَبَغْدَادَ عَلَى الْمَشَايِخِ ، وَسَمِعَ أَبَا الْقَاسِمِ الرَّبَعِىَّ ، كَتَبْتُ عَنْهُ وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ :

فِي مُحَرَّمٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . قُلْتُ أَنَا وَهُوَ الَّذِي بَنَى الرِّبَاطَ الْمَعْرُوفَ بِرِبَاطِ الدَّرَجَةِ عَلَى دِجْلَةَ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، وَاعْتَزَلَ فِيهِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَتَرَكَ الْوِلَايَاتِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْخَطِّ الْمَلِيحِ الْمَنْسُوبِ عَلَى طَرِيقَةِ عَلِيِّ بْنِ هِلَالِ بْنِ الْبَوَّابِ ، وَمَاتَ فِي سَابِعِ صَفَرٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

﴿ ١٣ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَنْتَرِ بْنِ ثَابِتٍ * ﴾

علي بن الحسن الحلي

الْمَعْرُوفُ بِشُمَيْمٍ الْحِلِّيِّ ، أَبُو الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ

(*) ترجم له في كتاب أنباء الرواة صفحة ٣٤٥ بما يأتي قال :

قدم بغداد ، وأقام مدة يقرأ النحو على أبي محمد بن الخشاب وغيره من الأدباء ، حتى حصل طرفا من النحو واللغة والعربية وحفظ جملا من أشعار العرب ، وقال شعرا جيدا ، سافر إلى الشام ، ومدح أمراءها ، وديار بكر ومدح أكابرها ، وجمع من شعره كتابا سماه الحماسة ، وكان مهوسا ناقص الحركات ، سيء العقيدة ، يتحرك في مجلسه بحركات يضحك منها وهو لا يضحك ، فلا يغضب من ضحك الجماعة ، ويصرف ضحكهم إلى أنه يعجب به ، ومن جوده ما يأتي به إلى أمثال ذلك من السخف في الفعل والقول .

أخبرني أبو البركات سعيد بن أبي جعفر الهاشمي الحلبي قال : جاءنا الشميم إلى حلب ، فدخلنا عليه مستفيدين قال: فرأيته يوماً وقد أنشد لنفسه شعرا أكثرنا الاستحسان له ، فقام إلى أحد أركان المنزل ، ونام على ظهره ورفع رجليه إلى الحائط ، ولم يزل يرتفع حتى صار واقفا على رأسه ثم جاءنا وقال : هكذا يشكر الله على النعمة وهو أن يقف الإنسان على رأسه لا على رجليه . وقال لي ابن الجيراني النحوي الحلبي : اختبرت —

الشَّاعِرُ ، مَاتَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّمِائَةٍ . أَخْبَرَنِي بِهِ الْعِمَادُ بْنُ الْخُدُوسِ الْعَدْلِ ، وَبِمَنْزِلِهِ مَاتَ بِالْمَوْصِلِ عَنْ سِنٍّ عَالِيَةٍ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْحِلَّةِ الْمَزْيَدِيَّةِ . قَدِمَ بَغْدَادَ وَبِهَا تَأَدَّبَ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ الْمَوْصِلِ وَالشَّامِ وَدِيَارِ بَكْرٍ ، وَأَظُنُّهُ قَرَأَ عَلَى أَبِي نِزَارٍ مَلِكِ النُّحَاةِ .

قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : وَكُنْتُ قَدْ وَرَدْتُ إِلَى آمِدَ فِي شُهُورِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَرَأَيْتُ أَهْلَهَا

— الشميم الحلى عند وروده علينا فى النحوفلم أجده قيما به ، وكان قد اكتسب مالا من عطاء المرفدين له ، وكان لا ينفق منه ولا يفارقه فى جدان كبير له لا يزاوله

وحكى لى ياقوت الحموى عتيق عسكر التاجر قال لى الشميم الحلى يوما وقد خلوت به : قد أنست بفضلك وعقلك ومعى فى هذا الجدان بين ثيابى ستة آلاف دينار مصرية أو قال ثلاثة آلاف دينار مصرية ، الشك منى ، وقد عزمت على أن أعطيك منها جزءا متوفرا تتجر فيه لتجد به مرفقا ومتى غنيت أعد إلى رأس المال ، قال : فامتنعت من ذلك . وذكر لى أبو البركات سعد الهاشمى قال : رأيته يوماً ونحن عنده وقد جرى ذكر نصيبين ووخمها فقال : حضرتها فى بعض أسفارى سنة وقد وخمت واشتد وخمها ومات أهلها فكنت كثيرا ما أرى الجنائز وخلفها النساء ينحن ، فأصغيت إليهن فلم يعجبنى قولهن ، فصنعت لهن نواحاً ينحن به ثم قام على قدميه ، وأمرنا بالقيام ووقف على صفة ونحن فى وسط القاعة وقال :

قولوا كما أقول ، والطموا على خدودكم كما ألطم ، فاجبناه إلى ذلك فقال :

بسى نقوعك وبسى حب رمانك ... كم تحملين الدوا قد كلت أقدامك

بسى نقوعك وبسى تمر هنديك ... كم تعملين الدوا قد كلت أيديكى —

مُطْبِقَيْنِ عَلَى وَصْفِ هَذَا الشَّيْخِ ، فَقَصَدْتُ إِلَى مَسْجِدِ الْخَضِرِ وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ شَيْخاً كَبِيراً قَضِيفَ[1] الْجِسْمِ فِي حُجْرَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَامِدَانٌ مَمْلُوءٌ كُتُباً مِنْ تَصَانِيفِهِ فَحَسْبُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ قُلْتُ مِنْ بَغْدَادَ : فَهَشَّ بِي وَأَقْبَلَ يُسَائِلُنِي عَنْهَا وَأُخْبِرُهُ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : إِنَّمَا جِئْتُ لِأَقْتَبِسَ مِنْ عُلُومِ الْمَوْلَى شَيْئاً ، فَقَالَ لِي : وَأَيَّ عِلْمٍ تُحِبُّ ؟ قُلْتُ لَهُ : أُحِبُّ عُلُومَ الْأَدَبِ . فَقَالَ :

— قال : وأخذ يلطم على خديه ، ونحن نشير إلى خدودنا بمثل ذلك . وأخبرنى العماد بن السابق الكتبى بحلب قال : أخبرنى أبو الخطاب بن دحية المغربى قال : ما رأيت أكفر من شميم فأنى اجتمعت به وذاكرته فقال : قد قيل لى فى الدهده كذا وتلا آية من القرآن فقلت : مامعنى قولك الدهده ؟ فقال : الدهده فى كلام العرب : الهذيان . « تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا » أستغفر الله العظيم . ومن شعره قصيدة أوردها ياقوت .

وكان إذا حصل له من يقوم به أقام عنده وسكن إلى ذلك حافظا لما معه من المال غير منفق منه بخيلا به . واتفق أنه دخل الموصل وعلم به رجل وراق يعرف بابن البقال وتحقق ما معه من المال وأنزله فى مسجد له وقام به إلى أن توفى وفاز بموجوده ، وغفلت عنه الظلمة فى المطالبة به ، وقيل إنه ظهر ذلك فى ثروته . وكانت وفاته فى العشر الأخير من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستمائة .

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٣٣٣

(١) قضف : نحف فهو قضيف

إِنَّ تصانيفي فِي الْأَدَبِ كثيرةٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الأَوائِلَ جَمَعُوا أَقْوالَ غيرِهِمْ وَأَشْعَارَهُمْ وَبَوَّبُوهَا ، وَأَمَّا أنا فَكُلُّ مَا عِندِي مِنْ نَتَائِجِ أفكارِي ، وَكُنْتُ كُلَّمَا رَأَيْتُ النَّاسَ مُجْمِعِينَ عَلى اسْتِحْسانِ كِتَابٍ فِي نَوْعٍ مِنَ الآدَابِ اسْتَعْمَلْتُ فِكْرِي وَأَنْشَأْتُ مِنْ جِنْسِهِ مَا أُدْحِضُ[1] بِهِ الْمُتَقَدِّمَ . فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا تَمَّامٍ جَمَعَ أَشْعَارَ الْعَرَبِ فِي حَمَاسَتِهِ ، وَأَمَّا أَنَا فعمِلتُ حَمَاسَةً مِنْ أَشْعَارِي وَبَنَاتِ أفكارِي ، « ثُمَّ شَنَعَ[2] أَبَا تَمَّامٍ وَشَتَمَهُ » ، ثُمَّ رَأَيْتُ النَّاسَ مُجْمِعِينَ عَلَى تَفْضِيلِ أَبِي نُوَاسٍ فِي وَصْفِ الْخَمْرِ ، فَعَمِلتُ كِتَابَ الْخَمْرِيَّاتِ مِنْ شِعْرِي ، لَوْ عَاشَ أَبُو نُوَاسٍ لَاسْتَحْيَا أَنْ يَذْكُرَ شِعْرَ نَفْسِهِ لَوْ سَمِعَهَا ، وَرَأَيْتُ النَّاسَ مُجْمِعِينَ عَلَى تَفْضِيلِ خُطَبِ ابْنِ نُبَاتَةَ فَصَنَّفْتُ كِتَابَ الْخُطَبِ فَلَيْسَ لِلنَّاسِ الْيَوْمَ اشْتِغَالٌ إِلَّا بِخُطَبِي ، وَجَعَلَ يُزْرِي[3] عَلَى الْمُتَقَدِّمِينَ وَيَصِفُ وَيُجَهِّلُ الْأَوَائِلَ وَيُخَاطِبُهُمْ بِالْكَلْبِ ،

(١) أدحض : أبطل (٢) شنعه : قبحه وشتمه وفضحه
(٣) أي يعيبهم ويحط من أقدارهم

فَعَجِبْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ لَهُ : فَأَنْشِدْنِى شَيْئاً مِمَّا قُلْتَ، فَابْتَدَأَ وَقَرَأَ عَلَىَّ خُطْبَةَ كِتَابِ الْخَمْرِيَّاتِ فَعَلِقَ بِخَاطِرِى مِنَ الْخُطْبَةِ قَوْلُهُ « وَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَكَمِىَّ (١) قَدْ أَبْدَعَ وَلَمْ يَدَعْ لِأَحَدٍ فِى اتِّبَاعِهِ مَطْمَعاً، وَسَلَكَ فِى إِفْشَاءِ سِرِّ الْخَمْرَةِ مَا سَلَكَ (٢)، آثَرْتُ أَنْ أَجْعَلَ لَهَا نَصِيباً مِنْ عِنَايَتِى مَعَ مَا أَنِّى عَلِمَ اللهُ لَمْ أُلْمِمْ لَهَا بِإِثْمٍ (٣) ثَغْرٍ إِنْمٍ مُذْ رَضِعْتُ ثَدْىَ أُمٍّ » أَوْ كَمَا قَالَ. ثُمَّ أَنْشَدَنِى مِنْ هَذَا الْكِتَابِ :

أُمْزُجْ بِمَسْبُوكِ اللُّجَيْنِ (٤)

ذَهَباً حَكَتْهُ دُمُوعُ عَيْنِى

لَمَّا نَعَى نَاعِى الْفِرَا

قِ بِبَيْنِ (٥) مَنْ أَهْوَى وَبَيْنِى

كَانَتْ (٦) وَلَمْ يُقْدَرْ لِشَىْ

ءٍ قَبْلَهَا إِيجَابُ كَوْنِ

(١) هو أبو نواس (٢) هذه الكلمة سقطت من الاصل

(٣) أى لم أذقها ولم تمسها شفتاى ولعل ما التى بعد مع زائدة وإن وضعها زائدة فى هذا المكان لاعجب منه ، لأن القائل شميم على ما فى زيادتها من ركاكة .

(٤) أى الفضة (٥) البين : البعد فى كلتا اللفظتين (٦) أى حصلت فى الوجود ولم يقدر لشىء من الموجودات وجوب وجوده إلا هي لأنها موجودة منذ وجد الانسان وسايرته فى كل أدوار الحياة كأنها واجبة الوجود .

وَأَحَالَهَا التَّحْرِيمُ[1] لَمْـ

ـمَا شُبِّهَتْ بِدَمِ الْحُسَيْنِ

خَفَقَتْ لَنَا شَمْسَانِ[2] مِنْ

لَأْلَائِهَا فِي الْخَافِقَيْنِ[3]

وَبَدَتْ لَنَا فِي كَأْسِهَا

مِنْ لَوْنِهَا فِي حُلَّتَيْنِ

فَاعْجَبْ هَدَاكَ اللهُ مِنْ

كَوْنِ اتِّفَاقِ الضِّدَّيْنِ

فِي لَيْلَةٍ بَدَأَ السُّرُو

رُ بِهَا يُطَالِبُنَا بِدَيْنِ

وَمَضَى طَلِيقَ الرَّاحِ[4] مَنْ

قَدْ كَانَ مَغْلُولَ[5] الْيَدَيْنِ

---

(١) جعلها التحريم من المحال تناوله ، لأنها شبهت بدم الحسين وهو محرم سفكه ولعل المراد وجعل شربها محالا (٢) هي شمس والكوكب السماوى شمس

(٣) الخافقان : المشرق والمغرب أو أفقاهما « عبد الخالق »

(٤) جمع راحة ، يريد بطلاقة الراحة الكرم (٥) المغلول : الذى فى يده الغل أى المقيد — يريد البخل أى أن الخمر تجعل البخيل كريما

ذِي[1] زِينَةُ الأَحْيَاءِ فِي الدُّ نْيَا وَزِينَةُ كُلِّ زَيْنِ

فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ، فَغَضِبَ وَقَالَ لِي: وَيْلَكَ مَا عِنْدَكَ غَيْرُ الاِسْتِحْسَانِ؟ قُلْتُ لَهُ: فَمَا أَصْنَعُ يَا مَوْلَانَا، فَقَالَ لِي: تَصْنَعُ هَكَذَا؟ ثُمَّ قَامَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ إِلَى أَنْ تَعِبَ ثُمَّ جَلَسَ وَهُوَ يَقُولُ: مَا أَصْنَعُ وَقَدْ ابْتُلِيتُ بِبَهَائِمَ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الدُّرِّ وَالْبَعْرِ، وَالْيَاقُوتِ وَالْحَجَرِ، فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُنْشِدَنِي شَيْئًا آخَرَ، فَقَالَ لِي: قَدْ صَنَّفْتُ كِتَابًا فِي التَّجْنِيسِ، سَمَّيْتُهُ أَنِيسَ الْجَلِيسِ فِي التَّجْنِيسِ، فِي مَدْحِ صَلَاحِ الدِّينِ لَمَّا رَأَيْتُ اسْتِحْسَانَ النَّاسِ لِقَوْلِ الْبُسْتِيِّ فَأَنَا أُنْشِدُكَ مِنْهُ، ثُمَّ أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ:

لَيْتَ مَنْ طَوَّلَ بِالشَّـ ـامِ نَوَاهُ[2] وَثَوَى[3] بِهْ
جَعَلَ الْعَوْدَ إِلَى الزَّوْ رَاءِ[4] مِنْ بَعْضِ ثَوَابِهْ[5]
أَتُرَى يُوطِئُنِي الدَّهْـ ـرُ ثَرَى[6] مِسْكِ تُرَابِهْ

(١) كانت في الأصل: « هذه » ولكن البيت ينكسر فأصلحتها (٢) نواه: بعاده (٣) ثوى: أقام (٤) الزوراء: مدينة بغداد (٥) أي جزائه من المجازاة والاثابة (٦) التراب المبلل الندي

وَأَرَى أَىْ نُورَ عَيْنِى مَوْطِئاً لِى وَتُرَى [1] بِهْ

ثُمَّ أَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ فِى وَصْفِ سَاقٍ :

قُلْ لِى فَدَتْكَ النَّفْسُ قُلْ لِى
مَاذَا تُرِيدُ إِذًا بِقَتْلِى ؟
أَأَدَرْتَ خَمْراً فِى كُئُو
سِكَ هَـٰذِهِ أَمْ سُمَّ صِلّ [2] ؟؟

وَأَنْشَدَنِى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا ضَاعَ مِنِّى أَصْلُهُ ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَمَّنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَلَمْ يُحْسِنِ الثَّنَاءَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ لَهُ الْمَعَرِّىَّ نَهَرَنِى وَقَالَ لِى: وَيْلَكَ كَمْ تُسِىءُ الْأَدَبَ بَيْنَ يَدَىَّ ، مَنْ ذَلِكَ الْكَلْبُ الْأَعْمَى حَتَّى يُذْكَرَ بَيْنَ يَدَىَّ فِى مَجْلِسِى ؟ فَقُلْتُ : يَا مَوْلَانَا مَا أَرَاكَ تَرْضَى عَنْ أَحَدٍ مِمَّنْ تَقَدَّمَ .

فَقَالَ : كَيْفَ أَرْضَى عَنْهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يُرْضِينِى ؟ قُلْتُ : فَمَا فِيهِمْ قَطُّ أَحَدٌ جَاءَ بِمَا يُرْضِيكَ ؟ فَقَالَ :

---

(١) أى تنظر وتراك الناس به (٢) الصل : الحية

لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُتَنَبِّى فِى مَدِيحِهِ خَاصَّةً ، وَابْنَ نُبَاتَةَ فِى خُطَبِهِ ، وَابْنَ الْحَرِيرِىِّ فِى مَقَامَاتِهِ فَهَؤُلَاءِ لَمْ يُقَصِّرُوا . قُلْتُ لَهُ : يَا مَوْلَانَا قَدْ عَجِبْتُ إِذْ لَمْ تُصَنِّفْ مَقَامَاتٍ تُدْحِضُ بِهَا مَقَامَاتِ الْحَرِيرِىِّ ، فَقَالَ لِى : يَا بُنَىَّ اعْلَمْ أَنَّ « الرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِى عَلَى الْبَاطِلِ » عَمِلْتُ مَقَامَاتٍ مَرَّتَيْنِ فَلَمْ تُرْضِنِى فَغَسَلْتُهَا[1] ، وَمَا أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ خَلَقَنِى إِلَّا لِأُظْهِرَ فَضْلَ ابْنِ الْحَرِيرِىِّ ، ثُمَّ سَطَحَ[2] فِى الْكَلَامِ وَقَالَ :

لَيْسَ فِى الْوُجُودِ إِلَّا خَالِقَانِ : فَأَحَدٌ فِى السَّمَاءِ وَأَحَدٌ فِى الْأَرْضِ ، فَالَّذِى فِى السَّمَاءِ هُوَ اللهُ ، وَالَّذِى فِى الْأَرْضِ أَنَا ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَىَّ وَقَالَ : هَذَا كَلَامٌ لَا يَحْتَمِلُهُ الْعَامَّةُ لِكَوْنِهِمْ لَا يَفْهَمُونَهُ ، أَنَا لَا أَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ شَىْءٍ إِلَّا خَلْقَ الْكَلَامِ فَأَنَا أَخْلُقُهُ ، ثُمَّ ذَكَرَ اشْتِقَاقَ هَذِهِ

(١) أى أزلتها (٢) أى توسع وتبسط وفى الأصل «شطح» ولم أجد شطح بجملتها سطح بمعنى بسطه على أنى أميل إلى إبقائها لأنه يشبه بالنفر الذين نسميهم المجاذيب . ويقال : إن هؤلاء لهم شطحات والذى قاله شميم أشبه بشطحات هؤلاء المجاذيب « عبد الخالق »

اللَّفْظَةِ ، فَقلتُ لَهُ : أَيَا مَوْلَانَا ؟ أَنَا رَجُلٌ مُحَدِّثٌ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْمُحَدِّثِ جَرَاءَةٌ مَاتَ بِغُصَّتِهِ(١) ، وَأُحِبُّ أَنْ أَسْأَلَ مَوْلَانَا عَنْ شَيْءٍ إِنْ أَذِنَ ، فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : مَا أَرَاكَ تَسْأَلُ إِلَّا عَنْ مُعْضِلَةٍ(٢) هَاتِ مَا عِنْدَكَ . قُلْتُ : لِمَ سُمِّيتَ بِالشُّمَيْمِ ؟ فَشَتَمَنِي ثُمَّ ضَحِكَ وَقَالَ : اُعْلَمْ أَنِّي بَقِيتُ مُدَّةً مِنْ عُمْرِي « ذَكَرَهَا هُوَ وَنَسِيتُهَا أَنَا » لَا آكُلُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ إِلَّا الطِّيبُ(٣) نَحَسْبُ قَصْداً لِتَنْشِيفِ الرُّطُوبَةِ وَحِدَّةِ الْحِفْظِ ، وَكُنْتُ أَبْقَى أَيَّاماً لَا يَجِيئُنِي الْغَائِطُ ، فَإِذَا جَاءَ كَانَ شِبْهَ الْبُنْدُقَةِ مِنَ الطِّينِ وَكُنْتُ آخُذُهُ وَأَقُولُ لِمَنْ أَنْبَسِطُ إِلَيْهِ شُمَّهُ فَإِنَّهُ لَا رَائِحَةَ لَهُ ، فَكَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى لُقِّبْتُ بِهِ ، أَرَضِيتَ يَابْنَ الْفَاعِلَةِ .

هَذَا آخِرُ مَاجَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، ثُمَّ أُنْشِدْتُ لَهُ مِنْ حَمَاسَتِهِ :

لَا تَسْرَحَنَّ الطَّرْفَ(٤) فِي بَقَرِ الْمَهَا

فَمَصَارِعُ الْآجَالِ(٥) فِي الْآجَالِ(٦)

---

(١) غص بالماء : شرق ، والمراد الحسرة والندامة (٢) يقال : أعضل الداء : لم يوجد له دواء والمراد المسألة المعقدة (٣) فى الأصل « الطين » وفى ابن خلكان الطيب وقد آثرتها لما يدور على الألسن من أن بعض أنواعه تجفف الرطوبة وتزيلها .

(٤) سرح الطرف : أرسله (٥) الآجال الثانية جمع أجل : وهو بقر الوحش

(٦) الآجال الأولى جمع أجل : غاية الوقت المعين فى الموت « عبد الخالق »

كَمْ نَظْرَةٍ أَرْدَتْ وَمَا أَخَذَتْ يَدُ الْـ
ـمُصْمِي (١) لِمَنْ قَتَلَتْ أَدَاةَ قِتَالِ

سَنحَتْ وَمَا سَمَحَتْ بِتَسْلِيمٍ وَإِقْـ
ـلَالُ (٢) التَّحِيَّةِ فِعْلَةُ الْمُغْتَالِ

أَضْلَلْتُ قَلْبِي عِنْدَهُنَّ وَرُحْتُ أَنْـ
ـشُدُهُ بِذَاتِ الضَّالِ (٣) ضَلَّ ضَلَالِي

أَلْوِي (٤) بِأَلْوِيَةِ (٥) الْعَقِيقِ عَلَى الطُّلُو
لِ (٦) مُسَائِلًا مَنْ لَا يُجِيبُ سُؤَالِي

تَرِبَتْ (٧) يَدِي فِي مَقْصِدِي مَنْ (٨) لَا يَدِي (٩)
قَوَدِي (١٠) وَأَوْلَى (١١) لِي بِهَا أَوْلَى لِي

---

(١) أصمى الصيد : رماه فأصابه مكانه (٢) فى الأصل « إغلال » وربما كان المراد بالاغلال قيد التحية وتصفيدها (٣) اسم شجر . أى لقد ضلت وضل ضلالى مبالغة (٤) أعرج وأعطف (٥) جمع اللوى : ما استدق من الرمل (٦) جمع طلل : مادرس من آثار الديار (٧) يقال تربت يداه لا أصاب خيرا وكثر ماله ضد والجملة دعائية وهى من المعنى الأول لأنه قصد من لايدفع دية له (٨) من مفعول مقصدى أى فى قصدى من (٩) أى يدفع الدية (١٠) أى قصاصى (١١) قيل فى قوله تعالى « أولى لك فأولى » أى قاربك الهلاك فهو يريد أحاط بى الهلاك « عبد الخالق »

يَا قَاتَلَ اللهُ الدُّمَى [١] كَمْ مِنْ دَمٍ
أَجْرَيْنَ حِلًّا كَانَ غَيْرَ حَلَالِ
أَشْلَيْنَ [٢] ذُلَّ الْيُتْمِ فِى الْأَشْبَالِ
وَفَتَكْنَ بِالْآسَادِ فِى الْأَغْيَالِ
وَنَفَرْنَ حِينَ نَكِرْنَ إِقْبَالِى وَلَوْ
أَنِّى نَفَرْتُ لَكَانَ مِنْ إِقْبَالِى
لَكِنْ أَبَى رَعْىِ ذِمَامَ الْحُبِّ أَنْ
أُولِى الْوَفَاءَ قَطِيعَةً مَنْ قَالِى [٣]

وَأَنْشَدَنِى تَقِىُّ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِىِّ بْنِ أَبِى مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَجَّاجِ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ هُوَ الْحَجَّاجُ مِنْ شَرْقِىِّ وَاسِطَ قَالَ : أَنْشَدَنِى أَبُو الْحَسَنِ عَلِىُّ بْنُ عَنْتَرَ ابْنِ ثَابِتٍ الْحِلِّىُّ الْمَعْرُوفُ بِشُمَيْمٍ وَقَدْ قُلْتُ : لَا أَرَاكَ تَذُمُّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ فَقَالَ لِى : لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عِنْدِى قِيمَةٌ ، فَإِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلذَّمِّ إِلَّا مَنْ يَصْلُحُ لِلْمَدْحِ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلِى فِى الْحَمَاسَةِ :

---

(١) الصورة من العاج والمراد بها الحسناوات من النساء (٢) أشلين : أغرين
(٣) قالى : اسم فاعل من قلى يقلى

أَصِخْ إِنَّمَا مَدْحُ الْفَتَى وَهِجَاؤُهُ
لَدَى الطَّبِنِ[١] النِّقْرِيسِ[٢] ذَا تَوْءَمٌ[٣] لِذَا

فَحَيْثُ انْتَوَى مُلْقِى الْمَدِيحِ عَصَا الثَّوَى[٤]
تُرَاحُ[٥] بِهَا مِنْ أَيْنِهَا[٦] قُلُصُ[٧] الْهِجَا

وَمَنْ لَيْسَ أَهْلاً لِلْمَدِيحِ وَلَا الْهِجَا
فَعَيْنَاهُ فِي عَيْنِ الرِّضَا ظُلْمَةُ الْعَمَى

وَيُزْرِي بِضِرْغَامِ[٨] الْغَرِيفِ[٩] زَئِيرُهُ
عَلَى ذِبْخِ[١٠] عَنْوٍ هَرَّ أَوْ أَغْضَفٍ عَوَى

وَأَنْشَدَنِي أَيْضاً لَهُ :

قَالُوا نَرَاكَ بِكُلِّ فَنٍّ عَالِمًا
فَعَلَامَ حَظُّكَ مِنْ دُنَاكَ[١١] خَسِيسُ ؟

---

(١) أى الخبير المجرب (٢) أى الدليل الحاذق المدقق . (٣) التوءمان : من يولدان معا أى أن الهجاء توءم المدح (٤) أى الأقامة (٥) أى تستريح (٦) أى تعبها

(٧) جمع قلوص: الناقة القوية يريد أن المكان الذى تلق به عصا المديح وتنوى الاقامة هو عينه المكان الذى تستريح فيه قلص الهجاء وتراح (٨) أى الأسد

(٩) هو الشجر الكثير الملتف والأجمة (١٠) الذبخ : الذئب العنو : العناء والأسر والأغضف : الكلب المرخى أذنيه . يقول : إن مما يزرى بالأسد أن يزأر على ذئب أو كلب وإنما يزأر على مثله (١١) الدنا : الدنيا

فَأَجَبْتُهُمْ لَا تَعْجَبُوا وَتَفَهَّمُوا

كَمْ ذَادَ نُهْزَةَ (١) لَيْثِ خِيسٍ خِيسُ (٢)

حَدَّثَنِي ابْنُ الْحَجَّاجِ تَقِيُّ الدِّينِ قَالَ: اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنَ التُّجَّارِ الْوَاسِطِيِّينَ بِالْمَوْصِلِ عَلَى زِيَارَةِ شُمَيْمٍ وَتَوَافَقُوا عَلَى أَلَّا يَتَكَلَّمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ خَوْفًا مِنْ زَلَلٍ يَكُونُ مِنْهُمْ، فَلَمَّا حَصَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَدَامَ اللهُ أَيَّامَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: « إِيشْ » هَؤُلَاءِ؟ فَإِنِّي أَرَى عَمَائِمَ كِبَارًا ظَنَنْتُهَا عَلَى آدَمِيِّينَ فَسَكَتُوا، فَلَمَّا قَامُوا قَالَ لَهُ آخَرُ مِنْهُمْ: يَا سَيِّدِي ادْعُ لَنَا بِشَمْلِ الْجَمِيعِ، فَغَضِبَ وَقَالَ: « إِيشْ » هَؤُلَاءِ وَكَيْفَ خَلَقَهُمُ اللهُ؟ ثُمَّ حَلَفَ بِخَالِقِهِ وَقَالَ: لَوْ قَدَرْتُ عَلَى خِلْقَةِ مِثْلِ هَؤُلَاءِ أَنِفْتُ مِنْ خَلْقِ مِثْلِهِمْ. قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَامِدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جِبْرِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَنَعَةَ بْنِ مَالِكٍ الْمَوْصِلِيُّ الْفَقِيهُ فَخْرُ الدِّينِ بِمَرْوٍ فِي سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّمَائَةٍ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا قَالَ: لَمَّا وَرَدَ

(١) النهزة: الفرصة (٢) هو الشجر الملتف، يريد أن ليث الخيس قد يذوده ويدفعه عن فرصته خيسه، فعله الكثير وأدبه منعا عنه حظه من الدنيا

شُمَيْمٌ الْحِلِّيُّ إِلَى الْمَوْصِلِ بَلَغَنِي فَضْلُهُ فَقَصَدْتُهُ لِأَقْتَبِسَ مِنْ عُلُومِهِ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَجَرَى أَمْرِي عَلَى مَا هُوَ مَعْرُوفٌ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الِاحْتِفَالِ بِكُلِّ أَحَدٍ ، وَجَرَتْ خُطُوبٌ وَمُذَاكَرَاتٌ إِلَى أَنْ قَالَ : وَمِنَ الْعَجَائِبِ اسْتِحْسَانُ النَّاسِ قَوْلَ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ :

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ(١) فِيهَا
إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

« كَذَا قَالَ تَهَكُّمًا » أَلَا قَالَ كَمَا قُلْتُ :

وَسَالَتْ نِطَافُ(٢) الرَّاحِ(٣) فِي الرَّاحِ(٤) فَاغْتَدَى الـ
سَمَاحُ إِلَى رَاحَاتِنَا فَسَخِينَا

ثُمَّ أَخْرَجَ رُقْعَةً مِنْ تَحْتِ مُصَلَّاهُ وَقَالَ لِي : مَا مَعْنَى قَوْلِي : « قَلْبُ شَطْرِ أَعَادِيكَ حَظُّ مَنْ كَفَرَ أَيَادِيكَ » ؟ فَقُلْتُ : أَكْتُبُهَا وَأُفَسِّرُهَا ؟ فَقَالَ : اكْتُبْ ، فَكَتَبْتُهَا وَقُلْتُ نَعَمْ : شَطْرُ « أَعَادِيكَ » : « دِيكٌ » « وَقَلْبُهُ » : « كَيْدٌ » أَرَدْتَ أَنَّ الْكَيْدَ حَظُّ مَنْ كَفَرَ أَيَادِيكَ ، فَقَالَ :

(١) هو الورس أو الزعفران (٢) النطفة : الماء الصافى قل أو كثر ، والجمع نطاف ونطف (٣) أى الخمر (٤) جمع راحة : وهى باطن الكف

أَحْسَنْتَ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ إِقْبَالِهِ عَلَيَّ بَعْدَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِهْمَالِهِ إِيَّايَ ، وَأَنْشَدَنِي أَبُو حَامِدٍ الْمَذْكُورُ قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَنْتَرٍ الْحِلِّيُّ لِنَفْسِهِ :

أَقِيلِي عَثْرَةَ الشَّاكِي أَقِيلِي
فَسُولِي فِي سَمَاعِ نَثَا[1] رَسُولِي
وَإِنْ لَمْ تَأْذَنِي بِفَكَاكِ أَسْرِي
فَدُلِّينِي عَلَى صَبْرٍ جَمِيلِ

حَدَّثَنِي الآمِدِيُّ الْفَقِيهُ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الْحِلِّيُّ إِلَى الْمَوْصِلِ انْثَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ يَزُورُونَهُ ، وَأَرَادَ نَقِيبُ الْمَوْصِلِ « وَهُوَ ذُو الْجَلَالَةِ الْمَشْهُورَةِ بِحَيْثُ لَا يَخْفَى أَمْرُهُ عَلَى أَحَدٍ » زِيَارَتَهُ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ لَا يَعْبَأُ بِأَحَدٍ وَلَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ لِزَائِرٍ أَبَداً ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ وَعَرَّفَهُ مَا يَجِبُ مِنِ احْتِرَامِ النَّقِيبِ لِحَسَبِهِ وَنَسَبِهِ وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ مِنَ الْمُلُوكِ ، فَلَمْ يَرُدَّ جَوَاباً ، وَجَاءَهُ النَّقِيبُ وَدَخَلَ وَجَرَى عَلَى عَادَتِهِ مِنْ تَرْكِ الِاحْتِفَالِ لَهُ وَلَمْ يَقُمْ عَنْ مَجْلِسِهِ ، فَجَلَسَ النَّقِيبُ

(١) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء.

سَاعَةً ثُمَّ انْصَرَفَ مُغْضَباً ، فَعَاتَبَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِإِكْرَامِهِ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ جَوَاباً ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَهُ وَفِي يَدِ الْحِلِّيِّ كِسْرَةُ خُبْزٍ يَابِسَةٍ وَهُوَ يَعَضُّ مِنْ جَنْبِهَا وَيَأْكُلُ ، فَلَمَّا دَخَلَ الرَّجُلُ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : بِسْمِ اللهِ[1] ، فَقَالَ لَهُ : وَأَيُّ شَيْءٍ هَاهُنَا حَتَّى آكُلَ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا رَقِيعُ مَنْ يَقْنَعُ مِنَ الدُّنْيَا بِهَذِهِ الْكِسْرَةِ الْيَابِسَةِ لِأَيِّ مَعْنًى يَذِلُّ لِلنَّاسِ مَعَ غِنَاهُ عَنْهُمْ وَاحْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِ .

حَدَّثَنِي الْفَقِيهُ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ الْحِلِّيَّ قَدِمَ إِلَى أَسْعَرْتَ فَتَسَامَعَ بِهِ أَهْلُهَا فَقَصَدُوهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ[2] ، وَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ شَاعِرٌ فَأَنْشَدَهُ الرَّجُلُ شِعْراً اسْتَجَادَهُ الْحِلِّيُّ فَقَالَ لِقَائِلِهِ : إِنِّي أَرْفَعُ هَذَا الشِّعْرَ عَنْ طَبَقَتِكَ ، فَإِنْ كُنْتَ فِي دَعْوَاكَ صَادِقاً فَقُلْ فِي مَعْنَاهُ الْآنَ شَيْئاً آخَرَ ، فَفَكَّرَ سَاعَةً فَقَالَ :

---

(١) يدعوه إلى الأكل (٢) كانت فى الأصل « فوج » ولعل ما ذكر هو المراد والأنسب

وَمَا كُلُّ وَقْتٍ فِيهِ يَسْمَحُ خَاطِرِى
بِنَظْمِ قَرِيضٍ يَقْتَضِى لَفْظُهُ مَعْنَى

وَلَمْ يُبِحِ الشَّرْعُ الْمُبِينُ تَيَمُّماً
بِتُرْبٍ وَبَحْرُ الْأَرْضِ[1] فِى سَاحَةٍ مَعْنَا

فَقَالَ لَهُ الْحِلِّىُّ : وَيْحَكَ اسْجُدْ ، وَيْلَكَ اسْجُدْ ، فَإِنَّ هٰذَا مَوْضِعٌ مِنْ مَوَاضِعِ سَجَدَاتِ[2] الشِّعْرِ ، وَأَنَا أَعْرَفُ النَّاسِ بِهَا .

وَمِمَّا سَمِعْتُهُ مِنْ فِلْقٍ[3] فِيهِ وَهُوَ مِنْ إِنْشَاءِ خُطْبَةٍ لَهُ وَهِىَ :

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فَالِقِ قِمَمِ[4] حَبِّ الْحَصِيدِ بِحُسَامِ سَحِّ السُّحُبِ[5] ، صَابِغِ خَدِّ الْأَرْضِ بِقَانِى[6] رَشِيقِ يَانِعِ الْعُشْبِ ، نَافِخِ رُوحِ الْحَيَاةِ فِى صُوَرِ تَصَاوِيرِهَا بِسَائِحِ الْقَرَاحِ[7]

---

(١) معنى البيت الثانى : أنه متى حضر الماء لايجوز التيمم ، ومتى كان الشيخ موجودا فلا ينبغى أن أقول شعرا (٢) يزعم الأقدمون أن فى الشعر أبياتا بلغ من جودتها أنها تستحق أن يسجد عند سماعها تشبيها لها بمواضع السجدات من القرآن الكريم ويذكرون من ذلك بعض أبيات من بعض المعلقات وهو زعم تضطرب فيه الأهواء

(٣) فلق بالكسر وتفتح الفاء أى من شق فيه أى شافهنى به (٤) أى أعالى

(٥) سح السحب : تهطالها (٦) أى كسا سطح الأرض بالأحمر الرشيق اليانع من العشب (٧) القراح : الصافى ، أى بث الحياة فى صورها ، والصور : البوق

« عبد الخالق »

الْعَذْبِ ، يُحْيِي مَيْتَ الْأَرْضِ بِإِمَاتَةِ كَالِحِ الْجَدْبِ ، لِابْتِسَامِ ثَغْرِ نَسِيمِ أَنْفَاحِ الْخِصْبِ ، مُحِيلِ[1] جِسْمِ طَبِيعَةِ الْمَاءِ الْمُبَارَكِ فِي أَشْكَالِ الْحَبِّ وَالْعِنَبِ وَالزَّيْتُونِ وَالْقَضْبِ ، جَاعِلِهِ لِلْأَنَامِ وَالْأَنْعَامِ ، ذَاتِ الْحَمْلِ وَالْحَلْبِ ، مُحَلِّي[2] جِيدِ الْأَفْلَاكِ بِقَلَائِدِ دَرَارِي النُّجُومِ الشُّهْبِ ، وَمُجَلِّي[3] جُنْدِ الْأَمْلَاكِ عَنْ مُبَاشَرَةِ التَّصَرُّفِ وَالْكَسْبِ ، وَلِلْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ وَأَصْلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ لِلرَّبِّ ، قَابِلِ التَّوْبَةِ مِنَ الْمُذْنِبِ الْمُنِيبِ[4] وَغَافِرِ الذَّنْبِ ، الْوَاحِدِ الْمُنْفَرِدِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ عَنْ مُلَاءَمَةِ قِسْمَةِ أَعْدَادِ الْحِسَابِ وَالضَّرْبِ ، الْمُسْتَغْنِي بِصَمَدِيَّتِهِ عَنْ مَسِيسِ الْحَاجَةِ إِلَى دَوَاعِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ، الشَّاهِدِ عَلَى خَلْقِهِ بِمَا يُفِيضُونَ فِيهِ لَا لِاتِّصَافِ بُعْدٍ وَلَا قُرْبٍ ، الْمُهَيْمِنِ عَلَى سِرِّ اجْتِرَاحِ[5] كُلِّ جَارِحَةٍ وَخَاطِرِ[6] خَاطِرٍ وَتَقَلُّبِ[7] قَلْبٍ ، أَحْمَدُهُ عَلَى مَا مَنَحَ مِنْ مُوضِحِ بَيَانٍ بِمَا أَلَبَّ[8] فِي سُوَيْدَاءِ لُبٍّ ، وَأَشْكُرُهُ

(١) أى محول (٢) أى مزين من الحلية (٣) أى مبعد : أى أنه لاتصرف للملائكة فى الملكوت (٤) الراجع التائب (٥) اجترح الاثم : ارتكبه (٦) أى ما يخطر على النفس ، والخاطر : البال (٧) أى تغير زمانه (٨) أى جمع

عَلَى مَا جَلَا مِنْ مُظْلِمِ ظُلَمِ جَهْلٍ ، وَكَشَفَ مِنْ كَثِيفِ رُكَامِ كَرْبٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً سَالِمَةً مِنْ شَوَائِبِ النِّفَاقِ وَالْخِبِّ(١) ، مُؤَمِّنَةً قَائِلَهَا يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ مِنْ إِيحَاشِ الرَّهَبِ وَالرُّعْبِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمَحْبُوُّ بِعَقْدِ حُبًا(٢) ، خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ الصُّحُفِ وَالْكُتُبِ ، وَصَفِيُّهُ الْمُنْتَخَبُ لِنَصْرِ الدِّينِ وَإِقَامَةِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ بِالْبِيضِ الْقُضُبِ وَالْجُرْدِ الْقُبِّ(٣) وَالْأُسْدِ الْغُلْبِ(٤) ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا سَنَحَتِ الْغَزَالَةُ بِأُفُقِ شَرْقٍ وَحُجِبَتْ بِغَارِبِ غَرْبٍ ، صَلَاةً يُفْنِي تَكْرَارُ عَدِيدِهَا صُمَّ الْحَصَا الصُّلْبِ ، وَيُبِيدُ أَزْبَدَ التُّرْبِ . عِبَادَ اللهِ : مَنِ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ الْآبَادُ(٥) بَادَ ، وَمَنْ تَمَكَّنَتْ يَدُ الْمَنُونِ مِنْ عُنُقِهِ انْقَادَ ، وَمَنْ تَزَوَّدَ التَّقْوَى اسْتَفَادَ خَيْرَ الزَّادِ ، وَمَنْ بَدَأَ بِبِرِّهِ وَعَادَ لِلْمَعَادِ فَازَ بِالْإِحْمَادِ(٦) ، « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ

---

(١) أى الخديعة والمكر (٢) الحبا جمع حبوة : مايعقد به الظهر مع الساقين فى الجلسة والمراد بذلك العظمة (٣) البيض القضب : السيوف ، والقب جمع قباء أو أقب ، والجرد جمع جرداء ، أو أجرد : الخيل الضامرة القصيرة الشعر (٤) الأسد الغلب : المراد بهم الشجعان (٥) الآباد : الأزمان (٦) أى بالحمدة والشكر

مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ » . اللَّهُمَّ نَوِّلْ آمَالَنَا مُنَاهَا ، وَكَفِّلْ أَعْمَالَنَا تُقَاهَا ، وَخَوِّلْ (١) أَطْمَاعَنَا رِضَاهَا ، وَلَا تُشْرِبْ قُلُوبَنَا هَوَى دُنْيَاهَا ، فَإِنَّ الْمَعَاطِبَ (٢) فِي حُبِّهَا ، وَشَيْنَ الْمَعَايِبِ مُزْرٍ بِهَا ، فَلَا تَجْعَلِ اللَّهُمَّ مَهَامَنَا فِيهَا الْمُنَى ، وَآمِنَّا بِأَمْنِنَا مِنْ كَيْدِ أُمِّنَا الدُّنَا ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ عَلَّمَنِي (٣)

أَسْمَاءُ تَصَانِيفِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الشُّمَيْمِ الْحِلِّيِّ

كِتَابُ النُّكَتِ الْمُعْجِبَاتِ فِي شَرْحِ الْمَقَامَاتِ ، وَكِتَابُ أَرْيِ الْمُشْتَارِ فِي الْقَرِيضِ الْمُخْتَارِ ، وَكِتَابُ الْحَمَاسَةِ مِنْ نَظْمِهِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ مَنَاحِ الْمُنَى فِي إِيضَاحِ

---

(١) خوله كذا : ملكه إياه (٢) أي المهالك (٣) لقد كنت نعيت على ابن حسول ثقل كتابه إلى الصاحب لما فيه من تركيب غث وتكلف سقيم ، ولكن خطبة شميم الحلي جاءت ضغثا على إبالة « عبد الخالق »

الكُنَى أَرْبَعُ كَرَارِيسَ ، وَكِتَابُ دُرَّةِ التَّأْمِيلِ فِي عُيُونِ الْمَجَالِسِ وَالْفُصُولِ مُجَلَّدَانِ ، وَكِتَابُ نَتَائِجِ الْإِخْلَاصِ فِي فِي الْخُطَبِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ أُنْسِ الْجَلِيسِ فِي التَّجْنِيسِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ أَنْوَاعِ الرِّقَاعِ فِي الْأَسْجَاعِ ، وَكِتَابُ التَّعَازِي فِي الْمَرَازِي(١) مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ خُطَبٍ نَسَقُ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ كُرَّاسَانِ ، وَكِتَابُ الْأَمَانِي فِي التَّهَانِي مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ الْمَفَاتِيحِ فِي الْوَعْظِ كُرَّاسَانِ ، وَكِتَابُ مُعَايَاةِ الْعَقْلِ فِي مُعَانَاةِ النَّقْلِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ الْإِشَارَاتِ الْمَعَرِّيَّةِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ الْمُرْتَجَلَاتِ فِي الْمُسَجَّلَاتِ أَرْبَعُ كَرَارِيسَ ، وَكِتَابُ الْمُخْتَرَعِ فِي شَرْحِ اللُّمَعِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ الْمُحْتَسَبِ فِي شَرْحِ الْخُطَبِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ الْمُهْتَصَرِ فِي شَرْحِ الْمُخْتَصَرِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ التَّحْمِيضِ فِي التَّغْمِيضِ كُرَّاسَانِ ، وَكِتَابُ بِدَايَةِ الْفِكَرِ فِي بَدَائِعِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ مُجَلَّدَانِ ، وَكِتَابُ خَلْقِ الْآدَمِيِّ كُرَّاسَانِ ، وَكِتَابُ رَسَائِلِ لُزُومِ مَا لَا يَلْزَمُ

---

(١) جمع مرزئة : وهي المصيبة

كُرَّاسَانِ ، وَكِتَابُ اللُّزُومِ مُجَلَّدَانِ ، وَكِتَابُ لُهْنَةِ (١) الضَّيْفِ الْمُضْجِرِ فِي اللَّيْلِ الْمُسْحِرِ كُرَّاسَانِ ، وَكِتَابُ مُتَنَزَّهِ الْقُلُوبِ فِي التَّصْحِيفِ كُرَّاسٌ ، وَكِتَابُ الْمَنَائِحِ فِي الْمَدَائِحِ مُجَلَّدَانِ ، وَكِتَابُ نُزْهَةِ الرَّاحِ فِي صِفَاتِ الْأَقْدَاحِ كُرَّاسَانِ ، كِتَابُ الْخُطَبِ الْمُسْتَضِيئَةِ ، كِتَابُ حِرْزِ النَّافِثِ مِنْ عَيْثِ الْعَائِثِ ، كِتَابُ الْخُطَبِ النَّاصِرِيَّةِ ، كِتَابُ الرَّكُوبَاتِ مُجَلَّدَانِ ، كِتَابُ شِعْرِ الصَّبِيِّ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ إِلْقَامِ الْإِلْجَامِ فِي تَفْسِيرِ الْأَحْلَامِ ، كِتَابُ سِمْطِ الْمَلِكِ الْمُفَضَّلِ فِي مَدْحِ الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ ، كِتَابُ مَنَاقِبِ الْحِكَمِ فِي مَثَالِبِ الْأُمَمِ مُجَلَّدَانِ ، كِتَابُ اللَّمَاسَةِ فِي شَرْحِ الْحَمَاسَةِ ، كِتَابُ الْفُصُولِ الْمَوْكِبِيَّةِ يَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعِينَ فَصْلًا ، وَكِتَابُ مُجْتَنَى رَيْحَانَةِ الْهَمِّ فِي اسْتِئْنَافِ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ ، كِتَابُ الْمُنَاجَاةِ .

---

(١) اللهنة : مايهديه المسافر عند قدومه من سفره

﴿ ١٤ - عَلِي بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَسَاكِرَ ﴾
﴿ الْحَافِظُ الدِّمَشْقِيُّ * ﴾

على بن الحسن ابن عساكر الحافظ

نَقَلْتُ مِنْ جُزْءٍ عَمِلَهُ وَلَدُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ فِي أَخْبَارِ وَالِدِهِ فَقَالَ :

هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ الْحُسَيْنِ، أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ

(*) ترجم له فى كتاب تاريخ آداب اللغة قال :

هو أبو القاسم على بن أبى محمد الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقى الملقب ثقة الدين كان محدث الشام فى وقته ومن أعيان الفقهاء الشافعية اشتهر بالحديث ورحل فى طلب العلم ولقى مشايخه ورافق السمعانى فى بعض رحلته وكان حسن الكلام فلما عاد إلى بلده تعين أستاذا فى المدرسة النورية بدمشق وما زال فى هذا المنصب حتى توفى واشتهر من بنى عساكر غير واحد من العلماء والفقهاء هذا أشهرهم خلف مؤلفات كثيرة ذكر منها ياقوت فى معجم الأدباء عشرات لم يصلنا منها إلا :

تاريخ دمشق وبه اشتهر ألفه على نسق تاريخ بغداد لأبى بكر الخطيب فى ثمانين مجلدا فأدهش العلماء بتأليفه لكبره واتساعه وقد أورد فيه تراجم الأعيان والرواة والمحدثين والحفاظ وسائر أهل السياسة والعلم من صدر الاسلام إلى أيامه ممن سكن دمشق أو نزلها توخى فيه الاسناد على طريقة المحدثين منه أجزاء متفرقة فى مكاتب أوروبا وشاهدنا نسخة منه فى دمشق منقولة عن نسخة محفوظة فى مكتبة الملك الظاهر هناك يظن أنها كاملة لكنها تحتاج إلى مراجعة وتحقيق ومنه نسخة فى مكتبة الأزهر —

أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ الشَّافِعِيِّ الْحَافِظُ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْمَذْكُورِينَ، وُلِدَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ

— فى القاهرة ناقصة فى بعض المواضع وعلمنا أن مطبعة روضة الشام بدمشق أخذت بطبعه بعد حذف الأسانيد والمكرر وتفسير بعض الألفاظ وجاء وصفه مطولا فى مجلة الآثار ولهذا التاريخ عدة ذيول أهمها ذيل القاسم ولد المصنف، وذيل صدر الدين البكرى، وذيل عمر بن الحاجب وله مختصرات أحدها لابن شامة المتقدم ذكره واختصره جمال الدين بن منظور صاحب لسان العرب ولاسماعيل العدوانى الجراح مختصر منه نسخة فى مكتبة توبنجن سماه العقد المنظوم الفاخر بتلخيص تاريخ ابن عساكر واختصره أيضا الشيخ أبو الفتح الخطيب المتوفى بدمشق سنة خمس عشرة وثلاثمائة بعد الألف انحذف منه خمسة أجزاء إلى حرف الصاد رأيناها فى الخزانة التيمورية بخط الملخص .

المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى يشتمل على ماجاء فى الحديث عن بيت المقدس منه الجزء ١٢ — ١٥ فى الخزانة التيمورية لم يذكره مؤرخوه بين مؤلفاته ولا جاء ذكره فى كشف الظنون لكننا قرأنا اسم المؤلف على النسخة المذكورة وأبو محمد القاسم ابن الشيخ الامام الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله » وهو ابن صاحب تاريخ دمشق . وتبيين كذب المفترى . فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى منه نسخ فى ليدن واكسفورد والاسكوريال وله مختصرات وقد طبع بأوروبا سنة ثمان وسبعين وثمانمائة بعد الألف وهو من الكتب الهامة فى موضوعه حتى قالوا : إن كل سنى لا يكون عنده ذلك الكتاب فليس من نفسه على بصيرة . والأشراف على معرفة الأطراف . فى الحديث جمع فيه سنن أبى داود وجامع الترمذى والنسائى وأسانيدها وغيرها ورتبه على حروف المعجم يوجد فى أيا صوفيا والمكتبة الخديوية فى مجلدين كبيرين . وكتاب الأربعين حديثا فى برلين . وتبيين الامتنان بالأمر بالاختتان فى المكتبة الخديوية

وترجم له فى كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان

وترجم له فى كتاب طبقات فقهاء الحنفية

تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمَاتَ فِي الْحَادِيَ عَشَرَ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقَدْ بَلَغَ مِنَ السِّنِّ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ بِالْمَيْدَانِ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ — رَحِمَهُ اللهُ .

قَالَ الْعِمَادُ : وَكَانَ الْغَيْثُ قَدِ احْتَبَسَ [١] فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فَدَرَّ وَسَحَّ [٢] عِنْدَ ارْتِفَاعِ نَعْشِهِ ، فَكَأَنَّ السَّمَاءَ بَكَتْ عَلَيْهِ بِدَمْعِ وَبْلِهِ [٣] وَطَشِّهِ [٤] . وَسَمِعَهُ أَخُوهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَسَمِعَ هُوَ بِنَفْسِهِ مِنْ وَالِدِهِ وَأَبِي مُحَمَّدٍ الْأَكْفَانِيِّ وَذَكَرَ خَلْقًا مِنْ شُيُوخِ دِمَشْقَ ، وَرَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَأَقَامَ بِهَا خَمْسَ سِنِينَ ، وَسَمِعَ بِبَغْدَادَ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْحُصَيْنِ وَغَيْرِهِ ، وَحَجَّ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، وَسَمِعَ بِمَكَّةَ وَمِنًى وَالْمَدِينَةِ وَبِالْكُوفَةِ وَأَصْبَهَانَ الْقَدِيمَةِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَمَرْوِ الشَّاهِجَانَ

---

(١) أى منع واحتبسه حبسه فاحتبس ، يتعدى ولا يتعدى (٢) كانت فى الأصل « وسمح » (٣) الوبل : المطر الشديد الضخم القطر (٤) الطش : المطر الضعيف وهو فوق الرذاذ

وَنَيْسَابُورَ وَهَرَاةَ وَسَرْخَسَ وَأَبِيوَرْدَ وَطُوس وَبِطَانَ وَالرَّىِّ وَزَنْجَانَ ، وَذَكَرَ بِلَاداً كَثِيرَةً يَطُولُ عَلَىَّ ذِكْرُهَا مِنَ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَالْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ . قَالَ : وَعِدَّةُ شُيُوخِهِ أَلْفٌ وَثَلَاثُمِائَةِ شَيْخٍ ، وَمِنَ النِّسَاءِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ امْرَأَةً ، وَحَدَّثَ بِبَغْدَادَ وَمَكَّةَ وَنَيْسَابُورَ وَأَصْبَهَانَ وَسَمِعَ مِنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُفَّاظِ مِمَّنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ .

وَرَوَى عَنْهُ أَبُو سَعْدِ بْنُ السَّمْعَانِىِّ فَأَكْثَرَ ، وَرَوَى هُوَ عَنْهُ .

وَلَمَّا دَخَلَ بَغْدَادَ سَمِعَ الدَّرْسَ بِالنِّظَامِيَّةِ مُدَّةَ مُقَامِهِ بِهَا ، وَعَلَّقَ [1] مَسَائِلَ الْخِلَافِ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي سَعْدٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي صَالِحٍ الْكِرْمَانِىِّ ، وَانْتَفَعَ بِصُحْبَةِ جَدِّهِ أَبِي الْفَضْلِ فِي النَّحْوِ وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَجَمَعَ وَصَنَّفَ ، فَمِنْ ذَلِكَ : كِتَابُ تَارِيخِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ وَأَخْبَارِهَا وَأَخْبَارِ مَنْ حَلَّهَا ، أَوْرَدَهَا فِي خَمْسِمِائَةٍ وَسَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ تَجْزِئَةِ الْأَصْلِ ، وَالنُّسْخَةُ الْجَدِيدَةُ ثَمَانِمِائَةِ جُزْءٍ ، كِتَابُ الْمُوَافَقَاتِ

---

(١) أى استوضحها وشرحها

عَلَى شُيُوخِ الأَئِمَّةِ الثِّقَاتِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ جُزْءًا ، كِتَابُ الإِشْرَافِ عَلَى مَعْرِفَةِ الأَطْرَافِ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ جُزْءًا ، كِتَابُ تَهْذِيبِ الْمُلْتَمَسِ مِنْ عَوَالِي مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَحَدٌ وَثَلَاثُونَ جُزْءًا ، كِتَابُ التَّالِي لِحَدِيثِ مَالِكٍ الْعَالِي تِسْعَةَ عَشَرَ جُزْءًا ، كِتَابُ مَجْمُوعِ الرَّغَائِبِ مِمَّا وَقَعَ مِنْ أَحَادِيثِ مَالِكٍ الْغَرَائِبِ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ الْمُعْجَمِ لِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ أَوْ أَجَازَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ جُزْءًا ، كِتَابُ مَنْ سَمِعَ مِنْهُ مِنَ النِّسْوَانِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ مُعْجَمِ أَسْمَاءِ الْقُرَى وَالأَمْصَارِ الَّتِي سَمِعَ بِهَا جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ مَنَاقِبِ الشُّبَّانِ خَمْسَةَ عَشَرَ جُزْءًا ، كِتَابُ فَضْلِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ أَحَدَ عَشَرَ جُزْءًا ، كِتَابُ تَبْيِينِ كَذِبِ الْمُفْتَرِي عَلَى الأَشْعَرِيِّ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ الْمُسَلْسَلَاتِ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ تَشْرِيفِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَبْعَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ الْمُسْتَفِيدِ فِي الأَحَادِيثِ السُّبَاعِيَّةِ الأَسَانِيدِ أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ السُّدَاسِيَّاتِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ الأَحَادِيثِ

الْخُمَاسِيَّاتِ وَأَخْبَارِ أَبِي الدُّنْيَا جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ تَقْوِيَةِ الْمُنَّةِ عَلَى إِنْشَاءِ دَارِ السُّنَّةِ ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ الْأَحَادِيثِ الْمُتَخَيَّرَةِ فِي فَضَائِلِ الْعَشَرَةِ ، كِتَابُ مَنْ وَافَقَتْ كُنْيَتُهُ كُنْيَةَ زَوْجَتِهِ أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ الْأَرْبَعِينَ الطِّوَالِ ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا عَنْ أَرْبَعِينَ شَيْخًا مِنْ أَرْبَعِينَ مَدِينَةً جُزْءَانِ ، كِتَابُ الْأَرْبَعِينَ فِي الْجِهَادِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ الْجَوَاهِرِ وَاللَّآلِي فِي الْأَبْدَالِ الْعَوَالِي ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ : كِتَابُ فَضْلِ عَاشُورَاءَ وَالْمُحَرَّمِ ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ الِاعْتِزَازِ بِالْهِجْرَةِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ الْمَقَالَةِ الْفَاضِحَةِ لِلرِّسَالَةِ الْوَاضِحَةِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ضَخْمٌ ، كِتَابُ رَفْعِ التَّخْلِيطِ عَنْ حَدِيثِ الْأَطِيطِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ الْجَوَابِ الْمَبْسُوطِ لِمَنْ ذَكَرَ حَدِيثَ الْهُبُوطِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ الْقَوْلِ فِي جُمْلَةِ الْأَسَانِيدِ فِي حَدِيثِ الْمُؤَيَّدِ ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ طُرُقِ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ جُزْءٌ ، كِتَابُ مَنْ لَا يَكُونُ مُؤْتَمِنًا لَا يَكُونُ مُؤَذِّنًا جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ عَنْ

فَضْلِ كِتَابَةِ الْقُرْآنِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ دَفْعِ التَّثْرِيبِ عَلَى مَنْ فَسَّرَ مَعْنَى التَّثْوِيبِ (١) جُزْءٌ ، كِتَابُ فَضْلِ الْكَرَمِ عَلَى أَهْلِ الْحَرَمِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ الِاقْتِدَاءِ بِالصَّادِقِ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ الْإِنْذَارِ بِحُدُوثِ الزَّلَازِلِ ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ ثَوَابِ الصَّبْرِ عَلَى الْمُصَابِ بِالْوَلَدِ جُزْآنِ ، كِتَابُ مَعْنَى قَوْلِ عُثْمَانَ « مَا تَغَنَّيْتُ وَلَا تَمَنَّيْتُ » جُزْءٌ ، كِتَابُ مُسَلْسَلِ الْعِيدَيْنِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ حُلُولِ الْمِحْنَةِ بِحُصُولِ الْأُبْنَةِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ تَرْتِيبِ الصَّحَابَةِ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ تَرْتِيبِ الصَّحَابَةِ الَّذِي فِي مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى جُزْءٌ ، كِتَابُ مُعْجَمِ الشُّيُوخِ النُّبَلَاءِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ أَخْبَارِ أَبِي عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيِّ وَفَضَائِلِهِ جُزْءٌ ، كِتَابُ مَا وَقَعَ لِلْأَوْزَاعِيِّ مِنَ الْعَوَالِي جُزْءٌ ، كِتَابُ أَخْبَارِ أَبِي مُحَمَّدٍ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَعَوَالِيهِ جُزْءٌ ، كِتَابُ

(١) التثويب . فی اللغة : الرجوع بعد الذهاب وفی الشرع وهو المراد هنا فيه عدة تفاسير . تقول ثوب المؤذن : دعا الجماعة إلى الصلاة بقوله حی علی الصلاة . أو ثنی الدعاء . أو قال فی أذان الفجر : الصلاة خير من النوم مرتين عودا علی بدء

عَوَالِي حَدِيثِ سفْيَانَ الثَّوْرِيّ وَخَبَرِهِ أَرْبَعَةُ أَجْزَاء ، كِتَابُ إِجَابَةِ السُّؤَالِ فِي أَحَادِيثِ شُعْبَةَ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ رِوَايَاتِ سَاكِنِي دَارِيَا سِتَّةُ أَجْزَاء ، كِتَابُ مَنْ نَزَلَ الْمِزَّةَ وَحَدَّثَ بِهَا جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ أَحَادِيثِ جَمَاعَةٍ مِنْ كَفْرِ سُوسِيَةَ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ أَحَادِيثِ صَنْعَاء الشَّامِ جُزْءَانِ ، كِتَابُ أَحَادِيثِ أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيّ ثَلَاثَةُ أَجْزَاء ، كِتَابُ أَحَادِيثِ حَنَشٍ وَالْمُطْعِمِ وَحَفْصٍ الصَّنْعَانِيِّينَ جُزْءٌ ، وَكِتَابُ فَضْلِ الرَّبْوَةِ وَالنَّيْرَبِ وَمَنْ حَدَّثَ بِهَا جُزْءٌ ، كِتَابُ حَدِيثِ أَهْلِ قَرْيَةِ الْحَمْرِيِّينَ(١) وَقُبَيْبَات جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ حَدِيثِ أَهْلِ فَذَايَا وَبَيْتِ أَرَانِسَ وَبَيْتِ قُوفَا جُزْءٌ ، كِتَابُ حَدِيثِ أَهْلِ قَرْيَةِ الْبَلَاطِ جُزْءٌ ، كِتَابُ حَدِيثِ سَلَمَةَ ابْنِ عَلِيّ الْحَسَنِيّ الْبَلَاطِيّ جُزْءَانِ ، وَمِنْ حَدِيثِ يَسْرَةَ بْنِ صَفْوَانَ وَابْنِهِ وَابْنِ ابْنِهِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ سَعْدِ ابْنِ عُبَادَةَ جُزْءٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ أَهْلِ رَنْدِينَ وَجِبْرِينَ جُزْءٌ

---

(١) لم أعثر على اسم كهذا في القاموس أو في المعجم والذي فيهما جران كنعان

وَاحِدٌ . وَمِنْ حَدِيثِ أَهْلِ بَيْتِ سَوَايَ جُزْءٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ دُومَةَ وَمَسْرَابَا وَالْقَصْرِ جُزْءٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ حَرَسْتَا جُزْءٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ أَهْلِ كَفْرِ بَطْنَا جُزْءٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ أَهْلِ دَقَانِيَةَ وَجَخْرَاءَ وَعَيْنِ تَوْمَا وَجَدَيَا وَطَرْمِيسَ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ جَوْبَرَ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ لَهْيَا جُزْءٌ وَاحِدٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ الْبَتْلَهِيِّ وَعَوَالِيهِ جُزْءٌ ، وَمَجْمُوعٌ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ الْحَضْرَمِيِّ الْبَتْلَهِيِّ جُزْءَانِ ، وَفَضَائِلُ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ، وَمِنْ حَدِيثِ أَهْلِ بَرْزَةَ جُزْءٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ رِزْقِ اللهِ الْمَنِينِيِّ الْمُقْرِىءِ جُزْءٌ ، وَمَجْمُوعٌ مِنْ أَحَادِيثِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ بَعْلَبَكَّ جُزْءَانِ . قَالَ :

وَأَمْلَى رَحِمَهُ اللهُ أَرْبَعَمِائَةِ مَجْلِسٍ وَثَمَانِيَةَ مَجَالِسَ فِي فَنٍّ وَاحِدٍ ، وَخَرَّجَ لِشَيْخِهِ أَبِي غَالِبِ بْنِ الْبَنَّائِيِّ أَحَدَ عَشَرَ مَشْيَخَةً ، وَمَشْيَخَةً لِشَيْخِهِ أَبِي الْمَعَالِي عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ

الْحُلْوَانِىِّ الْأُصُولِىِّ جُزْأَيْنِ ، وَخَرَّجَ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مُسَاوَاةَ الْإِمَامِ أَبِى عَبْدِ اللهِ الْقَرَّاوِىِّ فِى جُزْءٍ ، وَمُصَافَحَةً لِأَبِى سَعْدٍ السَّمْعَانِىِّ وَأَرْبَعِينَ حَدِيثًا فِى جُزْءٍ ، وَخَرَّجَ لِشَيْخِهِ الْإِمَامِ أَبِى الْحَسَنِ السُّلَمِىِّ سَبْعَةَ مَجَالِسَ وَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا ، وَآخِرُ مَا صَنَعَهُ جُزْءٌ فِى تَكْمِيلِ الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ بِتَعْجِيلِ الْإِسْعَافِ بِالْعَزْلِ ، وَكِتَابٌ فِيهِ ذِكْرُ مَا وَجَدْتُ فِى سَمَاعٍ مِمَّا يَلْتَحِقُ بِالْجُزْءِ الرُّبَاعِىِّ . وَوَجَدْتُ فِى أُصُولِهِ عَلَامَاتٍ لَهُ عَلَى مُصَنَّفَاتٍ عِدَّةٍ مِنْهَا : كِتَابُ الْإِبْدَالِ وَلَوْ تَمَّ كَانَ مِقْدَارُهُ مِائَتَىْ جُزْءٍ أَوْ أَكْثَرَ . وَكِتَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ ، وَمُسْنَدُ مَكْحُولٍ وَأَبِى حَنِيفَةَ . وَكِتَابُ فَضْلِ مَكَّةَ . وَكِتَابُ فَضْلِ الْمَدِينَةِ . وَكِتَابُ فَضْلِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ . وَكِتَابُ فَضْلِ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَالْأَنْصَارِ وَالْأَشْعَرِيِّينَ[1] وَذَمِّ

---

(١) هم أهل السنة . نسبة إلى أبى موسى الأشعرى وأهل السنه يرون الترتيب فى الخلفاء الأربعة ، وأن أبا بكر رضى الله عنه أفضلهم ثم يليه عمر بن الخطاب ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم على كرم الله وجهه .

الرَّافِضَةِ [١] . وَكِتَابٌ كَبِيرٌ فِى الصِّفَاتِ وَأَشْيَاءُ غَيْرُ ذَلِكَ تَبْلُغُ عِدَّتُهَا أَرْبَعِينَ مُصَنَّفًا . وَلَمَّا أَمْلَى رَحِمَهُ اللهُ فِى فَضَائِلِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَبْعَةَ مَجَالِسَ ثُمَّ قَطَعَهَا بِإِمْلَاءِ مَجَالِسَ فِى ذَمِّ الْيَهُودِ وَتَخْلِيدِهِمْ فِى النَّارِ ، جَاءَ إِلَيْهِ صَدِيقُنَا أَبُو عَلِيِّ بْنُ رَوَاحَةَ وَقَالَ لَهُ : رَأَيْتُ الصِّدِّيقَ فِى النَّوْمِ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَقُلْتُ : يَاخَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ قَدْ أَمْلَى عَلَيْنَا الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ سَبْعَةَ مَجَالِسَ فِى فَضَائِلِكَ ، فَأَشَارَ إِلَيَّ بِأَصَابِعِهِ الْأَرْبَعِ ، فَقَالَ لَهُ وَالِدِى : قَدْ بَقِيَ عِنْدِى مِمَّا خَرَجْتُ وَلَمْ أُمْلِهِ أَرْبَعَةُ مَجَالِسَ فَأَمْلَاهَا ، ثُمَّ أَمْلَى فِى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ أَحَدَ عَشَرَ مَجْلِسًا ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ مُوَاظِبًا عَلَى صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ مُلَازِمًا لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَكَانَ يَخْتِمُ فِى رَمَضَانَ وَالْعَشْرِ [٢] كُلَّ يَوْمٍ خَتْمَةً ، وَلَمْ يُرَ إِلَّا فِى الِاشْتِغَالِ بِعِلْمٍ وَعِبَادَةٍ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى كُلِّ لَحْظَةٍ ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ

---

(١) الرافضة : فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن على ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين « أى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما » فأبى وقال : كانا وزيرى جدى فتركوه ورفضوه وارفضوا عنه (٢) أى الليالى العشر المرادة بقوله تعالى « وليال عشر » أى عشر ذى الحجة .

وَالِدِي يَحْكِي أَنَّ أَبَاهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ رُؤْيَا وَوَالِدِي
حَمْلٌ أَنَّهُ يُولَدُ لَكَ مَوْلُودٌ يُحْيِي اللهُ بِهِ السُّنَّةَ ، وَلَمَّا قَدِمَ
إِلَى بَغْدَادَ أُعْجِبَ بِهِ الْبَغْدَادِيُّونَ وَقَالُوا : قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ
دِمَشْقَ ثَلَاثَةٌ مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُمْ : الشَّيْخُ يُوسُفُ الدِّمَشْقِيُّ ،
وَالصَّائِنُ أَبُو الْحُسَيْنِ هِبَةُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ ، وَأَخُوهُ أَبُو الْقَاسِمِ .
وَحَدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا أَقْرَأُ عَلَى شَيْخِنَا
أَبِي الْفَتْحِ الْمُخْتَارِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ مَعَ جَمَاعَةٍ
بِالْعَجَمِيَّةِ فَقَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيٍّ فَقُلْنَا : مَا رَأَيْنَا
مِثْلَهُ ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا أَبُو سَعْدِ بْنُ السَّمْعَانِيِّ فَقُلْنَا : مَا رَأَيْنَا
مِثْلَهُ ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْنَا هَذَا فَلَمْ نَرَ مِثْلَهُ ، وَقَالَ لَنَا صَاحِبُهُ
الْحَافِظُ أَبُو الْمَوَاهِبِ الْحَسَنُ بْنُ هِبَةِ اللهِ بْنِ صَصَرَى قَالَ :
الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُقْرِئُ الْأَدِيبُ اللُّغَوِيُّ
إِمَامُ هَمَذَانَ وَتِلْكَ الدِّيَارِ غَيْرَ مُدَافَعٍ ، أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ
لَا يُسَاجِلُ الْحَافِظَ أَبَا الْقَاسِمِ فِي شَأْنِهِ أَحَدٌ ، فَلَوْ خَالَطَ النَّاسَ
وَمَازَجَهُمْ كَمَا أَصْنَعُ إِذًا لَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُخَالِفُ وَالْمُؤَالِفُ ،
وَقَالَ لِي يَوْمًا آخَرَ : أَيُّ شَيْءٍ فُتِحَ لَهُ ؟ وَكَيْفَ بِرُّ النَّاسِ

لَهُ ؟ فقلتُ : هُوَ بعيدٌ من هذا كُلّه، لَمْ يشتغلْ مُنذُ أربعينَ سَنَةً إِلَّا بالجمعِ والتَّصنيفِ والمُطالعةِ والتَّسميعِ حَتّى في نُزَهِهِ وخلواتِهِ. فقالَ : الحمدُ للهِ، هذا ثمرةُ العلمِ، ألا إنّا قدْ فُتِحَ لنَا ما حصَّلْنَا بهِ الدَّارَ والكُتُبَ وبناءَ المسجدِ ما يقرُبُ من اثنَيْ عشرَ ألفَ دينارٍ ، وهذ يدلُّ على قِلَّةِ حُظُوظِ العُلَمَاءِ في بلادِكُمْ[1] . ثُمَّ قالَ لي : ما كُنّا نُسمّي الشَّيخَ أبا القاسِمِ ببغدادَ إِلَّا شُعلةَ نارٍ من توقُّدِهِ وذكائِهِ وحُسْنِ إدراكِهِ . قالَ : وقالَ لي والِدي لَمْ أرَ بدمشقَ أفهمَ للحديثِ من أبي مُحَمَّدِ بنِ الأكفانيِّ، ولا ببغدادَ مِثلَ أبي الفضلِ مُحَمَّدِ بنِ ناصرٍ وأبي عامرٍ العبدَريِّ ، وكانَ العبدريُّ أحفظهُما ، ولَمْ أرَ بخُراسانَ مِثلَ أبي القاسِمِ الشَّحَّامِيِّ ، ولا بأصفهانَ مِثلَ أبي القاسِمِ التَّيْميِّ الحافظِ ، وأبي نصرٍ البُوياريِّ فقلتُ لهُ : ما إخالُكَ إِلَّا أفضلَ منهما فسكتَ، هذا آخرُ ما نقلتُ من هذا الجُزْءِ الذي ألَّفهُ ابنُهُ وتركْتُ منهُ ما اختصرتُهُ . وكانَ الحافظُ أبو القاسِمِ بنُ عساكرَ

---

(١) العبارة غير مؤدية لما يراد ، فان المتكلم يقول : إنا قد فتح لنا ما أوجدنا به الدار والكتب والمسجد ثم بين ما الداخلة على حصلنا بقوله مايقرب

« عبد الخالق »

يَقولُ شِعْراً لَيسَ بِالْقَوِيِّ، وَسَمِعَهُ تاجُ الدِّينِ أَبُو اليُمْنِ زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ الْكِنْدِيُّ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ فَقَالَ . هَذا شِعْرٌ أَضَاعَ فِيهِ صَاحِبُهُ شَيْطَانَهُ (١) . قَالَ السَّمْعَانِيُّ فِي الْمُذَيَّلِ : وَأَنْشَدَنِي الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ بِالْمِزَّةِ مِنْ أَرْضِ دِمَشْقَ :

أَيَا نَفْسُ وَيْحَكِ جَاءَ الْمَشِيبُ
فَمَاذَا التَّصَابِي وَمَاذَا الْغَزَلْ

تَوَلَّى شَبَابِي كَأَنْ لَمْ يَكُنْ
وَجَاءَ مَشِيبِي كَأَنْ لَمْ يَزَلْ (٢)

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي فِيمَنْ أَكُونْ
وَمَا قَدَّرَ اللهُ لِي فِي الْأَزَلْ

قَالَ السَّمْعَانِيُّ وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِبَغْدَادَ :

وَصَاحِبٍ خَانَ مَا اسْتَوْدَعْتُهُ وَأَتَى
مَا لَا يَلِيقُ بِأَرْبَابِ الدِّيَانَاتِ

وَأَظْهَرَ السِّرَّ مُخْتَاراً بِلَا سَبَبٍ
وَذَاكَ وَاللهِ مِنْ أَوْفَى الْجِنَايَاتِ

---

(١) كناية عن أنه شعر لا تشعر فيه بشىء من غزل وما ماثله مما يدعو إلى خيال يمثل لك الشاعرية (٢) يريد كأنه لم يزل يجىء أى أنه مستمر المجىء «عبد الخالق»

أَمَا أَتَاهُ عَنَ الْمُخْتَارِ فِي خَبَرٍ
أَنَّ الْمَجَالِسَ تُغْشَى بِالْأَمَانَاتِ

قَالَ السَّمْعَانِيُّ وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِنَيْسَابُورَ :

لَا قَدَّسَ اللهُ نَيْسَابُورَ مِنْ بَلَدٍ
مَا فِيهِ مِنْ صَاحِبٍ يُسْلِي وَلَا سَكَنِ (١)

لَوْلَا الْجَحِيمُ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْ حُرَقٍ
لِفُرْقَةِ الْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ وَالْوَطَنِ

لَمُتُّ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ الَّذِي ظَهَرَتْ
آثَارُ شِدَّتِهِ فِي ظَاهِرِ الْبَدَنِ

يَا قَوْمُ دُومُوا عَلَى عَهْدِ الْهَوَى وَثِقُوا
أَنِّي (٢) عَلَى الْعَهْدِ لَمْ أَغْدِرْ وَلَمْ أَخُنِ

وَلَا تَدَبَّرْتُ (٣) عَيْشِي بَعْدَ بُعْدِكُمُ
إِلَّا تَمَثَّلْتُ بَيْتًا قِيلَ مِنْ زَمَنِ

فَإِنْ أَعِشْ فَلَعَلَّ اللهَ يَجْمَعُنَا
وَإِنْ أَمُتْ فَقَتِيلُ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ

---

(١) أى ما تسكن إليه النفس وترتاح لوجوده (٢) كانت فى الاصل « منى »
(٣) أى فكرت فى أمر حياتى

﴿ ١٥ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ * ﴾

علي بن الحسن العبدري

ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ بْنِ حَسَّانَ ابْنِ حِصْنِ بْنِ مَغْلَى بْنِ أَسَدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ عَامِرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَامِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَنْمَارِ بْنِ وَدِيعَةَ بْنِ الْكَيْذِيِّ بْنِ أَفْصَى بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ ابْنِ أَفْصَى بْنِ دُعْمِيِّ بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ لُبَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارِ ابْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ، أَبُو الْحَسَنِ الْعَبْدَرِيُّ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يُعْرَفُ بِابْنِ الْمُقْلَةِ، هَكَذَا أَمْلَى نَسَبَهُ عَلَى جَمَاعَةٍ، وَهُوَ شَيْخٌ فَاضِلٌ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْأَدَبِ وَالْعَرُوضِ، وَلَهُ كُتُبٌ وَتَصَانِيفُ فِي ذَلِكَ، وَيَقُولُ الشِّعْرَ وَيَتَرَسَّلُ. مَاتَ بِالْبَصْرَةِ فِي رَابِعَ عَشَرَ شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، سَمِعَ بِالْبَصْرَةِ أَبَا مُحَمَّدٍ جَابِرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيَّ، وَأَبَا الْعِزِّ طَلْحَةَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ

(*) راجع طبقات الشافعية جزء ٣ ص ٢٩٨
وترجم له كذلك في كتاب أنباء الرواة ج أول ص ٥٤٢

عُمَرَ المَالِكِيِّ ، وَأَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَاعِظَ ، وَأَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَطِيَّةَ الشَّافِعِيَّ إِمَامَ الْجَامِعِ بِالْبَصْرَةِ وَغَيْرَهُ ، وَقَرَأَ بِهَا الْأَدَبَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الْأَحْمَرِ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْحَرِيرِيِّ ، وَأَبِي الْعِزِّ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ مِرَاراً وَسَمِعَ بِهَا مِنْ أَبِي الْكَرَمِ الْمُبَارَكِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّهْرَزُورِيِّ ، وَأَبِي الْفَضْلِ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرٍ السَّلَامِيِّ ، وَأَبِي بَكْرٍ الزَّاغُونِيِّ وَغَيْرِهِمْ ، وَعَادَ إِلَى بَلَدِهِ وَخَرَّجَ لِنَفْسِهِ فَوَائِدَ فِي عِدَّةِ أَجْزَاءٍ عَنْ شُيُوخِهِ ، وَأَقْرَأَ النَّاسَ الْأَدَبَ ، وَكَانَ مُتَحَقِّقاً بِعِلْمِ الْعَرُوضِ وَنِعْمَ الشَّيْخُ ، وَكَانَ مَحْمُودَ الطَّرِيقَةِ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْعَبْدَرِيُّ لِنَفْسِهِ :

شِيمَتِي[1] أَنْ أَغُضَّ طَرْفِيَ فِي الدْ
دَارِ إِذَا مَا دَخَلْتُهَا لِصَدِيقِ

(١) الشيمة الخلة والخليقة : جمعها شيم

وَأَصُونُ الْحَدِيثَ أُودِعُهُ صَوْ
نِى سِرِّى وَلَا أَخُونُ رَفِيقِى

قَالَ: وَأَنْشَدَنِى أَيْضًا لِنَفْسِهِ:

لَا تَسْلُكِ الطُّرْقَ إِذَا أَخْطَرَتْ[1]
لَوْ أَنَّهَا تُفْضِى إِلَى الْمَمْلَكَهْ
قَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: «وَلَا
تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَهْ»

١٦ – عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَسْعُودِيُّ الْمُؤَرِّخُ (*)

على بن الحسين المسعودى

أَبُو الْحَسَنِ، مِنْ وَلَدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ صَاحِبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمِ فَقَالَ: هُوَ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، مَاتَ فِيمَا بَلَغَنِى فِى سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ

(١) من الخطر: وهو الشىء الجليل — أى لا تسلك طريقاً وإن نهج بك إلى شرف الغاية ما دام محفوفاً بالهلاك

(*) ترجم له فى كتاب طبقات الشافعية جزء ثان صفحة ٣٠٧ بما يأتى قال:
قيل إنه من ذرية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، أصله من بغداد وأقام بها زمانا. وبمصر أكثر وكان أخباريا مفتيا علامة صاحب ملح وغرائب، سمع من نفطويه وابن زبر القاضى وغيرهما ورحل إلى البصرة فلقى بها أبا خليفة الجمحى ولم يعثر على ماذكر، وقيل إنه كان معتزلى العقيدة مات سنة خمس وأربعين أو ست وأربعين وثلاثمائة —

وَثلاثمائة بِمِصْرَ ، قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : وَقَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ : إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ غَلَطٌ ، لِأَنَّ الْمَسْعُودِيَّ ذَكَرَ فِي السِّفْرِ الثَّانِي مِنْ كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِمُرُوجِ الذَّهَبِ وَقَدْ عَدَّدَ فَضَائِلَ الْأَقَالِيمِ ، وَوَصَفَ هَوَاهَا وَاعْتِدَالَهَا ثُمَّ قَالَ : « وَأَوْسَطُ الْأَقَالِيمِ إِقْلِيمُ بَابِلَ الَّذِي مَوْلِدُنَا بِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ رِيَبُ[1] الْأَيَّامِ أَنْأَتْ[2] بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، وَسَاحَقَتْ[3] مَسَافَتَنَا عَنْهُ ، وَوَلَّدَتْ فِي قُلُوبِنَا الْحَنِينَ إِلَيْهِ إِذْ كَانَ وَطَنَنَا وَمَسْقَطَنَا ، وَقَدْ كَانَ هَذَا الْإِقْلِيمُ عِنْدَ مُلُوكِ

— وهو الذى علق على أبى العباس بن سريج رسالة البيان عن أصول الأحكام وهذه الرسالة عندى نحو خمس عشرة ورقة . ذكر المسعودى فى أولها أنه حضر مجلس أبى العباس ببغداد فى علته التى مات بها سنة ست وثلاثمائة وقد حضر المجلس لعيادة أبى العباس جماعة من حذاق الشافعيين والمالكيين والكوفيين والداووديين وغيرهم من أصناف المخالفين فبينما أبو العباس يكلم رجلا من المالكيين إذ دخل عليه رجل معه كتاب مختوم فدفعه إلى القاضى أبى العباس فقرأه على الجماعة فاذا هو من جماعة الفقهاء المقيمين ببلاد الشاس يعلمونه أن الناس فى ناحيتهم أرض شاس وفرغانة مختلفون فى أصول فقهاء الأمصار ممن لهم الكتب المصنفة والفتيا ويسألونه رسالة يذكر فيها أصول الشافعى ومالك وسفيان الثورى وأبى حنيفة وصاحبيه وداود بن على الأصبهانى وأن يكون ذلك بكلام واضح يفهمه العامي فكتب القاضى هذه الرسالة ثم أملى فيها ذكر المسعودى عليهم بعضها وعجز لضعفه عن إملاء الباقى فقرىء عليه والمسعودى يسمع .

(١) ريب الدهر : صروفه وحوادثه وريب المنون: حوادث الدهر . كذا فى اللسان . فمعنى ريب الأيام هنا : صروفها وحوادثها (٢) أبعدت (٣) باعدت

الفُرْسِ جَلِيلًا، وَكَانُوا يَشْتُونَ بِالْعِرَاقِ، وَيَصِيفُونَ بِالْجِبَالِ. فَقَالَ أَبُو دُلَفٍ الْعِجْلِيُّ:

إِنِّي امْرُؤٌ كِسْرَوِيُّ الْفِعَالِ

أَصِيفُ الْجِبَالَ وَأَشْتُو الْعِرَاقْ

وَقَدْ كَانَتِ الْأَوَائِلُ تُشَبِّهُهُ بِالْقَلْبِ فِي الْجَسَدِ، لِأَنَّ أَرْضَهُ هِيَ الَّتِي كَشَفَتِ الْآرَاءَ عَنْ أَهْلِهِ بِحِكْمَةِ الْأُمُورِ كَمَا يَرْتَفِعُ ذَلِكَ عَنِ الْقَلْبِ، وَلِذَلِكَ اعْتَدَلَتْ أَلْوَانُ أَهْلِهِ وَامْتَدَّتْ أَجْسَامُهُمْ، فَسَلِمُوا مِنْ شُقْرَةِ الرُّومِ وَالصَّقَالِبَةِ وَسَوَادِ الْحَبَشَةِ وَغِلَظِ الْبَرْبَرِ، وَاجْتَمَعَتْ فِيهِمْ مَحَاسِنُ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ، وَكَمَا اعْتَدَلُوا فِي الْخِلْقَةِ لَطُفُوا فِي الْفِطْنَةِ، وَأَشْرَفُ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ مَدِينَةُ السَّلَامِ (١) وَيَعِزُّ عَلَيَّ مَا أَصَارَتْنِي إِلَيْهِ الْأَقْدَارُ مِنْ فِرَاقِ هَذَا الْمِصْرِ الَّذِي عَنْ بُقْعَتِهِ فُصِلْنَا، لَكِنَّهُ الدَّهْرُ الَّذِي مِنْ شِيمَتِهِ التَّشْتِيتُ، وَالزَّمَنُ الَّذِي مِنْ شَرِيطَتِهِ (٢)

---

(١) اسم لبغداد (٢) الشريطة: ما اشترطته على غيرك. تقول خذ شريطتك. فكأن الزمان اشترط على الناس المحن والآفات.

الآفَاتُ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو دُلَفٍ فِى قَوْلِهِ :

أَيَا نَكْبَةَ الدَّهْرِ الَّتِى طَوَّحَتْ بِنَا
أَيَادِى[1] سَبَا فِى شَرْقِهَا وَالْمَغَارِبِ

وَمِنْ عَلَامَةِ وَفَاءِ الْمَرْءِ : دَوَامُ عَهْدِهِ وَحَنِينِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ ، وَشَوْقُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَمِنْ عَلَامَةِ الرُّشْدِ : « أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ إِلَى مَوْلِدِهَا تَائِقَةً[2] ، وَإِلَى مَسْقَطِ رَأْسِهَا شَائِقَةً[3] » .

فَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ بَغْدَادِىُّ الْأَصْلِ ، وَإِنَّمَا انْتَقَلَ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ فَأَقَامَ فِيهَا . وَهُوَ يَحْكِى فِى كُتُبِهِ كَثِيراً وَيَقُولُ : رَأَيْتَ أَيَّامَ كَوْنِى بِمِصْرَ كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ مُرُوجِ الذَّهَبِ وَمَعَادِنِ الْجَوَاهِرِ فِى تُحَفِ الْأَشْرَافِ وَالْمُلُوكِ ، كِتَابُ ذَخَائِرِ الْعُلُومِ وَمَا

(١) أى فرقت شملنا ، يقال : تفرق القوم أيدى سبا وأيادى سبا بتسهيل همزة سبا تبددوا تبددا لا اجتماع بعده ، وذلك لأن الله تعالى أرسل على تلك الأرض سيل العرم فأغرقها فانتزح سبأ وقومه وتبددوا فضرب بهم المثل
(٢) تاق إلى الشىء : اشتد شوقه إليه (٣) أى مشتاقة

كَانَ فِي سَالِفِ الدُّهُورِ ، كِتَابُ الرَّسَائِلِ ، كِتَابُ الِاسْتِذْكَارِ لِمَا مَرَّ فِي سَالِفِ الْأَعْصَارِ ، كِتَابُ التَّارِيخِ فِي أَخْبَارِ الْأُمَمِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، كِتَابُ التَّنْبِيهِ وَالْأَشْرَافِ ، كِتَابُ خَزَائِنِ الْمُلْكِ وَسِرِّ الْعَالَمِينَ ، كِتَابُ الْمَقَالَاتِ فِي أُصُولِ الدِّيَانَاتِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الزَّمَانِ وَمَنْ أَبَادَهُ الْحَدَثَانُ[1] ، كِتَابُ الْبَيَانِ فِي أَسْمَاءِ الْأَئِمَّةِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْخَوَارِجِ .

﴿ ١٧ – عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ * ﴾

أبو الفرج الاصبهانى

ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِي بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ

---

(١) حدثان الدهر وحدثانه : نوائبه قال الشاعر :

لا يبعد الله إخوانا لنا ذهبوا أفناهم حدثان الدهر والأبد

* ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان جزء أول صفحة ٣٣٣

ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ أَبُو الفَرَجِ الْأَصْبَهَانِىُّ الْعَلَّامَةُ النَّسَّابُ الْأَخْبَارِىُّ الْحُفَظَةُ (١) ، الْجَامِعُ بَيْنَ سَعَةِ الرِّوَايَةِ وَالْحِذْقِ فِى الدِّرَاسَةِ (٢) ، لَا أَعْلَمُ لِأَحَدٍ أَحْسَنَ مِنْ تَصَانِيفِهِ فِى فَنِّهَا وَحُسْنِ اسْتِيعَابِ مَا يَتَصَدَّى لِجَمْعِهِ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ شَاعِراً جَيِّداً ، مَاتَ فِى رَابِعَ عَشَرَ ذِى الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِى خِلَافَةِ الْمُطِيعِ لِلّٰهِ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ .

رَوَى عَنْ أَبِى بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ وَأَبِى بَكْرِ بْنِ الْأَنْبَارِىِّ ، وَالْفَضْلِ بْنِ الْحُبَابِ الْجُمَحِىِّ ، وَعَلِىِّ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشِ ، وَإِبْرَاهِيمَ نِفْطَوَيْهِ .

وَجَدْتُ عَلَى الْهَامِشِ بِخَطِّ الْمُؤَلِّفِ تِجَاهَ وَفَاتِهِ

---

(١) وزان همزة والتاء للمبالغة : الكثير الحفظ (٢) لعلها الدراية فهم يقولون أجادوا كذا رواية ودراية أى سماعا بتحفظ وإدراكا بتفهم وإن كان حذق الدراسة معنى مفهوما إلا أن المقابلة بين الرواية والدراية أنسب

مَا صُورَتُهُ : وَفَاتُهُ هَذِهِ فِيهَا نَظَرٌ وَتَفْتَقِرُ إِلَى التَّأَمُّلِ، لِأَنَّهُ
ذَكَرَ فِي كِتَابِ أَدَبِ الْغُرَبَاءِ مِنْ تَأْلِيفِهِ :

حَدَّثَنِي صَدِيقٌ قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى قَصْرِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِالشَّمَّاسِيَّةِ
يَقُولُ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ الْهَرَوِيُّ ، حَضَرْتُ هَذَا الْمَوْضِعَ فِي
سِمَاطِ[1] مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَالدُّنْيَا عَلَيْهِ مُقْبِلَةٌ ، وَهَيْبَةُ الْمُلْكِ
عَلَيْهِ مُشْتَمِلَةٌ ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ
وَثَلَاثِمَائَةٍ ، فَرَأَيْتُ مَا يَعْتَبِرُ بِهِ اللَّبِيبُ يَعْنِي مِنَ الْخَرَابِ .
وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ هَذَا قِصَّةً لَهُ مَعَ صَبِيٍّ
كَانَ يُحِبُّهُ ذَكَرْتُهَا بَعْدَ هَذَا يَذْكُرُ فِيهِ مَوْتَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ

---

(١) السماط : صف الجنود الذين يتقدمون بين يدى الملك ولعل هذا المعنى هو المراد ، فيكون هـذا الموضع مكان استعراض جنود معز الدولة وسماط الطعام : مايبسط ليوضع عليه، وكلا المعنيين محتمل وعلى الأول يقول المتنبي فى رسول ملك الروم إلى سيف الدولة :

وأقبل يمشى فى السماط فما درى
إلى البحر يمشى أم إلى البدر يرتقى

وعلى الثانى قول الحريرى « لا أفوز بحلاوة اللقاط وأحوز حلواء السماط » أى ما صف على الخوان من الحلواء « عبد الخالق »

وَوِلَايَةِ ابْنِهِ بَخْتِيَارَ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِى سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ[1] ، وَيَزْعُمُ فِى تِلْكَ الْحِكَايَةِ أَنَّهُ كَانَ فِى عَصْرِ شَبَابِهِ فَلَا أَدْرِى مَا هَذَا الْاخْتِلَافُ ؟ - آخِرُ مَا كَانَ عَلَى الْهَامِشِ - .

وَقَالَ الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَغْرِبِىُّ ، فِى مُقَدِّمَةِ مَا انْتَخَبَهُ مِنْ كِتَابِ الْأَغَانِى إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ ابْنِ حَمْدَانَ فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الصَّاحِبَ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ عَبَّادٍ فَقَالَ : لَقَدْ قَصَّرَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَإِنَّهُ يَسْتَأْهِلُ أَضْعَافَهَا ، وَوَصَفَ الْكِتَابَ فَأَطْنَبَ ثُمَّ قَالَ : وَلَقَدِ اشْتَمَلَتْ خَزَائِنِى عَلَى مِائَتَيْنِ وَسِتَّةِ آلَافِ مُجَلَّدٍ مَا مِنْهَا مَا هُوَ سَمِيرِى غَيْرُهُ ، وَلَا رَاقَنِى مِنْهَا سِوَاهُ .

قَالَ : وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يُوسُفَ كَاتِبُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ : لَمْ يَكُنْ كِتَابُ الْأَغَانِى يُفَارِقُ عَضُدَ الدَّوْلَةِ

---

(١) كيف تكون وفاته سنة ٣٥٦ فى خلافة المطيع بالله وهو نفسه يحكى فى كتاب ادب الغرباء مارآه فى قصر معز الدولة من الخراب بعد العمران وأن ذلك كان سنة ٣٥٦ فى زمن شبابه هذا هو موضع النظر فى تاريخ وفاته .

فِي سَفَرِهِ وَلَا حَضَرِهِ، وَإِنَّهُ كَانَ جَلِيسَهُ الَّذِي يَأْنَسُ إِلَيْهِ، وَخَدِينَهُ الَّذِي يَرْتَاحُ نَحْوَهُ.

قَالَ: وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ. سَأَلْتُ أَبَا الفَرَجِ فِي كَمْ جَمَعْتَ هَـذَا الْكِتَابَ؟ فَقَالَ: فِي خَمْسِينَ سَنَةً، قَالَ: وَإِنَّهُ كَتَبَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي عُمُرِهِ، وَهِيَ النُّسْخَةُ الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ: لَعَمْرِي إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَجَلِيلُ الْقَدْرِ، شَائِعُ الذِّكْرِ، جَمُّ الْفَوَائِدِ، عَظِيمُ الْعِلْمِ، جَامِعٌ بَيْنَ الْجِدِّ الْبَحْتِ[١] وَالْهَزْلِ النَّحْتِ[٢]، وَقَدْ تَأَمَّلْتُ هَذَا الْكِتَابَ وَعُنِيتُ بِهِ، وَطَالَعْتُهُ مِرَاراً وَكَتَبْتُ مِنْهُ نُسْخَةً بِخَطِّي فِي عَشْرِ مُجَلَّدَاتٍ، وَنَقَلْتُ مِنْهُ إِلَى كِتَابِي الْمَوْسُومِ بِأَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ فَأَكْثَرْتُ وَجَمَعْتُ تَرَاجِمَهُ فَوَجَدْتُهُ يَعِدُ بِشَيْءٍ وَلَا يَفِي بِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْهُ، كَقَوْلِهِ فِي أَخْبَارِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ «وَقَدْ طَالَتْ أَخْبَارُهُ هَاهُنَا وَسَنَذْكُرُ خَبَرَهُ مَعَ عُتْبَةَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ» وَلَمْ يَفْعَلْ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ:

---

(١) أي الخالص والصرف من كل شيء. يقال: شراب بحت: أي غير ممزوج

(٢) الخالص

« أَخْبَارُ أَبِي نُوَاسٍ مَعَ جِنَانَ⁽¹⁾ إِذْ كَانَتْ سَائِرُ أَخْبَارِهِ قَدْ تَقَدَّمَتْ » وَلَمْ يَتَقَدَّمْ شَيْءٌ إِلَى أَشْبَاهٍ لِذَلِكَ ، وَالْأَصْوَاتُ الْمِائَةُ هِيَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ ، وَمَا أَظُنُّ إِلَّا أَنَّ الْكِتَابَ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ ، أَوْ يَكُونَ النِّسْيَانُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ وَاللهُ أَعْلَمُ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَتَصَانِيفُهُ كَثِيرَةٌ وَهَذَا الَّذِي يَحْضُرُنِي مِنْهَا : كِتَابُ الْأَغَانِي الْكَبِيرُ ، كِتَابُ مُجَرَّدِ الْأَغَانِي ، كِتَابُ التَّعْدِيلِ وَالِانْتِصَافِ فِي أَخْبَارِ الْقَبَائِلِ وَأَنْسَابِهَا لَمْ أَرَهُ ، وَبِوُدِّي لَوْ رَأَيْتُهُ ذَكَرَهُ هُوَ فِي كِتَابِ الْأَغَانِي ، كِتَابُ مَقَاتِلِ الطَّالِبِيِّينَ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْقِيَانِ⁽²⁾ ، كِتَابُ الْإِمَاءِ الشَّوَاعِرِ ، كِتَابُ الْمَمَالِيكِ الشُّعَرَاءِ ، كِتَابُ أُدَبَاءِ الْغُرَبَاءِ ، كِتَابُ الدِّيَانَاتِ ، كِتَابُ تَفْضِيلِ ذِي الْحِجَّةِ ، كِتَابُ الْأَخْبَارِ وَالنَّوَادِرِ ، كِتَابُ أَدَبِ السَّمَاعِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الطُّفَيْلِيِّينَ ، كِتَابُ مَجْمُوعِ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ ، كِتَابُ الْخَمَّارِينَ وَالْخَمَّارَاتِ ، كِتَابُ الْفَرْقِ وَالْمِعْيَارِ

---

(١) اسم جارية من القيان (٢) جمع قينة : وهى الجارية المغنية

فِي الْأَوْغَادِ وَالْأَحْرَارِ ، وَهِيَ رِسَالَةٌ عَمِلَهَا فِي هَارُونَ بْنِ الْمُنَجِّمِ ، كِتَابُ دَعْوَةِ النَّجَّارِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ جَحْظَةَ الْبَرْمَكِيِّ ، كِتَابُ جَمْهَرَةِ النَّسَبِ ، كِتَابُ نَسَبِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، كِتَابُ نَسَبِ بَنِي شَيْبَانَ ، كِتَابُ نَسَبِ الْمَهَالِبَةِ ، كِتَابُ نَسَبِ بَنِي تَغْلِبَ ، كِتَابُ الْغِلْمَانِ الْمُغَنِّينَ ، كِتَابُ مَنَاجِيبِ الْخِصْيَانِ عَمِلَهُ لِلْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ فِي خَصِيَّيْنِ مُغَنِّيَيْنِ كَانَا لَهُ . وَلَهُ بَعْدُ تَصَانِيفُ جِيَادٌ فِيمَا بَلَغَنِي كَانَ يُصَنِّفُهَا وَيُرْسِلُهَا إِلَى الْمُسْتَوْلِينَ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَكَانُوا يُحْسِنُونَ جَائِزَتَهُ ، لَمْ يَعُدْ مِنْهَا إِلَى الشَّرْقِ إِلَّا الْقَلِيلُ وَاللهُ أَعْلَمُ .

حَدَّثَ الرَّئِيسُ أَبُو الْحُسَيْنِ هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِلَالٍ الصَّابِئُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَلَّفَهُ فِي أَخْبَارِ الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ وَاسْمُهُ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَاتِمِ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَزِيرِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ : وَكَانَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي

مِنْ نُدَمَاءِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْخِصِيصِينَ بِهِ ، وَكَانَ وَسِخاً قَذِراً لَمْ يَغْسِلْ لَهُ ثَوْباً مُنْذُ فَصَّلَهُ إِلَى أَنْ قَطَّعَهُ ، وَكَانَ الْمُهَلَّبِيُّ شَدِيدَ التَّقَشُّفِ (١) عَظِيمَ التَّنَطُّسِ (٢) ، وَكَانَ يَحْتَمِلُ لَهُ ذَلِكَ لِمَوْضِعِهِ مِنَ الْعِلْمِ . فَقَالَ فِيهِ :

كَانَ أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِيُّ (٣) ، أُمَوِيَّ النَّسَبِ عَزِيزَ الْأَدَبِ ، عَالِيَ الرِّوَايَةِ حَسَنَ الدِّرَايَةِ ، وَلَهُ تَصْنِيفَاتٌ مِنْهَا : كِتَابُ الْأَغَانِي ، وَقَدْ أَوْرَدَ فِيهِ مَا دَلَّ بِهِ عَلَى اتِّسَاعِ عِلْمِهِ وَكَثْرَةِ حِفْظِهِ ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْهِجَاءِ أَجْوَدُ ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِهِ غَيْرَ مُتَأَخِّرٍ ، وَكَانَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ يَحْذَرُونَ لِسَانَهُ ، وَيَتَّقُونَ هِجَاءَهُ وَيَصْبِرُونَ فِي مُجَالَسَتِهِ وَمُعَاشَرَتِهِ وَمُوَاكَلَتِهِ وَمُشَارَبَتِهِ عَلَى كُلِّ صَعْبٍ مِنْ أَمْرِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ وَسِخاً فِي نَفْسِهِ ، ثُمَّ فِي فِي ثَوْبِهِ وَنَعْلِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْزِعُ دُرَّاعَةً

---

(١) فى الاصل التقشف بعد وكان المهلبى وهى لا تتفق مع قوله عظيم التنطس فجعلتها بعد قذرا وسوق الكلام يدل على هذا (٢) تنطس : تأنق فى الطهارة وفى الكلام وفى المطعم والملبس وفى جميع الأمور وهذه صفة الوزير المهلبى المعروف بها (٣) زيد فى الأصل «وكان» بعد كلمة الأصفهانى فحذفناها «عبد الخالق»

إِلَّا بَعْدَ إِبْلَائِهَا وَتَقْطِيعِهَا، وَلَا يَعْرِفُ لِشَيْءٍ مِنْ ثِيَابِهِ غَسْلًا، وَلَا يَطْلُبُ مِنْهُ فِي مُدَّةِ بَقَائِهِ عِوَضًا.

حَدَّثَنِي جَدِّي وَسَمِعْتُ هَذَا الْخَبَرَ مِنْ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ مُتَفَاوِضٌ مُتَعَاوِدٌ: أَنَّ أَبَا الْفَرَجِ كَانَ جَالِسًا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى مَائِدَةِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ فَقُدِّمَتْ سِكْبَاجَةٌ[1] فَوَافَقَتْ مِنْ أَبِي الْفَرَجِ سَعْلَةً فَبَدَرَتْ مِنْ فَمِهِ قِطْعَةٌ مِنْ بَلْغَمٍ فَسَقَطَتْ وَسَطَ الْغَضَارَةِ[2]، فَتَقَدَّمَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِرَفْعِهَا وَقَالَ: هَاتُوا مِنْ هَذَا اللَّوْنِ فِي غَيْرِ الصَّحْفَةِ، وَلَمْ يَبِنْ فِي وَجْهِهِ إِنْكَارٌ وَلَا اسْتِكْرَاهٌ، وَلَا دَاخَلَ أَبَا الْفَرَجِ فِي هَذِهِ الْحَالِ اسْتِحْيَاءٌ وَلَا انْقِبَاضٌ. هَذَا إِلَى مَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى عَلَى مُضِيِّ الْأَيَّامِ، وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَزُوفَ[3] النَّفْسِ بَعِيدًا مِنَ الصَّبْرِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّفُ احْتِمَالَهَا لِوُرُودِهَا مِنْ أَبِي الْفَرَجِ، وَكَانَ مِنْ ظَرْفِهِ فِي فِعْلِهِ وَنَظَافَتِهِ فِي مَأْكَلِهِ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ

(١) السكباج: مرق يعمل من اللحم والخل وربما جعل فيه زعفران ولهذا وصف بالأصفر وهو معرب سكبا بالفارسية ومعناه طعام بخل (٢) أى القصعة الكبيرة فارسية. (٣) عزفت نفسه عن الشيء عزفا وعزوفا: زهدت فيه، والمراد سرعة السآمة

أَكْلَ شَيْءٍ بِمِلْعَقَةٍ كَالْأُرْزِ وَاللَّبَنِ وَأَمْثَالِهِ وَقَفَ مِنْ جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ غُلَامٌ مَعَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ مِلْعَقَةً زُجَاجًا مَجْزُودًا، وَكَانَ يَسْتَعْمِلُهُ كَثِيرًا فَيَأْخُذُ مِنْهُ مِلْعَقَةً يَأْكُلُ بِهَا مِنْ ذَلِكَ اللَّوْنِ لُقْمَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ يَدْفَعُهَا إِلَى غُلَامٍ آخَرَ قَامَ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ، ثُمَّ يَأْخُذُ أُخْرَى فَيَفْعَلُ بِهَا فِعْلَ الْأُولَى حَتَّى يَنَالَ الْكِفَايَةَ، لِئَلَّا يُعِيدَ الْمِلْعَقَةَ إِلَى فِيهِ دَفْعَةً ثَانِيَةً، فَلَمَّا كَثُرَ عَلَى الْمُهَلَّبِيِّ اسْتِمْرَارُ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ، جَعَلَ لَهُ مَائِدَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا كَبِيرَةٌ عَامَّةٌ، وَأُخْرَى لَطِيفَةٌ خَاصَّةٌ، وَكَانَ يُوَاكِلُهُ عَلَيْهَا مَنْ يَدْعُوهُ إِلَيْهَا.

قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ: وَقَدْ ذُكِرَ مِثْلُ هَذَا عَنْ أَبِي رِيَاشٍ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللُّغَوِيِّ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي بَابِهِ. قَالَ هِلَالٌ: وَعَلَى صُنْعِ أَبِي مُحَمَّدٍ بِأَبِي الْفَرَجِ مَا كَانَ يَصْنَعُهُ فَمَا خَلَا مِنْ هَجْوِهِ حَيْثُ قَالَ فِيهِ:

أَبِعَيْنِ مُفْتَقِرٍ إِلَيْكَ رَأَيْتَنِي
بَعْدَ الْغِنَى فَرَمَيْتَ بِي مِنْ حَالِقِ[1]

(١) الحالق: الجبل المرتفع. وقولهم رمي به من حالق: أي من مكان عال مشرف

لَسْتَ الْمَلُومَ أَنَا الْمَلُومُ لِأَنَّنِي
أَمَّلْتُ(١) لِلإِحْسَانِ غَيْرَ الْخَالِقِ

قَالَ ابْنُ الصَّابِئِ: وَحَدَّثَنِي جَدِّى أَيْضاً قَالَ: قَصَدْتُ أَنَا وَأَبُو عَلِيٍّ الْأَنْبَارِيُّ وَأَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدٌ دَارَ أَبِي الْفَرَجِ لِقَضَاءِ حَقِّهِ وَتَعَرُّفِ خَبَرِهِ مِنْ شَيْءٍ وَجَدَهُ، وَمَوْقِعُهَا عَلَى دَجْلَةَ فِى الْمَكَانِ الْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ دَرْبِ سُلَيْمَانَ وَدَرْبِ دَجْلَةَ، وَمُلَاصِقَةٌ لِدَارِ أَبِي الْفَتْحِ الْبَرِيدِيِّ، وَصَعِدَ بَعْضُ غِلْمَانِنَا لِإِيذَانِهِ(٢) بِحُضُورِنَا، فَدَقَّ الْبَابَ دَقًّا عَنِيفاً حَتَّى ضَجِرَ مِنَ الدَّقِّ وَضَجِرْنَا مِنَ الصَّبْرِ، قَالَ: وَكَانَ لَهُ سِنَّوْرٌ أَبْيَضُ يُسَمِّيهِ يَقَقًا(٣)، وَمِنْ رَسْمِهِ إِذَا قَرَعَ الْبَابَ قَارِعٌ أَنْ يَخْرُجَ وَيَصِيحَ إِلَى أَنْ يَتْبَعَهُ غُلَامُ أَبِي الْفَرَجِ لِفَتْحِ الْبَابِ أَوْ هُوَ نَفْسُهُ، فَلَمْ نَرَ السِّنَّوْرَ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَأَنْكَرْنَا الْأَمْرَ وَازْدَدْنَا تَشَوُّقاً إِلَى مَعْرِفَةِ الْخَبَرِ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَمَدٍ طَوِيلٍ صَاحَ صَائِحٌ أَنْ «نَعَمْ»، ثُمَّ خَرَجَ أَبُو الْفَرَجِ وَيَدُهُ مُتَلَوِّثَةٌ بِمَا ظَنَنَّاهُ شَيْئاً كَانَ يَأْكُلُهُ فَقُلْنَا لَهُ: عَقَقْنَاكَ

(١) يروى الشطر الثانى: أنزلت حاجاتى بغير الخالق (٢) آذنه بالأمر إيذانا: أعلمه به
(٣) اللون الأبيض: يقال أبيض يقق: شديد البياض كما يقال أصفر فاقع. وأسود حالك

بِأَنْ قطعْنَاكَ عمَّا كَانَ أَهَمَّ مِنْ قَصْدِنَا إِيَّاكَ . فقَالَ : لَا وَاللهِ يَاسادَتِى ، مَا كُنْتُ عَلَى مَاتَظُنُّونَ ، وَإِنَّمَا لَحِقَ يَقِقًا يَعْنِى سِنَوْرَهُ قُولَنْجٌ[1] ، فَاحتَجْتُ إِلَى حَقْنِهِ فَأَنَا مَشْغُولٌ بِذَلِكَ ، فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ وَرَأَيْنَا الفِعلَ فِى يَدِهِ وَرَدَ عَلَيْنَا أَعْظَمُ مَوْرِدٍ مِنْ أَمْرِهِ لِتَنَاهِيهِ فِى الْقَذَارَةِ إِلَى مَالَا غَايَةَ بَعْدَهُ وَقُلْنَا : مَايَجُوزُ أَنْ نَصعَدَ إِلَى عِنْدِكَ فَنَعُوقَكَ عَنِ اسْتِتْمَامِ مَا أَنْتَ فِيهِ ، وَإِنَّمَا جِئْنَاكَ لِتَعَرُّفِ خَبَرِكَ ، وَقَدْ بَلَغْنَا مَا أَرَدْنَاهُ وَانْصَرَفْنَا .

قَالَ : وَاخْتَارَهُ[2] فِى كُلِّ شَىْءٍ مُرِيحٍ ، وَكَانَتْ صُحْبَتُهُ لَهُ قَبلَ الْوَزَارَةِ وَبَعْدَهَا إِلَى أَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْمَوْتُ . وَكَتَبَ أَبُو الْفَرَجِ إِلَى الْمُهَلَّبِىِّ يَشْكُو الْفَأرَ وَيَصِفُ الْهِرَّ :

يَا لَحُدْبِ[3] الظُّهُورِ قُعْصِ الرِّقَابِ
لِدِقَاقِ[4] الْأَنْيَابِ وَالْأَذْنَابِ

---

(١) قولنج وقد تكسر لامه : مرض معوى يعسر معه خروج الثفل والريح معرب كوليكوس باليونانية وهى مشتقة من كولون وهو اسم رمعى كبير

(٢) أى واختاره الوزير المهلبى فى الأعمال المهنة (٣) يا للاستغاثة وحدب الظهور جمع أحدب ، والهر إذا تنمر رفع ظهره ، والقعص جمع أقعس : وهو معوج العنق (٤) أى يستغيث بالقطط من الفيران .

خُلِقَتْ لِلْفَسَادِ مُذْ خُلِقَ الْخَلْـ
ـقُ وَلِلْعَيْثِ (١) وَالْأَذَى وَالْخَرَابِ
نَاقِبَاتٍ فِي الْأَرْضِ وَالسَّقْفِ وَالْحِيـ
ـطَانِ نَقْباً أَعْيَا عَلَى النَّقَّابِ
آكِلَاتٍ كُلَّ الْمَآكِلِ لَا تَأْ
مَنُهَا شَارِبَاتِ كُلِّ الشَّرَابِ
آلِفَاتٍ قَرْضَ الثِّيَابِ وَقَدْ يَعْـ
ـدِلُ قَرْضَ الْقُلُوبِ قَرْضُ الثِّيَابِ
زَالَ (٢) هَمِّي مِنْهُنَّ أَزْرَقُ (٣) تُرْكِيْـ
ـيُ السَّبَالَيْنِ أَنْمَرُ (٤) الْجِلْبَابِ
لَيْثُ غَابٍ خَلْقاً وَخُلْقاً فَمَنْ لَا
حَ لِعَيْنَيْهِ خَالَهُ لَيْثَ غَابِ
نَاصِبٌ طَرْفَهُ إِزَاءَ الزَّوَايَا
وَإِزَاءَ السُّقُوفِ وَالْأَبْوَابِ

(١) أي الفساد (٢) أي زاله عن مكانه لغة في أزال (٣) أي هر أزرق والسبالان: الشاربان، أي طويل السبالين. والأتراك تطيلهما (٤) أي ذو جلد كجلد النمر مرقش مخطط.

يَنْتَضِى الظُّفْرَ حِينَ يَظْفِرُ(١) لِلصَّيْـ
ـدِ وَإِلَّا فَظُفْرُهُ فِى قِرَابِ(٢)

لَا يُرِى أَخْبَثَيْهِ(٣) عَيْناً وَلَا يَعْـ
ـلَمُ مَا جَنَتَاهُ غَيْرُ التُّرَابِ

قَرْطَقُوهُ(٤) وَشَنَفُوهُ وَحَلَّوْ
هُ أَخِيراً وَأَوَّلاً بِالْخِضَابِ

فَهُوَ طَوْراً يَمْشِى بِحَلْىِ عَرُوسٍ
وَهُوَ طَوْراً يَخْطُو عَلَى عُنَّابِ

حَبَّذَا ذَاكَ صَاحِباً وَهُوَ فِى الصُّحْـ
ـبَةِ أَوْفَى مِنْ أَكْثَرِ الْأَصْحَابِ

وَحَدَّثَ الْقَاضِى أَبُو عَلِىٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِىٍّ التَّنُوخِىُّ فِى كِتَابِ نِشْوَارِ الْمُحَاضَرَةِ قَالَ: وَمِنْ طَرِيفِ أَخْبَارِ الْعَادَاتِ أَنِّى كُنْتُ أَرَى أَبَا الْفَرَجِ عَلِىَّ بْنَ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِىَّ

---

(١) أى يثب (٢) هو غمد السيف ، أى يبرز أظفاره من غلفها عند الصيد ، ويدخلها فى غلافها بعد (٣) أى البول والثفل ، لأنه يحفر ويواريهما (٤) أى أن هواة القطط يلبسونها القرطق والشنف ويخضبونها ، والقرطق : قباء ذو طاق واحد . والشنف : مايعلق من الحلى فى أعلى الأذن وأما ما يعلق فى أسفلها فقرط

الْكَاتِبَ نَدِيمَ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ صَاحِبَ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فِي الْأَغَانِي وَالْقِيَانِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ دَائِمًا إِذَا ثَقُلَ الطَّعَامُ فِي مَعِدَتِهِ ، « وَكَانَ أَكُولًا نَهِمًا » يَتَنَاوَلُ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ فُلْفُلًا مَدْقُوقًا فَلَا تُؤْذِيهِ وَلَا تُدْمِعُهُ ، وَأَرَاهُ يَأْكُلُ حِمَّصَةً وَاحِدَةً أَوْ يَصْطَبِغُ[1] بِمَرَقَةِ قِدْرٍ فِيهَا حِمَّصٌ فَيُسَرْهِجُ[2] بَدَنَهُ كُلَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَبَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ يُفْصَدُ ، وَرُبَّمَا فَصَدَ لِذَلِكَ دَفْعَتَيْنِ ، وَأَسْأَلُهُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْهُ ، وَقَالَ لِي غَيْرَ مَرَّةٍ : إِنَّهُ لَمْ يَدَعْ طَبِيبًا حَاذِقًا عَلَى مُرُورِ السِّنِينَ إِلَّا سَأَلَهُ عَنْ سَبَبِهِ ، فَلَا يَجِدُ عِنْدَهُ عِلْمًا وَلَا دَوَاءً ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ فَالِجِهِ بِسَنَوَاتٍ ذَهَبَتْ عَنْهُ الْعَادَةُ فِي الْحِمَّصِ فَصَارَ يَأْكُلُهُ فَلَا يَضُرُّهُ وَبَقِيَتْ عَلَيْهِ عَادَةُ الْفُلْفُلِ .

وَمِنْ كِتَابِ الْوُزَرَاءِ لِهِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ :

وَحَدَّثَ أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِيُّ قَالَ : سَكِرَ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ لَيْلَةً وَلَمْ يَبْقَ بِحَضْرَتِهِ مِنْ نُدَمَائِهِ غَيْرِي فَقَالَ لِي : يَا أَبَا الْفَرَجِ ، أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تَهْجُونِي

---

(١) أی يأتدم (٢) سرهج الحبل : فتله فتلا شديداً ـ والمراد أن أكل الحمص يضره ضرراً بليناً ويجعله كالحبل المفتول أی فی حالة تشنج

سِرًّا فَاهْجُنِي السَّاعَةَ جَهْرًا. فَقُلْتُ: اللَّهَ اللَّهَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ فِيَّ، إِنْ كُنْتَ قَدْ مَلِلْتَنِي انْقَطَعْتُ، وَإِنْ كُنْتَ تُؤْثِرُ قَتْلِي فَبِالسَّيْفِ إِذَا شِئْتَ. فَقَالَ: دَعْ ذَا لَا بُدَّ أَنْ تَهْجُونِي. وَكُنْتُ قَدْ سَكِرْتُ فَقُلْتُ:

أَيْرُ بَغْلٍ بِلَوْلَبِ

فَقَالَ فِي الْحَالِ مُجِيزًا:

فِي حِرِ أُمِّ الْمُهَلَّبِي

هَاتِ مِصْرَاعًا آخَرَ. فَقُلْتُ: الطَّلَاقُ لَازِمٌ لِلْأَصْفَهَانِيِّ إِنْ زَادَ عَلَى هَذَا وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ زِيَادَةٌ. قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ الْمُحَسِّنِ بْنِ هِلَالٍ الصَّابِىءِ صَاحِبِ الشَّامَةِ لِأَبِي الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيِّ يَهْجُو أَبَا الْحَسَنِ طَازَادَ النَّصْرَانِيَّ الْكَاتِبَ:

طَازَادُ مُشْتَقٌّ مِنَ الطِّزِّ (١)

فَعُدَّ عَنْ ذِكْرِ فَتَى الْخُوزِ

كَأَنَّ رِجْلَيْهِ إِذَا مَا مَشَى

مُخَنَّثٌ يَلْعَبُ بِالشِّيزِ (٢)

---

(١) عامية وهى الاست (٢) الشيز: خشب أسود، قيل هو الأبنوس: ولعله يريد اللعبة المعروفة «بالشيش» من ألعاب الفروسية وهى غير عربية.

قَرَأْتُ بِخَطِّ هِلَالِ بْنِ الْمُظَفَّرِ الْكَاتِبِ الزِّنْجَانِيِّ : حَدَّثَنِي الْأُسْتَاذُ أَبُو الْمُظَفَّرِ عَبْدُ الْغَفَّارِ بْنُ غُنَيْمَةَ قَالَ : كَانَ أَبُو الْفَرَجِ الْكَاتِبُ الْأَصْبَهَانِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي كَاتِباً لِرُكْنِ الدَّوْلَةِ حَظِيًّا عِنْدَهُ مُحْتَشِماً لَدَيْهِ، وَكَانَ يَتَوَقَّعُ مِنَ الرَّئِيسِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ أَنْ يُكْرِمَهُ وَيُبَجِّلَهُ وَيَتَوَفَّرَ عَلَيْهِ فِي دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ، وَعَدِمَ ذَلِكَ مِنْهُ فَقَالَ :

مَالَكَ مَوْفُورٌ فَمَا بَالُهُ
أَكْسَبَكَ التِّيهَ عَلَى الْمُعْدِمِ ؟
وَلِمْ إِذَا جِئْتَ نَهَضْنَا وَإِنْ
جِئْنَا تَطَاوَلْتَ وَلَمْ تَتْمِمِ
وَإِنْ خَرَجْنَا لَمْ تَقُلْ مِثْلَ مَا
نَقُولُ قَدِّمْ طِرْفَهُ (١) قَدِّمْ
إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ فَمَنْ ذَا الَّذِي
مِثْلَ الَّذِي تَعْلَمُ لَمْ يَعْلَمِ ؟

---

(١) أى الجواد ، يريد لم تأمر خدمك باكرام الخارج من عندك

وَلَسْتَ فِى الْغَارِبِ[1] مِنْ دَوْلَةٍ
وَنَحْنُ مِنْ دُونِكَ فِى الْمَنْسِمِ
وَقَدْ وَلِينَا وَعُزِلْنَا كَمَا
أَنْتَ فَلَمْ نَصغُرْ وَلَمْ تَعْظُمِ
تَكَافَأَتْ أَحْوَالُنَا كُلُّهَا
فَصِلْ عَلَى الْإِنْصَافِ أَوْ فَاصْرِمِ

وَقَدْ رَوَى أَبُو حَيَّانَ فِى كِتَابِ الْوَزِيرَيْنِ مِنْ تَصْنِيفِهِ مِنْ خَبَرِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ غَيْرَ هَذَا، وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا فِى أَخْبَارِ ابْنِ الْعَمِيدِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ: قَرَأْتُ فِى بَعْضِ الْمَجَامِيعِ لِأَبِى الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِىِّ:

حَضَرْتُكُمُ دَهْرًا وَفِى الْكُمِّ تُحْفَةٌ
فَمَا أَذِنَ الْبَوَّابُ لِى فِى لِقَائِكُمْ
إِذَا كَانَ هَذَا حَالُكُمْ يَوْمَ أَخْذِكُمْ
فَمَا حَالُكُمْ تَاللهِ يَوْمَ عَطَائِكُمْ؟

(١) غارب كل شىء : أعلاه

قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ : حَدَّثَنِي أَبُو نَصْرٍ الزَّجَّاجُ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيِّ فِي دُكَّانٍ فِي سُوقِ الْوَرَّاقِينَ ، وَكَانَ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنِ الْبَقَّالِ الشَّاعِرُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْخَرَّازِ الْوَرَّاقِ وَهُوَ يُنْشِدُ أَبْيَاتَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّولِيِّ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

رَأَى خَلَّتِي (١) مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا
فَكَانَتْ قَذَى (٢) عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ (٣)

فَلَمَّا بَلَغَ إِلَيْهِ ٱسْتَحْسَنَهُ وَكَرَّرَهُ وَرَآهُ أَبُو الْفَرَجِ فَقَالَ لِي : قُمْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ : قَدْ أَسْرَفْتَ فِي ٱسْتِحْسَانِ هَذَا الْبَيْتِ ، وَهُوَ كَذَاكَ فَأَيْنَ مَوْضِعُ الصَّنْعَةِ فِيهِ ، فَقُلْتُ لَهُ ذَاكَ فَقَالَ قَوْلُهُ : « وَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ » فَعُدْتُ إِلَيْهِ وَعَرَّفْتُهُ . فَقَالَ : عُدْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ : أَخْطَأْتَ ، الصَّنْعَةُ فِي قَوْلِهِ : « مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا » . قَالَ عُبَيْدُ اللهِ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ : وَقَدْ أَصَابَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَافَّةً

(١) الخلة : الحاجة والفقر (٢) هو ما يقع فى العين من تراب ونحوه

(٣) روى هذا البيت فى ديوان الحماسة لغير الصولى فى قصيدة جاء فيها قبل هذا البيت :

سأشكر عمراً ما تراخت منيتى أيادى لم تمنن وإن هى جلت

« عبد الخالق »

مِنَ الْغَرَضِ فَإِنَّ الْمَوْضِعَيْنِ مِمَّا غَايَةٌ فِى الْحُسْنِ وَإِنْ كَانَ مَاذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْفَرَجِ أَحْسَنُ .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ فِى كِتَابِ الْغُرَبَاء : وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو الْفَتْحِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى - رَحِمَهُ اللهُ - مَاضِيَيْنِ إِلَى دَيْرِ الثَّعَالِبِ فِى يَوْمٍ ذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ لِلنُّزْهَةِ وَمُشَاهَدَةِ اجْتِمَاعِ النَّصَارَى هُنَاكَ وَالشُّرْبِ عَلَى نَهْرِ يَزْدَجِرْدَ الَّذِى يَجْرِى عَلَى بَابِ هَذَا الدَّيْرِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَوْلَادِ كُتَّابِ النَّصَارَى مِنْ أَحْدَاثِهِمْ[1] ، وَإِذَا بِفَتَاةٍ كَأَنَّهَا الدِّينَارُ الْمَنْقُوشُ تَتَمَايَلُ وَتَنْثَنِى كَغُصْنِ الرَّيْحَانِ فِى نَسِيمِ الشَّمَالِ ، فَضَرَبَتْ بِيَدِهَا إِلَى يَدِ أَبِى الْفَتْحِ وَقَالَتْ يَا سَيِّدِى : تَعَالَ اقْرَأْ هَذَا الشِّعْرَ الْمَكْتُوبَ عَلَى حَائِطِ هَذَا الشَّاهِدِ ، فَمَضَيْنَا مَعَهَا وَبِنَا مِنَ السُّرُورِ بِهَا وَبِظَرْفِهَا وَمَلَاحَةِ مَنْطِقِهَا مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ ، فَلَمَّا دَخَلْنَا

(١) الحدث : الصغير السن

الْبَيْتَ كَشَفَتْ عَنْ ذِرَاعٍ كَأَنَّهُ الْفِضَّةُ ، وَأَوْمَأَتْ إِلَى الْمَوْضِعِ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ :

خَرَجَتْ يَوْمَ عِيدِهَا فِي ثِيَابِ الرَّوَاهِبِ
فَتَنَتْ بِاخْتِيَالِهَا (١) كُلَّ جَاءٍ وَذَاهِبِ
لِشَقَائِي رَأَيْتُهَا يَوْمَ دَيْرِ الثَّعَالِبِ
تَتَهَادَى (٢) بِنِسْوَةٍ كَاعِبٌ (٣) فِي كَوَاعِبِ
هِيَ فِيهِمْ كَأَنَّهَا الْبَدْرُ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ

فَقُلْتُ لَهَا : أَنْتِ وَاللهِ الْمَقْصُودَةُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ، وَلَمْ نَشُكَّ أَنَّهَا كَتَبَتِ الْأَبْيَاتَ وَلَمْ نُفَارِقْهَا بَقِيَّةَ يَوْمِنَا وَقُلْتُ لَهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَأَنْشَدْتُهَا إِيَّاهَا فَفَرِحَتْ :

مَرَّتْ بِنَا فِي الدَّيْرِ خُمْصَانَهْ (٤)
سَاحِرَةُ النَّاظِرِ فَتَّانَهْ
أَبْرَزَهَا الذُّكْرَانُ مِنْ خِدْرِهَا (٥)
تُعَظِّمُ الدَّيْرَ وَرُهْبَانَهْ

(١) أى العجب والتيه والدل (٢) تمشى فى هوادة (٣) الكاعب : التى برز نهداها (٤) ضامرة البطن (٥) أى من سترها

مَرَّتْ بِنَا تَخْطِرُ فِي مَشْيِهَا
كَأَنَّمَـــا قَامَتُهَـــا بَانَهْ

هَبَّتْ لَنَا رِيحٌ فَمَالَتْ بِهَا
كَمَا تَثَنَّى غُصْنُ رَيْحَانَهْ

فَتَيَّمَتْ قَلْبِي وَهَـــاجَتْ لَهُ
أَحْزَانَهُ قِـــدْماً وَأَشْجَانَهْ

وَحَصَلَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَبِي الْفَتْحِ عِشْرَةٌ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ وَتُوُفِّيَ بِهَا وَلَا أَعْرِفُ لَهَا خَبَراً بَعْدَ ذَلِكَ. قَالَ أَبُو الفَرَجِ: وَكُنْتُ انْحَدَرْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ مُنْذُ سُنَيَّاتٍ فَلَمَّا وَرَدْتُهَا أَصْعَدْتُ مِنَ الْفَيْضِ إِلَى سِكَّةِ قُرَيْشٍ أَطْلُبُ مَنْزِلًا أَسْكُنُهُ، لِأَنِّي كُنْتُ غَرِيباً لَا أَعْرِفُ أَحَداً مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا مَنْ كُنْتُ أَسْمَعُ بِذِكْرِهِ، فَدَلَّنِي رَجُلٌ عَلَى خَانٍ فَصِرْتُ إِلَيْهِ وَاسْتَأْجَرْتُ فِيهِ بَيْتاً وَأَقَمْتُ بِالْبَصْرَةِ أَيَّاماً، ثُمَّ خَرَجْتُ عَنْهَا طَالِباً حِصْنَ مَهْدِيٍّ وَكَتَبْتُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ عَلَى حَائِطِ الْبَيْتِ الَّذِي أَسْكُنُهُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَرَى
مِنْ صَنْعَتِي مِنْ بَيْنِ هَذَا الْوَرَى
أَصَارَنِي الدَّهْرُ إِلَى حَالَةٍ
يَعْدَمُ فِيهَا الضَّيْفُ عِنْدِي الْقِرَى(١)
بُدِّلْتُ مِنْ بَعْدِ الْغِنَى حَاجَةً
إِلَى كِلَابٍ يَلْبَسُونَ الْفِرَا(٢)
أَصْبَحَ أُدْمُ السُّوقِ لِي مَأْكَلًا
وَصَارَ خُبْزُ الْبَيْتِ خُبْزَ الشِّرَا
وَبَعْدَ مِلْكِي مَنْزِلًا مُبْهِجًا
سَكَنْتُ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِ الْكِرَى
فَكَيْفَ أُلْفَى لَاهِيًا ضَاحِكًا
وَكَيْفَ أَحْظَى بِلَذِيذِ الْكَرَى ؟؟
سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ مَا خَلْفَنَا
وَبَيْنَ أَيْدِينَا وَتَحْتَ الثَّرَى

---

(١) إكرام الضيف (٢) يتزيون بزى الأكابر والنبلاء إذ كان لبس الفراء من ملابس عظماء الناس

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَرَى
وَانْقَطَعَ الْخَطْبُ وَزَالَ الْمِرَا

قَالَ أَبُو الفَرَجِ : وَكُنْتُ فِي أَيَّامِ الشَّبِيبَةِ وَالصِّبَا آلَفُ فَتًى مِنْ أَوْلَادِ الْجُنْدِ فِي السَّنَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَوَلِيَ بُخْتِيَارُ ، وَكَانَتْ لِأَبِيهِ حَالٌ كَبِيرَةٌ وَمَنْزِلَةٌ مِنَ الدَّوْلَةِ وَرُتْبَةٌ ، وَكَانَ الْفَتَى فِي نِهَايَةِ حُسْنِ الْوَجْهِ وَسَلَامَةِ الْخُلُقِ وَكَرَمِ الطَّبْعِ ، مِمَّنْ يُحِبُّ الْأَدَبَ وَيَمِيلُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَلَمْ يَتْرُكْ قَرِيحَتَهُ حَتَّى عَرَفَ صَدْرًا مِنَ الْعِلْمِ ، وَجَمَعَ خِزَانَةً مِنَ الْكُتُبِ حَسَنَةً ، فَمَضَتْ لِي مَعَهُ سِيَرٌ لَوْ حُفِظَتْ لَكَانَتْ فِي كِتَابٍ مُفْرَدٍ ، مِنْ مُكَاتَبَاتٍ وَمُعَاتَبَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ شَرْحُهُ .

مِنْهَا مَا يُشْبِهُ مَا نَحْنُ فِيهِ : أَنِّي جِئْتُهُ يَوْمَ جُمُعَةٍ غُدْوَةً فَوَجَدْتُهُ قَدْ رَكِبَ إِلَى الْحَلْبَةِ ، وَكَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَرْكَبَ إِلَيْهَا فِي كُلِّ يَوْمِ ثُلَاثَاءَ وَيَوْمِ جُمُعَةٍ ، فَجَلَسْتُ

عَلَى دَكَّةٍ[١] عَلَى بَابِ دَارِ أَبِيهِ فِی مَوْضِعٍ فَسِيحٍ كَانَ عَمَرَهَا وَفَرَشَهَا ، فَكُنَّا نَجْلِسُ عَلَيْهَا لِلْمُحَادَثَةِ إِلَى ارْتِفَاعِ النَّهَارِ ، ثُمَّ يَدْخُلُ إِذَا أَقَمْتُ عِنْدَهُ إِلَى حُجْرَةٍ لَطِيفَةٍ كَانَتْ مُفْرَدَةً لَهُ ، لِنَجْتَمِعَ عَلَى الشُّرْبِ وَالشِّطْرَنْجِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا ، فَطَالَ جُلُوسِی فِی ذَلِكَ الْيَوْمِ مُنْتَظِراً لَهُ ، فَأَبْطَأَ وَتَصَبَّحَ[٢] مِنْ أَجْلِ رِهَانٍ كَانَ بَيْنَ فَرَسَيْنِ لِبُخْتِيَارَ ، فَعَرَضَ لِی لِقَاءُ صَدِيقٍ لِی فَقُمْتُ لِأَمْضِیَ ثُمَّ أَعُودَ إِلَيْهِ ، فَهَجَسَ[٣] لِی أَنْ كَتَبْتُ عَلَى الْحَائِطِ الَّذِی كُنَّا نَسْتَنِدُ إِلَيْهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

يَا مَنْ أَظَلُّ بِبَابِ دَارِهْ
وَيَطُولُ حَبْسِی[٤] لِانْتِظَارِهْ
وَحَيَاةِ طَرْفِكَ وَاحْوِرَارِهْ[٥]
وَجَمَالِ صُدْغِكَ فِی مَدَارِهْ

(١) الدكة بفتح الدال : بناء يسطح أعلاه ، والدكة والدكان : الذی يقعد عليه من اللسان (٢) أی نام أول النهار وفی اللسان « فلان نيام الصبحة والصبحة : أی نيام حين يصبح تقول منه تصبح الرجل . وفی حديث أم زرع أنها قالت : « وعنده أقول فلا أقبح وأرقد فأتصبح » أرادت أنها تنام الصبحة اه (٣) الهاجس : خاطر النفس : أی تخطر لی (٤) أی مكثی وامتناعی عن الانطلاق : تقول ما حبسك عنی ؟ أی ما منعك من المجیء إلی (٥) الحور والاحورار : شدة بياض العين وشدة سوادها

لَا حُلْتُ عُمْرِى عَنْ هَوَا
كَ وَلَوْ صُلِيتُ بِحَرِّ نَارِهْ

وَقُمْتُ فَلَمَّا عَادَ قَرَأَ الْأَبْيَاتَ وَغَضِبَ مِنْ فِعْلِى ، لِئَلَّا يَقِفَ عَلَيْهِ مَنْ يَحْتَشِمُهُ[1] ، وَكَانَ شَدِيدَ الْكِتْمَانِ لِمَا بَيْنِى وَبَيْنَهُ ، وَمُطَالِباً بِمِثْلِ ذَلِكَ مُرَاقَبَةً لِأَبِيهِ ، إِلَّا أَنَّ ظَرْفَهُ وَوَكِيدَ مَحَبَّتِهِ لِى ، وَمَيْلَهُ إِلَىَّ لَمْ يَدَعْهُ حَتَّى أَجَابَ عَنْهَا بِمَا كَتَبَ تَحْتَهَا ، وَرَجَعْتُ مِنْ سَاعَتِى فَوَجَدْتُهُ فِى دَارِ أَبِيهِ ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ ، فَخَرَجَ إِلَىَّ خَادِمٌ لَهُمْ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ لَا الْتَقَيْنَا[2] حَتَّى تَقِفَ عَلَى الْجَوَابِ عَنِ الْأَبْيَاتِ فَإِنَّهُ تَحْتَهَا ، فَصَعِدْتُ الدَّكَّةَ فَإِذَا تَحْتَ الْأَبْيَاتِ بِخَطِّهِ : مَا هَذِهِ الشَّنَاعَةُ[3] ؟ وَمَنْ فَسَحَ لَكَ فِى هَذِهِ الْإِذَاعَةِ[4] ؟ وَمَا أَوْجَبَ خُرُوجَكَ عَنِ الطَّاعَةِ ؟ وَلَكِنْ أَنَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِى وَعَلَيْكَ ،

---

(١) احتشمه : أظهر له الوقار والاجلال ولم يتبسط أمامه (٢) جواب قسم محذوف : أى والله لا نلتقى حتى تقف الخ (٣) شنع فلاناً : فضحه ، أى ما هذه الفضيحة (٤) أذاع السر : أفشاه

مَلَكْتُكَ فطغَيْتَ . وَأَطعتُكَ فتعَدَّيْتَ . وَمَا أَحتَشِمُ أَنْ أَقُولَ هذَا تعرُّضاً لِلإِعرَاضِ عنكَ وَالسَّلامُ . فَعلِمتُ أَنِي قَدْ أَخطَأْتُ وَسقَطَتْ شهِدَ اللهُ قُوَّتِي وَحركَتِي ، فَأَخذَتنِي النَّدَامَةُ وَالْحَيْرَةُ ، ثُمَّ أُذِنَ لِي فدَخَلْتُ فقَبَّلْتُ يدَهُ فمَنَعنِي وَقُلْتُ : يَاسيِّدِي غَلطَةٌ غَلِطتُهَا وَهفوَةٌ هفَوتُهَا، فَإِنْ لَمْ تَتجَاوَزْ عنْهَا وَتعفُ هلَكْتُ ، فقَالَ لِي : أَنتَ فِي أَوْسَعِ [1] العُذْرِ بعْدَ أَنْ لَا يكُونَ لهَا أُختٌ ، وَعاتبنِي عَلَى ذَلِكَ عِتاباً عرَفتُ صِحتَهُ ، وَلَمْ تمضِ إِلَّا مُدَيْدَةٌ حتَّى قُبِضَ عَلَى أَبِيهِ وَهرَبَ فَاحتَاجَ إِلَى الاستِتَارِ ، فلَمْ يأْنَسْ هُوَ وَأَهلُهُ إِلَّا بِكَونِهِ عِندِي ، فَأَنَا عَلَى غَفلَةٍ إِذْ دَخلَ فِي خُفٍّ وَإِزَارٍ وَكَادَتْ مرَارَتِي تنفَطِرُ [2] فرَحاً ، فلَقِيتُه أُقبِّلُ رِجلَيْهِ وَهُوَ يضحَكُ وَيقُولُ : يَأْتِيهَا رِزقُهَا وَهِيَ نَائِمَةٌ ، هَذَا يَا حَبِيبِي بَخْتُ [3] مَنْ لَا يَصُومُ وَلَا يُصلِّي فِي الْحَقِيقَةِ ، وَكَانَ أَخفَّ النَّاسِ

---

(١) أى قبلت منك العذر وأفسحت لك فيه على ألا يتكرر الذنب هذا

(٢) أى تنشق (٣) البخت : الحظ

رُوحاً ، وَأَقْلعهُم[١] لِبَادِرَةٍ[٢] ، وَبِتْنَا فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَرُوسَيْنِ لَا نَعْقِلُ سُكْراً وَاُصْطَبَحْنَا وَقُلْتُ هَذِهِ الأَبْيَاتَ :

بِتُّ وَبَاتَ الْحَبِيبُ نَدْمَانِى[٣]

مِنْ بَعْدِ نَأْيٍ وَطُولِ هِجْرَانِ

نَشْرَبُ قُفْصِيَّةً[٤] مُعَتَّقَةً

بِحَانَةِ الشَّطِّ مُنْذُ أَزْمَانِ

وَكُلَّمَا دَارَتِ الْكُئُوسُ لَنَا

أَلْثَمَنِى فَاهُ ثُمَّ غَنَّانِى

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ

أَطَاعَنِى الدَّهْرُ بَعْدَ عِصْيَانِ

وَلَمْ يَزَلْ مُقِيماً عِنْدِى نَحْوَ الشَّهْرِ حَتَّى اُسْتَقَامَ أَمْرُ أَبِيهِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دَارِهِ .

وَحَدَّثَ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ النَّعَّالُ قَالَ : قَالَ أَبُو الْفَرَجِ

---

(١) قلع الشيء : انتزعه من أصله أو حوله عن موضعه (٢) البادرة : البديهة — والمعنى أنه لحضور بديهته وفطنته : ينتزع الفكرة فى سرعة ومن غير إعمال فكر
(٣) الندمان : المنادم على الشراب والأنثى ندمانة . والجمع ندامى . وقد يكون الندمان جمعا (٤) أى خمرا منسوبة إلى قفص : وهو جبل بكرمان

الْأَصْبَهَانِيُّ : بَلَغَ أَبَا الْحَسَنِ جَحْظَةَ أَنَّ مُدْرِكَ بْنَ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيَّ الشَّاعِرَ ذَكَرَهُ بِسُوءٍ فِي مَجْلِسٍ كُنْتُ حَاضِرَهُ وَكَتَبَ إِلَيَّ :

أَبَا فَرَجٍ أُهْجَى لَدَيْكَ وَيُعْتَدَى
عَلَيَّ فَلَا تَحْمَى[1] لِذَاكَ وَتَغْضَبُ

لَعَمْرُكَ مَا أَنْصَفْتَنِي فِي مَوَدَّتِي
فَكُنْ مُعْتِبًا[2] إِنَّ الْأَكَارِمَ تُعْتِبُ

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

عَجِبْتُ لِمَا بُلِّغْتَ عَنِّي بَاطِلًا
وَظَنُّكَ بِي فِيهِ لَعَمْرُكَ أَعْجَبُ

ثَكِلْتُ[3] إِذًا نَفْسِي وَعِزِّي وَأُسْرَتِي
بِفَقْدِي وَلَا أَدْرَكْتُ مَا كُنْتُ أَطْلُبُ

فَكَيْفَ[4] بِمَنْ لَاحَظَ لِي فِي لِقَائِهِ
وَسِيَّانِ عِنْدِي وَصْلُهُ وَالتَّجَنُّبُ

---

(١) حمى يحمى : غضب (٢) أعتبه : أرضاه ، تقول : استعتبته فأعتبنى ، وأكارم الناس يرضون من عاتبهم (٣) ثكل نفسه : فقدها : والثاكل : التى فقدت ولدها

(٤) أى فكيف أبيع ودك بمن الخ .

فَثِقْ بِأَخٍ أَصْفَاكَ مَحْضَ مَوَدَّةٍ
تَشَاكَلَ مِنْهَا مَا بَدَا وَالتَّغَيُّبُ

قَالَ غَرْسُ النِّعْمَةِ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي جَدِّي قَالَ: كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْجُهَنِيُّ الْقَاضِي «وَأَظُنُّهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَتَقَلَّدَ الْحِسْبَةَ[1] بِهَا وَمِنْهَا عَرَفَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيَّ وَصَحِبَهُ» يَشْتَمِلُ عَلَى آدَابٍ يَتَمَيَّزُ بِهَا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَاحِشَ الْكَذِبِ، يُورِدُ مِنَ الْحِكَايَاتِ مَالَا يَعْلَقُ بِقَبُولٍ وَلَا يَدْخُلُ فِي مَعْقُولٍ، وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ قَدْ أَلِفَ ذَلِكَ مِنْهُ وَقَدْ سَلَكَ مَسْلَكَ الاحْتِمَالِ، وَكُنَّا لَا نَخْلُو عَنْ حَدِيثِهِ مِنَ التَّعَجُّبِ وَالاسْتِطْرَافِ[2] وَالاسْتِبْعَادِ، وَكَانَ ذَلِكَ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا إِغْرَاقًا[3] فِي قَوْلِهِ وَتَمَادِيًا فِي فِعْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ جَرَى حَدِيثُ النَّعْنَعِ وَإِلَى أَيِّ حَدٍّ يَطُولُ، فَقَالَ الْجُهَنِيُّ: فِي الْبَلَدِ الْفُلَانِيِّ يَتَشَجَّرُ[4] حَتَّى يُعْمَلَ مِنْ خَشَبِهِ

(١) محتسب البلد: مأمور من طرف الوالى لمناظرة ضبط الموازين والأسعار ونحو ذلك (٢) استطرف الحديث: استملحه واستظرفه. واستبعاده: عده بعيد الوقوع (٣) أى توغلا وتطرفا (٤) أى ينمو فيصير شجرا

السَّلَالِيمُ ، فَاغْتَاظَ أَبُو الفَرَجِ الأَصْبَهَانِيُّ مِنْ ذَاكَ وَقَالَ : نَعَمْ
عَجَائِبُ الدُّنْيَا كَثِيرَةٌ ، وَلَا يُدْفَعُ مِثْلُ هَذَا وَلَيْسَ
بِمُسْتَبْدَعٍ (١) ، وَعِنْدِي مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا وَأَغْرَبُ ، وَهُوَ
زَوْجُ حَمَامٍ رَاعِبِيٍّ (٢) يَبِيضُ فِي نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا بَيْضَتَيْنِ
فَأَنْتَزِعُهُمَا مِنْ تَحْتِهِ وَأَضَعُ مَكَانَهُمَا صَنْجَةً (٣) مِائَةً وَصَنْجَةً
خَمْسِينَ ، فَإِذَا انْتَهَى مُدَّةُ الحِضَانِ تَفَقَّسَتِ الصَّنْجَتَانِ عَنْ
طَسْتٍ وَإِبْرِيقٍ ، أَوْ سَطْلٍ وَكَرْنِيبٍ (٤) . فَعَمَّنَا الضَّحِكُ
وَفَطِنَ الجُهَنِيُّ لِمَا قَصَدَهُ أَبُو الفَرَجِ مِنَ الطَّنْزِ ، وَانْقَبَضَ عَنْ
كَثِيرٍ مِمَّا كَانَ يَحْكِيهِ وَيَتَسَمَّحُ فِيهِ ، وَإِنْ لَمْ يَخْلُ مِنَ
الأَيَّامِ مِنَ الشَّيْءِ بَعْدَ الشَّيْءِ مِنْهُ . وَمِنْ عَجِيبِ مَا مَرَّ بِي
مِنَ الكَذِبِ حِكَايَةٌ أَوْرَدَهَا غَرْسُ النِّعْمَةِ عَقِيبَ هَذِهِ
قَالَ : كَانَ لِوَالِدِي تَاجِرٌ يُعْرَفُ بِأَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَ مَعْرُوفًا

---

(١) أي ليس بدعا والبدع والبديع : الذي لامثل له (٢) نسبة إلى راعب إحدى النواحي (٣) صنجة الميزان وسنجته : مايوزن به فارسي معرب : وقال ابن السكيت : لا يقال سنجة ، والرطل ثلاث صنجات (٤) السطل إناء من نحاس له عروة يحمل بها والكرنيب وتكهر فاؤه فسره في القاموس بالجميع من المجع وفسر المجيع بأنه لبن يشرب وعليه تمر أو تمر يعجن بلبن . « عبد الخالق »

بِالْكَذِبِ، فَأَذْكُرُ وَقَدْ حَكَى فِي مَجْلِسِهِ وَالنَّاسُ حُضُورٌ عِنْدَهُ: أَنَّهُ كَانَ فِي مُعَسْكَرِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ صَاحِبِ خُرَاسَانَ بِبُخَارَى مَعَهُ وَقَدْ جَاءَ مِنَ الْبَرْدِ أَمْرٌ عَظِيمٌ جَمَدَ مِنْهُ الْمَرْىُ[1] حَتَّى قُدَّ وَفُرِىَ وَعُمِلَتْ مِنْهُ خِفَافٌ، وَأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَنْزِلُونَ فِي الْمُعَسْكَرِ فَلَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتٌ وَلَا حَدِيثٌ وَلَا حَرَكَةٌ حَتَّى ضَرْبُ الطَّبْلِ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ، فَإِذَا أَصْبَحَ النَّاسُ وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ وَحَمِيَتْ ذَابَ الْكَلَامُ فَسُمِعَتِ الْأَصْوَاتُ الْجَامِدَةُ مُنْذُ أَمْسِ مِنْ أَصْوَاتِ الطُّبُولِ وَالْبُوقَاتِ وَحَدِيثِ النَّاسِ، وَصَهِيلِ الْخُيُولِ، وَنَهِيقِ الْحَمِيرِ وَرُغَاءِ الْإِبِلِ. قَرَأْتُ عَلَى ظَهْرِ جُزْءٍ مِنْ نُسْخَةٍ بِكِتَابِ الْأَغَانِى لِأَبِى الْفَرَجِ: حَدَّثَ ابْنُ عِرْسٍ الْمَوْصِلِىُّ وَكَانَ الْمُتَرَسِّلَ بَيْنَ عِزِّ الدَّوْلَةِ وَبَيْنَ أَبِى تَغْلِبَ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ يَخْلُفُ أَبَا تَغْلِبَ بِالْحَضْرَةِ قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ أَبُو تَغْلِبَ يَأْمُرُنِى بِابْتِيَاعِ كِتَابِ الْأَغَانِى لِأَبِى الْفَرَجِ

---

(١) المرى : ماحلب من الناقة : أى أن اللبن قد جمد وجف وصار كالجلد يقد ويفرى . وقد الجلد : قطعه . والفرى : جعله قطعا صغارا

الأَصْبَهانِىّ فَابْتَعْتُهُ لَهُ بِعَشْرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ مِنْ صَرْفِ ثَمانِيَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا بِدِينَارٍ[١]، فَلَمَّا حَمَلْتُهُ إِلَيْهِ وَوَقَفَ عَلَيْهِ وَرَأَى عِظَمَهُ وَجَلالَةَ مَاحَوَى قَالَ: لَقَدْ ظُلِمَ وَرَّاقُهُ المِسْكِينُ، وَإِنَّهُ لَيُسَاوِى عِنْدِى عَشْرَةَ آلافِ دِينَارٍ، وَلَوْ فُقِدَ لَمَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ المُلُوكُ إِلَّا بِالرَّغَائِبِ[٢]، وَأَمَرَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ نُسْخَةً أُخْرَى وَيُخَلِّدَ عَلَيْهَا اسْمَهُ فَابْتَدَأَ بِذَلِكَ، فَمَا أَدْرِى أَتَمَّتِ النُّسْخَةُ أَمْ لَا؟.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ شِيرْزَادَ: اتُّصِلَ بِى أَنَّ مُسَوَّدَةَ كِتَابِ الأَغَانِى وَهِىَ أَصْلُ أَبِى الفَرَجِ أُخْرِجَتْ إِلَى سُوقِ الوَرَّاقِينَ لِتُبْتَاعَ، فَأَنْفَذْتُ إِلَى ابْنِ قِرَابَةَ[٣] وَسَأَلْتُهُ إِنْفَاذَ صَاحِبِهَا لِأَبْتَاعَهَا مِنْهُ لِى، فَجَاءَنِى وَعَرَّفَنِى أَنَّهَا بِيعَتْ فِى النِّدَاءِ بِأَرْبَعَةِ آلافِ دِرْهَمٍ، وَأَنَّ أَكْثَرَهَا فِى طُرُوسٍ

(١) لعله يريد أنه أعطاه عشرة الآلاف درهم دنانير بجعل الدينار مساويا لثمانية عشر درهما (٢) جمع رغيبة: وهى المال الكثير (٣) الموجود ابن أبى قربة بكسر القاف كنية جماعة ذكرهم صاحب القاموس « عبد الخالق »

وَبِخَطِّ التَّعْلِيقِ وَأَنَّهَا اشْتُرِيَتْ لِأَبِي أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصٍ فَرَاسَلْتُ أَبَا أَحْمَدَ فَأَنْكَرَ أَنَّهُ يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ هَذَا فَبَحَثْتُ كُلَّ الْبَحْثِ فَمَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا .

كَانَ الرَّاضِي بِاللهِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ قَدْ وَلَّى أَبَا عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيَّ ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَيْهِ بِنَوَاحِي الْبَصْرَةِ الْوَزَارَةَ ، فَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ الرَّاضِيَ إِنَّمَا قَصَدَ بِتَقْلِيدِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْوَزَارَةَ طَمَعًا فِي إِيقَاعِ الْحِيلَةِ عَلَيْهِ فِي تَحْصِيلِهِ ، فَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةً طَوِيلَةً تَزِيدُ عَلَى مِائَةِ بَيْتٍ يَهْجُو فِيهَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، وَيُؤَنِّبُ الرَّاضِيَ فِي تَوْلِيَتِهِ وَطَمَعِهِ فِيهِ أَوَّلُهَا :

يَا سَمَاءُ اسْقُطِي وَيَا أَرْضُ مِيدِي[1] قَدْ تَوَلَّى الْوَزَارَةَ ابْنُ الْبَرِيدِي

جَلَّ خَطْبٌ وَحَلَّ أَمْرٌ عُضَالٌ وَبَلَاءٌ أَشَابَ رَأْسَ الْوَلِيدِ

(١) مادت : اضطربت ، وميدى : اضطربى

هُدَّ رُكْنُ الإِسْلامِ وَانْهتَكَ الْمُلْـ
ـكُ وَمُحِيَتْ آثارُهُ فَهُوَ مُودِي (١)
أَخْلَقَتْ (٢) بَهْجَةُ الزَّمانِ كَما أَنْـ
ـهَجَ طُولُ اللِّبَاسِ وَشْىَ الْبُرُودِ (٣)

يَقُولُ فِيهَا :

وَتَوَهَّمْتُ أَنْ سَيَخْدَعُهُ ذَا
كَ فَيَغْتالُهُ اصْطِيادَ (٤) الصُّيُودِ
هُوَ أَزْنَى مِمَّا تُقَدِّرُ أُمَّا
لَيْسَ مِمَّنْ يُصادُ بِالتَّقْلِيدِ (٥)

فَانْتَهَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيِّ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَيْتَ الأَخِيرَ ضَحِكَ وَضَرَبَ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَالَ : لَوْ عَرَفَ أَبُو الْفَرَجِ مَا فِي نَفْسِي وَأَزَالَ الْوَحْشَةَ وَصَارَ

---

(١) أي هالك وفان ، من أودى بمعنى هلك (٢) أخلق الثوب ونهج : صار بالياً والمعنى ضاعت بهجة الزمان كما يضيع الاستعمال وشي الثوب (٣) الوشي في البرود : النقش (٤) مصدر على التشبه : أي فيصطاده كما تصطاد الفرائس (٥) يصفه بشدة الحرص ومثل هذا لا يراد منه السب بل المبالغة في وصفه باليقظة

إِلَىَّ ، لبالغتُ فِى صِلَتِهِ وَالإِفْضَالِ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ هَـذَا الْبَيْتِ .

قَالَ الْحُمَيْدِىُّ : وَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ النَّشْوَارِ أَبُو عَلِىٍّ الْمُحسنُ بْنُ عَلِىٍّ الْقَاضِى : أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَ أَبِى الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِىِّ صَاحِبِ كِتَابِ الْأَغَانِى ، فَتَذَاكَرُوا مَوْتَ الْفُجَاءَةِ ، فَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ : أَخْبَرَنِى شُيُوخُنَا أَنَّ جَمِيعَ أَحْوَالِ الْعَالَمِ قَدِ اعْتَرَتْ مَنْ مَاتَ فُجَاءَةً ، إِلَّا أَنِّى لَمْ أَسْمَعْ مَنْ مَاتَ عَلَى مِنْبَرٍ .

قَالَ أَبُو عَلِىٍّ الْمُحسنُ : وَكَانَ مَعَنَا فِى مَجْلِسِ أَبِى الْفَرَجِ شَيْخٌ أَنْدَلُسِىٌّ قَدِمَ مِنْ هُنَاكَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ ، وَلَزِمَ أَبَا الْفَرَجِ يُقَالُ لَهُ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ مَالِكِ بْنِ عَائِذٍ ، وَكُنْتُ أَرَى أَبَا الفَرَجِ يُعَظِّمُهُ وَيُكْرِمُهُ وَيَذْكُرُ ثِقَتَهُ ، فَأَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا أَنَّهُ شَاهَدَ فِى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِبَلْدَةٍ مِنَ الْأَنْدَلُسِ خَطِيبَ الْبَلَدِ وَقَدْ صَعِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِيَخْطُبَ ، فَلَمَّا بَلَغَ يَسِيراً مِنْ خُطْبَتِهِ خَرَّ مَيِّتاً فَوْقَ الْمِنْبَرِ حَتَّى أُنْزِلَ بِهِ ، وَطُلِبَ فِى

الْخَالِ مَنْ رَقِيَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَ وَصَلَّى الْجُمُعَةَ بِنَا ، إِلَّا أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ قَلَبَ نِسْبَةَ زَكَرِيَّا فَقَالَ : يَحْيَى بْنُ عَائِذِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْدَلُسِيُّ : وَالصَّوَابُ مَا قُلْنَا .

قَالَ الثَّعَالِبِيُّ : وَمِنْ قَوْلِهِ فِي الْمُهَلَّبِيِّ :

وَلَمَّا انْتَجَعْنَا عَائِذِينَ(١) بِظِلِّهِ
أَعَانَ وَمَا عَنَّى(٢) وَمَنَّ(٣) وَمَا مَنَّى(٤)

وَرَدْنَا عَلَيْهِ مُقْتِرِينَ(٥) فَرَاشَنَا
وَرُدْنَا(٦) نَدَاهُ مُجْدِبِينَ فَأَخْصَبْنَا

وَقَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ يُهَنِّئُهُ بِمَوْلُودٍ مِنْ سُرِّيَّةٍ رُومِيَّةٍ :

أَسْعِدْ بِمَوْلُودٍ أَتَاكَ مُبَارَكًا
كَالْبَدْرِ أَشْرَقَ جُنْحَ لَيْلٍ مُقْمِرِ

سَعْدٌ لِوَقْتِ سَعَادَةٍ جَاءَتْ بِهِ
أُمٌّ حَصَانٌ(٧) مِنْ بَنَاتِ الْأَصْفَرِ

(١) عاذ به : التجأ إليه واحتمى به (٢) عناه : أتعبه وأجهده (٣) أى جاد (٤) المن : تعداد النعم والتعيير بها : يقول : أعاننا ولم يجهدنا ، وأكرمنا ولم يمن بما أعطى (٥) أى فقراء (٦) راده يروده : طلبه ، وبين وَرَدنا ورُدنا جناس كما لا يخفى (٧) أى عفيفة ، ويقال للروم بنو الأصفر للذكور ، وبنات الأصفر للإناث ، كما يقال : للترك والفرس والجركس ومن حاذاهم بنو الأحمر «عبد الخالق»

مُتَبَخْبِحٌ [١] فِي ذِرْوَتَيْ شَرَفِ الْعُلَا

بَيْنَ الْمُهَلَّبِ مُنْتَمَاهُ وَقَيْصَرِ

شَمْسُ الضُّحَى قُرِنَتْ إِلَى بَدْرِ الدُّجَى

حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَا أَتَتْ بِالْمُشْتَرِي

وَأَنْشَدَ لَهُ فِي عِيدِيَّةٍ :

إِذَا مَا عَلَا فِي الصَّدْرِ وَالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ

وَبَثَّهُمَا فِي النَّفْعِ مِنْهُ وَفِي الضُّرِّ

وَأَجْرَى ظُبَا [٢] أَقْلَامِهِ وَتَدَفَّقَتْ

بَدِيهَتُهُ كَالْمُسْتَمِدِّ مِنَ الْبَحْرِ

رَأَيْتَ نِظَامَ الدُّرِّ فِي نَظْمِ قَوْلِهِ

وَمَنْثُورَهُ الرَّقْرَاقَ [٣] فِي ذَلِكَ النَّثْرِ

وَيَقْتَضِبُ الْمَعْنَى الْكَثِيرَ بِلَفْظَةٍ

وَيَأْتِي بِمَا تَحْوِي الطَّوَامِيرُ [٤] فِي سَطْرِ

---

(١) من البجبحة : السعة في المقام والنفقة (٢) جمع ظبة : طرف السيف وذبابته

(٣) الرقراق : كل شيء له تلألؤ وبصيص (٤) جمع طومار : الصحيفة

أَيَا غُرَّةَ الدَّهْرِ ائْتَنِفْ[١] غُرَّةَ الشَّهْرِ
وَقَابِلْ هِلَالَ الفِطْرِ فِى لَيْلَةِ الفِطْرِ

بِأَيْمَنِ إِقْبَالٍ وَأَسْعَدِ طَائِرٍ
وَأَفْضَلِ مَا تَرْجُوهُ مِنْ أَفْسَحِ الْعُمْرِ

مَضَى عَنْكَ شَهْرُ الصَّوْمِ يَشْهَدُ صَادِقاً
بِطُهْرِكَ فِيهِ وَاجْتِنَابِكَ لِلْوِزْرِ

فَأَكْرِمْ بِمَا خَطَّ الْحَفِيظَانِ[٢] مِنْهُمَا
وَأَثْنَى بِهِ الْمُثْنِى وَأَطْرَى بِهِ الْمُطْرِى

وَزَكَّتْكَ أَوْرَاقُ الْمَصَاحِفِ وَانْتَهَى
إِلَى اللهِ مِنْهَا طُولُ دَرْسِكَ وَالذِّكْرِ

وَقَبْضُكَ كَفَّ الْبَطْشِ عَنْ كُلِّ مُجْرِمٍ
وَبَطْشُكَهَا بِالْعُرْفِ وَالْخَيْرِ وَالْبِرِّ

وَقَدْ جَاءَ شَوَّالٌ فَشَالَتْ[٣] نَعَامَةُ الصِّـ
ـيَامِ وَأُبْدِلْنَا النَّعِيمَ مِنَ الضُّرِّ

---

(١) ائتنف الشىء واستأنفه : أخذ فيه وابتدأ (٢) أى الملكان ، يشير إلى قوله تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله »

(٣) شالت نعامة فلان : مات

وَضَجّتْ حَبِيسُ[(١)] الدَّنِّ مِنْ طُولِ حَبْسِهَا
وَلَامَتْ عَلَى طُولِ التَّجَنُّبِ وَالْهَجْرِ
وَأَبْرَزَهَا مِنْ قَعْرِ أَسْوَدَ مُظْلِمٍ
كَإِشْرَاقِ بَدْرٍ مُشْرِقُ[(٢)] اللَّوْنِ كَالْبَدْرِ
إِذَا ضَمَّهَا وَالْوَرْدَ فُوهُ وَكَفُّهُ
فَلَا فَرْقَ بَيْنَ اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالنَّشْرِ[(٣)]
وَتَحْسَبُهُ إِذْ سَلْسَلَ الْكَأْسَ نَاظِمًا
عَلَى الْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ سِمْطًا مِنَ الدُّرِّ[(٤)]

وَلَهُ فِيهِ يُهَنِّئُهُ بِإِبْلَالِهِ مِنْ مَرَضٍ :

أَبَا مُحَمَّدٍ الْمَحْمُودَ يَاحَسَنَ الْـ
إِحْسَانِ وَالْجُودِ يَابَحْرَ النَّدَى الطَّامِي[(٥)]
حَاشَاكَ مِنْ عَوْدِ عُوَّادٍ إِلَيْكَ وَمِنْ
دَوَاءِ دَاءٍ وَمِنْ إِلْمَامِ آلَامِ

---

(١) يريد الخمر (٢) أى أبرزها من الدن الأسود مشرقة كالبدر ساق مشرق اللون كأنه البدر (٣) النشر : الرائحة الطيبة (٤) يريد الحباب الذى يعلو الخمر (٥) أى الممتلىء

وَلَهُ :

يَافَرْجَةَ الْهَمِّ بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْ فَرَجِ
يَافَرْحَةَ الْأَمْنِ بَعْدَ الرَّوْعِ مِنْ وَهَلِ (١)
إِسْلَمْ وَدُمْ وَابْقَ وَامْلِكْ وَانْمُ وَاسْمُ وَزِدْ
وَأَعْطِ وَامْنَعْ وَضُرَّ وَانْفَعْ وَصُلْ وَصِلِ

وَلَهُ فِي الْقَاضِي الْإِيذَجِيِّ وَكَانَ الْتَمَسَ مِنْهُ عُكَّازَةً فَلَمْ يُعْطِهِ إِيَّاهَا :

إِسْمَعْ حَدِيثِي تَسْمَعْ قِصَّةً عَجَبًا
لَاشَيْءَ أَظْرَفُ مِنْهَا تَبْهَرُ الْقِصَصَا
طَلَبْتُ عُكَّازَةً لِلْوَحْلِ تَحْمِلُنِي
وَرُمْتُهَا عِنْدَ مَنْ يَخْبَأُ (٢) الْعَصَا فَعَصَا
وَكُنْتُ أَحْسِبُهُ يَهْوَى عَصَا عَصَبٍ
وَلَمْ أَكُنْ خِلْتُهُ صَبًّا بِكُلِّ عَصَا

---

(١) أي من خوف (٢) خبأ الشيء : ستره وأخفاه : وفلان يخبأ العصا : أي يوثق

وَلَهُ فِي قَصِيدَةٍ يَسْتَمِيحُ[1] الْمُهَلَّبِيَّ :

رَهَنْتُ ثِيَابِي وَحَالَ الْقَضَا[2]

ءُ دُونَ الْقَضَاءِ[3] وَصَدَّ الْقَدَرْ

وَهَذَا الشِّتَاءُ كَمَا قَدْ تَرَى

عَسُوفٌ[4] عَلَيَّ قَبِيحُ الْأَثَرْ

يُغَادِي[5] بِصِرٍّ[6] مِنَ الْعَاصِفَا

تِ أَوْ دَمَقٍ[7] مِثْلِ وَخْزِ الْإِبَرْ

وَسُكَّانُ دَارِكَ مِمَّنْ أَعُو

لُ[8] يَلْقَيْنَ مِنْ بَرْدِهِ كُلَّ شَرّْ

فَهَذِي تَحِنُّ وَهَذِي تَئِنُّ

وَأَدْمُعُ هَاتِيكَ تَجْرِي دُرَرْ

إِذَا مَا تَمَلْمَلْنَ تَحْتَ الظَّلَامِ

يُعَلِّلْنَ[9] مِنْكَ بِحُسْنِ النَّظَرْ

---

(١) استماحه : طلب نواله (٢) أي قضاء الله وحكمه (٣) أي الوفاء بالرهن
(٤) العسف : الجور والقسوة (٥) أي يأتي وقت الغدوة (٦) أي برد شديد
(٧) أي ريح وثلج معربة (٨) من عاله : قام بكفايته (٩) علله : صبره

وَلَاحَظْنَ رَيْعَكَ (١) كَالْمُمْحِلِي
ـنَ (٢) شَامُوا (٣) الْبُرُوقَ رَجَاءَ الْمَطَرْ
يُؤَمِّلْنَ عَوْدِي بِمَا يَنْتَظِرْنَ
كَمَا يُرْتَجَى آئِبٌ (٤) مِنْ سَفَرْ

﴿ ١٨ – عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ هِنْدُو * ﴾

على بن الحسين الكاتب

أَبُو الْفَرَجِ الْكَاتِبُ الْأَدِيبُ الْمُنْشِئُ الشَّاعِرُ . مِنَ الْبَرَاعَةِ ، وَمُسْتَخْذِي الْيَرَاعَةِ (٥) ، وَأَعْيَانِ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ ، لَهُ رَسَائِلُ مُدَوَّنَةٌ وَفَضَائِلُ مُتَعَيِّنَةٌ مُخْتَارَةٌ ، يُفَضِّلُهُ أَهْلُ بَلَدِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَقْرَانِهِ . قَالَ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ : كَانَ أَحَدَ كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ فِي دِيوَانِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ قَالَ : وَشَاهَدْتُ عِدَّةَ كُتُبٍ كَتَبَهَا عَنْهُ بِخَطِّهِ . وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْبَنْدَنِيجِيُّ (٦) الشَّاعِرُ : هُوَ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ قَالَ : وَشَاهَدْتُهُ بِجُرْجَانَ فِي سِنِي بِضْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ كَاتِبًا بِهَا ، وَأَنَّهُ مَشْهُورٌ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ بِجَوْدَةِ الشِّعْرِ وَكَثْرَةِ الْأَدَبِ وَالْفَضْلِ .

---

(١) الريع : الفضل (٢) أمحل : أجدب (٣) أى نظروه طمعا فى المطر
(٤) آب : رجع (٥) أى القلم (٦) وأصلها بندنيجين ، وهذه النسبة إليها
(*) راجع تاريخ دمشق ص ٥٤٦ مجلد ١١

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ الْهَرَوِىُّ : كَانَ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ هِنْدُو صَاحِبَ أُبُوَّةٍ[1] فِى بَلَدِهِ ، وَلِسَلَفِهِ نَبَاهَةٌ بِالنِّيَابَةِ وَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ هُنَاكَ ، وَكَانَ مُتَفَلْسِفًا قَرَأَ كُتُبَ الْأَوَائِلِ عَلَى أَبِى الْحَسَنِ الْوَائِلِىِّ بِنَيْسَابُورَ ، ثُمَّ عَلَى أَبِى الْخَيْرِ ابْنِ الْخَمَّارِ ، وَوَرَدَ بَغْدَادَ فِى أَيَّامِ أَبِى غَالِبِ بْنِ خَلَفٍ الْوَزِيرِ فَخْرِ الْمُلْكِ وَمَدَحَهُ وَاتَّفَقَ اجْتِمَاعِى مَعَهُ وَأُنْسِى بِهِ ، وَكَانَ يَلْبَسُ الدُّرَّاعَةَ عَلَى رَسْمِ الْكُتَّابِ ، وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ

لَا يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعُدُهُ
فَإِنَّ لِلْجَدِّ[2] تَدْرِيجًا وَتَرْتِيبَا

إِنَّ الْقَنَاةَ الَّتِى شَاهَدْتَ رِفْعَتَهَا
تَنْمِى وَتَنْبُتُ أُنْبُوبًا فَأُنْبُوبَا

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْبَنْدَنِيجِىُّ : سَمِعْتُهُ يُنْشِدُ لِنَفْسِهِ :

يَا سَيْفُ إِنْ تُدْرِكْ بِحَاشِيَةِ اللِّوَى
ثَارًا أَكُنْ لِمَدِيحِ طَبْعِكَ نَاظِمَا

---

(١) أى عريق الأسرة (٢) أى الحظ : يريد أن الحظ والسعد يتم لصاحبه تدريجا وأيد ذلك بالتمثيل فى البيت الثانى

أَجْعَلْ قِرَابَكَ (١) فِضَّةً مَسْبُوكَةً
وَأَصُغْ عَلَيْكَ مِنَ الزَّبَرْجَدِ قَائِمَا (٢)

مَا أَرْضَعَتْكَ صِيَاقِلِي (٣) مَاءَ الرَّدَى
إِلَّا لِتُرْضِعَنِي الدِّمَاءَ سَوَاجِمَا (٤)

قَالَ : وَحَضَرْتُ مَعَهُ فِي مَجْلِسِ أَبِي غَانِمٍ الْقَصْرِيِّ النَّاظِرِ ، — كَانَ فِي الدَّوَاوِينِ بِجُرْجَانَ عَلَى الْبَرِيدِ — فَعَمِلَ بَدِيهًا مَادَفَعَهُ إِلَى الْمُغَنِّي فَغَنَّى بِهِ :

يَاهَاجِرًا لِي بِغَيْرِ جُرْمٍ (٥)
مُسْتَبْدِلَ الْوَصْلِ بِالصُّدُودِ

أَضْنَيْتَ جِسْمِي فَلَمْ تُغَادِرْ مِنِّي دَلِيلًا عَلَى الْوُجُودِ (٦)

وَلَهُ أَيْضًا :

كُلُّ مَالِي فَهُوَ رَهْنٌ مَالَهُ
مِنْ فَكَاكٍ فِي مَسَاءٍ وَابْتِكَارْ

---

(١) قراب السيف : غمده (٢) وقائمه : مقبضه ، والزبرجد : حجر كريم (٣) الصيقل : الذي يجلو السيوف ويشحذها (٤) سجم الدمع والدم : أساله فالدم ساجم ، أي مسجوم (٥) الجرم : الذنب ويلاحظ أن الأصل دخول الباء على المتروك وهو الوصل لا الصدود (٦) معنى بديع ، وغلو حسن ، سوى أن الأسلوب علمي « عبد الخالق »

فَفُؤَادِي أَبَدًا رَهْنُ هَوًى
وَرِدَائِي أَبَدًا رَهْنُ عُقَارْ(١)

فَدَعِ التَّفْنِيدَ(٢) يَا صَاحِ لَنَا
إِنَّمَا الرِّبْحُ لِأَصْحَابِ الْخَسَارْ

لَوْ تَرَى ثَوْبِيَ مَصْبُوغًا بِهَا
قُلْتُ ذِمِّيٌّ(٣) تَبَدَّى فِي غِيَارْ(٤)

وَلَقَدْ أَمْرَحُ فِي شَرْخِ(٥) الصِّبَا
مَرَحَ الْمُهْرَةِ فِي ثِنْيِ الْعِذَارْ(٦)

وَلَهُ أَيْضًا :

ضِعْتُ بِأَهْلِ الرَّيِّ فِي أَهْلِهَا
ضَيَاعَ حَرْفِ الرَّاءِ فِي اللُّثْغَةْ

صِرْتُ بِهَا بَعْدَ بُلُوغِ الْمُنَى
أَحْمَدُ أَنْ تَبْلُغَ بِي الْبُلْغَةْ

---

(١) العقار : الخمر (٢) فند رأيه : خطأه فيه ، والمراد اللوم والتعنيف
(٣) أى نصرانى (٤) الغيار لأهل الذمة كالزنار (٥) أى مقتبل العمر
(٦) العذار من اللجام : جانباه . وهو ما سال على خد الفرس جمعه عذر

وَلَهُ أَيْضاً :

إِذَا مَا عَقَدْنَا نِعْمَةً عِنْدَ جَاحِدٍ
وَلَمْ نَرَهُ إِلَّا جُمُوحاً عَنِ الشُّكْرِ
رَجَعْنَا فَعَفَّيْنَا الْجَمِيلَ بِضِدِّهِ
كَذَاكَ يُجَازَى صَاحِبُ الشَّرِّ بِالشَّرِّ

هَذَا عَكْسُ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ .

أَحْسِنْ إِلَيْهِ إِذَا أَسَاءَ فَأَنْتَ
مِنْ ذِي الْجَلَالِ بِمَسْمَعٍ وَبِمَنْظَرِ

وَلَهُ أَيْضاً :

وَكَافِرٍ بِالْمَعَادِ أَمْسَى يَخْلُبُنِي[1] ، قَوْلُهُ الْخَلُوبُ
قَالَ اغْتَنِمْ لَذَّةَ اللَّيَالِي وَعَدِّ عَنْ آجِلٍ يَرِيبُ
ضَلَّ هُدَاهُ وَجَاءَ يَهْدِي طِبَّ[2] لِعَيْنَيْكَ يَا طَبِيبُ
أَأَخْطَأَ الْعَالَمُونَ طُرّاً وَأَنْتَ مِنْ بَيْنِهِمْ مُصِيبُ؟

---

(١) يخلبنى : يخدعنى ويختلنى (٢) أى داو نفسك أيها الطبيب : مثل لمن يرشد غيره وهو فى حاجة إلى الارشاد

وَلَهُ أَيْضاً :

كَذَا بِكَ كُلٌّ لَا يَرَى غَيْرَ نَفْسِهِ
فَعِشْ وَاحِداً وَاضْرِبْهُمُ بِفِرَاقِ
زَمَانٌ تَجَافَى أَهْلُهُ فَكَأَنَّهُمْ
سِيَاةُ[١] قِسِيٍّ مَا لَهُنَّ تَلَاقِ

وَلَهُ أَيْضاً :

تَعَانَقْنَا لِتَوْدِيعٍ عِشَاءً
وَقَدْ شَرِقَتْ بِمَدْمَعِهَا الْحِدَاقُ
وَضَيَّقْنَا الْعِنَاقَ لِفَرْطِ شَوْقٍ
فَمَا نَدْرِي عِنَاقٌ أَمْ خِنَاقُ ؟

وَتَحَدَّثَ أَبُو الْفَضْلِ الْبَنْدَنِيجِيُّ الشَّاعِرُ قَالَ : كَانَ بِابْنِ هِنْدُو ضَرْبٌ مِنَ السَّوْدَاءِ ، وَكَانَ قَلِيلَ الْقُدْرَةِ عَلَى شُرْبِ النَّبِيذِ لِأَجْلِ ذَلِكَ ، وَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَانَ يَوْماً عِنْدَ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ حَمْدٍ كَاتِبِ قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيرَ وَأَنَا مَعَهُ عَلَى عَادَةٍ كَانَتْ لَنَا فِي الِاجْتِمَاعِ ، فَدَخَلَ أَبُو عَلِيٍّ

---

(١) جمع سية : وسية القوس : ما عطف من طرفيها ولها سيتان . وفي السية الكظر محز القوس تقع فيه حلقة الوتر

إِلَى الْمَوْضِعِ وَنَظَرَ إِلَى مَا كَانَ بِأَيْدِينَا مِنَ الْكُتُبِ وَتَنَاشَدَ هُوَ وَابْنُ هِنْدُو الشِّعْرَ، وَحَضَرَ الطَّعَامُ فَأَكَلْنَا وَانْتَقَلْنَا إِلَى مَجْلِسِ الشَّرَابِ، وَلَمْ يُطِقِ ابْنُ هِنْدُو الْمُسَاعَدَةَ عَلَى ذَلِكَ، فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ كَتَبَهَا إِلَيْهِ :

قَدْ كَفَانِي مِنَ الْمُدَامِ شَمِيمُ
صَالَحَتْنِي النُّهَى (١) وَثَابَ الْغَرِيمُ
هِيَ جُهْدُ (٢) الْعُقُولِ سُمِّيَ رَاحاً
مِثْلُ مَا قِيلَ لِلَّدِيغِ سَلِيمُ
إِنْ تَكُنْ جَنَّةَ النَّعِيمِ فَفِيهَا
مِنْ أَذَى السُّكْرِ وَالْخُمَارِ (٣) جَحِيمُ

فَلَمَّا قَرَأَهَا ضَحِكَ وَأَعْفَاهُ مِنَ الشُّرْبِ . وَأَنْشَدَ أَبُو الْفَضْلِ لَهُ :

قَالُوا اشْتَغِلْ عَنْهُمُ يَوْماً بِغَيْرِهِمُ
وَخَادِعِ النَّفْسَ إِنَّ النَّفْسَ تَنْخَدِعُ

---

(١) جمع نهية : العقل ، سمي به لأنه ينهى عن القبيح وعن كل ما ينافيه .
(٢) أي مجهدة العقل ومتعبته ، سميت راحا من باب تسمية الأضداد
(٣) ما يعانيه المخمور من صداع الخمر وأذاها

قَدْ صِيغَ قَلْبِي عَلَى مِقْدَارِ حُبِّهِمُ
فَمَا لِحُبٍّ سِوَاهُمْ فِيهِ مُتَّسَعُ

وَحَدَّثَ أَبُو الفَضْلِ الْبَنْدَنِيجِيُّ قَالَ: أَنْشَدْتُ يَوْماً أَبَا الْفَتْحِ بْنَ أَبِي عَلِيٍّ حَمْدٍ قَوْلَ ابْنِ الْمُعْتَزِّ:

سَعَى إِلَى الدَّنِّ بِالْمِبْزَالِ[1] يَبْقُرُهُ
سَاقٍ تَوَشَّحَ بِالْمِنْدِيلِ حِينَ وَثَبْ
لَمَّا وَجَاهَا[2] بَدَتْ صَهْبَاءَ صَافِيَةً
كَأَنَّمَا قَدَّ سَيْراً مِنْ أَدِيمِ ذَهَبْ

وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ سُكَّرَةَ:

ثُمَّ وَجَاهَا بِشَبَا[3] مِبْزَلٍ فَاسْتَلَّ مِنْهَا وَتَراً مُذْهَبَا

فَقَالَ: قَوْلُ ابْنِ هِنْدُو أَحْسَنُ:

وَسَاقٍ تَقَلَّدَ لَمَّا أَتَى
حَمَائِلَ زِقٍّ مَلَاهُ شَمُولَا[4]
فَلِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ فَارِسٍ
تَقَلَّدَ سَيْفاً يَقُدُّ الْعُقُولَا

---

(١) المبزال: حديدة يثقب بها (٢) وجأها: شقها (٣) شبا الحد: سنه
(٤) اسم من أسماء الخمر

قَالَ : فَجَاذَبْتُ (١) ٱبْنَ هِنْدُو مِنْ بَعْدُ وَقَدِ ٱجْتَمَعْتُ مَعَهُ الْأَبْيَاتَ وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ قَوْلَكَ « تَمَائِلَ الزِّقِّ » فِيهِ بَشَاعَةٌ ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَداً تَقَلَّدَ زِقًّا فَقَالَ : أَهْلُ الْعِرَاقِ يَعْرِفُونَ الْكَلَامَ وَنَحْنُ نُورِدُهُ عَلَى أَصْلِهِ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْفَضْلِ الْبَنْدَنِيجِيُّ قَالَ : كَانَ ٱبْنُ هِنْدُو يَشْرَبُ يَوْماً عِنْدَ أَبِي غَانِمٍ الْقَصْرِيِّ وَٱقْتَصَرَ عَلَى أَقْدَاحٍ يَسِيرَةٍ ثُمَّ أَمْسَكَ ، فَسَأَلَهُ الزِّيَادَةَ فَلَمْ يَفْعَلْ وَقَالَ :

أَرَى الْخَمْرَ نَاراً وَالنُّفُوسَ جَوَاهِراً

فَإِنْ شُرِبَتْ أَبْدَتْ طِبَاعَ الْجَوَاهِرِ (٢)

فَلَا تَفْضَحَنَّ النَّفْسَ يَوْماً بِشُرْبِهَا

إِذَا لَمْ تَثِقْ مِنْهَا بِحُسْنِ السَّرَائِرِ

وَلَهُ أَيْضاً :

تَعَرَّضُ (٣) لِي الدُّنْيَا بِلَذَّةِ مَطْعَمٍ

وَزُخْرُفِ مَوْشِيٍّ مِنَ اللُّبْسِ رَائِقِ

---

(١) كانت فى الأصل « بجاريت » (٢) ولعل ما فى النفوس لا يروق الناس فيكون الذم وما شاكله (٣) كانت فى الاصل « تعرضت للدنيا »

أَرَادَتْ سِفَاهًا أَنْ تُمَوِّهَ قُبْحَهَا

عَلَى فِكَرٍ خَاضَتْ بِحَارَ الدَّقَائِقِ

فَلَا تَخْدَعِينَا بِالسَّرَابِ فَإِنَّنَا

قَتَلْنَا نُهَانَا[1] فِي طِلَابِ الْحَقَائِقِ

وَحَدَّثَ الْبَنْدَنِيجِيُّ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَظُنُّونَ بِمَنُوجِهْرَ ابْنِ قَابُوسَ مَا كَانَ فِي أَبِيهِ مِنَ الْأَدَبِ وَالْفَضْلِ وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، فَلَمَّا انْتَقَلَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ قُصِدَ بِمَا يُقْصَدُ بِهِ مِثْلُهُ، وَكَانَ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَلَا يَتَقَبَّلُ مَا يُمْدَحُ بِهِ، وَلَا يَهَشُّ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ لِتَبَاعُدِهِ عَنْهُ، وَكَانَ مَعَ هَذِهِ الْحَالَةِ فَرُوقَةً[2] قَلِيلَ الْبَطْشِ، فَمَدَحَهُ ابْنُ هِنْدُو بِقَصِيدَةٍ وَتَأَنَّقَ[3] فِيهَا، وَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا فَلَمْ يَفْهَمْهَا وَلَمْ يُثِبْهُ عَلَيْهَا فَقَالَ:

يَا وَيْحَ فَضْلِي أَمَا فِي النَّاسِ مِنْ رَجُلٍ

يَحْنُو عَلَيَّ أَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَلِكِ؟؟

---

(١) جمع نهية: وهي العقل (٢) أي جباناً من الفرق: وهو الخوف تاؤه للمبالغة

(٣) أي أجادها

لَأُكْرِمَنَّكَ يَا فَضْلِى بِتَرْكِهِمُ
وَأَسْتَهِينَنَّ بِالْأَيَّامِ وَالْفَلَكِ

فَقِيلَ لِمَنُوجِهْرَ : إِنَّهُ قَدْ هَجَاكَ ، لِأَنَّ لَقَبَهُ كَانَ فَلَكَ الْمَعَالِى ، فَطَلَبَهُ لِيَقْتُلَهُ فَهَرَبَ إِلَى نَيْسَابُورَ وَانْفَلَتَ مِنْهُ . وَلَهُ :

حَلَتْ وَقَارِى فِى شَادِنٍ
عُيُونُ الْأَنَامِ بِهِ تَعْقِدُ
غَدَا وَجْهُهُ كَعْبَةً لِلْجَمَالِ
وَلِى قَلْبُهُ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ

﴿ ١٩ – عَلِىُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى * ﴾

على بن الحسين

ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِىِّ بْنِ الْحُسَيْنِ

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ص ٥٤٨ بما يأتى قال :
هو ذو المجدين ، وكانت إليه نقابة الطالبيين . وكان شاعرا كثير الشعر ، يعرف النحو واللغة له تصانيف فى علم الكلام على مذهب الشيعة . روى عن جماعة من النحاة العلماء وروى عنه ، وكتابه المسمى بالغرر والدرر — وهي مجالس أملاها تشتمل على فنون من معانى الأدب . تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك — كتاب ممتع يدل على فضل كثير وتوسع فى الاطلاع على العلوم ، وشعره عدة مجلدات
وترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ٣٣٥

ابْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، نَقِيبُ الْعَلَوِيِّينَ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُلَقَّبُ بِالْمُرْتَضَى ، عَلَمُ الْهُدَى ، السَّيِّدُ الْمَشْهُورُ بِالْعِلْمِ ، الْمَعْرُوفُ بِالْفَهْمِ ، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَاتَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ أَخِيهِ الرَّضِيِّ .

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ : تَوَحَّدَ الْمُرْتَضَى فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ ، مُجْمَعٌ عَلَى فَضْلِهِ ، مُقَدَّمٌ فِي الْعُلُومِ مِثْلِ عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْفِقْهِ ، وَأُصُولِ الْفِقْهِ ، وَالْأَدَبِ ، وَالنَّحْوِ ، وَالشِّعْرِ ، وَمَعَانِي الشِّعْرِ وَاللُّغَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ يَزِيدُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ بَيْتٍ ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ وَمَسَائِلِ الْبُلْدَانِ شَيْءٌ كَثِيرٌ يَشْتَمِلُ عَلَى ذَلِكَ فِهْرِسْتُهُ غَيْرَ أَنِّي أَذْكُرُ أَعْيَانَ كُتُبِهِ وَكِبَارَهَا مِنْهَا : كِتَابُ الشَّافِي فِي الْإِمَامَةِ ، كِتَابُ الْمُغْنِي لِعَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ وَهُوَ كِتَابٌ لَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُهُ فِي الْإِمَامَةِ ، كِتَابُ الْمُلَخَّصِ فِي الْأُصُولِ لَمْ يُتِمَّهُ ، كِتَابُ الذَّخِيرَةِ فِي الْأُصُولِ تَامٌّ ، وَكِتَابُ جُمَلِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ تَامٌّ ، وَكِتَابُ الْغُرَرِ ، وَكِتَابُ التَّنْزِيهِ ، وَكِتَابُ

الْمَسَائِلِ الْمَوْصِلِيَّةِ الْأُولَى ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الْمَوْصِلِيَّةِ الثَّانِيَةِ ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الْمَوْصِلِيَّةِ الثَّالِثَةِ ، وَكِتَابُ الْمُقْنِعِ فِي الْغَيْبَةِ ، وَكِتَابُ مَسَائِلِ الْخِلَافِ فِي الْفِقْهِ لَمْ يَتِمَّ ، كِتَابُ الانْتِصَارِ فِيمَا انْفَرَدَتْ بِهِ الْإِمَامِيَّةُ ، كِتَابُ مَسَائِلَ مُفْرَدَاتٍ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ ، كِتَابُ الْمِصْبَاحِ فِي الْفِقْهِ لَمْ يَتِمَّ ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الطَّرَابُلُسِيَّةِ الْأُولَى ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الطَّرَابُلُسِيَّةِ الْأَخِيرَةِ ، وَكِتَابُ مَسَائِلِ أَهْلِ مِصْرَ الْأُولَى ، وَكِتَابُ مَسَائِلِهِمِ الْأَخِيرَةِ . وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الْحَلَبِيَّةِ الْأُولَى ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الْحَلَبِيَّةِ الْأَخِيرَةِ ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ النَّاصِرِيَّةِ فِي الْفِقْهِ ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الْجُرْجَانِيَّةِ ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الطُّوسِيَّةِ لَمْ يَتِمَّ ، وَكِتَابُ الْبَرْقِ ، وَكِتَابُ طَيْفِ الْخَيَالِ ، وَكِتَابُ الشَّيْبِ وَالشَّبَابِ ، كِتَابُ تَتَبُّعِ أَبْيَاتِ الْمَعَانِي لِلْمُتَنَبِّي الَّتِي تَكَلَّمَ عَلَيْهَا ابْنُ جِنِّيٍّ ، وَكِتَابُ النَّقْضِ عَلَى ابْنِ جِنِّيٍّ فِي الْحِكَايَةِ وَالْمَحْكِيِّ (١) ، وَكِتَابُ نَصِّ الرِّوَايَةِ وَإِبْطَالِ الْقَوْلِ

(١) باب من أبواب علم النحو ومسائله .

بِالْعَدَدِ ، وَكِتَابُ الذَّرِيعَةِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ ، وَكِتَابُ تَفْسِيرِ قَصِيدَةِ السَّيِّدِ ، وَلَهُ مَسَائِلُ مُفْرَدَاتٌ نَحْوُ مِائَةِ مَسْأَلَةٍ فِي فُنُونٍ شَتَّى ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الصَّيْدَاوِيَّةِ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ : قَرَأْتُ أَكْثَرَ هَذِهِ الْكُتُبِ عَلَيْهِ وَسَمِعْتُ سَائِرَهَا . وَمِنْ شِعْرِهِ الْمَذْكُورِ فِي تَتِمَّةِ الْيَتِيمَةِ :

يَاخَلِيلَيَّ مِنْ ذُؤَابَةِ بَكْرٍ
فِي التَّصَابِي رِيَاضَةُ الْأَخْلَاقِ
غَنِّيَانِي بِذِكْرِهِمْ تُطْرِبَانِي
وَاسْقِيَانِي دَمْعِي بِكَأْسٍ دِهَاقِ[1]
وَخُذَا النَّوْمَ عَنْ جُفُونِي فَإِنِّي
قَدْ خَلَعْتُ الْكَرَى[2] عَلَى الْعُشَّاقِ

وَلَهُ فِي ذَمِّ الْمَشِيبِ :

يَقُولُونَ لَاتَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ ضَلَّةً[3]
وَأَسْهُمُهُ إِيَّايَ دُونَهُمُ تُصْمِي[4]

---

(١) أى مملوءة (٢) الكرى : النوم (٣) تجعل ضلة صفة لقول محذوف ، أى قولا ضلة ، أو أن المعنى : دعاء ، أى ضلوا ضلة فى نهيهم (٤) أصماه بالسهم : قتله

وَمَا سَرَّنِي حِلْمٌ يَفِيءُ إِلَى الرَّدَى
كَفَانِيَ مَاقَبْلَ (١) الْمَشِيبِ مِنَ الْحِلْمِ

إِذَا كَانَ مَايُعْطِينِي الْحَزْمُ سَالِباً
حَيَاتِي فَقُلْ لِي كَيْفَ يَنْفَعُنِي حَزْمِي ؟

وَقَدْ جَرَّبَتْ نَفْسِي الْغَدَاةَ وَقَارَهُ
فَمَا شَدَّ مِنْ وَهْنِي وَلَا سَدَّ مِنْ ثَلْمِي

وَإِنِّي مُذْ أَضْحَى عِذَارِي قَرَارَهُ (٢)
أُعَادُ بِلَا سُقْمٍ وَأُجْفَى بِلَا جُرْمِ

وَلَهُ فِي مَرْثِيَةٍ :

كَمْ ذَا تَطِيشُ سِهَامُ الْمَوْتِ مُخْطِئَةً
عَنِّي وَتُصْمِي أَخِلَّائِي وَإِخْوَانِي

وَلَوْ فَطِنْتُ وَقَدْ أَرْدَى الزَّمَانُ أَخِي
عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي أَصْمَاهُ أَصْمَانِي

سُودٌ وَبِيضٌ مِنَ الْأَيَّامِ لَوْنُهُمَا
لَا يَسْتَحِيلُ (٣) وَقَدْ بَدَّلْنَ أَلْوَانِي

---

(١) أى حسبى من الحلم القدر الذى عندى قبل المشيب ، ويفىء بمعنى يرجع

(٢) أى مستقرة وهو نصب على الظرفية المكانية متعلقه خبر أضحى .

(٣) لايتغير : فالنهار مضىء أبدا والليل مظلم أبدا .

هَيْهَاتَ : حُكْمٌ فِينَا أَزْلَمُ[١] جَذَعُ
يُفْنِي الْوَرَى بَيْنَ جُذْعَانٍ[٢] وَقُرْحَانِ[٣]

ذَكَرَ غَرْسُ النِّعْمَةِ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّابِئُ فِي كِتَابِ الْهَفَوَاتِ قَالَ : اجْتَازَ الْمُرْتَضَى أَبُو الْقَاسِمِ يَوْمَ جُمُعَةٍ عَلَى بَابِ جَامِعِ الْمَنْصُورِ بِحَيْثُ يُبَاعُ الْغَنَمُ ، فَسَمِعَ الْمُنَادِيَ يَقُولُ : نَبِيعُ هَذَا التَّيْسَ الْعَلَوِيَّ بِدِينَارٍ ، فَظَنَّ أَنَّهُ قَصَدَهُ بِذَلِكَ ، فَعَادَ إِلَى دَارِهِ وَتَأَلَّمَ إِلَى الْوَزِيرِ مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ ، فَكَشَفَ فَوَجَدَ أَنَّ التَّيْسَ إِذَا كَانَ فِي رَقَبَتِهِ حَلَمَتَانِ مُتَدَلِّيَتَانِ سُمِّيَ عَلَوِيًّا تَشْبِيهًا بِضَفِيرَتَيِ الْعَلَوِيِّ الْمُسْبَلَتَيْنِ عَلَى رَقَبَتِهِ .

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الْحَافِظِ الْإِمَامِ أَبِي نَصْرٍ عَبْدِ الرَّحِيمِ ابْنِ النَّفِيسِ بْنِ وَهْبَانَ — وَفَّقَهُ اللَّهُ — قَالَ : نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ السَّمْعَانِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ — قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ الْمُبَارَكَ بْنَ عَبْدِ الْجَبَّارِ

(١) يقال للدهر الشديد الكثير البلايا « الأزلم الجزع » : أي الحدث الذي لا يهرم
(٢) جمع جذع : الشباب الحدث (٣) القارح من ذي الحافر : ما شق نابه، والمراد أن الدهر يفني الورى من صغار وكبار ، شباب وشيب .

الصَّيْرَفِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ بُرْهَانَ يَقُولُ : دَخَلْتُ عَلَى الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى أَبِي الْقَاسِمِ الْعَلَوِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ، فَإِذَا قَدْ حَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَلِيَا فَعَدَلَا ، وَاسْتُرْحِمَا فَرَحِمَا ، فَأَنَا أَقُولُ : ارْتَدَّا بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَا ، قَالَ : فَقُمْتُ وَخَرَجْتُ فَمَا بَلَغْتُ عَتَبَةَ الْبَابِ حَتَّى سَمِعْتُ الزَّعْقَةَ عَلَيْهِ ، وَمِنْ شِعْرِهِ مَا نَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّ تَاجِ الْإِسْلَامِ فِي الْمُذَيَّلِ :

وَزَارَتْ وِسَادِي فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ[1] ... أَرَاهَا الْكَرَى عَيْنِي وَلَسْتُ أَرَاهَا

تُمَانِعُ صُبْحًا أَنْ أَرَاهَا بِنَاظِرِي ... وَتَبْذُلُ جُنْحًا[2] أَنْ أُقَبِّلَ فَاهَا

وَلَمَّا سَرَتْ لَمْ تَخْشَ وَهْنًا ضَلَالَةً ... وَلَا عَرَفَ الْعُذَّالُ كَيْفَ سُرَاهَا

فَمَاذَا الَّذِي مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ أَتَى بِهَا ... وَمَنْ ذَا عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ هَدَاهَا ؟؟

(١) الخريدة : الحيية التي يمنعها الحياء من الكلام (٢) أي تحضره بطيفها لا بجسمها ، فالمراد جنح الليل

وَقَالُوا عَسَاهَا بَعْدَ زَوْرَةِ بَاطِلٍ
تَزُورُ بِلَا رَيْبٍ فَقُلْتُ عَسَاهَا

وَأَنْشَدَ لَهُ فِيهِ .

وَطَرَقْنَنِي وَهْناً بِأَجْوَازِ الْفَلَا
وَطُرُوقُهُنَّ عَلَى الْفَلَا تَخْيِيلُ(١)
فِي لَيْلَةٍ وَافَى بِهَا مُتَمَنِّعٌ
وَدَنَتْ بَعِيدَاتٌ وَجَادَ بَخِيلُ
يَا لَيْتَ زَائِرَنَا بِفَاحِمَةِ الدُّجَى
لَمْ يَأْتِ إِلَّا وَالصَّبَاحُ رَسُولُ
فَقَلِيلُهُ وَضَحَ الضُّحَى مُسْتَكْثَرٌ
وَكَثِيرُهُ غَبَشَ(٢) الظَّلَامِ قَلِيلُ
مَا عَابَهُ — وَبِهِ السُّرُورُ — زَوَالُهُ
فَجَمِيعُ مَا سَرَّ الْقُلُوبَ يَزُولُ

وَمِنْ خُطَبِهِ : سَمِعْتُ أَبَا الْعَلَاءِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ

---

(١) يريد أن ذلك الطروق كان بطيف الخيال فهو لذلك يقول : ليت هذا فى وضح الصباح لأنه لا يكون طيفا (٢) الغبش : حلكة الظلام ، ووضح وغبش ظرفان « عبد الخالق »

الْفَضْلِ الْحَافِظَ بِأَصْبَهَانَ يَقُولُ : ذَكَرَ شَيْخُنَا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ الْحَافِظُ ، وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ . سَمِعْتُ الْكِيَا[1] أَبَا الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنَ الْحُسَيْنِ الْعَلَوِيَّ الزَّيْدِيَّ وَكَانَ مِنْ نُبَلَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمِنَ الْمَحْمُودِينَ فِي صِنَاعَةِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ يَقُولُ : وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ وَإِلَى الْمُرْتَضَى وَلَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ ، الْمُرْتَضَى يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْلَاكِهِ كُلَّ سَنَةٍ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَنَا آكُلُ مِنْ طَاحُونَةٍ لِأُخْتِي لَيْسَ لِي مَعِيشَةٌ غَيْرُهَا .

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْمَقْدِسِيُّ ، وَذُكِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمًا الْإِمَامِيَّةُ فَذَكَرَهُمْ بِأَقْبَحِ ذِكْرٍ وَقَالَ : لَوْ كَانُوا مِنَ الدَّوَابِّ لَكَانُوا الْحَمِيرَ ، وَلَوْ كَانُوا مِنَ الطُّيُورِ لَكَانُوا الرَّخَمَ[2] وَأَطْنَبَ فِي ذَمِّهِمْ ، وَبَعْدَ مُدَّةٍ دَخَلْتُ عَلَى الْمُرْتَضَى وَجَرَى

(١) كلمة أعجمية ومعناها العظيم القدر المقدم (٢) مفرده رخمة : والرخمة : طائر أبقع على شكل النسر خلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض . وفى حديث الشعبى وذكر الرافضة فقال : لو كانوا من الطيور لكانوا رخما وهو موصوف بالغدر وقيل موصوف بالقذر ، ومنه قولهم رخم السقاء : إذا أنتن

ذِكْرُ الزَّيْدِيَّةِ وَالصَّالِحِيَّةِ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَالَ يَا أَبَا الْفَضْلِ: تَقُولُ أَيُّهُمَا خَيْرٌ وَلَا تَقُولُ أَيُّهُمَا شَرٌّ، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ إِمَامَيِ الشِّيعَةِ فِي وَقْتِهِمَا وَمِنْ قَوْلِ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي مَذْهَبِ الْآخَرِ فَقُلْتُ: قَدْ كُفِيَ أَهْلُ السُّنَّةِ الْوَقِيعَةَ فِيكُمَا. قَرَأْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْخَشَّابِ:

حَدَّثَنِي الشَّيْخُ الصَّالِحُ أَبُو صَالِحٍ قِرْطَاسُ بْنُ الطَّنْطَاشِ الظَّفَرِيُّ الصُّوفِيُّ التُّرْكِيُّ مِنْ لَفْظِهِ قَالَ:

سَمِعْتُ أَبَا الرَّمْلِيِّ يَقُولُ وَكَانَ مُسِنًّا: حَضَرْتُ مَجْلِسَ أَبِي الْقَاسِمِ الْمُرْتَضَى وَأَنَا إِذْ ذَاكَ صَبِيٌّ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَكَابِرِ الدَّيْلَمِ فَتَزَحْزَحَ لَهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ مُسَائِلًا فَسَارَّهُ الدَّيْلَمِيُّ بِشَيْءٍ لَمْ نَعْلَمْ مَا هُوَ؟ فَقَالَ مُتَضَجِّرًا نَعَمْ: وَأَخَذَ مَعَهُ فِي كَلَامٍ كَأَنَّهُ يُدَافِعُهُ، فَنَهَضَ الدَّيْلَمِيُّ فَقَالَ الْمُرْتَضَى بَعْدَ نُهُوضِهِ: هَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ مِنَّا أَنْ نُزِيلَ الْجِبَالَ بِالرِّيشِ، وَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ فِي مَجْلِسِهِ فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا قَالَ هَذَا الدَّيْلَمِيُّ؟ فَقَالُوا لَا يَاسَيِّدِي، فَقَالَ:

قَالَ : بَيِّنْ لِي هَلْ صَحَّ إِسْلَامُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ؟ قُلْتُ أَنَا : — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[1] — ، قَرَأْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْحَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ بِخَطِّهِ

حَدَّثَنِي الْفَصِيحِيُّ النَّحْوِيُّ قَالَ : أَطْلَعَ الْمُرْتَضَى مِنْ رَوْشَنِهِ[2] فَرَأَى الْمُطَرِّزَ الشَّاعِرَ وَقَدِ انْقَطَعَ شِرَاكُ نَعْلِهِ وَهُوَ يُصْلِحُهُ فَقَالَ لَهُ : فَدَيْتُ رَكَائِبَكَ وَأَشَارَ إِلَى قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

سَرَى مُغْرَمًا بِالْعَيْشِ يَنْتَجِعُ الرَّكْبَا
يُسَائِلُ عَنْ بَدْرِ الدُّجَى الشَّرْقَ وَالْغَرْبَا

عَلَى عَذَبَاتِ الْجِزْعِ مِنْ مَاءِ تَغْلِبٍ
غَزَالٌ يَرَى مَاءَ الْقُلُوبِ لَهُ شِرْبَا

إِلَى قَوْلِهِ :

إِذَا لَمْ تُبَلِّغْنِي إِلَيْكُمْ رَكَائِبِي
فَلَا وَرَدَتْ مَاءً وَلَا رَعَتِ الْعُشْبَا

---

(١) ليس هذا القول موفقا مع قوله : يريدون منا أن نزيل الجبال بالريش فالسيد لم يفصح (٢) الروشن : الكوة « عبد الخالق »

فَقَالَ مُسْرِعًا : أَتُرَاهَا مَا تُشْبِهُ مَجْلِسَكَ وَخِلَعَكَ وَشُرْبَكَ ؟

أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَبْيَاتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

يَا خَلِيلَيَّ مِنَ ذُؤَابَةِ قَيْسٍ (١)

مَذْكُورَةٌ فِي أَوَّلِ تَرْجَمَتِهِ قَبْلُ ، وَأَنَّهُ لَمَّا خَلَعَ وَهَبَ النَّوْمَ . وَلِلْمُرْتَضَى :

تَجَافَ عَنِ الْأَعْدَاءِ بَغْيًا فَرُبَّمَا
كُفِيتَ فَلَمْ تَجْرَحْ بِنَابٍ وَلَا ظُفْرِ

وَلَا تَبْرِ مِنْهُمْ كُلَّ عُودٍ تَخَافُهُ
فَإِنَّ الْأَعَادِي يَنْبُتُونَ مَعَ الدَّهْرِ

﴿ ٢٠ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَبْسِيُّ * ﴾

على بن الحسين العبسى

يُعْرَفُ بِابْنِ كَوْجَكَ الْوَرَّاقُ ، كَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا يُوَرِّقُ ، سَمِعَ بِمِصْرَ مِنْ أَبِي مُسْلِمٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ كَاتِبِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حِنْزَابَةَ الْوَزِيرِ . صَنَّفَ كُتُبًا مِنْهَا : كِتَابُ الطُّنْبُورِيِّينَ ،

(١) تنبيه : المطلع الذى تقدم : يا خليلى من ذؤابة بكر

(*) راجع كتاب طبقات فقهاء النحويين ص ١٩٥

كِتَابُ أَعَزُّ الْمَطَالِبِ إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ فِي الزُّهْدِ كَتَبَ بِهِ إِلَى الشَّابُشْتِي صَاحِبِ كِتَابِ الدِّيَارَاتِ ، وَمَاتَ فِي أَيَّامِ الْحَاكِمِ فَرَأَيْتُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ، وَكَانَ بِالشَّامِ وَالسَّاحِلِ ، وَمَدَحَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ لَمَّا فَتَحَ الْحَدَثَ فَقَالَ :

رَامَ هَدْمَ الْإِسْلَامِ بِالْحَدَثِ الْمُؤْ
ذِنِ بُنْيَانُهَا بِهَدْمِ الضَّلَالِ

نَكَلَتْ عَنْكَ مِنْهُ نَفْسُ ضَعِيفٍ
سَلَبَتْهُ الْقُوَى رُءُوسُ الْعَوَالِي

فَتَوَقَّى الْحِمَامَ بِالنَّفْسِ وَالْمَا
لِ وَبَاعَ الْمُقَامَ بِالِارْتِحَالِ

تَرَكَ الطَّيْرَ وَالْوُحُوشَ سِغَابًا
بَيْنَ تِلْكَ السُّهُولِ وَالْأَجْبَالِ (١)

وَلَكَمْ وَقْعَةٍ قَرَيْتَ عُفَاةَ الطَّيْـ
ـرِ فِيهَا جَمَاجِمَ الْأَبْطَالِ

---

(١) يريد أنه هرب منك ومن معه ، فلم تشبع الطيور وسغبت مع أنك تجعل جماجم الأبطال قرى لها في كل وقعة . « عبد الخالق »

وَكَانَ أَبُوهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشِّعْرِ .

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الدِّمَشْقِيُّ : الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ كَوْجَكَ أَبُو الْقَاسِمِ الْكَوْجَكِيُّ حَدَّثَ بِطَرَابُلُسَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ كَاتِبِ حَسْنُونَ الْمِصْرِيِّ ، وَعَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمُنْتَابِ الْعِرَاقِيِّ . كَتَبَ عَنْهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ وَأَنْشَدَ لَهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

وَمَا ذَاتُ بَعْلٍ مَاتَ عَنْهَا فُجَاءَةً
وَقَدْ وَجَدَتْ حَمْلًا دُوَيْنَ التَّرَائِبِ

بِأَرْضٍ نَأَتْ عَنْ وَالِدَيْهَا كِلَيْهِمَا
تَعَاوَرَهَا الْوُرَّاثُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

فَلَمَّا اسْتَبَانَ الْحَمْلُ مِنْهَا تَنَهْنَهُوا
قَلِيلًا وَقَدْ دَبُّوا دَبِيبَ الْعَقَارِبِ

فَجَاءَتْ بِمَوْلُودٍ غُلَامٍ فَحَوَّزَتْ
تُرَاثَ أَبِيهِ الْمَيْتِ دُونَ الْأَقَارِبِ

فَلَمَّا غَدَا لِلْمَالِ رَبًّا وَنَافَسَتْ
لِإِعْجَابِهَا فِيهِ عُيُونُ الْكَوَاعِبِ
وَأَصْبَحَ مَأْمُولًا يُخَافُ وَيُرْتَجَى
جَمِيلَ الْمُحَيَّا ذَا عِذَارٍ وَشَارِبِ
أُتِيحَ لَهُ عَبْلُ الذِّرَاعَيْنِ مُخْدِرٌ(١)
جَرِىءٌ عَلَى أَقْرَانِهِ غَيْرُ هَائِبِ
فَلَمْ يُبْقِ مِنْهُ غَيْرَ عَظْمٍ مُجَزَّرٍ
وَجُمْجُمَةٍ لَيْسَتْ بِذَاتِ ذَوَائِبِ
بِأَوْجَعَ مِنِّى يَوْمَ وَلَّتْ حُدُوجُهُمْ
يَؤُمُّ بِهَا الْحَادُونَ وَادِى غَبَاغِبِ

٢١ — عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ بُلْبُلٍ الْعَسْقَلَانِىُّ *

على بن الحسين العسقلانى

أَبُو الْحُسَيْنِ . مِنْ شِعْرِهِ فِي مَحْبُوبٍ أَزْرَقِ الْعَيْنَيْنِ :

تُدِلُّ بِالذَّابِلِ حُسْنًا وَفِى
طَرْفِكِ مَا فِى طَرَفِ الذَّابِلِ

---

(١) المخدر : الأسد

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٥

أَزْرَقُ كَالأَزْرَقِ يَوْمَ الْوَغَى كِلاهُمَا يُوصَفُ بِالقَاتِلِ

وَلَهُ أَيْضاً :

شَعْرُ الذُّؤَابَةِ وَالْعِذَارِ قَامَا بِعُذْرِى وَاعْتِذَارِى
بِأَبِى الَّذِى فِى خَدِّهِ مَاءُ الصِّبَا وَلَهِيبُ نَارِ
سَكِرَتْ لَوَاحِظُهُ وَقَلْـ ـبِى مَا يُفِيقُ مِنَ الْخُمَارِ
عَابُوا امْتِهَانِى فِى هَوَا هُ كَأَنَّنِى أَنَا بِاخْتِيَارِى
وَمِنَ الصَّوَابِ وَهَا عِذَا رِى شَائِبٌ خَلْعُ الْعِذَارِ

وَلَهُ أَيْضاً :

تَعْرِفُ فِى وَجْهِهِ إِذَا مَا رَأَيْتَهُ نَضْرَةَ النَّعِيمِ
كَأَنَّمَا خَدُّهُ حَبَابٌ بِتُّ بِهِ لَيْلَةَ السَّلِيمِ
وَلِى غَرِيمٌ لَوَى دُيُونِى لَيْتَ غَرَامِى عَلَى غَرِيمِى (١)

﴿ ٢٢ — عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الآمِدِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

على بن الحسين الآمدي

أَبُو الْحَسَنِ ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمِ ،

(١) يريد أن يقول : إن غريمه المدين يلوى ويمطل فى أداء الدين فيتمنى أن يكون غرامه دينا فيقاضى صاحبه إذا مطله فينال حقه

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٦

وَذَكَرَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى مِصْرَ فَأَقَامَ بِهَا مُنْقَطِعًا إِلَى أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حِنْزَابَةَ الْوَزِيرِ ، وَخَطُّهُ صَحِيحٌ مَلِيحٌ ، وَلَمْ يُثْبِتْ لَهُ مُصَنَّفًا . قُلْتُ أَنَا : وَهُوَ مِنْ مَشَايِخِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ ، وَجَدْتُ بِخَطِّهِ وَقَدْ أَنْشَدَ عَنْهُ بَيْتًا لِأَبِي الْهَيْذَامِ كِلَابِ بْنِ حَمْزَةَ الْعَقِيلِيِّ « وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي بَابِهِ » وَقَالَ : أَنْشَدَنَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مَشَايِخِنَا مِنْهُمْ : أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْآمِدِيُّ .

وَحَدَّثَ ابْنُ نَصْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمُبْدِعُ وَكُنْتُ أَعْرِفُهُ قَدِيمًا ، وَدَخَلَ إِلَى بَغْدَادَ خَضِيبًا فَأَنْكَرْتُهُ ثُمَّ عَرَفْتُهُ ، فَجَرَى ذِكْرُ شُعَرَاءِ الْمِصْرِيِّينَ فَقُلْتُ لَهُ : مَا رَأَيْتُ لَهُمْ شَيْئًا نَاصِعًا فَقَالَ لِي : كَانَ الْآمِدِيُّ يَتَوَلَّى أَرْزَاقَ الشُّعَرَاءِ وَالْمُتَعَطِّلِينَ وَالْأَشْرَافِ وَالْكُتَّابِ وَكَانَ خَضِيبًا ، وَلَمْ يُسَمِّهِ لِي وَلَا كَنَّاهُ ، وَلَا أَعْلَمُ هَلْ هُوَ النَّحْوِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْمُوَازَنَةِ أَوْ غَيْرُهُ ؟ إِلَّا أَنِّي أَذْكُرُ مَا حَكَاهُ قَالَ : مَنَعَ

الْحُسَيْنَ بْنَ بِشْرٍ الْكَاتِبَ الْمِصْرِيَّ أَرْزَاقَهُ فَعَمِلَ فِيهِ قِطْعَةً أَوَّلُهَا :

إِنْ طَغَى الْآمِدِيُّ طُغْيَانَ مُثْرٍ
رَاشَهُ[1] الدَّهْرُ فَالْمَرِيشُ يُحَصُّ

أَيُّهَا الْآمِدِيُّ عَقْلُكَ قَدْ دَلْ
لَ عَلَى أَنَّ آمِدَ الْيَوْمَ حِمْصُ[2]

إِنَّ حِرْصاً يَدْعُو إِلَى قَطْعِكَ الْأَرْ
زَاقَ فِينَا عَلَى هَلَاكِكَ حِرْصُ[3]

بِسَوَادِ السُّمَادِ تَخْضِبُ يَا شَيْـ
ـخُ فَمَنْ ذَا سَوَادُهُ مَا يَبِصُّ[4]

---

(١) راشه : أنبت فيه الريش كناية عن الثروة . ويحص : يتطاير شعره ويحلق ، يريد إن فعل ما فعل فالدهر له بالمرصاد (٢) يريد أنك لا تفرق بين العمل المجدى والذى لا يجدى ، وضرب له بالذى لا يميز آمد من حمص ، فهو يحسب الناس كلهم آمديين يتحكم فيهم لحقارتهم وفيه تعريض به ، ولو علم أنهم ليسوا آمديين لما فعل (٣) إن حرصك على قطع الأرزاق إنما هو حرص منك على هلاكك لنفسك فان فى عمله مقت الناس له . (٤) بص : لمع ، أى إنك مهما خضبت فان السواد سيتميز من غيره ويلمع ويعلم ماوراءه من شيب

« عبد الخالق »

أَلْقِ فِيهِ عفصاً فإنَّكَ تحتا

جُ إلى العفصِ حين يُعكَسُ عفصُ(١)

فقلْتُ : تُنْشِدُ هَذَا وَأَنتَ خَضِيبٌ ؟ فقالَ : الْجَيِّدُ يُرْوَى وَإِنْ كَانَ عَلَى الرَّاوِى فِيهِ دَقُّ الْبَابِ .

﴿ ٢٣ — عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الضَّرِيرُ ﴾
﴿ الْأَصْفَهَانِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

على بن الحسين الأصفهانى

أَبُو الْحَسَنِ الْبَاقُولِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْجَامِعِ ، ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ

---

(١) عكس العفص : صفع

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ص ٥٤٧ بما يأتى قال :

هو المعروف بجامع العلوم ، سجع له بعض الفضلاء فقال فى وصفه : هو فى النحو والاعراب كعبة لها أفاضل العصر سدنة ، وللفضل فيه بعد خفائه أسوة حسنة . قال لى عمر بن قشام الحلبى : أخبرنى الصفى الحنفى الأصبهانى نزيل همذان وصاحب الطريقين : أنه والده يعنى جامع العلوم ولا عجب أن يكون نهل الصفى من ذلك المنهل الروى ؟ وكان جامع العلوم هذا قد سير إلى خراسان يسأل عن معنى بيت شعر من شعر الفرزدق وقد ذكره ياقوت

فلم يبق فاضل من فضلاء خراسان إلا وكتب لهذا البيت شرحا وكان تسيير هذا البيت إلى خراسان من جهة جامع العلوم فى شهور سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، وهذا البيت قد اختلف النحاة فى معناه وإعرابه ، فذكره ابن جنى فى خصائصه ، وابن فضال المجاشعى فى السيرة .

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ٣٣٥

الْبَيْهَقِىُّ فِى كِتَابِ الْوِشَاحِ فَقَالَ : هُوَ فِى النَّحْوِ وَالْإِعْرَابِ كَعْبَةٌ لَهَا أَفَاضِلُ الْعَصْرِ سَدَنَةٌ ، وَلِلْفَضْلِ فِيهِ بَعْدَ خَفَائِهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَى خُرَاسَانَ بَيْتَ الْفَرَزْدَقِ (١) الْمَشْهُورَ فِى شُهُورِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَهُوَ :

فَلَيْسَتْ خُرَاسَانُ الَّتِى كَانَ خَالِدٌ
بِهَا أَسَدًا إِذْ كَانَ سَيْفًا أَمِيرُهَا

وَكَتَبَ كُلُّ فَاضِلٍ مِنْ فُضَلَاءِ خُرَاسَانَ لِهَذَا الْبَيْتِ شَرْحًا (٢) ثُمَّ قَالَ : وَهَذَا الْإِمَامُ اسْتَدْرَكَ عَلَى أَبِى عَلِىٍّ الْفَسَوِىِّ

---

(١) ما أعشق الفرزدق لمثل هذا النوع من الأساليب الشعرية فهو صاحب البيت :

وما مثله فى الناس إلا مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربه

وصاحب الآخر :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

(٢) ترجم صاحب أنباء الرواة للجامع وذكر البيت وقال : إنه سيكتب ما كتبه كل فاضل من فضلاء خراسان فى هذا البيت ثم أغفل ماقال فلم يكتب شيئا — وذكر بعضهم أن ابن جنى أوضح البيت ولكن لم يبين الموضع . والذى طبع من الخصائص لم يكن فيه البيت — كذلك راجعت ديوان الفرزدق ضمن الدواوين الخمسة ، وراجعت الأغانى فلم أعثر على القصيدة التى فيها البيت ، وقد اعتمدت على الله ورأيت أن البيت يمكن نثره كما —

وَعَبْدِ الْقَاهِرِ وَلَهُ هذِهِ الرُّتْبَةُ، وَمَنْ نَظَرَ فِى تَصَانِيفِهِ عَلِمَ أَنَّهُ لَاحِقٌ سَبَقَ السَّابِقِينَ ، وَقِيلَ مِنْ مَنْظُومِهِ :

أَحْبِبِ النَّحْوَ مِنَ الْعِلْمِ فَقَدْ
يُدْرِكُ الْمَرْءُ بِهِ أَعْلَى الشَّرَفْ

إِنَّمَا النَّحْوِىُّ فِى مَجْلِسِهِ
كَشِهَابٍ ثَاقِبٍ بَيْنَ السَّدَفْ

يَخْرُجُ الْقُرْآنُ مِنْ فِيهِ كَمَا
تَخْرُجُ الدُّرَّةُ مِنْ جَوْفِ الصَّدَفْ

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَبَعْدَ ذَلِكَ تَحَقَّقَ أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ مِنْ إِنْشَادِهِ لَا مِنْ إِنْشَائِهِ . لَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ شَرْحِ اللُّمَعِ ، وَكِتَابُ كَشْفِ الْمُشْكِلَاتِ وَإِيضَاحِ

— يأتى : ولعل الله يكون قد وفقنى ، وليست خرسان إذ كان أميرها أسدا . بالتى كان خالد بها سيفا ، فإذ ظرف راجع إلى جملة ليست خراسان فصل بينهما بفاصل طويل وبالتى خبر ليس إما على التشبيه وحذف الأداة ، أو الخبرية من غير ملاحظة تشبيه ، وسيفا إما حال من خالد وبها خبر لكان ، أو سيفا خبر وبها حال منه ، وكان خالد سيفا من حيث ضبط الأمور ، وخالد وأسد هما ابنا عبد الله القسرى وكان أسد ولى خراسان من قبل خالد وناوأه قوم عند ذهابه إليها « عبد الخالق »

الْمُعضِلاتِ فِي عِلَلِ القُرْآنِ، قَرَأْتُ فِي خاتِمَةِ كِتابِ الْمُشكِلاتِ لِلجامِعِ هذا ما صُورَتُهُ : وَقَدْ أَمْلَلْتُهُ بَعْدَ تَصنِيفِ كِتابِ الْجَوْهَرِ ، وَكِتابِ الْمُجْمَلِ ، وَكِتابِ الاسْتِدْراكِ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ ، وَكِتابِ الْبَيانِ فِي شَواهِدِ الْقُرْآنِ ، وَسأَجْمَعُ لَكَ كِتاباً أَذْكُرُ فِيهِ الْأَقاوِيلَ فِي مَعْنَى الْآيَةِ دُونَ الْإِعْرابِ وَمَا يَتعلَّقُ بِالصِّناعَةِ مِنْها .

﴿ ٢٤ — عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْكِسائِيُّ * ﴾

علي بن حمزة الكسائي

هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُثْمانَ مِنْ وَلَدِ بَهْمَنَ بْنِ فَيْرُوزَ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ النَّحْوِيُّ . أَحَدُ الْأَئِمَّةِ فِي الْقِراءَةِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، وَأَحَدُ السَّبْعَةِ الْقُرَّاءِ الْمَشْهُورِينَ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، اسْتَوْطَنَ بَغْدادَ وَرَوَى الْحَدِيثَ وَصَنَّفَ الْكُتُبَ ، وَماتَ بِالرَّيِّ صُحْبَةَ الرَّشِيدِ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمانِينَ وَمِائَةٍ أَوْ ثَلاثٍ وَثَمانِينَ وَمِائَةٍ ، وَقِيلَ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمانِينَ ، وَقالَ مَهْدِيُّ بْنُ سابِقٍ :

(*) ترجم له في طبقات المفسرين صفحة ١٦٩

فِى سَنَةِ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ هُوَ وَمُحَمَّدُ بْنُ ٱلْحَسَنِ ٱلْفَقِيهُ صَاحِبُ أَبِى حَنِيفَةَ، فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ: ٱلْيَوْمَ ذَهَبَ ٱلْفِقْهُ وَٱلْعَرَبِيَّةُ، قَالَ ٱلْخَطِيبُ: إِنَّ عُمْرَ ٱلْكِسَائِىِّ بَلَغَ سَبْعِينَ سَنَةً.

وَكَانَ ٱلْكِسَائِىُّ مُؤَدِّبًا لِوَلَدِ ٱلرَّشِيدِ، وَكَانَ أَثِيرًا عِنْدَ ٱلْخَلِيفَةِ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ طَبَقَةِ ٱلْمُؤَدِّبِينَ إِلَى طَبَقَةِ ٱلْجُلَسَاءِ وَٱلْمُؤَانِسِينَ، وَكَانَ ٱلْكِسَائِىُّ قَدْ قَرَأَ عَلَى حَمْزَةَ ٱلزَّيَّاتِ ثُمَّ ٱخْتَارَ لِنَفْسِهِ قِرَاءَةً. وَسَمِعَ مِنْ سُلَيْمَانَ ٱبْنِ أَرْقَمَ وَأَبِى بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ. وَفِى ٱلْقُرَّاءِ آخَرُ يُقَالُ لَهُ ٱلْكِسَائِىُّ ٱلصَّغِيرُ، وَٱسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، رَوَى عَنْهُ ٱبْنُ مُجَاهِدٍ عَنْ خَلَفِ بْنِ هِشَامٍ ٱلْبَزَّازِ.

حَدَّثَ ٱلْخَطِيبُ قَالَ: قَالَ ٱلْفَرَّاءُ: إِنَّمَا تَعَلَّمَ ٱلْكِسَائِىُّ ٱلنَّحْوَ عَلَى كِبَرٍ، وَسَبَبُهُ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ ٱلْهَبَّارِيِّينَ وَقَدْ أَعْيَا فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ عَيِيتُ. فَقَالُوا لَهُ: أَتُجَالِسُنَا وَأَنْتَ تَلْحَنُ؟ فَقَالَ: كَيْفَ لَحَنْتُ؟ قَالُوا: إِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ مِنَ ٱنْقِطَاعِ ٱلْحِيلَةِ وَٱلتَّحَيُّرِ فِى ٱلْأَمْرِ فَقُلْ

عَيِيتُ مُخَفَّفًا ، وَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ مِنَ التَّعَبِ فَقُلْ أَعْيَيْتُ ، فَأَنِفَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ فَوْرِهِ ذَلِكَ فَسَأَلَ مَنْ يُعَلِّمُ النَّحْوَ ؟ فَأَرْشَدُوهُ إِلَى مُعَاذٍ الْهَرَّاءِ فَلَزِمَهُ حَتَّى أَنْفَدَ مَا عِنْدَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَلَقِيَ الْخَلِيلَ وَجَلَسَ فِي حَلْقَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ : تَرَكْتَ أَسَدَ الْكُوفَةِ وَتَمِيمَهَا وَعِنْدَهَا الْفَصَاحَةُ وَجِئْتَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَقَالَ لِلْخَلِيلِ : مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ عِلْمَكَ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ بَوَادِي الْحِجَازِ وَنَجْدٍ وَتِهَامَةَ ، فَخَرَجَ وَرَجَعَ وَقَدْ أَنْفَدَ خَمْسَ عَشْرَةَ قِنِّينَةً حِبْرًا فِي الْكِتَابَةِ عَنِ الْعَرَبِ سِوَى مَا حَفِظَ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ هَمٌّ غَيْرُ الْبَصْرَةِ وَالْخَلِيلِ ، فَوَجَدَ الْخَلِيلَ قَدْ مَاتَ وَجَلَسَ فِي مَوْضِعِهِ يُونُسُ النَّحْوِيُّ ، فَمَرَّتْ بَيْنَهُمَا مَسَائِلُ أَقَرَّ لَهُ يُونُسُ فِيهَا ، وَصَدَّرَهُ مَوْضِعَهُ .

وَحَدَّثَ الْخَطِيبُ أَيْضًا بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى عَبْدِ الرَّحِيمِ ابْنِ مُوسَى قَالَ : قُلْتُ لِلْكِسَائِيِّ : لِمَ سُمِّيتَ الْكِسَائِيَّ ؟

قَالَ : لِأَنِّى أَحْرَمْتُ فِى كِسَاءٍ . قَالَ : وَقِيلَ فِيهِ قَوْلٌ آخَرُ ، وَذَكَرَ إِسْنَاداً رَفَعَهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْمَرْوَزِىِّ قَالَ : سَأَلْتُ خَلَفَ بْنَ هِشَامٍ لِمَ سُمِّىَ الْكِسَائِىُّ كِسَائِيًّا ؟ فَقَالَ : دَخَلَ الْكِسَائِىُّ الْكُوفَةَ فَجَاءَ إِلَى مَسْجِدِ السَّبِيعِ وَكَانَ حَمْزَةُ بْنُ حَبِيبٍ الزَّيَّاتُ يُقْرِئُ فِيهِ ، فَتَقَدَّمَ الْكِسَائِىُّ مَعَ أَذَانِ الْفَجْرِ ، فَجَلَسَ وَهُوَ مُلْتَفٌّ بِكِسَاءٍ مِنَ الْبَرْدِ كَانَ أَسْوَدَ ، فَلَمَّا صَلَّى حَمْزَةُ قَالَ : مَنْ تَقَدَّمَ فِى الْوَقْتِ يَقْرَأُ ؟ قِيلَ لَهُ الْكِسَائِىُّ أَوَّلُ مَنْ تَقَدَّمَ يَعْنُونَ صَاحِبَ الْكِسَاءِ ، فَرَمَقَهُ الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَالَ : إِنْ كَانَ حَائِكاً[1] فَسَيَقْرَأُ سُورَةَ يُوسُفَ ، وَإِنْ كَانَ مَلَّاحاً[2] فَسَيَقْرَأُ سُورَةَ طَه ، فَسَمِعَهُمْ فَابْتَدَأَ بِسُورَةِ يُوسُفَ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قِصَّةِ الذِّئْبِ قَرَأَ فَأَكَلَهُ الذِّيبُ بِغَيْرِ هَمْزٍ ، فَقَالَ لَهُ الزَّيَّاتُ : بِالْهَمْزِ ، فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِىُّ :

---

(١) إشارة إلى ذكر القميص فى عدة مواضع من السورة « عبد الخالق »

(٢) لأن فيه انفراق البحر وذكر إلقاء التابوت الذى كان فيه موسى فى اليم وذكر الغرق « عبد الخالق »

وَكَذَلِكَ أَهْمِزُ الْحُوتَ فِى قَوْلِهِ تعالَى: «فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ» قَالَ: لَا قَالَ، فَلِمَ هَمَزْتَ الذِّئْبَ وَلَمْ تَهْمِزِ الْحُوتَ؟ وَهَذَا «فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ»، وَهَذَا «فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ»، فَرَفَعَ حَمْزَةُ بَصَرَهُ إِلَى خَلَّادٍ الْأَحْوَلِ وَكَانَ أَجْمَلَ غِلْمَانِهِ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ، فَنَاظَرُوا فَلَمْ يُصِيبُوا شَيْئاً فَقَالَ: أَفِدْنَا — رَحِمَكَ اللهُ —، فَقَالَ لَهُمُ الْكِسَائِىُّ: تَفَهَّمُوا عَنِ الْحَائِكِ، تَقُولُ: إِذَا نَسَبْتَ الرَّجُلَ إِلَى الذِّئْبِ قَدِ اسْتَذْأَبَ الرَّجُلُ، وَلَوْ قُلْتَ: قَدِ اسْتَذَابَ بِغَيْرِ هَمْزٍ لَكُنْتَ إِنَّمَا نَسَبْتَهُ إِلَى الْهُزَالِ، تَقُولُ: اسْتَذَابَ الرَّجُلُ: إِذَ اسْتَذَابَ شَحْمُهُ بِغَيْرِ هَمْزٍ. وَإِذَا نَسَبْتَهُ إِلَى الْحُوتِ تَقُولُ: قَدِ اسْتَحَاتَ الرَّجُلُ أَىْ كَثُرَ أَكْلُهُ، لِأَنَّ الْحُوتَ يَأْكُلُ كَثِيراً وَلَا يَجُوزُ فِيهِ الْهَمْزُ، فَلِتِلْكَ الْعِلَّةِ هُمِزَ الذِّئْبُ وَلَمْ يُهْمَزِ الْحُوتُ، وَفِيهِ مَعْنًى آخَرُ لَا تَسْقُطُ الْهَمْزَةُ مِنْ مُفْرَدِهِ وَلَا مِنْ جَمْعِهِ، وَأَنْشَدَهُمْ:

أَيُّهَا الذِّئْبُ وَابْنُهُ وَأَبُوهُ

أَنتَ عِندِى مِنْ أَذْؤُبٍ ضَارِيَاتِ

قَالَ : فَسُمِّىَ الْكِسَائِىَّ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَحدَّثَ الْمَرْزُبَانِىُّ فِيماَ رَفَعَهُ إِلَى ابْنِ الأَعْرَابِىِّ قَالَ : كَانَ الْكِسَائِىُّ أَعْلَمَ النَّاسِ عَلَى رَهَقٍ (١) فِيهِ ، كَانَ يُدِيمُ شُرْبَ النَّبِيذِ وَيُجَاهِرُ بِاتِّخَاذِ الْغِلْمَانِ الرُّوقَةِ (٢) إِلَّا أَنَّهُ كَانَ ضَابِطاً قَارِئاً عَالِماً بِالْعَرَبِيَّةِ صَدُوقاً .

وَحدَّثَ الْمَرْزُبَانِىُّ فِيماَ رَفَعَهُ إِلَى الْكِسَائِىِّ قَالَ : أَحْضَرَنِى الرَّشِيدُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ فِى السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ خِلَافَتِهِ ، فَأَخْرَجَ إِلَىَّ مُحَمَّداً الأَمِينَ وَعَبْدَاللهِ الْمَأْمُونَ كَأَنَّهُمَا بَدْرَانِ فَقَالَ : إِمْتَحِنْهُمَا بِشَىْءٍ ، فَمَا سَأَلْتُهُمَا عَنْ شَىْءٍ إِلَّا أَحْسَنَا الْجَوَابَ فِيهِ ، فَقَالَ لِى كَيْفَ تَرَاهُمَا ؟ فَقُلْتُ :

---

(١) الرهق محركة إسم من الارهاق : أى حمل الانسان على مالا يطيقه ، والتهمة ، والاثم . (٢) أى الذين على جانب عظيم من الجمال ، وخيارهم وحسانهم جمع رائق

أَرَى قَمَرَىْ أُفْقٍ وَفَرْعَىْ بَشَامَةٍ (١)

يَزِينُهُمَا عِرْقٌ كَرِيمٌ وَمَحْتِدُ (٢)

يَسُدَّانِ آفَاقَ السَّمَاءِ بِهِمَّةٍ

يُؤَيِّدُهَا حَزْمٌ وَرَأْىٌ وَسُؤْدُدُ

سَلِيلَىْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَائِزَىْ

مَوَارِيثِ مَا أَبْقَى النَّبِيُّ مُحَمَّدُ

حَيَاةٌ وَخِصْبٌ لِلْوَلِىِّ وَرَحْمَةٌ

وَحَرْبٌ لِأَعْدَاءٍ وَسَيْفٌ مُهَنَّدُ

ثُمَّ قُلْتُ : فَرْعٌ زَكَا أَصْلُهُ ، وَطَابَ مَغْرِسُهُ ، وَتَمَكَّنَتْ فُرُوعُهُ ، وَعَذُبَتْ مَشَارِبُهُ ، آوَاهُمَا مَلِكٌ أَغَرُّ ، نَافِذُ الْأَمْرِ ، عَظِيمُ الْحِلْمِ ، أَعْلَاهُمَا فَعَلَوَا ، وَسَمَا بِهِمَا فَسَمَوَا ، فَهُمَا يَتَطَاوَلَانِ بِطَوْلِهِ ، وَيَسْتَضِيئَانِ بِنُورِهِ ، وَيَنْطِقَانِ بِلِسَانِهِ ، — فَأَمْتَعَ اللهُ — أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمَا ، وَبَلَّغَهُ الْأَمَلَ فِيهِمَا ؛ فَقَالَ : تَفَقَّدْهُمَا ، فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَيْهِمَا فِي الْأُسْبُوعِ طَرَفَىْ نَهَارِهِمَا .

(١) البشام : شجر طيب الرائحة يستاك بالقضيب منه ، مفرده بشامة

(٢) المحتد : الأصل

وَحدَّثَ الْخَطِيبُ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى سَلَمَةَ قَالَ : كَانَ عِنْدَ الْمَهْدِيِّ مُؤَدِّبٌ يُؤَدِّبُ الرَّشِيدَ ، فَدَعَاهُ الْمَهْدِيُّ يَوْماً وَهُوَ يَسْتَاكُ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ الْأَمْرُ مِنَ السِّوَاكِ ؟ قَالَ : اُسْتَكْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » ثُمَّ قَالَ : الْتَمِسُوا لَنَا مَنْ هُوَ أَفْهَمُ مِنْ ذَا ، فَقَالُوا : رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْكِسَائِيُّ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، قَدِمَ مِنَ الْبَادِيَةِ قَرِيباً فَكَتَبَ بِإِزْعَاجِهِ مِنَ الْكُوفَةِ ، فَسَاعَةَ دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : يَا عَلِيُّ بْنَ حَمْزَةَ ، قَالَ : لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : كَيْفَ تَأْمُرُ مِنَ السِّوَاكِ ؟ قَالَ : سُكْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ .

وَحدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنِ ابْنِ قَادِمٍ عَنِ الْكِسَائِيِّ قَالَ : حَجَجْتُ مَعَ الرَّشِيدِ فَقُدِّمْتُ لِبَعْضِ الصَّلَوَاتِ فَصَلَّيْتُ فَقَرَأْتُ : « ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ » فَأَمَلْتُ ضِعَافاً ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ ضَرَبُونِي بِالنِّعَالِ وَالْأَيْدِي وَغَيْرِ

ذَلِكَ حَتَّى غُشِيَ عَلَيَّ ، وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِالرَّشِيدِ فَوَجَّهَ بِمَنِ اسْتَنْقَذَنِي ، فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ لِي : مَا شَأْنُكَ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : قَرَأْتُ لَهُمْ بِبَعْضِ قِرَاءَةِ حَمْزَةَ الرَّدِيئَةِ فَفَعَلُوا بِي مَا بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : بِئْسَ مَا صَنَعْتَ ، ثُمَّ تَرَكَ الْكِسَائِيُّ (١) كَثِيرًا مِنْ قِرَاءَةِ حَمْزَةَ .

وَحَدَّثَ فِيمَا رَفَعَهُ إِلَى الْأَحْمَرِ النَّحْوِيِّ قَالَ : دَخَلَ أَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي — وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ — عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ الْكِسَائِيُّ يُحَدِّثُهُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : قَدْ سَعِدَ بِكَ هَذَا الْكُوفِيُّ وَشَغَلَكَ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ : النَّحْوُ يَسْتَفْرِغُنِي ، لِأَنِّي أَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى الْقُرْآنِ وَالشِّعْرِ ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ، أَوْ أَبُو يُوسُفَ :

---

(١) هذا هو الكسائى المقرىء وصاحب قراءة من القراءات السبعة ، أم الناس مرة وقرأ « قل يأيها الكافرون » فأرتج عليه ، فشهر به الفراء وإذا بهذا يرتج عليه فى قراءة الفاتحة فقال :

إحفظ لسانك لا تقول فتبتلى إن البلاء موكل بالمنطق

« عبد الخالق »

إنَّ عِلْمَ النَّحْوِ إِذَا بَلَغَ فِيهِ الرَّجُلُ الغَايَةَ صَارَ مُعَلِّماً . وَالفِقْهُ إِذَا عَرَفَ الرَّجُلُ مِنْهُ جُمْلَةً صَارَ قَاضِياً . فَقَالَ الْكِسَائِيُّ : أَنَا أَفْضَلُ مِنْكَ ، لِأَنِّي أُحْسِنُ مَا تُحْسِنُ ، وَأُحْسِنُ مَا لَا تُحْسِنُ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الرَّشِيدِ وَقَالَ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي جَوَابِي عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنَ الفِقْهِ ، فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَقَالَ : أَبَلَغْتَ يَا كِسَائِيُّ إِلَى هَذَا ؟ ثُمَّ قَالَ لِأَبِي يُوسُفَ : أَجِبْهُ ، فَقَالَ الْكِسَائِيُّ : مَا تَقُولُ لِرَجُلٍ قَالَ لِامْرَأَتِهِ أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ دَخَلْتِ الدَّارَ ؟ فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ : إِنْ دَخَلَتِ الدَّارَ طَلُقَتْ ، فَقَالَ الْكِسَائِيُّ : خَطَأٌ ، إِذَا فُتِحَتْ أَنْ فَقَدْ وَجَبَ الْأَمْرُ ، وَإِذَا كُسِرَتْ فَإِنَّهُ لَمْ يَقَعِ الطَّلَاقُ بَعْدُ . فَنَظَرَ أَبُو يُوسُفَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي النَّحْوِ [1] .

---

(١) يقول له إن كون الماضي شرطاً علق عليه الجواب يمنع التنجيز لأن المعلق عليه وهو الدخول لم يحصل بعد — وأما فتح أن فهي وما بعدها في تأويل مصدر مجرور بلام محذوفة ، فكأن القول : أنت طالق بسبب دخولك الدار ، والدخول حصل ، والقول إخبار لا تعليق فيه

وَحَدَّثَ أَيْضاً عَمَّنْ سَمِعَ الْكِسَائِيَّ يَقُولُ : اجْتَمَعْتُ أَنَا وَأَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي عِنْدَ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، فَجَعَلَ أَبُو يُوسُفَ يَذُمُّ النَّحْوَ وَيَقُولُ : وَمَا النَّحْوُ ؟ فَقُلْتُ « وَأَرَدْتُ أَنْ أُعْلِمَهُ فَضْلَ النَّحْوِ » : مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ قَالَ لِرَجُلٍ : أَنَا قَاتِلُ غُلَامِكَ ؟ وَقَالَ لَهُ آخَرُ : أَنَا قَاتِلٌ غُلَامَكَ ، أَيُّهُمَا كُنْتَ تَأْخُذُ بِهِ ؟ قَالَ آخُذُهُمَا جَمِيعاً ، فَقَالَ لَهُ هَارُونُ : أَخْطَأْتَ ، وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِالْعَرَبِيَّةِ ، فَاسْتَحْيَا وَقَالَ : كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : الَّذِي يُؤْخَذُ بِقَتْلِ الْغُلَامِ هُوَ الَّذِي قَالَ : أَنَا قَاتِلُ غُلَامِكَ بِالْإِضَافَةِ ، لِأَنَّهُ فِعْلٌ مَاضٍ ، وَأَمَّا الَّذِي قَالَ : أَنَا قَاتِلٌ غُلَامَكَ بِالنَّصْبِ فَلَا يُؤْخَذُ ، لِأَنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ « وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ » فَلَوْلَا أَنَّ التَّنْوِينَ مُسْتَقْبَلٌ مَا جَازَ فِيهِ غَداً ، فَكَانَ أَبُو يُوسُفَ بَعْدَ ذَلِكَ يَمْدَحُ الْعَرَبِيَّةَ وَالنَّحْوَ .

وَحَدَّثَ فِيمَا رَفَعَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْكَاتِبِ قَالَ : سَأَلَ الْيَزِيدِيُّ الْكِسَائِيَّ بِحَضْرَةِ الرَّشِيدِ قَالَ : اُنْظُرْ، فِي هٰذَا الشِّعْرِ عَيْبٌ ؟ وَأَنْشَدَهُ :

مَا رَأَيْنَا خَرَبًا[1] نَقْـ ... ـقَرَ عَنْهُ الْبَيْضَ صَقْرٌ
لَا يَكُونُ الْعَيْرُ مُهْرًا ... لَا يَكُونُ ، الْمُهْرُ مُهْرُ

فَقَالَ الْكِسَائِيُّ : قَدْ أَقْوَى الشَّاعِرُ ، فَقَالَ لَهُ الْيَزِيدِيُّ اُنْظُرْ فِيهِ ، فَقَالَ : أَقْوَى لَا بُدَّ يَنْصِبُ الْمُهْرَ الثَّانِيَ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ كَانَ ، قَالَ : فَضَرَبَ الْيَزِيدِيُّ بِقَلَنْسُوَتِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ : أَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الشِّعْرُ صَوَابٌ ، وَإِنَّمَا ابْتَدَأَ فَقَالَ : الْمُهْرُ مُهْرُ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : أَتَكْتَنِي بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَكْشِفُ رَأْسَكَ ؟ وَاللهِ لَخَطَأُ الْكِسَائِيِّ مَعَ أَدَبِهِ ، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ صَوَابِكَ مَعَ سُوءِ فِعْلِكَ ،

---

(١) الخرب: ذكر الحبارى ، وقيل للذكر والأنثى . ونقر الطائر البيض : ثقب البيض يخرج الفرخ ، إذا فهو يقول : ما علمنا أن الصقر ينقب عن بيض الحبارى ، يريد ليخرج صقراً فهو ينكر مثل هذا ويتبعه بمثال يوضحه فيقول : لا يكون العير مهراً ، ثم أكده تأكيدا لفظيا ، فقال : لا يكون ثانية ، وأكد أن الشيء لا يخرج عن طبعه ومعدنه بقوله : فالمهر مهر لا يتحول « عبد الخالق »

فَقَالَ : لَذَّةُ الْغَلَبَةِ أَنسَتْنِي مِنْ هَذَا مَا أُحْسِنُ .

حَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ ، حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ الْوَرَّاقُ ، حَدَّثَنَا النُّعْمَانُ بْنُ هَارُونَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : كَانَ أَبُو نُوَاسٍ يَخْتَلِفُ[١] إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ زُبَيْدَةَ ، وَكَانَ الْكِسَائِيُّ يُعَلِّمُهُ النَّحْوَ فَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ : إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُقَبِّلَ مُحَمَّداً قُبْلَةً ، فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِيُّ : إِنَّ عَلَيَّ فِي هَذَا وَصْمَةً[٢] ، وَأَكْرَهُ[٣] أَنْ يَبْلُغَ هَذَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ : إِنَّكَ إِنْ تَرَكْتَنِي أُقَبِّلْهُ وَإِلَّا قُلْتُ فِيكَ أَبْيَاتاً أَرْفَعُهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَبَى عَلَيْهِ الْكِسَائِيُّ وَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ، فَكَتَبَ أَبُو نُوَاسٍ رُقْعَةً :

قُلْ لِلْإِمَامِ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً
لَا يَجْمَعِ الدَّهْرَ بَيْنَ السَّخْلِ[٤] وَالذِّيبِ

(١) أى يتردد (٢) الوصمة : العيب والعار (٣) كلمة خفيفة فى هذا المقام ، لأن هذا لو بلغ الخليفة ، كانت حياتهما قليلة فى جانب العمل ، ولو أن اللفظ أخاف لكان مناسبا نوع مناسبة ، ثم إن الخبر فاتر ضعيف

(٤) السخل بفتح السين جمع سخلة : وهى ولد الشاة كيفما كان « عبد الخالق »

فَالسَّخْلُ غِرٌّ وَهَمُّ الذِّئْبِ غَفْلَتُهُ
وَالذِّئْبُ يَعْلَمُ مَا بِالسَّخْلِ مِنْ طِيبِ

وَدَفَعَهَا إِلَى بَعْضِ الْخَدَمِ لِيُوَصِّلَهَا إِلَى الرَّشِيدِ ، فَجَاءَ بِهَا الْخَادِمُ إِلَى الْكِسَائِيِّ ، فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلِمَ أَنَّهُ شِعْرُ أَبِي نُوَاسٍ فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ ، هَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ سَأَتَلَطَّفُ لَكَ ، فَغِبْ أَيَّامًا ثُمَّ احْضُرْ وَسَلِّمْ عَلَيَّ وَعَلَى مُحَمَّدٍ فَسَتَبْلُغُ حَاجَتَكَ ، فَغَابَ وَتَحَدَّثَ الْكِسَائِيُّ أَنَّ أَبَا نُوَاسٍ غَائِبٌ ثُمَّ جَاءَ فَقَامَ إِلَيْهِ الْكِسَائِيُّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَانَقَهُ ، وَسَلَّمَ أَبُو نُوَاسٍ عَلَى مُحَمَّدٍ وَقَبَّلَهُ ، وَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ :

قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ ظَرْفًا يَزْهُو عَلَى كُلِّ ظَرْفِ
كَانُوا إِذَا مَا تَلَاقَوْا تَصَافَحُوا بِالْأَكُفِّ
فَأَظْهَرُوا الْيَوْمَ رَشْفَ الْـ ـخُدُودِ وَالرَّشْفُ يَشْفِي
فَصِرْتَ تَلْثِمُ مَنْ شِئْـ ـتَ مِنْ طَرِيقِ التَّخَفِّي

قَالَ : وَقَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ : وَهَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي

بَاطِلٌ مَصْنُوعٌ(١) مِنْ قِبَلِ مَنْ حَدَّثَ بِهِ ابْنُ أَبِي سَعْدٍ عَنْهُ لَا مِنْهُ، لِأَنَّ أَبْنَاءَ الْخُلَفَاءِ كَانُوا فِي مِثْلِ حَالِ الْمَمْنُوعِ(٢) أَجَلُّ مَكَانًا مِنْ أَنْ يُعَانِقُوا أَحَدًا مِنَ الرَّعِيَّةِ، وَمِنْ قِبَلِ أَنَّ هَذَا الشِّعْرَ الْأَخِيرَ أَنْشَدَنِيهِ غَيْرُ وَاحِدٍ لِعَبْدِ الصَّمَدِ ابْنِ الْمُعَذَّلِ حَتَّى خَبَّرَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْفَضْلُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ يُوسُفَ الْمَعْرُوفُ بِالْبَصِيرِ أَنَّهُ لَهُ، وَأَنَّهُ قَالَهُ بِالْكُوفَةِ فِي حَدَاثَةٍ مِنْ سِنِّهِ، وَكَانَ بَعِيدًا مِنَ الْكَذِبِ فِي ادِّعَاءِ مِثْلِ هَذَا مِنَ الشِّعْرِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

حَدَّثَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ الْمَازِنِيِّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: كَانَ الْكِسَائِيُّ يَأْخُذُ اللُّغَةَ مِنْ أَعْرَابٍ مِنْ أَعْرَابِ الْحُطَمِيَّةِ(٣) يَنْزِلُونَ بِقُطْرُبُّلَ وَغَيْرِهَا مِنْ قُرَى

---

(١) أقول: وما كان أجدر ياقوتاً أن يترفع عن ذكر مثل هذا الخبر ولكنه تعود أن يذكر كل شيء بل ما هو أفحش من هذا، شأنه شأن غيره من القدامى في ذكر الأخبار (٢) كانت في الاصل «المخلوع» ولا معنى له، فأصلحناها إلى ما ذكر، أي هم أرفع شأناً وأعلى قدراً، وأجل مكاناً الخ (٣) الحطمية: قرية على فرسخ من بغداد من الجانب الشرقي منسوبة إلى السري ابن الحطم أحد القواد، وقطربل قرية بين بغداد وعكبرا اهـ. من معجم ياقوت

سَوَادِ بَغْدَادَ ، فَلَمَّا نَاظَرَ الْكِسَائِيُّ سِيبَوَيْهِ اُسْتَشْهَدَ بِكَلَامِهِمْ ، وَاُحْتَجَّ بِهِمْ وَبِلُغَتِهِمْ عَلَى سِيبَوَيْهِ ، فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ : كُنَّا نَقِيسُ النَّحْوَ فِيمَا مَضَى — الْأَبْيَاتَ —

وَالْأَبْيَاتُ فِي أَخْبَارِ الْيَزِيدِيِّ . وَلِلْيَزِيدِيِّ أَشْعَارٌ فِي الْكِسَائِيِّ ذُكِرَتْ فِي أَخْبَارِهِ ، وَمِنْ قَوْلِ الْيَزِيدِيِّ فِيهِ[1] :

أَفْسَدَ النَّحْوَ الْكِسَائِيُّ وَثَنَّى ابْنُ غَزَالَهْ
وَأَرَى الْأَحْمَرَ تَيْساً فَاعْلِفُوا التَّيْسَ النُّخَالَهْ

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ الْمَازِنِيِّ وَالرِّيَاشِيِّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ قَالَ : لَمَّا وَرَدَ نَعْيُ الْكِسَائِيِّ مِنَ الرَّيِّ قَالَ أَبُو زَيْدٍ : لَقَدْ دُفِنَ بِهَا عِلْمٌ كَثِيرٌ بِالْكِسَائِيِّ ثُمَّ قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا الْكِسَائِيُّ الْبَصْرَةَ فَلَقِيَ عِيسَى وَالْخَلِيلَ وَغَيْرَهُمَا ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ نَحْواً كَثِيراً ، ثُمَّ صَارَ إِلَى بَغْدَادَ فَلَقِيَ أَعْرَابَ الْحُطَمِيَّةِ فَأَخَذَ

---

(١) تقدم الشعر فى ترجمة الأحمر غلام الكسائى « عبد الخالق »

عَنْهُمُ الفَسَادَ مِنَ الخَطَإِ وَاللَّحْنِ ، فَأَفْسَدَ بِذَلِكَ مَا كَانَ أَخَذَهُ بِالبَصْرَةِ كُلَّهُ[1] .

قَالَ عَبْدُ اللهِ : وَذَلِكَ أَنَّ الكِسَائِيَّ كَانَ يَسْمَعُ الشَّاذَّ الَّذِي لَا يَجُوزُ مِنَ الخَطَإِ وَاللَّحْنِ وَشِعْرِ غَيْرِ أَهْلِ الفَصَاحَةِ وَالضَّرُورَاتِ ، فَيَجْعَلُ ذَلِكَ أَصْلًا وَيَقِيسُ عَلَيْهِ حَتَّى أَفْسَدَ النَّحْوَ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ مُقْلَةَ : حَدَّثَنِي أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ ابْنُ يَحْيَى قَالَ : اجْتَمَعَ الكِسَائِيُّ وَالأَصْمَعِيُّ عِنْدَ الرَّشِيدِ وَكَانَا مَعَهُ يُقِيمَانِ بِمُقَامِهِ ، وَيَظْعَنَانِ بِظَعْنِهِ ، فَأَنْشَدَ الكِسَائِيُّ[2] :

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي العَلُوقُ بِهِ
رِئْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ ؟

---

(١) أقول : إن الفساد الذي ينسب إلى الكسائي ربما كان واقعاً ، فإن القرى التي يسكنها هؤلاء كانت مرتعاً للبطالين والخمارين وهي خليط من قوم لا يصح الاعتماد عليهم في اللغة وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان مثل هذه الصفات « عبد الخالق »

(٢) البيت من قصيدة لأفنون التغلبي أولها :

أبلغ حبيبا وخلل في سراتهم أن الفؤاد انطوى منهم على حزن

ثم جاء قبل البيت :

فَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : رِئْمَانُ بِالرَّفْعِ ، فَقَالَ لَهُ الكِسَائِيُّ : اُسْكُتْ مَا أَنْتَ وَهذَا ؟ يَجُوزُ رِئْمَانًا وَرِئْمَانُ وَرِئْمَانٍ ، وَلَمْ يَكُنِ الأَصْمَعِيُّ بِصَاحِبِ عَرَبِيَّةٍ[1] ، فَسَأَلْتُ أَبَا العَبَّاسِ كَيْفَ جَازَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : إِذَا رُفِعَ رُفِعَ بِيَنْفَعُ ، أَىْ أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ رِئْمَانُ أَنْفٍ ، وَإِذَا نُصِبَ نُصِبَ بِيُعْطِي ، وَإِذَا خُفِضَ رَدَّهُ عَلَى الْهَاءِ فِي بِهِ . قَالَ : وَالْمَعْنَى وَمَا يَنْفَعُنِي إِذَا وَعَدْتَنِي بِلِسَانِكَ ثُمَّ لَمْ تُصَدِّقْهُ بِفِعْلِكَ ، يُقَالُ ذَلِكَ لِلَّذِي يَبَرُّ وَلَا يَكُونُ مِنْهُ نَفْعٌ كَهَذِهِ النَّاقَةِ الَّتِي تَشُمُّ بِأَنْفِهَا مَعَ تَمَنُّعٍ

— أنى جزوا عامرا سوءا بفعلهم أم كيف يجزوننى السوءى من الحسن
أم كيف ينفع البيت وقد أشبع القول فيه البغدادى فى خزانة الأدب أنقل منه ما يأتى ملخصا واختيارا لى من الأقوال التى جاءت فيه :
العلوق : التى ترأم البو ولم تدر عليه. والبو : مايفعله القوم من حشو جلد الولد وإيهامها أنه ولدها . ثم قال : رفع رئمان على أنه بدل من ما أو خبر لمبتدا محذوف والنصب على الحال أى حال كون ماتعطيه رئمان أنف وعطفها بالأنف وذلك بتضمين تعطى معنى تعطف ، والجر على أنه بدل من الهاء فى به بدل كل من كل حتى لانحتاج إلى تقدير ضمير إن جعلناه بدل اشتمال ، وعلى كل حال فالمعنى كيف ينفع ماتقدمه العلوق من إظهار العطف بالأنف واللبن مضنون به . والرئمان : العطف مصدر رئمت الناقة ولدها كفرح إذا أحبته وعطفت عليه

(١) يريد صاحب علم وميزان فى النحو «عبد الخالق»

دَرَّهَا ، وَالعَلُوقُ : الَّتِي قَدْ عَلِقَ قَلْبُهَا بِوَلَدِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نُحِرَ عَنْهَا ثُمَّ حُشِيَ جِلْدُهُ تِبْنًا أَوْ حَشِيشًا وَجُعِلَ بَيْنَ يَدَيْهَا حَتَّى تَشَمَّهُ وَتَدِرَّ عَلَيْهِ ، فَهِيَ تَسْكُنُ إِلَيْهِ مَرَّةً ثُمَّ تَنْفِرُ عَنْهُ ثَانِيَةً تَشُمُّهُ بِأَنْفِهَا ثُمَّ تَأْبَاهُ مُقْلَتُهَا فَيَقُولُ : فَمَا يَنْفَعُ مِنْ هَذَا الْبَوِّ إِذَا تَشَمَّمْتَهُ ثُمَّ مَنَعَتْ دَرَّهَا ؟

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : حَدَّثَنِي سَلَمَةُ قَالَ : قَالَ الْفَرَّاءُ : مَاتَ الْكِسَائِيُّ وَهُوَ لَا يُحْسِنُ حَدَّ نِعْمَ وَبِئْسَ ، وَلَا حَدَّ أَنِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَلَا حَدَّ الْحِكَايَةِ ، قَالَ : فَقُلْتُ لِسَلَمَةَ فَكَيْفَ لَمْ يُنَاظِرْهُ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : قَدْ سَأَلْتُهُ ذَلِكَ فَقَالَ : أَشْفَقْتُ أَنْ أُحَادِثَهُ فَيَقُولَ فِيَّ كَلِمَةً تُسْقِطُنِي فَأَمْسَكْتُ . قَالَ الْفَرَّاءُ : وَلَمْ يَكُنِ الْخَلِيلُ يُحْسِنُ النِّدَاءَ ، وَلَا كَانَ سِيبَوَيْهِ يَدْرِي حَدَّ التَّعَجُّبِ .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي مَا رَفَعَهُ إِلَى الْفَرَّاءِ قَالَ : قَدِمَ سِيبَوَيْهِ عَلَى الْبَرَامِكَةِ فَعَزَمَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكِسَائِيِّ وَجَعَلَ لِذَلِكَ يَوْمًا ، فَلَمَّا حَضَرَ تَقَدَّمْتُ وَالْأَحْمَرُ[1]

---

(١) الأرجح والأحمر بالنصب ليكون مفعولا معه ، لأن العطف يحسن إذا عطفه على ضمير بعد توكيده

فَدَخَلَ فَإِذَا بِمِثَالٍ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ يَحْيَ وَقَعَدَ إِلَى جَانِبِ الْمِثَالِ جَعْفَرٌ وَالْفَضْلُ وَمَنْ حَضَرَ بِحُضُورِهِمْ ، وَحَضَرَ سِيبَوَيْهِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْأَحْمَرُ [1] فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَهُ فِيهَا سِيبَوَيْهِ فَقَالَ لَهُ : أَخْطَأْتَ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ ثَانِيَةٍ فَأَجَابَ فَقَالَ لَهُ : أَخْطَأْتَ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ ثَالِثَةٍ فَأَجَابَهُ فِيهَا فَقَالَ لَهُ : أَخْطَأْتَ ، فَقَالَ لَهُ سِيبَوَيْهِ : هَذَا سُوءُ أَدَبٍ .

قَالَ الْفَرَّاءُ : فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ : إِنَّ فِي هَذَا الرَّجُلِ حِدَّةً وَعَجَلَةً ، وَلَكِنْ مَا تَقُولُ فِيمَنْ قَالَ : هَؤُلَاءِ أَبُونَ ، وَمَرَرْتُ بِأَبِينَ ، كَيْفَ تَقُولُ عَلَى مِثَالِ ذَلِكَ ، وَأَيْتُ أَوْ أَوَيْتُ ؟ قَالَ : فَقَدَّرَ فَأَخْطَأَ فَقُلْتُ لَهُ : أَعِدِ النَّظَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تُجِيبُ وَلَا تُصِيبُ ، فَلَمَّا كَثُرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ قَالَ : لَسْتُ أُكَلِّمُكُمَا أَوْ يَحْضُرَ صَاحِبُكُمَا حَتَّى أُنَاظِرَهُ ، قَالَ : فَحَضَرَ الْكِسَائِيُّ فَأَقْبَلَ عَلَى سِيبَوَيْهِ فَقَالَ : أَتَسْأَلُنِي أَمْ أَسْأَلُكَ ؟ فَقَالَ : بَلْ سَلْنِي أَنْتَ ، فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِيُّ : كَيْفَ تَقُولُ : قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَقْرَبَ أَشَدُّ لَسْعَةً مِنَ الزُّنْبُورِ فَإِذَا

(١) الأحمر هذا غلام الكسائي الذي تقدمت ترجمته .

هُوَ هِيَ ، أَوْ فَإِذَا هُوَ إِيَّاهَا ؟ فَقَالَ سِيبَوَيْهِ : فَإِذَا هُوَ هِيَ وَلَا يَجُوزُ النَّصْبُ ، فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِيُّ : لَحَنْتَ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ « خَرَجْتُ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ الْقَائِمَ » أَوِ « الْقَائِمُ » فَقَالَ سِيبَوَيْهِ : فِى ذَلِكَ كُلِّهِ بِالرَّفْعِ دُونَ النَّصْبِ ، فَقَالَ الْكِسَائِيُّ : لَيْسَ هَذَا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ ، الْعَرَبُ تَرْفَعُ فِى ذَلِكَ كُلِّهِ وَتَنْصِبُ ، فَدَفَعَ سِيبَوَيْهِ قَوْلَهُ ، فَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : قَدِ اخْتَلَفْتُمَا وَأَنْتُمَا رَئِيسَا بَلَدَيْكُمَا ، فَمَنْ ذَا يَحْكُمُ بَيْنَكُمَا ؟ فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِيُّ : هَذِهِ الْعَرَبُ فِى بَابِكَ قَدْ جَمَعْتَهُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَوَفَدَتْ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ صُقْعٍ ، وَهُمْ فُصَحَاءُ النَّاسِ وَقَدْ قَنِعَ بِهِمْ أَهْلُ الْمِصْرَيْنِ ، وَسَمِعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ مِنْهُمْ فَيَحْضُرُونَ وَيُسْأَلُونَ ، فَقَالَ يَحْيَى وَجَعْفَرٌ : قَدْ أَنْصَفْتَ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِمْ فَدَخَلُوا ، فَهُمْ : أَبُو فَقْعَسٍ ، وَأَبُو دِثَارٍ ، وَأَبُو الْجَرَّاحِ ، وَأَبُو ثَرْوَانَ ، فَسُئِلُوا عَنِ الْمَسَائِلِ الَّتِى جَرَتْ بَيْنَ الْكِسَائِيِّ وَسِيبَوَيْهِ ، فَتَابَعُوا الْكِسَائِيَّ وَقَالُوا بِقَوْلِهِ . قَالَ : فَأَقْبَلَ يَحْيَى عَلَى

سِيبَوَيْهِ فقَالَ : قَدْ تَسمَعُ أَيُّها الرَّجلُ ؟ فَاسْتَكَانَ سِيبَوَيْهِ وَأقبَلَ الْكِسَائِيُّ عَلى يَحْيَ فقَالَ : - أَصْلَحَ اللهُ الْوَزِيرَ - ، إِنَّهُ قَدْ وَفَدَ عَلَيْكَ مِنْ بَلَدِهِ مُؤَمِّلًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَلَّا تَرُدَّهُ خَائِباً ، فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَخَرَجَ وَصَيَّرَ وَجْهَهُ نَحْوَ فَارِسَ ، فَأَقَامَ هُنَاكَ حَتَّى مَاتَ وَلَمْ يَعُدْ إِلَى الْبَصْرَةِ .

قَالَ ثَعْلَبٌ : وَإِنَّمَا أَدْخَلَ الْفَاءَ (١) فِي قَوْلِهِ : فَإِذَا هُوَ إِيَّاهَا ، لِأَنَّ فَإِذَا مُفَاجَأَةٌ ، أَىْ « فَوَجَدْتُهُ وَرَأَيْتُهُ » وَوَجَدْتُ وَرَأَيْتُ يَنْصِبُ شَيْئَيْنِ وَيَكُونُ مَعَهُ خَبَرٌ ، فَلِذَلِكَ نَصَبَتِ الْعَرَبُ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الْخَبَرَ فِي بَابِ سِيبَوَيْهِ بِرِوَايَةٍ أُخْرَى ، وَذَكَرْنَا الِاحْتِجَاجَ لِلْبَصْرِيِّينَ عَلَى تَصْوِيبِ قَوْلِ سِيبَوَيْهِ هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللهُ .

رَوَى الزُّبَيْرُ عَنْ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا مَنْسُوباً إِلَى الْعِلْمِ أَجْهَلَ بِالشِّعْرِ مِنَ الْكِسَائِيِّ .

---

(١) يريد أنه نصب الضمير فى إياها والقائم فى قوله : فاذا زيد القائم على تقدير النصب بفعل محذوف ولم أرد بيان وجهة كل منهما حتى تأتى ترجمة سيبويه « عبد الخالق »

وَبِالْإِسْنَادِ قَالَ : كَانَ الْكِسَائِىُّ مِنْ أَشَدِّ خَلْقِ اللهِ تَمَسُّكاً فِى تَفْسِيرِ شِعْرٍ ، وَمَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ بِالنَّحْوِ قَطُّ مِنْهُ ، وَلَا أَحْسَنَ تَفْسِيراً ، وَلَا أَحْذَقَ بِالْمَسَائِلِ ، الْمَسْأَلَةُ تُشَقُّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ ، وَالْمَسْأَلَةُ تَدْخُلُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ .

وَقَرَأْتُ فِى نَوَادِرِ ابْنِ الْأَعْرَابِىِّ الَّتِى كَتَبَهَا عَنْهُ ثَعْلَبٌ سَمِعْتُ الْكِسَائِىَّ يَقُولُ : قُلْتُ لِأَبِى زَيْدٍ وَآذَانِى بِاللُّزُومِ يَاهَذَا ، قَدْ أَمْلَلْتَنِى ، كَمْ تُلَازِمُنِى ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو زَيْدٍ : إِنَّمَا أَلْزَمُكَ لِأُعَلِّمَكَ ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ فَاجْلِسْ فِى بَيْتِكَ حَتَّى آتِيكَ . قَالَ : وَمَا جَرَّبْتُ عَلَى الْكِسَائِىِّ كِذْبَةً قَطُّ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ الْأَعْرَابِىِّ : وَلَئِنْ كَانَ أَبُو زَيْدٍ قَالَ هَذَا ، مَا فِى (١) الْأَرْضِ أَحَدٌ قَطُّ أَخَلُّ عَقْلًا مِنْهُ .

قَالَ : وَكَانَ الْكِسَائِىُّ أَعْلَمَ مِنْ أَبِى زَيْدٍ بِكَثِيرٍ بِالْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَاتِ وَالنَّوَادِرِ ، وَلَوْ كَانَ نَظَرَ فِى الْأَشْعَارِ مَاسَبَقَهُ أَحَدٌ وَلَا أَدْرَكَهُ أَحَدٌ بَعْدَهُ . وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِىُّ فِى كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ عَنْ أَبِى حَاتِمٍ قَالَ :

---

(١) جواب القسم فى ولئن هو قوله : مافى الأرض الخ .

لَمْ يَكُنْ لِجَمِيعِ الْكُوفِيِّينَ عَالِمٌ بِالْقُرْآنِ وَلَا كَلَامِ الْعَرَبِ[١] ، وَلَوْلَا أَنَّ الْكِسَائِىَّ دَنَا مِنَ الْخُلَفَاءِ فَرَفَعُوا ذِكْرَهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً ، وَعِلْمُهُ مُخْتَلِطٌ بِلَا حُجَجٍ وَلَا عِلَلٍ إِلَّا حِكَايَاتِ الْأَعْرَابِ مَطْرُوحَةً ، لِأَنَّهُ كَانَ يُلَقِّنُهُمْ مَا يُرِيدُ ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ أَعْلَمُ الْكُوفِيِّينَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْقُرْآنِ ، وَهُوَ قُدْوَتُهُمْ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِىُّ فِى كِتَابِهِ قَالَ : كَتَبَ الْكِسَائِىُّ إِلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ يُؤَدِّبُ مُحَمَّداً الْأَمِينَ :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ مَا تَقُولُ لِمَنْ ... أَمْسَى إِلَيْكَ بِحُرْمَةٍ يُدْلِى؟
مَازِلْتُ مُذْ صَارَ الْأَمِينُ مَعِى ... عَبْدِى يَدِى[٢] وَمَطِيَّتِى رِجْلِى
وَعَلَى فِرَاشِى مَا يُنَبِّهُنِى ... مِنْ نَوْمَتِى بِقِيَامِهِ قَبْلِى
أَسْعَى بِرِجْلٍ مِنْهُ ثَالِثَةٍ ... نَقَصَتْ زِيَادَتُهَا عَنِ الرِّجْلِ
فَامْنُنْ عَلَىَّ بِمَا يُسَكِّنُهُ ... عَنِّى وَأَهْدِ الْغِمْدَ لِلنَّصْلِ

قَالَ : فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ لَهُ بِبِرْذَوْنٍ بِسَرْجِهِ وَلِجَامِهِ

---

(١) يريد أنهم لا فقه لهم ولا علم بالقرآن وما يتعلق به ، ولا باللغة

(٢) عبدى يدى كناية عن أنه يعمل أموره ويقوم بشئونه بنفسه ، فلا خادم عنده ولا زوج كما تعلم مما يأتى ولا شىء يركبه ، لهذا أمر الرشيد بما يتلافى به كل هذا من برذون وخادم وجارية « عبد الخالق »

وَبِجَارِيَةٍ حَسْنَاءَ بِآلَتِهَا وَخَادِمٍ وَعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . قِيلَ لِلْكِسَائِيِّ : قَدْ أَبْحَتَ عِلْمَكَ النَّاسَ ؟ فَقَالَ يُعِينُ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالنِّسْيَانِ .

مِنْ مُجَالَسَاتِ ثَعْلَبٍ : وَصَفَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ الْكِسَائِيَّ فَقَالَ : كَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ عَلَى رَهَقٍ فِيهِ ، يُرِيدُ إِتْيَانَ مَا يُكْرَهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ الشَّرَابَ وَيَأْتِي الْغِلْمَانَ . قَالَ : وَمِنْ شِعْرِ الْكِسَائِيِّ :

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعْ
وَبِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُنْتَفَعْ

فَإِذَا مَا نَصَرَ النَّحْوُ الْفَتَى
مَرَّ فِي الْمَنْطِقِ مَرًّا فَاتَّسَعْ

فَاتَّقَاهُ جُلُّ مَنْ جَالَسَهُ
مِنْ جَلِيسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعْ

وَإِذَا لَمْ يَنْصُرِ النَّحْوُ الْفَتَى
هَابَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنًا فَانْقَطَعْ

فَتَرَاهُ يَرْفَعُ النَّصْبَ وَمَا
كَانَ مِنْ خَفْضٍ وَمِنْ نَصْبٍ رَفَعْ

يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يَعْرِفُ مَا
صَرَّفَ الْإِعْرَابُ فِيهِ وَصَنَعْ
وَالَّذِي يَعْرِفُهُ يَقْرَؤُهُ
فَإِذَا مَا شَكَّ فِي حَرْفٍ رَجَعْ
نَاظِراً فِيهِ وَفِي إِعْرَابِهِ
فَإِذَا مَا عَرَفَ اللَّحْنَ صَدَعْ (١)
كَمْ وَضِيعٍ (٢) رَفَعَ النَّحْوُ وَكَمْ
مِنْ شَرِيفٍ قَدْ رَأَيْنَاهُ وَضَعْ
فَهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ عِنْدَكُمْ
لَيْسَتِ السُّنَّةُ فِينَا كَالْبِدَعْ

وَحَدَّثَ هَارُونُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُنَجِّمِ فِي أَمَالِيهِ عَنْ أَبِي تَوْبَةَ قَالَ : سَمِعْتُ الْفَرَّاءَ يَقُولُ : مَدَحَنِي رَجُلٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ فَقَالَ لِي : مَا اخْتِلَافُكَ إِلَى الْكِسَائِيِّ وَأَنْتَ مِثْلُهُ فِي النَّحْوِ ؟ فَأَعْجَبَتْنِي نَفْسِي فَأَتَيْتُهُ فَنَاظَرْتُهُ مُنَاظَرَةَ الْأَكْفَاءِ ، فَكَأَنِّي كُنْتُ طَائِراً يَغْرِفُ مِنَ الْبَحْرِ بِمِنْقَارِهِ .

---

(١) صدع الأمر : كشفه وبينه (٢) كانت في الأصل « رضيع »

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيم قَالَ: قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي الطَّيِّبِ ابْنِ أَخِي الشَّافِعِيِّ قَالَ: أَشْرَفَ الرَّشِيدُ عَلَى الْكِسَائِيِّ وَهُوَ لَا يَرَاهُ، فَقَامَ الْكِسَائِيُّ لِيَلْبَسَ نَعْلَهُ لِحَاجَةٍ يُرِيدُهَا فَابْتَدَرَهَا [1] الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ، وَكَانَ مُؤَدِّبَهُمَا فَوَضَعَاهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَبَّلَ رُءُوسَهُمَا وَأَيْدِيَهُمَا ثُمَّ أَقْسَمَ عَلَيْهِمَا أَلَّا يُعَاوِدَا، فَلَمَّا جَلَسَ الرَّشِيدُ مَجْلِسَهُ قَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ خَدَمًا؟ قَالَ: [2] أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَعَزَّهُ اللهُ - قَالَ: بَلِ الْكِسَائِيُّ يَخْدُمُهُ الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ، وَحَدَّثَهُمُ الْحَدِيثَ.

حَدَّثَ السَّلَامِيُّ قَالَ: حَضَرَ مَجْلِسَ الْكِسَائِيِّ أَعْرَابِيٌّ وَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّحْوِ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنَاظَرُوا فِي التَّصْرِيفِ فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى مَا يَقُولُونَ، فَفَارَقَهُمْ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

مَازَالَ أَخْذُهُمْ فِي النَّحْوِ يُعْجِبُنِي
حَتَّى تَعَاطَوْا كَلَامَ الزِّنْجِ وَالرُّومِ

---

(١) ابتدرها: بادر كل منهما صاحبه يسبق إليها (٢) وفي بعض الكتب أن السؤال وجه للكسائي وأن الرشيد قال له: لو لم تقبل منهما هذه الكرامة كنت ملوماً إلى كلام هذا معناه «عبد الخالق»

بِمَفْعَلٍ فَعَلٍ[1] لَاطَابَ مِنْ كَلِمٍ
كَأَنَّهُ زَجَلُ الْغِرْبَانِ وَالْبُومِ

وَقَرَأَ بِخَطِّ أَبِي سَعِيدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْيَزْدَادِيِّ اللُّغَوِيِّ الْكَاتِبِ فِي كِتَابِ جلاء الْمَعْرِفَةِ مِنْ تَصْنِيفِهِ قِيلَ : اُجْتَمَعَ إِبْرَاهِيمُ النَّظَّامُ وَضِرَارٌ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ ، فَتَنَاظَرَا فِي الْقَدَرِ حَتَّى دَقَّتْ مُنَاظَرَتُهُمَا فَلَمْ يَفْهَمْهُمَا ، فَقَالَ لِبَعْضِ خَدَمِهِ وَمَنْ يَثِقُ بِهِ وَيَرْضَى بِرَأْيِهِ : اُذْهَبْ بِهَذَيْنِ إِلَى الْكِسَائِيِّ حَتَّى يَتَنَاظَرَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ يُخْبِرَكَ لِمَنِ الْفَلَحُ[2] مِنْهُمَا ، فَلَمَّا صَارَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّظَّامُ لِضِرَارٍ : أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْكِسَائِيَّ لَايُحْسِنُ شَيْئًا مِنَ النَّظَرِ ، وَإِنَّمَا مُعَوَّلُهُ عَلَى النَّحْوِ وَالْحِسَابِ ، وَلَكِنْ تُهَيِّئُ لَهُ مَسْأَلَةَ نَحْوٍ ، وَأُهَيِّئُ لَهُ مَسْأَلَةَ حِسَابٍ فَنَشْغَلُهُ بِهِمَا ، لِأَنَّا لَانَأْمَنُ إِنْ يَسْمَعْ مِنَّا مَالَمْ يَسْمَعْهُ وَلَمْ يَبْلُغْهُ فَهْمُهُ أَنْ يَنْسُبَنَا إِلَى الزَّنْدَقَةِ ، فَلَمَّا صَارَا إِلَيْهِ

(١) يريد بمثل هذه الألفاظ من الموزون بأحرف الميزان العرفى
(٢) الفلح : الفوز . أقول : وربما كانت الفلج أى النصر .

سَلَّمَا عليه ، ثُمَّ بَدَأَ ضِرَارٌ فقالَ : أَسْأَلُكَ - أَصْلَحَكَ اللهُ - عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنَ النَّحْوِ ؟ قَالَ : هَاتِهَا ، قَالَ : مَا حَدُّ الفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِهِ ؟ قَالَ الْكِسَائِيُّ : حَدُّ الفَاعِلِ الرَّفْعُ أَبَدًا ، وَحَدُّ الْمَفْعُولِ بِهِ النَّصْبُ أَبَدًا ، قَالَ : فَكَيْفَ تَقُولُ ضُرِبَ زَيْدٌ ؟ فَقَالَ : ضُرِبَ زَيْدٌ . قَالَ : فَلِمَ رَفَعْتَ زَيْدًا وَقَدْ شَرَطْتَ أَنَّ الْمَفْعُولَ بِهِ مَنْصُوبٌ أَبَدًا ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ ، قَالَ لَهُ : فَقَدْ أَخْطَأْتَ فِى الْعِبَارَةِ ، إِذْ لَمْ تَقُلْ إِنَّ مِنَ الْمَفْعُولِينَ مَنْ إِذَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ كَانَ مَرْفُوعًا ، وَمَنْ جَعَلَ لَكَ الْحُكْمَ بِأَنْ تَجْعَلَ الرَّفْعَ لِمَنْ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ ؟ قَالَ : لِأَنَّا إِذَا لَمْ نَذْكُرِ الْفَاعِلَ أَقَمْنَا الْمَفْعُولَ بِهِ مُقَامَهُ ، لِأَنَّ الْفِعْلَ الْوَاقِعَ عَلَيْهِ غَيْرُ مُسْتَحْكِمِ النَّقْصِ ، وَعَدَمُ النَّقْصِ مُطَابِقٌ لِلرَّفْعِ ، فَإِذَا ذَكَرْنَا مَنْ فَعَلَ بِهِ وَأَفْصَحْنَا بِذَلِكَ نَصَبْنَاهُ [1] . قَالَ لَهُ : فَإِنْ كَانَ النَّصْبُ مُطَابِقًا لِلنَّقْصِ فَمَنْ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ أَوْلَى بِهِ ، لِأَنَّا إِذَا قُلْنَا : ضُرِبَ زَيْدٌ فَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ضَرَبَهُ مِائَةُ رَجُلٍ ، وَإِذَا قُلْنَا ضَرَبَ عَبْدُ اللهِ زَيْدًا فَلَمْ يَضْرِبْهُ إِلَّا رَجُلٌ

(١) يريد أن الحدث حصل وذكر من وقع عليه، فالفائدة بالاخبار موجودة وإذاً فنقص الفائدة معدوم ، وذلك يطابقه رفع من وقع عليه الفعل « عبد الخالق »

وَاحِدٌ، فَالَّذِى أَمْكَنَ أَنْ يَضْرِبَهُ مِائَةُ رَجُلٍ أَوْلَى بِالنَّصْبِ وَالنَّقْصِ مِمَّنْ لَمْ يَضْرِبْهُ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ[1]، فَوَقَفَ الْكِسَائِىُّ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ[2]. ثُمَّ قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَسْأَلُكَ — أَصْلَحَكَ اللهُ — عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنَ الْحِسَابِ ؟ قَالَ: قُلْ. قَالَ: كَمْ جَذْرُ عَشَرَةٍ. قَالَ: أَجْتَمَعَ الْحُسَّابُ عَلَى أَنَّهُ لَا جَذْرَ لِعَشَرَةٍ. قَالَ: فَهَلْ عَلِمَ اللهُ جَذْرَهَا ؟ قَالَ: اللهُ عَالِمُ كُلِّ شَىْءٍ. قَالَ: فَمَا أَنْكَرْتَ أَنْ يَكُونَ اللهُ إِذْ عَلِمَ كُلَّ شَىْءٍ أَلْقَاهُ إِلَى نَبِىٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ؟ ثُمَّ أَلْقَاهُ ذَلِكَ النَّبِىُّ إِلَى صَفِىٍّ مِنْ أَصْفِيَائِهِ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الْعِلْمُ يَنْمِى حَتَّى صَارَ عِلْمُ جَذْرِ عَشَرَةٍ عِنْدِى، وَأَكُونُ أَعْلَمَ جَذْرَهَا وَلَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَتَكُونُ مُخْطِئًا فِيمَا قُلْتَ، فَالْتَفَتَ الْكِسَائِىُّ إِلَى الْغُلَامِ وَقَالَ: اُذْهَبْ بِهَذَيْنِ إِلَى أَمِيرِ

---

(١) هذه مغالطة فإن الكسائى يعتبر النقص ضياع الفائدة ، وضرار يعتبره بالكمّ ، ألا تراه يقول : إن الذى بنى للمجهول أزيد عدداً من الذى لم يبن له .

(٢) ذكر ناشر الكتاب فى طبعته الثانية أن السيوطى وضع المسألة فى كتابه الأشباه والنظائر ، وقد راجعته فما رأيت شيئا سوى أنه ينقل عن ياقوت ما دون فى هذا الكتاب لا غير «عبد الخالق»

المؤمنين فقل : إنهما زنديقان كافران بالله العظيم . قال .
وكان الخادم لبيباً حصيفاً [١] فأحسن العبارة عنهما وحسن
أمورهما ، فأمر لهما بجائزة سنية وصرفهما .

قال المؤلف : وهذه الحكاية عندي مصنوعة باردة ،
وإنما كتبتها لكوني وجدتها بخط رجل عالم .

وحدث سلمة بن عاصم قال : قال الكسائي : حلفت ألا
أكلم عامياً إلا بما يوافقه ويشبه كلامه ، وذلك أنني
وقفت على نجار فقلت له : بكم ذانك [٢] البابان ؟ فقال :
بسلحتان [٣] . فحلفت ألا أكلم عامياً إلا بما يصلحه [٤] .

وحدث الحزنبل قال : أنشدنا يعقوب بن السكيت لأبي
الجراح العقيلي يمدح الكسائي :

صحوك إذا زف الخوان وزوره
يحيا بأهلا مرحبا ثم يجلس
أبا حسن ماجئتكم قط مطفئا
لظى الشوق إلا والزجاجة تقلس [٥]

---

(١) حصيفاً : أي جيد الرأي محكم العقل (٢) كانت في الأصل « ذلك » وأصلحت (٣) السلح : البراز (٤) الموافق للغة يصلح له ، تقول : هذا يصلح لك أي من بابتك (٥) تقلس من باب ضرب « عبد الخالق »

قَالَ يعقوبُ : يُرِيدُ تمتلئ حَتَّى تفيضَ ، وَنَصَبَ قَوْلَهُ يُحَيَّا بِأَهْلاً عَلَى الحكايةِ .

وَحدَّثَ عبدُ اللهِ بْنُ جعفرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الحارثِ الخرَّازِ قَالَ : كَانَ الْكِسَائِيُّ مِمَّنْ وُسِمَ بِالتَّعْلِيمِ ، وَكَانَ كَسَبَ بِهِ مَالاً إِلَّا أَنَّهُ حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ أَقَامَ غُلَاماً مِمَّنْ عِنْدَهُ فِي الْكُتَّابِ وَقَامَ يفسقُ بِهِ وَجَاءَ بَعْضُ الْكُتَّابِ لِيُسَلِّمَ عَلَيْهِ فَرَآهُ الْكِسَائِيُّ وَلَمْ يَرَهُ الْغُلَامُ ، فَجَلَسَ الْكِسَائِيُّ فِي مَكَانِهِ وَبَقِيَ الْغُلَامُ قَائِماً مَبْهُوتاً ، فَلَمَّا دَخَلَ الْكَاتِبُ قَالَ لِلْكِسَائِيِّ : مَا شَأْنُ هَذَا الْغُلَامِ قَائِماً ؟ قَالَ وَقَعَ الْفِعلُ عَلَيْهِ فَانْتَصَبَ (١) . وَحدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِيمَا أَسْنَدَهُ إِلَى سعدُونَ الْقَارِىءِ قَالَ : رَأَيْتُ الْكِسَائِيَّ وَهُوَ يَسْأَلُ أَبَا الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيَّ وَقَدْ أَقَامَ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَخْتَلِفُ إِلَى الْكِسَائِيِّ وَالْمَرْوَزِيُّ يَقُولُ : كَيْفَ تَقُولُ مَرَرْتُ بِدَجَاجَةٍ تَنْقُرُكَ أَوْ تَنقرُكَ أَوْ

---

(١) كل ما يروى من هذا الضرب عن الكسائي لا أخاله إلا موضوعاً ، فان عظيما كهذا يبعد بل يستحيل أن يكون من هذا الصنف الممقوت ، ولا سيما ثقة العظماء به في تعليم أبنائهم وكونه من القراء السبعة « عبد الخالق »

تَنْقُرُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِيُّ ؟ أَسْتَحْيَيْتُ لَكَ ، بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا تَعْرِفُ حُرُوفَ النَّعْتِ ؟ إِنَّهَا تَتْبَعُ الْأَسْمَاءَ ، قُلْ تَنْقُرُكَ مِنْ نَعْتِ الدَّجَاجَةِ . قَالَ : وَالْكِسَائِيُّ يَهْزَأُ بِهِ (١) وَيَعْبَثُ وَيَنْقُرُ أَنْفَهُ .

وَحَدَّثَ أَيْضًا بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى نُصَيْرٍ الرَّازِيِّ النَّحْوِيِّ رَجُلٍ كَانَ بِالرَّيِّ قَالَ : قَدِمَ الْكِسَائِيُّ مَعَ هَارُونَ فَاعْتَلَّ عِلَّةً مُنْكَرَةً فَأَتَاهُ هَارُونُ مَاشِيًا مُتَفَزِّعًا (٢) فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ مَغْمُومٌ جِدًّا فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : مَا أَظُنُّ الْكِسَائِيَّ إِلَّا مَيِّتًا وَجَعَلَ يَسْتَرْجِعُ ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يُعَزُّونَهُ وَيُطَيِّبُونَ نَفْسَهُ وَهُوَ يُظْهِرُ حُزْنًا فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : وَمَا لَهُ قَضَيْتَ عَلَيْهِ بِهَذَا ؟ قَالَ : إِنَّهُ حَدَّثَنِي أَنَّهُ لَقِيَ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ عَالِمًا غَزِيرَ الْعِلْمِ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ ذُو النُّخَيْلَةِ ، قَالَ الْكِسَائِيُّ : فَكُنْتُ أَغْدُو عَلَيْهِ وَأَرُوحُ أَمْتَاحُ (٣) مَا عِنْدَهُ ، فَغَدَوْتُ عَلَيْهِ غُدْوَةً مِنْ تِلْكَ الْغُدُوَاتِ فَإِذَا هُوَ ثَقِيلٌ

---

(١) لعله يقول له : تنقرك بكسر الراء إذا قلت الدجاجة بكسر التاء

(٢) فى الأصل « بالراء » (٣) أمتاح : يريد التلقى عنه فأمتاح مجاز

وَرَأَيْتُ بِهِ عِلَّةً مُنْكَرَةً قَالَ: فَأَلْقَى نَفْسَهُ وَجَعَلَ يَتَنَفَّسُ وَيَقُولُ:

قَدَرٌ أَحَلَّكَ ذَا النُّخَيْلِ وَقَدْ تُرَى
وَأَبِيَ (١) مَالَكَ ذُو النُّخَيْلِ بِدَارِ

أَلَّا (٢) كَدَارِكُمُ بِذِي بَقَرِ الْحِمَى
هَيْهَاتَ ذُو بَقَرٍ مِنَ الْمُزْدَارِ

قَالَ الْكِسَائِيُّ: فَغَدَوْتُ عَلَيْهِ صَبَاحاً فَإِذَا هُوَ لِمَابِهِ قَالَ: فَدَخَلْتُ السَّاعَةَ عَلَى الْكِسَائِيِّ فَإِذَا هُوَ يُنْشِدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، فَغَمَّنِي ذَلِكَ غَمّاً شَدِيداً، فَكَانَ كَمَا قَالَ: مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ وَدُفِنَ بِمَنْزِلِهِ فِي سِكَّةِ حَنْظَلَةَ ابْنِ نَصْرٍ بِالرَّيِّ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، وَفِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ زِيَادَةٌ فِي الشِّعْرِ:

قَالَتْ جَمَالُ وَكُلُّهُنَّ جَمِيلَةٌ
مَا تَأْمُرُونَ بِهَؤُلَا السُّفَّارِ ؟

(١) ويروى وأبيك ويروى والله « حاشية » وأبي مضاف إلى الياء بعد ردلامه المحذوفة وهو قسم (٢) ألا أداة تحضيض يريد ألا حلت داراً كداركم وذو بقر والمزدار مكانان

قَالُوا بَنُو سَفَرٍ وَلَمْ نَشْعُرْ بِهِمْ وَهُمُ الَّذِينَ نُرِيدُ غَيْرَ تَمَارِى

لَمَّا اتَّكَأْتُ عَلَى الْحَشَايَا مَضْمَضَتْ (١)

بِالنَّوْمِ أَعْيُنُهُنَّ بَعْدَ غِرَارِ (٢)

سَقَطَ النَّدَى بِجُنُوبِهِنَّ كَأَنَّمَا سَقَطَ النَّدَى بِلَطَائِمِ الْعَطَّارِ (٣)

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِرَنْبُوَيْهِ ، كُورَةٍ (٤) مِنْ كُوَرِ الرَّيِّ هُوَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْفَقِيهُ فِى وَقْتٍ وَاحِدٍ ، وَكَانَا خَرَجَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَيْهَا . فَقَالَ الرَّشِيدُ : دَفَنْتُ الْفِقْهَ وَالنَّحْوَ بِرَنْبُوَيْهِ ، فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِىُّ يَرْثِيهِمَا :

تَصَرَّمَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ خُلُودُ

وَمَا قَدْ تَرَى مِنْ بَهْجَةٍ سَيَبِيدُ

سَيُفْنِيكَ مَا أَفْنَى الْقُرُونَ الَّتِى مَضَتْ

فَكُنْ مُسْتَعِدًّا فَالْفَنَاءُ عَتِيدُ

أَسِيتُ عَلَى قَاضِى الْقُضَاةِ مُحَمَّدٍ

فَأَذْرَيْتُ دَمْعِى وَالْفُؤَادُ عَمِيدُ (٥)

---

(١) مضمضت عينه : دب إليها النوم (٢) الغرار : القليل من النوم وسواه

(٣) لطائم العطار : أوعية العطر ، يريد أن الندى لما سقط ومسحن جنوبهن فاحت الروائح الشذية (٤) الكورة : البقعة التى تجتمع فيها المساكن والقرى

(٥) أى محزون

وَقُلْتُ إِذَا مَا الْخَطْبُ أَشْكَلَ مَنْ لَنَا
بِإِيضَاحِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ فَقِيدُ؟
وَأَوْجَعَنِي مَوْتُ الْكِسَائِيِّ بَعْدَهُ
وَكَادَتْ بِيَ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ تَمِيدُ
وَأَذْهَلَنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ
وَأَرَّقَ عَيْنِي وَالْعُيُونُ هُجُودُ
هُمَا عَالِمَانَا أَوْدَيَا وَتُخُرِّمَا[1]
وَمَا لَهُمَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ[2]

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ وَفَاةَ الْكِسَائِيِّ كَانَتْ بِطُوسَ لَا الرَّيِّ. وَلَمَّا بَلَغَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ إِلَى الرَّشِيدِ قَالَ يَا يَزِيدِيُّ: لَئِنْ كُنْتَ تُسِيءُ الْكِسَائِيَّ فِي حَيَاتِهِ، لَقَدْ أَحْسَنْتَ بَعْدَ مَوْتِهِ. وَقِيلَ بَلْ قَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ يَا بَصْرِيُّ، لَئِنْ كُنْتَ تَظْلِمُهُ فِي حَيَاتِهِ، لَقَدْ أَنْصَفْتَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ. وَمَاتَ الْكِسَائِيُّ وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ مَعَانِي الْقُرْآنِ، كِتَابُ مُخْتَصَرٍ فِي النَّحْوِ، كِتَابُ الْقِرَاءَاتِ. كِتَابُ الْعَدَدِ. كِتَابُ النَّوَادِرِ

---

(١) تخرما: انقصما وانقطعا وأخذتهما المنية (٢) أي نظير

الْكَبِيرُ ، كِتَابُ النَّوَادِرِ الْأَوْسَطُ ، كِتَابُ النَّوَادِرِ الْأَصْغَرُ ، كِتَابُ اخْتِلَافِ الْعَدَدِ ، كِتَابُ الْهِجَاءِ ، كِتَابُ مَقْطُوعِ الْقُرْآنِ وَمَوْصُولِهِ ، كِتَابُ الْمَصَادِرِ ، كِتَابُ الْحُرُوفِ ، كِتَابُ أَشْعَارِ الْمُعَايَاةِ وَطَرَائِقِهَا ، كِتَابُ الْهَاءَاتِ الْمَكْنِيِّ بِهَا فِي الْقُرْآنِ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ الْأَزْهَرِيِّ فِي كِتَابِ نَظْمِ الْقُرْآنِ لِلْمُنْذِرِيِّ : أَسْمَعَنِي أَبُو بَكْرٍ عَنْ بَعْضِ مَشَايِخِهِ أَنَّ الْكِسَائِيَّ كَانَ يَقُومُ فِي الْمِحْرَابِ يَؤُمُّ فَتَشْتَدُّ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ حَتَّى لَا يَقُومَ بِقِرَاءَةِ « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » ، ثُمَّ يَتَحَرَّفُ فَيُقْبِلُ عَلَيْهِمْ فَيُمْلِي الْقُرْآنَ حِفْظًا وَيُفَسِّرُهُ بِمَعَانِيهِ وَتَفْسِيرِهِ .

« ٢٥ — عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ عِمَارَةَ بْنِ حَمْزَةَ * »

على بن حمزة الأصبهانى

ابْنِ يَسَارِ بْنِ عُثْمَانَ الْأَصْبَهَانِيُّ أَبُو الْحَسَنِ ، وَعُثْمَانُ هَذَا الَّذِي انْتَهَتْ نِسْبَةُ هَذَا إِلَيْهِ : هُوَ وَالِدُ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ وَيَسَارٌ أَخُوهُ ، قَالَ ذَلِكَ حَمْزَةُ وَقَالَ : كَانَ اسْمُ أَبِيهِ قَبْلَ

(*) راجع الوافى بالوفيات ص ٢٦٦ ج ثان

أَنْ يُسْلِمَ « بِنْدَادَ هُرْمُزَ » فَلَمَّا أَسْلَمَ تَسَمَّى بِعُثْمَانَ ، قَالَ :
وَأَبُو مُسْلِمٍ اُسْمُهُ « بِهْزَادَانُ بْنُ بِنْدَادَ هُرْمُزَ » ، وَعَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ
هَذَا مِنْ أَوْلَادِ أَخِيهِ يَسَارٍ ، وَكَانَ أَحَدَ أُدَبَاءِ أَصْبَهَانَ
الْمَشْهُورِينَ بِالْعِلْمِ وَالشِّعْرِ وَالْفَضْلِ وَالتَّصْنِيفِ ، شَائِعٌ ذِكْرُهُ
ذَائِعٌ عَنْهُ ، وَصَنَّفَ كُتُباً مِنْهَا : كِتَابُ الشِّعْرِ ، وَكِتَابُ
فِقَرِ الْبُلَغَاءِ يَشْتَمِلُ عَلَى الِاخْتِيَارِ مِنْ شِعْرِ عَامَّةِ الشُّعَرَاءِ ،
وَكِتَابُ قَلَائِدِ الشَّرَفِ فِي مَفَاخِرِ أَصْبَهَانَ وَأَخْبَارِهَا
وَغَيْرُ ذَلِكَ .

قَالَ حَمْزَةُ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ : وَقَدْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ
كِبَارِ أَهْلِ الْأَدَبِ بِبَلَدِنَا تَعَاطَى عَمَلَ كِتَابٍ فِي هَذَا
الْفَنِّ ، وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ عِمَارَةَ ، وَسَمَّاهُ
قَلَائِدَ الشَّرَفِ ، فَشَحَنَهُ بِأَخْبَارِ الْفُرْسِ فِي السِّيَرِ وَالْأَبْيَاتِ ،
نَبَذَ بَيْنَهُمَا جُمَلًا مِنْ أَخْبَارِ أَصْبَهَانَ تَنْقُصُ عَنِ السُّدُسِ
مِنْ كِتَابِهِ ، وَحَجْمُهَا يَكُونُ دُونَ ثَلَاثِينَ وَرَقَةً ، وَرَوَى
فِيمَا بَيْنَهَا أَخْبَاراً كَأَنَّهَا مِنْ أَحَادِيثِ الْحِكَمِ .

وَمِنْ شِعْرِ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ يَرْثِي أَبَا مُسْلِمٍ مُحَمَّدَ ابْنَ بَحْرٍ :

وَقَالُوا أَلَا تَرْثِي ابْنَ بَحْرٍ مُحَمَّداً
فَقُلْتُ لَهُمْ : رُدُّوا فُؤَادِيَ وَاسْمَعُوا

فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الْقَوْلَ مَنْ طَارَ قَلْبُهُ
جَرِيحاً طَرِيحاً بِالْمَصَائِبِ يُقْرَعُ

وَمَنْ بَانَ عَنْهُ[1] إِلْفُهُ وَخَلِيلُهُ
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا إِلَى الْبَعْثِ مَرْجِعُ

وَمَنْ كَانَ أَوْفَى الْأَوْفِيَاءِ لِمُخْلِصٍ
وَمَنْ حِيزَ فِي سِرْبَالِهِ الْفَضْلُ أَجْمَعُ

سَجَايَا كَمَاءِ الْمُزْنِ[2] شِيبَ بِهِ الْجَنَى
جَنَى الشَّهْدِ فِي صَفْوِ الْمُدَامِ يُشَعْشَعُ

وَغَرْبُ ذَكَاءٍ وَاقِدٍ مِثْلُ جَمْرَةٍ
وَطَبْعٌ بِهِ الْعَضْبُ الْمُهَنَّدُ يُطْبَعُ

---

(١) بان عنه : انقطع وفارقه ، والالف : الأليف والصديق

(٢) المزن : السحاب ، وشيب : مزج

وَمَنْ كَانَ مِنْ بَيْتِ الْكِتَابَةِ فِي الذُّرَى

وَذَا مَنْطِقٍ فِي الْحَفْلِ لَا يَتَتَعْتَعُ

وَلَهُ وَكَتَبَهُ إِلَى أَبِي نَجِيحٍ أَخِي أَبِي سَعْدٍ الشَّاعِرِ :

قَدْ عَزَمْنَا عَلَى الصَّبُوحِ (١) فَبَادِرْ

قَبْلَ أَنْ تُضْحِيَ السَّمَاءُ الْمُخِيلَهْ (٢)

فَلِذَا الدَّجْنِ (٣) يَا خَلِيلِي ذِمَامٌ

لَمْ أَزَلْ مُذْ عَقَلْتُ أَمْرِي خَلِيلَهْ

وَهُوَ يَوْمٌ أَغَرُّ أَبْلَجُ يَهْمِي (٤)

بِحَيًا يَسْتَمِدُّ مِنْهُ سُيُولَهْ

وَدَعَانِي إِلَيْهِ (٥) أَدْهَمُ دَاجٍ

قَدْ رَحِمْنَا بُكَاءَهُ وَعَوِيلَهْ

شِبْهُ لَيْلٍ مَتَى أُسْتَضِيفَ بِلَيْلٍ

لَمْ يُسَكِّنْ إِلَى الصَّبَاحِ صَهِيلَهْ (٦)

(١) الصبوح : خمر الصباح (٢) المخيلة : السحابة التى تخالها ماطرة

(٣) الدجن : الغيم (٤) يهمى الماء أو الدمع : يسيل ، والحيا : المطر

(٥) الهاء فى إليه للصبوح ووصف السحاب بالدهمة والظلمة والبكاء يراد به المطر

والعويل المراد به الرعد (٦) يريد استمر رعده فالمراد بالصهيل : الرعد

مُطْفَحٌ(١) مُهْمَرٌ بَلُوعٌ بِهِ يُسْـ
ـتَلَبُ الْمُدْقِعُ الضَّنِينُ صَلِيلَهْ(٢)

رَاكِبٌ نَازِلٌ يُغَطْمِطُ(٣) وَأْبٌ
قَدْ سَئِمْنَا رُكُوبَهُ وَنُزُولَهْ

يَطْرُدُ الْجَدْبَ كُلَّمَا جَاشَ أَعْطَى
سَائِلِيهِ بُضَيْعَةً وَنَشِيلَهْ(٤)

وَلَدَيْنَا مِنَ الْمُعَسَّلِ شَىْءٌ
يَفْثَأُ(٥) الدَّهْرَ مِنْ فُؤَادِى غَلِيلَهْ

فَتَفَضَّلْ بِمَا سَأَلْتُ فَقِدْماً
بُؤْتَ لِلْخِلِّ بِالْأَيَادِى الْجَلِيلَهْ

وَلَكَ الْحُكْمُ أَنْ تَحَكَّمَ فِى الشُّرْ
بِ فَلَا تَخْفَ عَنْ قُلُوبٍ عَلِيلَهْ

وَفُتُوٍّ(٦) كَأَنَّهُمْ قُضُبُ الْهِنْـ
ـدِ لَهُمْ أَلْسُنٌ سِلَاطٌ طَوِيلَهْ

---

(١) من أطفح الاناء : ملأه ، ومهمر : منسكب (٢) الصليل : الذهب على سبيل التجوز إذا جعل الصليل دليلا على الذهب (٣) أى راكب الجبال نازل فى السهول : من غطمط السيل : صات حين انحداره ، والوأب : الضخم (٤) البضيعة تصغير بضعة : القطعة من اللحم وكذلك النشيلة ، والمراد أنه يكون منه ما نصل به إلى البضعة والنشيلة . (٥) يفثأ : يمنع ويكف (٦) فتو جمع فتى

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَلِعَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ هٰذَا مُفَاوَضَاتٌ طِوَالٌ وَجَوَابَاتٌ لِجَمَاعَةٍ مِنْ شُعَرَاءِ أَصْبَهَانَ ، مِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ طَبَاطَبَا الْعَلَوِيُّ وَغَيْرُهُ ، لَمْ أَذْكُرْ مِنْهَا شَيْئًا لِطُولِهَا وَلِقِلَّةِ فَائِدَتِهَا عِنْدِي ، فَشِعْرُهُ عَلَى هٰذَا النَّمَطِ لَا طَائِلَ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ عِنْدَ أَهْلِ أَصْبَهَانَ جَلِيلٌ نَبِيلٌ .

« ٢٦ – عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْبَصْرِيُّ اللُّغَوِيُّ * »

علي بن حمزة البصري

يُكْنَى أَبَا النُّعيمِ (١) . كَانَ أَحَدَ أَعْيَانِ أَهْلِ اللُّغَةِ الْفُضَلَاءِ الْمُتَحَقِّقِينَ الْعَارِفِينَ بِصَحِيحِهَا مِنْ سَقِيمِهَا ، وَلَهُ رُدُودٌ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ اللُّغَةِ كَابْنِ دُرَيْدٍ وَالْأَصْمَعِيِّ وَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ وَغَيْرِهِمْ . وَلَمَّا وَرَدَ الْمُتَنَبِّي إِلَى بَغْدَادَ كَانَ بِهَا ، وَفِي دَارِهِ نَزَلَ .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى الْفَقِيهُ الصِّقِلِّيُّ يَعْرِفُ

---

(١) في الأصل : القاسم

(*) ترجم له في كتاب بغية الوعاة ٢٢٧ بترجمة لم تزد على معجم الأدباء شيئا سوى تاريخ وفاته ، فقد أورد صاحب البغية أنه مات في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة

بِابْنِ الْخَزَّازِ (١) فِي تَارِيخِ صِقِلِّيَةَ مِنْ تَصْنِيفِهِ : وَفِي رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ مَاتَ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ اللُّغَوِيُّ الْبَصْرِيُّ رَاوِيَةُ (٢) الْمُتَنَبِّيءِ بِصِقِلِّيَةَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْقَاضِي إِبْرَاهِيمُ ابْنُ مَالِكٍ قَاضِي صِقِلِّيَةَ وَكَبَّرَ خَمْساً فِي الْجَامِعِ . وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِي زِيَادٍ الْكِلَابِيِّ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ فِي نَوَادِرِهِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ الدِّينَوَرِيِّ فِي كِتَابِ النَّبَاتِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ فِي الْمُصَنَّفِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ السِّكِّيتِ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ وَلَّادٍ فِي الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى الْجَاحِظِ فِي الْحَيَوَانِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ثَعْلَبٍ فِي الْفَصِيحِ . وَرَأَيْتُ هَذِهِ كُلَّهَا بِمِصْرَ (٣)

« تَرْجَمَةٌ ثَانِيَةٌ »

عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْبَصْرِيُّ اللُّغَوِيُّ أَحَدُ الْأَعْلَامِ الْأَئِمَّةِ

---

(١) في الاصل : الحواز (٢) كانت في الأصل « رواية » ولا معنى لهذا فأصلحت إلى ما ترى (٣) وله كتاب الآباء والأمهات وهو كتاب جليل

فِی الْأَدَبِ، وَلَهُ تصانیفُ وَرُدُودٌ عَلَی أَهْلِ الْأَدَبِ وُفِّقَ فِیهَا.
وَقَدْ رَوَی عَنْهُ أَبُو الفَتْحِ بْنُ جِنِّیٍّ شَیْئاً مِنْ أَخْبَارِ الْمُتَنَبِّی
وَغَیْرِهَا، لِأَنَّ الْمُتَنَبِّیءَ لَمَّا وَرَدَ بَغْدَادَ نَزَلَ عَلَیْهِ وَکَانَ
ضَیْفَهُ إِلَی أَنْ رَحَلَ عَنْهَا. حَدَّثَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ
الْحَمِیدِیُّ فِی کِتَابِ جَذْوَةِ الْمُقْتَبِسِ فِی تَارِیخِ الْأَنْدُلُسِ فِی
تَرْجَمَةِ ثَابِتِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجُرْجَانِیِّ قَالَ: أَخْبَرَنِی أَبُو مُحَمَّدٍ
عَلِیُّ بْنُ أَحْمَدَ عَنْ أَبِی الْفَتْحِ ثَابِتِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجُرْجَانِیِّ قَالَ:
أَخْبَرَنِی عَلِیُّ بْنُ حَمْزَةَ مُضِیفُ الْمُتَنَبِّیءِ قَالَ: — وَعِنْدَهُ
نَزَلَ الْمُتَنَبِّیءُ بِبَغْدَادَ — إِنَّ الْقَصِیدَةَ الَّتِی أَوَّلُهَا:

هَذِی بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِیسَا[1]

قَالَهَا فِی مُحَمَّدِ بْنِ زُرَیْقٍ النَّاظِرِ فِی زَوَامِیلِ[2] ابْنِ الزَّیَّاتِ
صَاحِبِ طَرَسُوسَ، وَأَنَّهُ وَصَلَهُ عَلَیْهَا بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ فَقِیلَ
لَهُ: إِنَّ شِعْرَهُ حَسَنٌ فَقَالَ: مَا أَدْرِی أَحَسَنٌ هُوَ أَمْ قَبِیحٌ؟

---

(١) الرسیس: أوائل الحمی (٢) جمع زاملة: ما یحمل علیه من الابل والعیر

وَلَكِنْ أَزِيدُهُ لِقَوْلِكَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ ، فَكَانَتْ صِلَتُهُ عَلَيْهَا عِشْرِينَ دِرْهَمًا .

﴿ ٢٧ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْأَدِيبُ * ﴾

على بن حمزة الأديب

أَبُو الْحَسَنِ مُصَنِّفُ الرِّسَالَةِ الْحِمَارِيَّةِ [1] ، قَدِمَ دِمَشْقَ وَمَدَحَ بِهَا أَبَا الْفَتْحِ صَالِحَ بْنَ أَسَدٍ الْكَاتِبَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . رَوَى عَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الصُّورِيُّ ، وَمَاتَ بِأَطْرَابُلُسَ ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ هَكَذَا .

﴿ ٢٨ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ طَلْحَةَ * ﴾

على بن حمزة البغدادي

ابْنِ عَلِيٍّ الرَّازِيُّ الْأَصْلِ الْبَغْدَادِيُّ الْمَوْلِدِ وَالدَّارِ ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ بَقْشَلَانَ مَاتَ بِمِصْرَ ، أَخْبَرَنِي الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحِبُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ النَّجَّارِ : أَنَّ عَلِيَّ بْنَ حَمْزَةَ بْنِ طَلْحَةَ مَاتَ فِي غُرَّةِ شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ

---

(١) بحثت عن هذه الرسالة فى كشف الظنون فى باب الرسالات فلم أجد لها ذكرا ، والذى بعثنى على البحث : غرابة التأليف « عبد الخالق »

(*) راجع تاريخ دمشق ص ٢٤١ مجلد ١٢

(*) راجع تاريخ دمشق ص ١٢ م ١٢

خَمْسَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَيُكْنَى أَبَا الْحُسَيْنِ ، وَتلقب بِعلم الدِّينِ ، وَلِيَ حَجَبَةَ الْبَابِ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَضِيءِ بِاللهِ ثُمَّ نِيَابَةَ الْمَقَامِ بِبَغْدَادَ ، فَسَافَرَ إِلَى الشَّامِ وَتَنَقَّلَ إِلَى أَنْ حَصَلَ بِمِصْرَ فَمَاتَ بِهَا ، وَعَلَمُ الدِّينِ هَذَا : هُوَ صَاحِبُ الْخَطِّ الْمَلِيحِ الْغَايَةِ عَلَى طَرِيقَةِ عَلِيِّ بْنِ هِلَالِ بْنِ الْبَوَّابِ خُصُوصاً قَلَمَ الْمَصَاحِفِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكْتُبْهُ أَحَدٌ مِثْلَهُ فِيمَنْ تَقَدَّمَ أَوْ تَأَخَّرَ ، وَلِذَلِكَ ذَكَرْنَاهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، وَلَمَّا وَلِيَ حَجَبَةَ الْبَابِ كَانَ يَتَقَعَّرُ فِي كَلَامِهِ وَيَسْتَعْمِلُ السَّجْعَ وَحُوشِيَّ اللُّغَةِ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ جَمَاعَةُ أَهْلِ بَغْدَادَ إِلَّا أَنِّي كَتَبْتُهُ مِنْ لَفْظِ الصَّدْرِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْهَرَوِيِّ الشَّاعِرِ قَالَ :

لَمَّا وَلِيَ عَلَمُ الدِّينِ حَجَبَةَ بَابِ النُّوبِيِّ حَظَرَ عَلَى الْعَامَّةِ سَمَاعَ الْمَلَاهِي وَشُرْبَ الْخَمْرِ وَارْتِكَابَ الْفَوَاحِشِ ، وَتَشَدَّدَ فِي ذَلِكَ تَشَدُّداً عَظِيماً ، وَأَرَادَ بَعْضُ الْعَامَّةِ الْمُثْرِينَ خِتَانَ وَلَدٍ لَهُ فَاسْتَشْفَعَ إِلَيْهِ بِمَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ فِي أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْ إِحْضَارِ بَعْضِ الْمَلَاهِي لِذَلِكَ ، فَأَذِنَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ : جِيئُونِي

بِهِ أَشْرِطْ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : قَدْ أُذِنَ لَكَ فِي خِتَانِ وَلَدِكَ عَلَى أَلَّا يَكُونَ عِنْدَكَ مِزْهَرٌ (١) وَلَا مِزْمَرٌ (٢) وَلَا بَرْبَطٌ (٣) وَلَا دُفٌّ (٤) وَلَا طُنْبُورٌ (٥) وَلَا عُودٌ وَلَا مَحْظُورٌ وَلَا الشَّيْءُ الْمُلَقَّبُ بِالشُّنْكِ (٦) ، وَلَا مَنْ يَجُولُ الْغِنَاءُ لَهُ بِبَالٍ وَلَا يَخْطُرُ فِي خَيَالٍ . فَقَالَ لَهُ الْعَامِيُّ : فَيَأْذَنُ لِي مَوْلَانَا أَنْ أُحْضِرَ وُرَيْدَةَ الْمُخَنَّثَ يَلْطِمُ عِنْدِي دَوْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً . قَالَ : فَغَضِبَ ابْنُ طَلْحَةَ وَقَالَ لَهُ : كَأَنَّكَ مِنَ الَّذِينَ تَشْرَئِبُّ (٧) نُفُوسُهُمْ إِلَى مَا حَرَّمَ اللهُ ، أَيُّهَا الْعَوَامُّ الْجَهَلَةُ ، وَالْوُضَعَاءُ السَّفَلَةُ ، يَا أَهَالِي الْجَهْلِ وَالْغَوَايَةِ . وَيَا أَصْحَابَ الضَّلَالَةِ وَالْعَمَايَةِ : أَمَا فِيكُمْ مَنْ لَهُ عَقْلٌ يَرُدُّهُ ؟ وَلَا دِينٌ يَصُدُّهُ ، فَيَنْبِذَ الْآثَامَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَيَسْعَى إِلَى الْخَيْرِ بِانْشِرَاحِ صَدْرِهِ ، تَتَهَافَتُونَ عَلَى الْفَوَاحِشِ وَالْمَآثِمِ ،

---

(١) المزهر : العود وهو آلة من آلات الطرب (٢) المزمر : آلة من آلات الطرب أيضا وهى القصبة التى يزمر فيها (٣) البربط : كالعود (٤) كانت فى الأصل « دق » بالقاف (٥) الطنبور : آلة من آلات الطرب لها عنق طويل وأوتارها من نحاس (٦) آلة من آلات الطرب أيضا وأصل الشين جيم فارسية كما تقول فى جلبي : « شلبي » (٧) تشرئب : تتطلع وتنظر

وَلَا تَأْخُذُكُمْ فِي الْمَعْصِيَةِ لَوْمَةُ لَائِمٍ ، بَدَّلَنِي اللهُ بِكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَكَفَانِي شَرَّكُمْ وَخَيْرَكُمْ · فَقَالَ الرَّجُلُ : « اللهُ أَكْبَرُ » يُرِيدُ تَكْبِيرَةَ الصَّلَاةِ . فَقَالَ ابْنُ طَلْحَةَ : وَهَذَا أَيْضاً مِنْ جَهْلِكَ وَقِلَّةِ مَعْرِفَتِكَ وَعَقْلِكَ ، ارْجِعْ إِلَى اللهِ بِقَلْبِكَ ، وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ .

وَكَانَ أَبُو حَمْزَةَ بْنُ عَلِيٍّ وَهُوَ الْمُلَقَّبُ بِكَمَالِ الدِّينِ وَيُكْنَى أَبَا الْفُتُوحِ ، مِنَ الْأَعْيَانِ الْأَمَاثِلِ ، وَلِيَ حَجَبَةَ الْبَابِ لِلْمُسْتَرْشِدِ ، وَوَكَّلَهُ وَكَالَةً مُطْلَقَةً ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ الْمُقْتَفِي لِأَمْرِ اللهِ وَلَّاهُ صَدْرِيَّةَ الْمَخْزَنِ ، وَأَكْثَرَ الْحَجَّ وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ الَّذِي عَمَّرَ الْمَدْرَسَةَ الَّتِي بِبَابِ الْعَامَّةِ لِأَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ ، تُعْرَفُ إِلَى الْآنِ بِالْكَمَالِيَّةِ ، وَوَقَفَ عَلَى الْمُتَفَقِّهِينَ بِهَا ثُلُثَ مِلْكِهِ ، وَمَاتَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَدُفِنَ بِالْحَرْبِيَّةِ .

٢٩ — عَلِيُّ بْنُ خَلِيفَةَ بْنِ عَلِيٍّ النَّحْوِيُّ *

على بن خليفة النحوى

يُعْرَفُ بِابْنِ الْمُنَقَّى أَبُو الْحَسَنِ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ، كَانَ إِمَاماً فَاضِلًا تَأَدَّبَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ عَصْرِهِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ، وَمَاتَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَكَانَ يَجْلِسُ بِالْمَسْجِدِ الْمَعْرُوفِ بِمَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَوْصِلِ، وَصَنَّفَ مُقَدِّمَةً فِي النَّحْوِ سَمَّاهَا الْمَعُونَةَ، وَكَانَ زَاهِداً وَرِعاً مِقْدَاماً ذَا سَوْرَةٍ وَغَضَبٍ. أَنْشَدَنِي أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ خَمِيسٍ الْمَغْرِبِيُّ الْوَكِيلُ بِبَابِ الْقَاضِي بِحَلَبَ، وَهُوَ مَوْصِلِيُّ الْمَوْلِدِ — مَاتَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ — قَالَ: أَنْشَدَنِي ابْنُ الْمُنَقَّى النَّحْوِيُّ الْمَوْصِلِيُّ لِنَفْسِهِ وَدَخَلَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ فَقَالَ لَهُ: مِنْ عِنْدِ عَلَّامَةِ الدُّنْيَا، يَعْنِي سَعِيدَ بْنَ الدَّهَّانِ. فَقَالَ ارْتِجَالًا:

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٣٣٧ بترجمة لم تختلف عن معجم الأدباء إلا فى تاريخ وفاته فقد قال: إنه مات فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

وَقَالُوا : الْأَعْوَرُ الدَّهَّانُ حَبْرٌ
يَفُوقُ النَّاسَ فِي أَدَبٍ وَكَيْسِ
فَقُلْتُ : بُجَيْسُ خَيْرٌ مِنْهُ عِلْماً
وَإِنَّ الْكَلْبَ خَيْرٌ مِنْ بُجَيْسِ

وَأَنْشَدَنِي قَالَ : أَنْشَدَنِي ابْنُ الْمُنَقَّى لِنَفْسِهِ وَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ مَلِكُ النُّحَاةِ حَلَاوَةً بَعْدَ كَلَامٍ جَرَى بَيْنَهُمَا فِي مَجْلِسِ تَاجِ الدِّينِ بْنِ الشَّهْرَزُورِيِّ :

عِنْدِي لِلشَّيْخِ مَلِيكِ النُّحَاةِ
رِيحُ شَنَاجٍ (١) سَكَنَتْ فِي خُصَاهُ
لَا عَسَلٌ عِنْدِي وَلَا سُكَّرٌ
فَلْيَعْذِرِ الشَّيْخُ وَيَأْكُلْ خَرَاهُ

وَأَنْشَدَنِي بَزَّانُ بْنُ سُنْقُرَ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنِي شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ خَلِيفَةَ النَّحْوِيُّ الْأَدِيبُ . وَمَاتَ بِبَاشَزَّى مِنْ قُرَى الْبَقْعَاءِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ : أَنْشَدَنِي وَالِدِي عَلِيُّ بْنُ خَلِيفَةَ بْنِ الْمُنَقَّى

---

(١) الشناج : إسم مرض يجعل الأعصاب منكمشة

– رَحِمَهُ اللهُ – لِنَفْسِهِ وَقَدْ عَتَبَ عَلَيْهِ جَمَالُ الدِّينِ الْأَصْفَهَانِيُّ الْوَزِيرُ فِي تَرْكِ التَّرَدُّدِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَصَدَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَمَنَعَهُ الْبَوَّابُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرِفَهُ :

إِنِّى أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَمُسَلِّمًا
كَيْمَا أَقُومَ بِبَعْضِ حَقِّ الْوَاجِبِ
فَإِذَا بِبَابِكَ حَاجِبٌ مُتَبَظْرِمٌ
فَعَمُودُ دَارِكَ فِي حِرِامِّ الْحَاجِبِ
وَلَئِنْ رَأَيْتُكَ رَاضِيًا بِفِعَالِهِ
فَجَمِيعُ ذَلِكَ فِي حِرِامِّ الصَّاحِبِ

وَأَنْشَدَنِى بَزَّانُ قَالَ : أَنْشَدَنِى الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : أَنْشَدَنِى وَالِدِى لِنَفْسِهِ فِي بَعْضِ الشُّعَرَاءِ وَقَدْ هَجَاهُ :

هَجَوْتَ يَا ابْنَ اللِّئَامِ فَاسْتَمِعِ الْ
ـهَجْوَ بِلَا خِيفَةٍ وَلَا مَلَلِ
فَأَنْتَ مِنْ مَعْشَرٍ إِذَا لَحَظُوا
تَنَخَّسُ(١) مِنْهُمْ مَحَاجِرُ الْمُقَلِ

(١) من نخس الدابة : إذا غرز مؤخرها أو جنبها بعود ونحوه

﴿ ٣٠ – عَلِيُّ بْنُ دَبِيسٍ النَّحْوِيُّ الْمَوْصِلِيُّ * ﴾

علي بن دبيس الموصلي

أَبُو الْحُسَيْنِ، قَرَأَ النَّحْوَ عَلَى ابْنِ وَحْشِيٍّ صَاحِبِ ابْنِ جِنِّيٍّ، وَأَخَذَ عَنْهُ زَيْدٌ مُرَزَّكَةُ الْمَوْصِلِيُّ وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي بَابِهِ. وَلِعَلِيِّ بْنِ دَبِيسٍ أَشْعَارٌ حِسَانٌ مِنْهَا فِي وَصْفِ قَوَّادٍ:

يُسَهِّلُ كُلَّ مُمْتَنِعٍ شَدِيدٍ
وَيَأْتِي بِالْمُرَادِ عَلَى اقْتِصَادِ
فَلَوْ كَلَّفْتَهُ تَحْصِيلَ طَيْفِ الْـ
ـخَيَالِ ضُحًى لَزَارَ بِلَا رُقَادِ

﴿ ٣١ – عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ الْقَاشَانِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

علي بن زيد القاشاني

أَحَدُ أَصْحَابِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ جِنِّيٍّ. وَجَدْتُ بِخَطِّهِ

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة صفحة ٥٧٢ بما يأتى قال:
هو الشيخ أبو الحسن قرأ على ابن وحشى وابن وحشى قرأ على أبى الفتح ابن جنى تصدر ببلده للافادة فى هذا الشأن وله شعر منه:

ما ساعفتك بطيفها هند إلا لكى يتضعف الوجد

ومنها فى مدح سعد الدولة ، أخى شرف الدولة مسلم بن قريش

والوجد ينمى فى الفؤاد كما ينمى لسعد الدولة السعد

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة

(*) راجع بغية الوعاة

مَا كَتَبَهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَهُوَ صَاحِبُ الْخَطِّ الْكَثِيرِ الضَّبْطِ الْمُعَقَّدِ ، سَلَكَ فِيهِ طَرِيقَةَ شَيْخِهِ أَبِي الْفَتْحِ .

٣٢ — عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ *

علي بن زيد البيهقي

أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَيْهَقِيُّ . مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، قَالَ هُوَ فِي كِتَابِ مَشَارِبِ التَّجَارِبِ : أَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْإِمَامِ أَبِي الْقَاسِمِ زَيْدِ بْنِ الْحَاكِمِ الْإِمَامِ أَمِيرَكْ ، مُحَمَّدِ بْنِ الْحَاكِمِ أَبِي عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْإِمَامِ فُنْدُقِ بْنِ الْإِمَامِ أَيُّوبَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عُثْمَانَ ابْنِ أَيُّوبَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ ذِي الشَّهَادَتَيْنِ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ابْنِ الْفَاكِهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَاعِدَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عِنَانَ بْنِ عَامِرِ ابْنِ خَطْمَةَ بْنِ جُشَمَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ ، وَرَفَعَ نَسَبَهُ إِلَى آدَمَ وَذَلِكَ يَسِيرٌ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ كُتُبِنَا .

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٨

قَالَ : وَمَوْلِدِى يَوْمَ السَّبْتِ سَابِعَ عِشْرِينَ [١] شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فِي قَصَبَةِ السَّابْزَوَارَ مِنْ نَاحِيَةِ بَيْهَقَ وَهِيَ بَلْدَةٌ بَنَاهَا سَاسَانُ بْنُ سَاسَانَ بْنِ بَابَكَ أَبْنِ سَاسَانَ فَأَسْلَمَنِي أَبِي بِهَا إِلَى الْكُتَّابِ ، ثُمَّ رَحَلْنَا إِلَى نَاحِيَةِ شِشْتِمذَ مِنْ قُرَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَلِوَالِدِى بِهَا ضِيَاعٌ ، فَحَفِظْتُ فِي عَهْدِ الصِّبَا كِتَابَ الْهَادِى لِلشَّارِى تَصْنِيفُ الْمَيْدَانِيِّ ، وَكِتَابَ السَّامِي فِي الْأَسَامِي لَهُ ، وَكِتَابَ الْمَصَادِرِ لِلْقَاضِي الزَّوْزَنِيِّ ، وَكِتَابَ غَرِيبِ الْقُرْآنِ لِلْعَزِيزِيِّ ، وَكِتَابَ إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ ، وَكِتَابَ الْمُنْتَحَلِ لِلْمِيكَالِيِّ ، وَأَشْعَارَ الْمُتَنَبِّى ، وَالْحَمَاسَةَ ، وَالسَّبْعِيَّاتِ ، وَكِتَابَ التَّلْخِيصِ فِي النَّحْوِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ حَفِظْتُ كِتَابَ الْمُجْمَلِ فِي اللُّغَةِ ، وَحَضَرْتُ فِي شُهُورِ سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ كُتَّابَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمُقْرِيءِ إِمَامِ الْجَامِعِ الْقَدِيمِ بِنَيْسَابُورَ مُصَنِّفِ كِتَابِ يَنَابِيعِ اللُّغَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَحَفِظْتُ فِي كُتَّابِهِ

---

(١) لم يركب العرب العدد من البضع والعقد وفى مثل هذا يقولون السابع والعشرين وقد تكلم النحاة فى ذلك ونبهوا عليه ، على أنى أظنها سابع عشر « عبد الخالق »

كِتَابَ تَاجِ الْمَصَادِرِ مِنْ تَصْنِيفِهِ ، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ نَحْوَ ابْنِ فَضَالٍ ، وَفَصْلًا مِنْ كِتَابِ الْمُقْتَصِدِ، وَالْأَمْثَالِ لِأَبِي عُبَيْدٍ ، وَالْأَمْثَالِ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْفَضْلِ الْمِيكَالِيِّ ، ثُمَّ حَضَرْتُ دَرْسَ الْإِمَامِ صَدْرِ الْأَفَاضِلِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَيْدَانِيِّ فِي مُحَرَّمِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَصَحَّحْتُ عَلَيْهِ كِتَابَ السَّامِي فِي الْأَسَامِي مِنْ تَصْنِيفِهِ ، وَكِتَابَ الْمَصَادِرِ لِلْقَاضِي، وَكِتَابَ الْمُنْتَحَلِ ، وَكِتَابَ غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِأَبِي عُبَيْدٍ ، وَكِتَابَ إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ وَمَجْمَعَ الْأَمْثَالِ مِنْ تَصْنِيفِهِ ، وَكِتَابَ صِحَاحِ اللُّغَةِ لِلْجَوْهَرِيِّ . وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ كُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى الْإِمَامِ إِبْرَاهِيمَ الْخَرَّازِ الْمُتَكَلِّمِ وَأَقْتَبِسُ مِنْهُ أَنْوَارَ عُلُومِ الْكَلَامِ ، وَإِلَى الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ الْفَزَارِيِّ وَسَمِعْتُ مِنْهُ غَرِيبَ الْحَدِيثِ لِلْخَطَّابِيِّ وَغَيْرِهِمْ ، ثُمَّ مَاتَ وَالِدِي فِي سَلْخِ[1] جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَانْتَقَلْتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ إِلَى مَرْوٍ ، فَقَرَأْتُ عَلَى تَاجِ الْقُضَاةِ أَبِي سَعْدٍ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ

(١) سلخ الشهر : آخره

صَاعِدٍ ، وَكَانَ مَلَكًا فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ ، وَعَلَّقْتُ مِنْ لَفْظِهِ كِتَابَ الزَّكَاةِ ، وَالْمَسَائِلَ الْخِلَافِيَةِ ، ثُمَّ سَائِرَ الْمَسَائِلِ عَلَى غَيْرِ التَّرْتِيبِ ، وَخُضْتُ فِي الْمُنَاظَرَةِ وَالْمُجَادَلَةِ سَنَةً جَرْدَةً[1] حَتَّى رَضِيتُ عَنْ نَفْسِي فِيهِ وَرَضِيَ عَنِّي أُسْتَاذِي ، وَكُنْتُ أَعْقِدُ مَجْلِسَ الْوَعْظِ فِي تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ وَفِي الْجَامِعِ ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْ مَرْوَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَاشْتَغَلْتُ بِمَرْوَ بِتَزْوِيجٍ صَدَّنِي عَنِ التَّحْصِيلِ صَدًّا ، وَعُدْتُ إِلَى نَيْسَابُورَ ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَسْقَطِ الرَّأْسِ وَزِيَارَةِ الْوَالِدَةِ بِبَيْهَقَ ، وَأَقَمْتُ بِهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، وَرَجَعْتُ إِلَى نَيْسَابُورَ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى بَيْهَقَ ، وَاتَّفَقَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَجَلِّ شِهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ ابْنِ مَسْعُودٍ الْمُخْتَارِ وَالِي الرَّيِّ ثُمَّ مُشْرِفِ الْمَمْلَكَةِ مُصَاهَرَةٌ ، وَصِرْتُ مَشْدُودًا بِوَثَاقِ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ سِنِينَ ، وَفَوَّضَ إِلَيَّ قَضَاءَ بَيْهَقَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَبَخِلْتُ بِزَمَانِي وَعُمْرِي عَلَى إِنْفَاقِهِ فِي مِثْلِ هَذِهِ

---

(١) يقال سنة جردة : خالية من النبات ، فكأنه يقول : لم أشتغل بغير الجدل والمناظرة « عبد الخالق »

الأُمُورِ الَّتِي قصاراها ماقالَ شُرَيْحٌ القَاضِي : « أَصْبَحْتُ وَنِصفُ النَّاسِ عَلَيَّ غَضْبَانُ » ، فَضِقْتُ ذَرْعًا وَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنَ الانتِقَالِ حَتَّى يَتَقَلَّصَ عَنِّي ظِلُّ ذَلِكَ الأَمْرِ ، فَقَصَدْتُ كُورَةَ الرَّيِّ لَيْلَةَ العِيدِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَالوَالِي بِهَا شِهَابُ الدِّينِ صِهْرِي ، فَتَلَقَّانِي أَكَابِرُهَا وَقُضَاتُهَا وَسَائِرُ الأَجِلَّاءِ ، وَأَقَمْتُ بِهَا إِلَى السَّابِعِ وَالعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكُنْتُ فِي تِلْكَ المُدَّةِ أَنْظُرُ فِي الحِسَابِ وَالجَبْرِ وَالمُقَابَلَةِ وَطَرَفًا مِنَ الأَحْكَامِ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى خُرَاسَانَ أَتْمَمْتُ تِلْكَ الصِّنَاعَةَ عَلَى الحَكِيمِ أُسْتَاذِ خُرَاسَانَ عُثْمَانَ بْنِ جَاذُوكَارَ ، وَحَصَّلْتُ كُتُبًا مِنَ الأَحْكَامِ ، وَصِرْتُ فِي تِلْكَ الصِّنَاعَةِ مُشَارًا إِلَيَّ . وَانْتَقَلْتُ إِلَى نَيْسَابُورَ فِي غُرَّةِ رَبِيعٍ الآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ عِلْمُ الحِكْمَةِ عِنْدِي غَيْرَ نَضِيجٍ ، وَعُدْتُ إِلَى بَيْهَقَ وَفِي العَيْنِ قَذًى مِنْ نُقْصَانِ الصِّنَاعَةِ ، فَرَأَيْتُ فِي المَنَامِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ قَائِلًا يَقُولُ : عَلَيْكَ بِقُطْبِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ المَرْوَزِيِّ المُلَقَّبِ بِالطَّبَسِيِّ النُّصَيْرِيِّ ، فَمَضَيْتُ إِلَى

سَرْخَسَ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ وَأَنفَقْتُ مَاعِنْدِي مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالدَّرَاهِمِ ، وَعَالَجْتُ جُرُوحَ الْحِرْصِ بِتِلْكَ الْمَرَاهِمِ ، وَعُدْتُ إِلَى نَيْسَابُورَ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ ، وَأَقَمْتُ مَعَهُ بِنَيْسَابُورَ حَتَّى أَصَابَهُ الْفَالِجُ وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ ، فَعُدْتُ إِلَى بَيْهَقَ فِي شَعْبَانِهَا فَأَزْعَجَنِي[1] عَنْهَا حَسَدُ الْأَقَارِبِ ، فَخَرَجْتُ مِنْهَا خَائِفًا أَتَرَقَّبُ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، فَأَكْرَمَنِي أَكَابِرُهَا ، فَكُنْتُ أَعْقِدُ الْمَجْلِسَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بِجَامِعِ نَيْسَابُورَ الْقَدِيمِ ، وَيَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ فِي مَسْجِدِ الْمُرَبَّعِ ، وَيَوْمِ الِاثْنَيْنِ فِي مَسْجِدِ الْحَاجِّ ، وَتَفِدُ عَلَيَّ وُفُودُ إِكْرَامِ الْوَزِيرِ مَلِكِ الْوُزَرَاءِ طَاهِرِ بْنِ فَخْرِ الْمُلْكِ ، وَإِكْرَامِ أَكَابِرِ الْحَضْرَةِ ، فَأَلْقَيْتُ الْعَصَا بِنَيْسَابُورَ وَأَقَمْتُ بِهَا إِلَى غُرَّةِ رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، ثُمَّ ارْتَحَلْتُ عَنْهَا لِزِيَارَةِ وَالِدَتِي ، وَمَاتَ وَلَدِي أَحْمَدُ وَوَالِدَتِي فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَكَانَتْ حَافِظَةً لِلْقُرْآنِ عَالِمَةً بِوُجُوهِ تَفَاسِيرِهِ .

---

(١) أي جعلني لا أقيم فيها

وَهاأَنا أَذْكُرُ تصانيفي فِي هَذِهِ المُدَّةِ : كِتابُ أَسئِلَةِ القُرْآنِ مَعَ الأَجْوِبَةِ مُجَلَّدَةٌ ، كِتابُ إِعجازِ القُرْآنِ مُجَلَّدٌ ، كِتابُ الإِفادَةِ فِي كَلِمَةِ الشَّهادَةِ مُجَلَّدَةٌ ، كِتابُ المُخْتَصَرِ مِنَ الفَرائِضِ مُجَلَّدٌ ، كِتابُ الفَرائِضِ بِالجَدْوَلِ مُجَلَّدٌ ، كِتابُ أُصُولِ الفِقْهِ مُجَلَّدٌ ، كِتابُ قَرائِنِ آياتِ القُرْآنِ مُجَلَّدٌ ، كِتابُ مَعارِجِ نَهْجِ البَلاغَةِ وَهُوَ شَرْحُ الكِتابِ مُجَلَّدٌ ، كِتابُ نَهْجِ الرَّشادِ فِي الأُصُولِ مُجَلَّدٌ ، كِتابُ كَنْزِ الحُجَجِ فِي الأُصُولِ مُجَلَّدٌ ، كِتابُ جَلاءِ صَدَإِ الشَّكِّ فِي الأُصُولِ ، كِتابُ إِيضاحِ البَراهِينِ فِي الأُصُولِ مُجَلَّدٌ ، كِتابُ الإِفادَةِ فِي إِثْباتِ الحَشْرِ وَالإِعادَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتابُ تُحْفَةِ السَّادَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتابُ التَّحْرِيرِ فِي التَّذْكِيرِ مُجَلَّدانِ ، كِتابُ الوَقِيعَةِ فِي مُنْكِرِ الشَّرِيعَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتابُ تَنْبِيهِ العُلَماءِ عَلَى تَمْوِيهِ المُتَشَبِّهِينَ بِالعُلَماءِ ، كِتابُ أَزاهِيرِ الرِّياضِ المَرِيعَةِ وَتَفْسِيرِ أَلْفاظِ المُحاوَرَةِ وَالشَّرِيعَةِ مُجَلَّدٌ ،

كِتَابُ[١] أَشْعَارِهِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ دُرَرِ السَّحَابِ[٢] وَدِرَرِ السَّحَابِ فِي الرَّسَائِلِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ مُلَحِ الْبَلَاغَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الْبَلَاغَةِ الْخَفِيَّةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ طَرَائِقِ الْوَسَائِلِ إِلَى حَدَائِقِ الرَّسَائِلِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الرَّسَائِلِ بِالْفَارِسِيِّ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ رَسَائِلِهِ الْمُتَفَرِّقَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ عُقُودِ اللَّآلِىءِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ غُرَرِ الْأَمْثَالِ مُجَلَّدَانِ ، كِتَابُ الِانْتِصَارِ مِنَ الْأَشْرَارِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الِاعْتِبَارِ بِالْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ وِشَاحِ دُمْيَةِ الْقَصْرِ مُجَلَّدٌ ضَخْمٌ ، كِتَابُ أَسْرَارِ الِاعْتِذَارِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ شَرْحِ مُشْكِلَاتِ الْمَقَامَاتِ الْحَرِيرِيَّةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ دُرَّةِ الْوِشَاحِ وَهُوَ تَتِمَّةُ كِتَابِ الْوِشَاحِ مُجَلَّدٌ خَفِيفٌ ، كِتَابُ الْعَرُوضِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ أَزْهَارِ أَشْجَارِ الْأَشْعَارِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ عُقُودِ الْمَضَاحِكِ بِالْفَارِسِيِّ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ نَصَائِحِ الْكُبَرَاءِ بِالْفَارِسِيَّةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ آدَابِ السَّفَرِ

---

(١) يلاحظ أن الذى يحدث هو نفس البيهق فلم لم يقل أشعارى أو أشعار ؟ ومثل هذا قوله بعد : كتاب رسائله « عبد الخالق »

(٢) السخاب : بالخاء المعجمة : قلادة من القرنفل ونحوه ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر

مُجَلَّدَةٌ ، كِتَابُ مَجَامِعِ الْأَمْثَالِ وَبَدَائِعِ الْأَقْوَالِ أَرْبَعُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابُ مَشَارِبِ التَّجَارِبِ أَرْبَعُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابُ ذَخَائِرِ الْحِكَمِ مُجَلَّدَةٌ ، كِتَابُ شَرْحِ الْمُوجَزِ الْمُعْجِزِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ أَسْرَارِ الْحِكَمِ مُجَلَّدَةٌ ، كِتَابُ عَرَائِسِ النَّفَائِسِ مُجَلَّدَةٌ ، كِتَابُ أَطْعِمَةِ الْمَرْضَى مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الْمُعَالَجَاتِ الِاعْتِبَارِيَّةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ تَتِمَّةِ صِوَانِ الْحِكْمَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ السُّمُومِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابٌ فِي الْحِسَابِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ خُلَاصَةِ الزِّيجَةِ[1] مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ أَسَامِي الْأَدْوِيَةِ وَخَوَاصِّهَا وَمَنَافِعِهَا مُجَلَّدٌ وَهُوَ مُعَنْوَنٌ بِتَفَاسِيرِ الْعَقَاقِيرِ مُجَلَّدٌ ضَخْمٌ ، كِتَابُ جَوَامِعِ الْأَحْكَامِ ثَلَاثُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابُ أَمْثِلَةِ الْأَعْمَالِ النُّجُومِيَّةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ مُؤَامَرَاتِ الْأَعْمَالِ النُّجُومِيَّةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ غُرَرِ الْأَقْيِسَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ مَعْرِفَةِ ذَاتِ الْحَلَقِ وَالْكُرَةِ وَالْأَصْطُرْلَابِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ أَحْكَامِ الْقِرَانَاتِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ رَبِيعِ الْعَارِفِينَ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ رَيَاحِينِ الْعُقُولِ

---

(١) الزيجة : في علم الهيئة : جدول يستدل به على حركة السيارات « الكواكب »

مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الْإِرَاحَةِ عَنْ شَدَائِدِ الْمِسَاحَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ حِصَصِ الْأَصْفِيَاءِ فِى قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى طَرِيقِ الْبُلَغَاءِ بِالْفَارِسِيَّةِ مُجَلَّدَانِ ، كِتَابُ الْمُشْتَهِرِ فِى نَقْضِ الْمُعْتَبَرِ الَّذِى صَنَّفَهُ الْحَكِيمُ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ بَسَاتِينِ الْأُنْسِ وَدَسَاتِينِ الْحَدْسِ فِى بَرَاهِينِ النَّفْسِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ مَنَاهِجِ الدَّرَجَاتِ فِى شَرْحِ كِتَابِ النَّجَاةِ ثَلَاثُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابُ الْأَمَانَاتِ فِى شَرْحِ الْإِشَارَاتِ ، كِتَابُ رُقْيَاتِ[1] التَّشْبِيهَاتِ عَلَى خَفَايَا الْمُخْتَلِطَاتِ بِالْجَدَاوِلِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ شَرْحِ رِسَالَةِ الطَّرِّ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ شَرْحِ الْحَمَاسَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ رِسَالَةِ الْعَطَّارَةِ فِى مَدْحِ بَنِى الزُّبَارَةِ ، كِتَابُ تَعْلِيقَاتِ فُصُولِ بُقْرَاطَ ، كِتَابُ شَرْحِ شِعْرِ الْبُحْتُرِىِّ وَأَبِى تَمَّامٍ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ شَرْحِ شِهَابِ الْأَخْبَارِ مُجَلَّدٌ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : هَذَا مَا ذَكَرَهُ فِى كِتَابِ مَشَارِبِ

---

(١) فى الأصل : قضايا

التَّجارِبِ ، وَوَجَدْتُ لَهُ كِتَابَ تَارِيخِ بَيْهَقَ بِالْفَارِسِيَّةِ ، وَكِتَابَ لُبَابِ الْأَنْسَابِ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَقَفْتُ بِنَيْسَابُورَ عِنْدَ أَوَّلِ وُرُودِي إِلَيْهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَسِتِّمَائَةٍ عَلَى كِتَابِ وِشَاحِ الدُّمْيَةِ فَقَالَ فِيهِ : إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ الْبَاخَرْزِيَّ فَرَغَ مِنْ تَصْنِيفِ كِتَابِ دُمْيَةِ الْقَصْرِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَإِنَّهُ هُوَ بَدَأَ بِتَصْنِيفِ الْوِشَاحِ فِي غُرَّةِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ ، وَفَرَغَ مِنْهُ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ .

وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِ الْوِشَاحِ أَشْعَاراً مِنْهَا فِي مُخْلِصِ الدِّينِ أَبِي الْفَضْلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمٍ كَاتِبِ الْإِنْشَاءِ فِي دِيوَانِ السُّلْطَانِ سِنْجَرَ قَالَ : وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الطُّغْرَائِيِّ :

كَرِيمٌ عَلَا أَوْجَ النُّجُومِ عُلَاهُ

وَأَيْقَظَ نُوَّامَ الْمَدِيحِ نَدَاهُ

سَرَى وَاُهْتَدَى طَبْعِي بِنَجْمِ كَمَالِهِ

وَأَحْمَدَ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ سُرَاهُ (١)

لَهُ رَوْضَةٌ أَبْدَتْ مِنَ الْفَضْلِ نَرْجِساً

وَغُصْناً مِنَ الْإِقْبَالِ طَابَ جَنَاهُ

أَعَادَ رِسَاغَ (٢) الْقَلْبِ فِي حَبْلِ وُدِّهِ

وَغَادَرَ قَلْبِي فِي صِرَاعِ هَوَاهُ

يُفَرِّقُ أَشْجَانَ الْأَفَاضِلِ يُمْنُهُ (٣)

وَيَجْمَعُ كُلَّ الصَّيْدِ جَوْفُ فَرَاهُ

لَقَدْ زُرْتُ أَشْرَافَ الزَّمَانِ وَإِنَّمَا

أَبَى الْفَضْلُ إِلَّا أَنْ أَزُورَ فَنَاهُ

---

(١) فى البيت إشارة إلى المثل : « عند الصباح يحمد القوم السرى » (٢) فى طبعة الكتاب الأولى : أعاد رضاع القلب فى حل ورده ، وقال الناشر فى ذيل الطبعة الثانية : لعل البيت أعاد رصاغ القلب فى رحل وده ولم يبين لهذا الاصلاح من سبب ، والرصاغ والرساغ : الحبل يشد به الشىء ، ورأيى أن البيت كما أصلحته ، هذا — وصراع إما مصدر صارع بمعنى أن القلب يعانى هواه ، أو أنه جمع صريع بمعنى أن عمله جعل القلب من صرعى هواه (٣) فى الأصل يمنة وأصلحتها . يريد أنه لايترك فاضلا إلا رفه عليه حياته ، وضرب له المثل مع تعديل فى اللفظ « وهو كل الصيد فى جوف الفرا » والفرا : حمار الوحش ، اصطاد زيد أرنبا ، وعمرو غزالا ، ومحمد حمار وحش ، وكان هذا أوفرما اصطيد فضرب المثل « عبد الخالق »

وَذَكَرَهُ الْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِ الْخَرِيدَةِ وَوَصَفَهُ بِالرِّيَاسَةِ وَالشَّرَفِ وَقَالَ : حَدَّثَنِي وَالِدِي أَنَّهُ لَمَّا مَضَى إِلَى الرَّيِّ عَقِيبَ النَّكْبَةِ أَصْبَحَ ذَاتَ يَوْمٍ وَشَرَفُ الدِّينِ الْبَيْهَقِيُّ قَدْ قَصَدَهُ فِي مَرْكَبِهِ وَهُوَ حِينَئِذٍ وَالِي الرَّيِّ وَنَقَلَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَتَكَفَّلَ بِتَسْدِيدِ خَلَلِهِ ، وَكَانَ حِينَئِذٍ يَتَرَشَّحُ لِوَزَارَةِ السُّلْطَانِ وَهُوَ كَبِيرُ الشَّانِ ، وَمَا زَالَا بِالرَّيِّ مُقِيمَيْنِ مُتَوَانِسَيْنِ حَتَّى فَرَّقَ بَيْنَهُمَا مَحْتُومُ الْبَيْنِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

قَالَ : وَأَظُنُّهُ نُكِبَ فِي وَقْعَةِ السُّلْطَانِ سِنْجَرَ مَعَ الْكُفَّارِ الْخَطَائِيَّةِ ، وَكَانَ وَالِدِي يُثْنِي عَلَيْهِ أَبَدًا وَيَقُولُ : إِنَّهُ مَا نَظَرَ إِلَى نَظِيرِهِ ، وَلَا مَثَلَتْ لِعَيْنِهِ عَيْنٌ مِثْلِهِ ، صَنَّفَ كِتَابَ وِشَاحِ الدُّمْيَةِ ، ذَيَّلَهُ عَلَى كِتَابِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَاخَرْزِيِّ وَهُوَ مَوْجُودٌ بِخُرَاسَانَ ، وَأَوْرَدَ فِيهِ لِنَفْسِهِ :

تَرَاجَعَتِ الْأُمُورُ عَلَى قَفَاهَا كَمَا يَتَرَاجَعُ الْبَغْلُ الرَّمُوحُ

وَتَسْتَبِقُ الْحَوَادِثُ مُقْدِمَاتٍ
كَمَا يَتَقَدَّمُ الْكَبْشُ النَّطُوحُ

وَقَوْلُهُ :

يُشِيرُ بِأَطْرَافٍ لِطَافٍ كَأَنَّهَا

أَنَابِيبُ مِسْكٍ أَوْ أَسَارِيعُ إِسْحِلِ [1]

وَتَرْمِي بِلَحْظٍ فَاتِرِ الطَّرْفِ فَاتِنٍ

بِمَرْوَدِ سِحْرٍ بَابِلِيٍّ مُكَحَّلِ

يَنِمُّ عَلَى مَا بَيْنَنَا مِنْ تَجَاذُبٍ

نَسِيمُ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا الْقَرَنْفُلِ [2]

وَلَهُ :

يَا خَالِقَ الْعَرْشِ حَمَلْتَ الْوَرَى ... لَمَّا طَغَى الْمَاءُ عَلَى جَارِيَةْ [3]

وَعَبْدُكَ الْآنَ طَغَى مَاؤُهُ ... فِي صُلْبِهِ فَاحْمِلْ عَلَى جَارِيَةْ [4]

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : هَكَذَا ذَكَرَ الْعِمَادُ فِي كِتَابِهِ ، وَإِذَا عَارَضْتُ [5] قَوْلَهُ بِمَا ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي نَقَلْتُ لَفْظَهُ مِنْهُ مِنْ خَطِّهِ ، وَجَدْتُ فِيهِ اخْتِلَافًا فِي التَّارِيخِ وَغَيْرِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ .

---

(١) الاسحل : شجر يستاك به يكون معتدلا . والأساريع : خطوط وطرائق

(٢) شعر مجموع من هنا وهناك لا قيمة له ، وإذا ما شئت أن تحصل منه على شيء فرمن بين ثنايا الذهن إلى حيث لا يوجد (٣) أي سفينة : فهي صفة لموصوف محذوف يشير إلى قوله تعالى : « إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية »

(٤) جارية : امرأة مملوكة (٥) عارضت : قارنت

وَمِنْ شِعْرِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَيْهَقِيِّ الَّذِي أَوْرَدَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِ الْوِشَاحِ فِي عَزِيزِ الدِّينِ أَبِي الْفُتُوحِ عَلِيِّ بْنِ فَضْلِ اللهِ الْمُسْتَوْفِي الطُّغْرَائِيِّ وَنَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّهِ :

شُمُوسِيَ فِي أُفْقِ الْحَيَاةِ هِلَالُ
وَأَمْنِيَ مِنْ صَرْفِ[1] الزَّمَانِ مِحَالُ

وَأَطْلُبُ وَالْمَطْلُوبُ عَزَّ وُجُودُهُ
وَأَرْجُو وَتَحْقِيقُ الرَّجَاءِ مُحَالُ

إِلَى كَمْ أُرَجِّي مِنْ زَمَانِي مَسَرَّةً
وَقَدْ شَابَ مِنْ رَأْسِ الزَّمَانِ قَذَالُ[2]

وَبَالٌ عَلَى الطَّاوُوسِ أَلْوَانُ رِيشِهِ وَعِلْمُ الْفَتَى حَقًّا عَلَيْهِ وَبَالُ

وَلِلدَّهْرِ تَفْرِيقُ الْأَحِبَّةِ عَادَةٌ[3]
وَلِلْجَهْلِ دَاءٌ فِي الطِّبَاعِ عُضَالُ

لَقَدْ سَادَ بِالْمَالِ الْمَصُونِ مَعَاشِرٌ
وَأَخْلَاقُهُمْ لِلْمُخْزِيَاتِ عِيَالُ[4]

---

(١) صرف الزمان وصروفه : نوائبه وحوادثه (٢) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس (٣) صوغ البيت هكذا :

٭ وتفريق الأحبة عادة للدهر ٭

(٤) من عال يعول بمعنى تكفل

وَبَيْنَهُمْ ذُلُّ الْمَطَامِعِ عِزَّةٌ وَعِنْدَهُمْ كَسْبُ الْحَرَامِ حَلَالُ

وَلَهُ :

ضَجِيعِيَ فِي لَيْلِي جَوًى وَنَحِيبٌ[1]
وَإِلْفِي فِي نَوْمِي ضَنًى وَلُغُوبُ[2]
دَجَا[3] لَيْلُ آمَالِي وَأَبْطَأَ صُبْحُهُ
وَلِلْمُنْذِرَاتِ السُّودِ فِيهِ نَعِيبُ[4]
وَتَلْسَعُنِي الْأَيَّامُ فَهِيَ أَرَاقِمٌ
وَتَخْدَعُنِي الْآمَالُ فَهِيَ كَذُوبُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً
وَبَاعِيَ فِي ظِلِّ الْوِصَالِ رَحِيبُ ؟
خَلِيلِيَ لَا تَرْكَنْ إِلَى الدَّهْرِ آمِنًا
فَإِحْسَانُهُ بِالسَّيِّئَاتِ مَشُوبُ
وَكَمْ جَاهِلٍ قَدْ قَالَ لِي أَنْتَ نَاقِصٌ
فَهَيَّجَ لَيْثَ الْحِقْدِ وَهُوَ غَضُوبُ

---

(١) الضجيع : المضاجع ، الجوى : شدة الوجد من عشق أو حزن . النحيب : رفع الصوت في البكاء (٢) الضنى : المرض والهزال والضعف . ولغوب . تعب وإعياء (٣) دجا الليل : أظلم (٤) النعيب : صوت الغراب

وَعَيَّرَنِي بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالنُّهَى
قَبَائِلُ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى وَشُعُوبُ
فَقُلْتُ لَهُمْ : لَا تَعْذُلُونِي فَإِنَّنِي
لِصَفْوِ زُجَاجَاتِ الْعُلُومِ شَرُوبُ
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي عَلِيمٌ بِمُشْكِلٍ
وَقَدْ مَسَّ أَهْلَ الدَّهْرِ مِنْهُ لُغُوبُ
لَئِنْ عُدَّ عِلْمُ الْمَرْءِ جُرْمًا لَدَيْكُمُ
فَذَلِكَ جُرْمٌ لَسْتُ مِنْهُ أَتُوبُ
كَفَى حَزَنًا أَنِّي مُقِيمٌ بِبَلْدَةٍ
بِهَا صَاحِبُ الْعِلْمِ الرَّصِينِ غَرِيبُ

وَذَكَرَ أَيْضًا فِي هَذَا الْكِتَابِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْأَمِيرِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُظَفَّرِ بْنِ نِظَامِ الْمُلْكِ ، فَأَكْرَمَنِي وَقَابَلَنِي بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّفْخِيمِ فَقُلْتُ بَدِيهَةً :

يَعْقُوبُ يُظْهِرُ دَائِمًا فِي لَفْظِهِ
عَسَلًا لَدَيْهِ يُطِمُّهُ (١) يَعْسُوبُهُ

---

(١) فى الأصل « نظمه » واليعسوب : ملكة النحل .

وَغَدَا بِحَمْدِ اللهِ صَدْراً مُكْرَماً

يَعْلُو نِطَاقَ الْمُشْتَرِى عُرْقُوبُهُ (١)

فَسَقَى أَنَامِلُهُ حَدَائِقَ لَفْظِهِ

وَجَرَى عَلَى نَهْجِ الْعُلَا يَعْبُوبُهُ (٢)

قَدْ غَابَ يُوسُفُ خَاطِرِى عَنْ مِصْرِهِ

وَيَشُمُّ رِيحَ قَمِيصِهِ يَعْقُوبُهُ

فَأَشَارَ إِلَىَّ وَقَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ تَنْسِجَ عَلَى مِنْوَالِي فِيمَا قُلْتُ ؟ فَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

أَعَاذِلُ مَهْلًا لَيْسَ عَذْلُكَ يَنْفَعُ

وَقَوْلُكَ فِينَا دَائِمًا لَيْسَ يَنْجَعُ

وَهَلْ يَصْبِرُ الصَّبُّ الْمَشُوقُ عَلَى الْجَوَى

وَفِى الْوَصْلِ مُشْتَاقٌ وَفِى الْهَجْرِ مُجْزَعُ ؟

يَقُولُونَ : إِنَّ الْهَجْرَ يَشْفِي مِنَ الْجَوَى

وَإِنَّ فُؤَادَ الصَّبِّ فِي الْقُرْبِ أَجْزَعُ

---

(١) العرقوب : جاء فى القاموس أن العراقيب : عصاويد الأمور ، والعصواد على زنة فعلال بكسر الفاء : العظيم من الأمر ، وبعد فما هذا التعسف ؟ .

(٢) اليعبوب : السحاب

بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بِنَا
عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ أَجْدَى وَأَنْفَعُ

نَحِنُّ إِلَى ظِلٍّ مِنَ الْعَيْشِ وَارِفٍ (١)
وَعَهْدٍ مَضَى مِنْهُ مَصِيفٌ وَمَرْبَعُ

فَقُلْتُ أَيُّهَا الصَّدْرُ : لَيْسَ لِلْخَلِّ حَلَاوَةُ الْعَسَلِ ، وَلِلتَّكَحُّلِ طَلَاوَةُ الْكَحَلِ ، وَمِنْ أَيْنَ لِلسِّرَاجِ نُورُ الشَّمْسِ ؟ وَلِلْكَوْدَنِ (٢) سَبْقُ الْخَيْلِ الشُّمْسِ (٣) ؟ وَمِنْ أَيْنَ لِلضَّبَابِ مَنْفَعَةُ السَّحَابِ ؟ فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ ، فَجَمَعْتُ الْعُجَالَةَ وَالْبَدَاهَةَ هُنَالِكَ ، وَقُلْتُ فِى الْحَالِ فِى مَقَامِ الِارْتِحَالِ ، وَكَتَبْتُ بِقَلَمِ الِارْتِجَالِ عَلَى قِرْطَاسِ الِاسْتِعْجَالِ :

سَرَى طَيْفُهُ وَهْنًا وَلِى فِيهِ مَطْمَعُ
وَبَرْقُ الْأَمَانِى فِى دُجَى الْهَجْرِ يَلْمَعُ

---

(١) يقال : ورف الظل : امتد واتسع (٢) الكودن : البرذون

(٣) الشمس من الخيل جمع أشمس : الذى يمنع ظهره ولا يكاد يستقر

وَيأْبَى حَقِينُ(١) الْهجْرِ عِذْرَةَ طَيفِهِ
فَلَمْ أَدْرِ فِي مَهْوَى الْهوَى كَيْفَ أَصْنَعُ ؟

لَقَدْ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى فِي صَبَاحِهِمْ
زَمَانَ تَلَاقٍ عِنْدَهُ الشَّمْلُ يُجْمَعُ

وَهَأَنَا أَسْرِي فِي ظَلَامِي وَإِنَّنِي
أَذُمُّ صَبَاحِي وَالْخَلَائِقُ هُجَّعُ

أَقُولُ لِصَبْرِي أَنْتَ ذُخْرِي لَدَى النَّوَى
وَذُخْرُ الْفَتَى حَقًّا شَفِيعٌ مُشَفَّعُ

وَأُسْكِنُ مَاءَ الْعَيْنِ نَارِي وَإِنَّمَا
هَوَاءُ الْهوَى مِنْ تُرْبَةِ الطَّيْفِ أَنْقَعُ

رَأَيْتُ مُعَيْدِيَّ الْخَيَالِ فَقَالَ مِنْ
جُهَيْنَةَ(٢) أَخْبَارَ الْمُعَيْدِيِّ تَسْمَعُ

دَعَوْتُ إِلَى جَيْشِ الْهوَى جُنْدَبَ الْهوَى
فَوَلَّى وَطَرْفُ الْعَيْنِ فِي النَّوْمِ يَرْتَعُ

---

(١) الحقين والمحقون : المحبوس ، فكأنه يريد الهجر الذى حبس فيه يأبى قبول عذر الطيف (٢) عند جهينة الخبر اليقين : مثل يضرب للصادق فى الحديث

وَقَالَ لِنَفْسِي : لَا تَمُوتِي صَبَابَةً

لَعَلَّ زَمَانًا قَدْ مَضَى لَكِ يَرْجِعُ

وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي غَيْرُ مَا قُلْتُ مُنْشِدًا

حُشَاشَةُ(١) نَفْسٍ وَدَّعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا

فَلَاذَ بِشَمْسِ الدِّينِ يَعْقُوبَ مَنْ لَهُ

نُجُومٌ لَهَا فِي مَشْرِقِ الْمَجْدِ مَطْلَعُ

أُجِلُّكَ يَا يَعْقُوبُ عَنْ كُنْهِ مِدْحَتِي

لِأَنَّكَ عَنْ مَدْحِي أَجَلُّ وَأَرْفَعُ(٢)

قَالَ : ثُمَّ شَرَّفَنِي بَعْدَ ذَلِكَ بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

أَلَا أَبْلِغْ إِلَى سَلْمَى السَّلَامَا

فَأَجَبْتُ وَقُلْتُ بَعْدَ الْجَوَابِ عِلَاوَةً لِلتَّصْدِيعِ(٣) وَالْإِبْرَامِ، عَلَى طَرِيقِ أَدَاءِ شُكْرِ الْمُنْعِمِ اللَّائِقِ بِأَحْوَالِ الْخَدَمِ :

---

(١) الحشاشة : ما بقى من الروح (٢) ماكان أجدر البيهقى بالوقوف عند التأليف فان هذا الشعر أغلبه مفكك ومتونه واهية ، وكل بيت أو الأكثر فى حاجة إلى إصلاح ، وما أشبه تدخله فى الشعر بتدخل بعض الأطباء الذين يتهافتون على موائد الشعر ، مع أنهم لو عملوا لفنهم لأفادوا أمتهم وكان لهم الصيت الذائع . (٣) أى إطاعة الأمر ، من قولهم : صدع بالأمر أطاعه وجهر به .

« عبد الخالق »

يَا صَاحِبِي كَسَدَتْ أَسْوَاقُ أَشْوَاقِي
وَالْتَفَّتِ السَّاقُ يَوْمَ الْهَجْرِ بِالسَّاقِ

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ سَعْدٌ يُسَاعِدُنِي
أَمْ هَلْ لِدَاءِ الْهَوَى فِي النَّاسِ مِنْ رَاقِ ؟؟

أَمْ هَلْ سَبِيلٌ إِلَى سُلْوَانِ مُكْتَئِبٍ
أَمْ هَلْ طَرِيقٌ إِلَى إِينَاسِ مُشْتَاقِ ؟؟

يَا نَجْلَ إِسْحَاقَ يَامَنْ ثَوْبُ سُودَدِهِ
قَدْ جَلَّ(٢) فِي الدَّهْرِ عَنْ وَهْيِ ابْنِ إِسْحَاقِ (١)

فَمَا تَمَهَّلْتَ فِي يَوْمَيْ وَغًى وَنَدًى
إِلَّا قَضَيْتَ بِآجَالٍ وَأَرْزَاقِ

وَكُلُّ ذِكْرٍ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
فَانٍ وَذِكْرُكَ فِي نَادِي النَّدَى بَاقِ

---

(١) البيت قاصر فى أداء المراد ، فانه يريد أن يقول : إن ثوب سوددك أجل من أن يناله وهى كما نال قيص يوسف لما قد ، وكان فى الأصل « عن وهى إسحاق » فزدنا لفظة ابن ، وقد بان لك أن إسحاق الأول هو ابن نظام الملك ، والثانى جد سيدنا يوسف الصديق. « عبد الخالق »

﴿ ٣٣ – عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَدِيبُ الْبَغْدَادِيُّ ﴾

على بن سليمان البغدادى

أَبُو الْحَسَنِ، أَحَدُ الْفُضَلَاءِ الْمُبَرِّزِينَ وَالظُّرَافِ الْمَشْهُورِينَ قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: ذَكَرَ أَبُو الْمُظَفَّرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْأَبِيوَرْدِيُّ فِي كِتَابِ تَعِلَّةِ الْمُشْتَاقِ مِنْ تَصْنِيفِهِ قَالَ فِيهِ: وَقَدْ صَمَّمْتُ الْعَزْمَ عَلَى مُعَاوَدَةِ الْحَضْرَةِ الرَّضَوِيَّةِ بِخُرَاسَانَ لِأُنْهِيَ[1] إِلَيْهَا مَا قَاسَيْتُهُ فِي التَّأَخُّرِ عَنِ الْخِدْمَةِ، وَعَلِمَ الْأَدِيبُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ صِرِّيَ[2] عَزْمِي، تَجَشَّمَ[3] إِلَى قَدَمِهِ، وَجَرَى عَلَى عَادَتِهِ الرَّضِيَّةِ فِي رِعَايَةِ جَانِبِي تَمْهِيدًا لِمَا اسْتَمَرَّ بَيْنَنَا مِنْ أَوَاصِرِ[4] الْمَوَدَّةِ، وَلَعَمْرُ الْفَضْلِ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِي غُرْبَتِي هَذِهِ فَاضِلًا يُبَارِيهِ، وَلَا ظَرِيفًا يُجَارِيهِ، وَمَنْ وَصَفَ الْبَغْدَادِيَّ بِالْفَضْلِ وَالظَّرْفِ فَقَدْ كَسَاهُ الثَّنَاءَ الْمُخْتَصَرَ، وَحَمَلَ التَّمْرَ إِلَى هَجَرَ، وَمِنْ مَلِيحِ مَا أَسْمَعَنِيهِ أَنَّهُ

---

(١) أنهى: أبلغ (٢) صرى عزي: توثيق عزمي وتوكيده تقول هو منى صِرِّى وصِرَّى: أى عزمه (٣) جشم الأمر: تكلفه على مشقة
(٤) الأواصر: ما يعطفك على الرجل من قرابة أو معروف

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٨

قَالَ : سَأَلْنَا أَبَا الْقَاسِمِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ نَاقِيَا الْبَغْدَادِيَّ « قُلْتُ هَكَذَا ، قَالَ عَبْدَ الْعَزِيزِ ، وَصَوَابُهُ عَبْدُ اللهِ ذَكَرْنَاهُ فِي بَابِهِ مِنْ هذَا الْكِتَابِ » عَنِ الْمُتَنَبِّيءِ وَابْنِ نُبَاتَةَ وَالرَّضِيِّ فَقَالَ : إِنَّ مَثَلَهُمْ عِنْدِي مَثَلُ رَجُلٍ بَنَى أَبْنِيَةً شَاهِقَةً وَقُصُورًا عَالِيَةً وَهُوَ الْمُتَنَبِّي ، فَجَاءَ آخَرُ وَضَرَبَ حَوْلَهَا سُرَادِقَاتٍ وَخِيَامًا ، وَهُوَ ابْنُ نُبَاتَةَ ، ثُمَّ جَاءَ الرَّضِيُّ يَنْزِلُ تَارَةً عِنْدَ هَذَا ، وَتَارَةً عِنْدَ ذَاكَ ، قُلْتُ فَأَنْشِدْنِي قَالَ : أَنْشَدَنِي أَسْبَهْدُوسْتُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْفَارٍ الدَّيْلَمِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْفَرَجِ الْبَبَّغَاءُ لِنَفْسِهِ :

أَشْقَيْتَنِي فَرَضِيتُ أَنْ أَشْقَى
وَمَلَكْتَنِي فَقَتَلْتَنِي عِشْقَا

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تُكَلِّمُنِي
عَشْرًا فَمَنْ لَكَ أَنَّنِي أَبْقَى ؟

لَيْسَ الَّذِي تَبْغِيهِ مِنْ تَلَفِي
مُتَعَذِّرًا فَاسْتَعْمِلِ الرِّفْقَا

قَالَ الْأَبِيوَرْدِيُّ : وَبِهَذَا الإِسْنَادِ قَالَ : أَنْشَدَنِي ابْنُ الْحَجَّاجِ لِنَفْسِهِ (١) :

يَا صُرُوفَ الدَّهْرِ حَسْبِي أَيَّ ذَنْبٍ كَانَ ذَنْبِي ؟
عِلَّةٌ عَمَّتْ وَخَصَّتْ لِحَبِيبٍ وَمُحِبِّ
أَنَا أَشْكُو حَرَّ حُبٍّ وَهُوَ يَشْكُو بَرْدَ حُبِّي (٢)

قَالَ الْأَبِيوَرْدِيُّ : فَقُلْ فِي مَحْبُوبٍ حَرِبٍ (٣) ، وَعَاشِقٍ طَرِبٍ .

﴿ ٣٤ – عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ * ﴾

علي بن سليمان اليمني

يُلَقَّبُ حَيْدَرَةَ (٤) الْيَمَنِيُّ النَّحْوِيُّ التَّمِيمِيُّ ، كَانَ مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ الْيَمَنِ وَأَعْيَانِهِمْ عِلْماً وَنَحْواً وَشِعْراً ،

---

(١) شرح هذه الأبيات في الجملة يقول ابن الحجاج : كفى ياصروف الدهر ما تقدمينه إلى فلا أدري ما ذنبي . ثم قال في البيت الثاني : إن الشكوى من الدهر عامة عند الناس وهي خاصة بين المحب والمحبوب وضرب لذلك مثلا شكواه من حرارة مايلقاه من الحب ، بينما المحبوب يشكو من أن حبه برد لهذا يقول الأبيوردي : فقل في محبوب حرب وعاشق طرب (٢) برد حبي : أي فتوره على حد قوله : برد حبه : أي فترت حرارته (٣) حرب صفة من حرب كفرح : اشتد غضبه (٤) هذا كما في معجم البلدان وكانت في الأصل « حيدة » « عبد الخالق »

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٨

وَصَنَّفَ كُتُباً مِنْهَا : كِتَابٌ فِى النَّحْوِ سَمَّاهُ كَشْفَ الْمُشْكِلِ فِى مُجَلَّدَيْنِ ، وَقَالَ فِيهِ يَمْدَحُهُ :

صَنَّفْتُ لِلْمُتَأَدِّبِينَ مُصَنَّفاً
سَمَّيْتُهُ بِكِتَابِ كَشْفِ الْمُشْكِلِ

سَبَقَ الْأَوَائِلَ مَعْ تَأَخُّرِ عَصْرِهِ
كَمْ آخِرٍ أَزْرَى بِفَضْلِ الْأَوَّلِ

قَيَّدْتُ فِيهِ كُلَّ مَا قَدْ أَرْسَلُوا
لَيْسَ الْمُقَيَّدُ كَالْكَلَامِ الْمُرْسَلِ

وَمَوْلِدُهُ بِبِلَادِ بَكِيلٍ[1] مِنْ أَعْمَالِ ذِمَارَ ، وَمَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمِنْ شِعْرِهِ يَحْصُرُ جَمْعَ التَّكْسِيرِ :

---

(١) بكيل : مخلاف من مخاليف اليمن سمى باسم بكيل بن جشم ، وذمار كـكتاب على مرحلتين من صنعاء ، وينطقون به مبنياً على الكسر تشبيهاً له بنزال ، ومثله وبار ، وقد يمنعون هذا من الصرف للعدل والعلمية والحق أن كلا من البناء ومنع الصرف ليس حتما ، قال الشاعر :

ومر دهر على وبار فهلكت جهرة وبار

فوبار الأولى معربة مصروفة ، ووبار الثانية إما اسم القبيلة ، وإما أن تكون فعلا من البوار بمعنى الهلاك ، وتكون فى الشعر وباروا فعلا ماضياً أسند إلى واو الجماعة . « عبد الخالق »

سَأَلْتَ عَنِ التَّكْسِيرِ فَاعْلَمْ بِأَنَّهَا
ثَمَانِيَةٌ أَوْزَانُ جَمْعِ الْمُكَسَّرِ

فَأَرْبَعَةٌ أَوْزَانُ كُلِّ مُقَلَّلٍ .
وَأَرْبَعَةٌ أَوْزَانُ كُلِّ مُكَثَّرِ

فِعَالٌ وَأَفْعَالٌ وَفُعْلٌ وَأَفْعُلٌ
وَأَفْعِلَةٌ مِنْهَا وَفِعْلَانُ فَانْظُرِ

وَمِنْهَا فُعُولٌ يَا أُخَىَّ وَفِعْلَةٌ
وَتَمْثِيلُهَا إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَصَوَّرِ

جِمَالٌ وَأَفْرَاسٌ وَأُسْدٌ وَأَكْبُشٌ
وَأَكْسِيَةٌ خُمْرٌ لِفِتْيَانِ حِمْيَرِ

أَتَوْنَا عِشَاءً فِي رُبُوعٍ لِفِتْيَةٍ
مِنَ التَّغْلِبِيِّينَ الْكِرَامِ وَيَشْكُرِ

وَكُلِّ خُمَاسِيٍّ إِذَا مَا جَمَعْتَهُ
فَآخِرَهُ فَاحْذِفْ وَلَا تَتَعَثَّرِ

فَتَجْمَعُ قِرْطَعْبًا قَرَاطِعَ سَالِكًا
بِهِ مَسْلَكَ الْجَمْعِ الرُّبَاعِيِّ الْمُكَثَّرِ

قُلْتُ أَنَا : هَذَا عَجَبٌ مِمَّنْ صَنَّفَ كِتَابًا كَبِيرًا فِي النَّحْوِ يَقُولُ : جَمْعُ الْمُكَسَّرِ أَرْبَعَةُ أَوْزَانٍ وَهِيَ عَلَى نَحْوٍ مِنْ خَمْسِينَ وَزْنًا (١) .

﴿ ٣٥ – عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْفَضْلِ الْأَخْفَشُ * ﴾

على بن سليمان الأخفش

أَبُو الْحَسَنِ ، وَهُوَ الْأَخْفَشُ الصَّغِيرُ ، وَهُنَاكَ الْأَخْفَشُ الْأَكْبَرُ ، وَهُوَ أَبُو الْخَطَّابِ عَبْدُ الْحَمِيدِ وَقَدْ ذُكِرَ ، وَالْأَوْسَطُ وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ وَقَدْ مَرَّ فِي بَابِهِ ، وَهُنَاكَ أَخْفَشُ آخَرُ ، وَهُوَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَغْرِبِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ ، وَقَدْ ذُكِرَ فِي بَابِهِ أَيْضًا وَغَيْرُهُمْ . وَمَاتَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ هَذَا فِي شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ قَنْطَرَةِ الْبَرَدَانِ (٢) ، ذَكَرَ ذَلِكَ الْمَرْزُبَانِيُّ . قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي كِتَابِ الْمُقْتَبَسِ : ذِكْرُ

---

(١) قد كنت أود أن أرد على حيدرة ولكن ياقوتا كفانا ذلك ، على أنى لا أميل إلى مثل هذا الطريق فى إفهام القواعد (٢) البردان : إسم لأنهار كثيرة ومياه كذلك ، وأطلق على قرية من قرى بغداد ، ولعل هذا هو المقصود .

جَمَاعَةٍ لَقِينَاهُمْ مِنَ النَّحْوِيِّينَ وَأَهْلِ اللُّغَةِ . مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْفَضْلِ الْأَخْفَشِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُتَّسِعِ فِي الرِّوَايَةِ لِلْأَخْبَارِ وَالْعِلْمِ بِالنَّحْوِ ، وَمَا عَلِمْتُهُ صَنَّفَ شَيْئاً أَلْبَتَّةَ وَلَا قَالَ شِعْراً ، وَكَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسَائِلِ النَّحْوِ ضَجِرَ وَانْتَهَرَ كَثِيراً مَنْ يُوَاصِلُ مُسَاءَلَتَهُ وَيُتَابِعُهَا ، ثُمَّ ذَكَرَ وَفَاتَهُ كَمَا تَقَدَّمَ قَالَ : وَشَهِدْتُهُ يَوْماً وَصَارَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ حُلْوَانَ كَانَ يَلْزَمُهُ فَحِينَ رَآهُ قَالَ لَهُ :

حَيَّاكَ رَبُّكَ أَيُّهَا الْحُلْوَانِي

وَوَقَاكَ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَزْمَانِ

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا وَقَالَ : مَا نَحْنُ مِنَ الشِّعْرِ إِلَّا هَذَا وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ . هَكَذَا ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ تِلْمِيذُهُ وَصَاحِبُهُ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : الْأَجْلَعُ : الَّذِي لَا تَنْضَمُّ شَفَتَاهُ عَلَى أَسْنَانِهِ ، وَكَانَ الْأَخْفَشُ الْأَصْغَرُ النَّحْوِيُّ أَجْلَعَ . وَوَجَدْتُ فِي كِتَابِ فِهْرِسْتِ ابْنِ النَّدِيمِ بِخَطِّ مُؤَلِّفِهِ ،

وَذَكَرَ الْأَخفَشَ هَذَا فقَالَ : لَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ الْأَنْوَاءِ ، وَكِتَابُ التَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ ، وَكِتَابُ شَرْحِ سِيبَوَيْهِ [١] .

حَدَّثَنِي الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ جَلَالُ الدِّينِ الْقَاضِي الْأَكْرَمُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ الْقِفْطِيُّ — أَدَامَ اللهُ أَيَّامَهُ — أَنَّهُ مَلَكَهُ فِي خَمْسَةِ أَجْلَادٍ . وَكِتَابُ تَفْسِيرِ رِسَالَةِ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ رَأَيْتُهُ فِي نَحْوِ خَمْسِ كَرَارِيسَ ، وَكِتَابُ الْحُدَاءِ [٢] ، وَوَجَدْتُ أَهْلَ مِصْرَ يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ كِتَابًا فِي النَّحْوِ هَذَّبَهُ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الدِّينَوَرِيُّ وَسَمَّاهُ الْمُهَذَّبَ. وَحَدَّثَ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ : حَضَرْتُ يَوْمًا أَبَا الْحَسَنِ الْأَخْفَشَ وَدَفَعَ كِتَابًا إِلَى بَعْضِ مَنْ كَانَ فِي مَجْلِسِهِ لِيَكْتُبَ عَلَيْهِ اسْمَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ : خَفِّشْ خَفِّشْ يُرِيدُ اكْتُبِ الْأَخْفَشَ ثُمَّ قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ :

---

(١) في الفهرست صفحة ٨٣ : ذكر له كتاب « الجراد » ولم يذكر له شرح كتاب سيبويه ولا كتاب التفسير (٢) في الأصل : الحداد

لَا تَكْرَهَنْ لَقَباً شُهِرْتَ بِهِ
فَلَرُبَّ مَحْظُوظٍ مِنَ اللَّقَبِ
قَدْ كَانَ لُقِّبَ مَرَّةً رَجُلٌ
بِالْوَائِلِيِّ فَعُدَّ فِي الْعَرَبِ

قَالَ الْأَخْفَشُ: دَعَانِي سَوَّارُ بْنُ أَبِي شُرَاعَةَ فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ وَكَتَبَ إِلَيَّ:

مَضَى النُّورُ وَاسْتَبْهَمَ الْأَغْطَشُ (١)
وَأَخْلَفَنِي وَعْدَهُ الْأَخْفَشُ (٢)
وَحَالَ وَحَالَتْ بِهِ شِيمَةٌ
كَمَا حَالَ عَنْ لَوْنِهِ الْبِرْقِشُ (٣)
أَبَا حَسَنٍ كُنْتَ لِي مَأْلَفاً
فَمَالَكَ عَنْ دَعْوَتِي تَطْرَشُ.
وَكُنْتَ لِأَعْدَائِكَ الشَّانِئِيكَ
سِمَاماً كَمَا نَفَثَ الْأَرْقَشُ (٤)

(١) الأغطش : الليل المظلم (٢) الأخفش : الذى يبصر فى الليل دون النهار والمراد صاحب الترجمة (٣) البرقش : طائر يسمى الشرشور كعصفور مختلط اللون فهو متحول عن لونه الذى كان له ، وحال وحالت فى البيت بمعنى تغير .
(٤) الأرقش : ضرب من الحيات المنقطة بسواد وبياض

وَكُنْتُ بِقُرْبِكَ فِي رَوْضَةٍ
فَهَا أَنَا وَالْبَلَدُ الْمُعْطَشُ

إِذَا قُلْتُ قَرْطَسْتُ (١) فِي صَاحِبٍ
نَزَعْتُ كَمَا يَنْزِعُ الْمُرْعَشُ

وَسِيَّانِ عِنْدِي مَنْ عَقَّنِي (٢)
عُقُوقَكَ وَالْحَيَّةُ الْحِرْبِشُ (٣)

أَقُولُ وَمَا حُلْتُ عَنْ عَهْدِهِ
رَأَيْتُكَ كَالنَّاسِ إِذْ فُتِّشُوا

وَحَدَّثَ « أُخْلِيَ فِي الأَصْلِ » قَالَ: كَانَ ابْنُ الرُّومِيِّ كَثِيرَ الْهِجَاءِ لِلأَخْفَشِ، وَذَاكَ أَنَّ ابْنَ الرُّومِيِّ كَانَ كَثِيرَ الطِّيَرَةِ (٤) وَكَانَ الأَخْفَشُ كَثِيرَ الْمِزَاحِ، وَكَانَ يُبَاكِرُهُ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ فَيَطْرُقُ الْبَابَ عَلَى ابْنِ الرُّومِيِّ فَيَقُولُ: مَنْ

(١) قرطست: حبرت القراطيس، ونزعت: عدلت عن القول كما ينزع المرعش عن الاستمرار فى العمل، فجملة قرطست حال، ونزعت جواب إذا

(٢) عقنى: عصانى وترك الشفقة على (٣) الحربش: الكبيرة من الأفاعى

(٤) الطيرة: التشاؤم « عبد الخالق »

بِالْبَابِ ؟ فَيَقُولُ الْأَخْفَشُ : « حَرْبُ بْنُ مُقَاتِلٍ » وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَهْجُوهُ وَيَتَهَدَّدُهُ :

قُلْ لِنَحْوِيِّنَا أَبِي حَسَنٍ
إِنِّي حُسَامٌ مَتَى ضَرَبْتُ مَضَى
لَا تَحْسَبَنَّ الْهِجَاءَ يَحْفِلُ بِالرَّ
فْعِ وَلَا خَفْضِ خَافِضٍ خَفَضَا
كَأَنَّنِي بِالشَّقِيِّ مُعْتَذِراً
إِذَا الْقَوَافِي أَذَقْنَهُ مَضَضَا
يَنْشُدُنِي الْعَهْدَ يَوْمَ ذَاكَ وَلَا
عَهْدَ خِضَابٌ أَزَالَهُ فَنَضَا (١)

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : حَدَّثَنِي الْمُظَفَّرُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ النَّحْوِيُّ أَنَّ الْأَخْفَشَ قَالَ يَوْماً لِابْنِ الرُّومِيِّ :

---

(١) الخضاب : ما يخضب به كالحناء ، والنضى : ما يسقط من الحناء من العضو الذى كانت عليه ، يريد أنه تعدى عليه فنقض عهده ، فالعهد كالخضاب إن لم يتعهد نضا الشيب وظهر « عبد الخالق »

إِنَّمَا كُنْتَ تَدَّعِي هِجَاءَ مِنْقَالٍ (١)، فَلَمَّا مَاتَ مِنْقَالٌ انْقَطَعَ هِجَاؤُكَ. قَالَ: فَاخْتَرْ عَلَيَّ قَافِيَةً. قَالَ: عَلَى رَوِيِّ قَصِيدَةِ دِعْبِلٍ الشِّينِيَّةِ، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَهْجُوهُ فِيهَا وَيُجَوِّدُ حَتَّى لَا يَقْدِرَ أَحَدٌ أَنْ يَدْفَعَهُ عَنْ ذَلِكَ، وَيُفْحِشُ حَتَّى يُفْرِطَ أَوَّلُهَا:

أَلَا قُلْ لِنَحْوِيِّكَ الْأَخْفَشِ
أَنِسْتَ فَأَقْصِرْ وَلَا تُوحِشِ
وَمَا كُنْتَ عَنْ غَيَّةٍ مُقْصِرًا
وَأَشْلَاءُ أُمِّكَ لَمْ تُنْبَشِ (٢)

قَالَ فِيهَا:

أَمَا وَالْقَرِيضِ وَنُقَّادِهِ
وَنَجْشِكَ فِيهِ مَعَ النُّجَّشِ (٣)
وَدَعْوَاكَ عِرْفَانَ نُقَّادِهِ
بِفَضْلِ النَّقِيِّ عَلَى الْأَنْمَشِ (٤)

(١) يريد تدعيه وتنسبه لنفسك، لأنك لا تقدر على هذا النوع من الشعر

(٢) الغية: الغواية مصدر مرة، يريد إنك غوى وما تعرضنا لأمك إلى الآن. وأشلاء أمك بعد البلى والتفرق لم نعرض لها

(٣) النجش: التزايد في البيع ليغش من يسمع، ومن معناه البحث وهو المراد هنا

(٤) الأنمش ذو النمش: وهي البقع التي تخالف لونه، يريد دعواك معرفة الجيد من الردى. « عبد الخالق »

لَئِنْ جِئْتَ ذَا بَشَرٍ حَالِكٍ
لَقَدْ جِئْتَ ذَا نَسَبٍ أَبْرَشِ (١)

وَمَا وَاحِدٌ جَاءَ مِنْ أُمِّهِ
بِأَعْجَبَ مِنْ نَاقِدٍ أَخْفَشِ (٢)

كَأَنَّ سَنَا الشَّتْمِ فِي عِرْضِهِ
سَنَا الفَجْرِ فِي السَّحَرِ الْأَغْبَشِ (٣)

أَقُولُ وَقَدْ جَاءَنِي أَنَّهُ (٤)
يَنُوشُ (٥) هِجَائِي مَعَ النُّوَّشِ

إِذَا عَكَسَ (٦) الدَّهْرُ أَحْكَامَهُ
سَطَا أَضْعَفُ القَوْمِ بِالْأَبْطَشِ

---

(١) أبرش : على جسمه نقط بيضاء تخالف جسمه ، فهو يريد ذا نسب ممقوت لأن البرش ممقوت لا يرغب فى النظر إليه (٢) وبعد هذا البيت يقول :

أسود جاءت به قردة سويداء خاوية المفرش

(٣) السنا : الضوء ، والأغبش : المظلم ومن العجيب جعل سنا للشتم

(٤) فى الأصل « أمه » (٥) ينوش : يتناول (٦) فى الأصل « عطش » « عبد الخالق »

وَمَا كُلُّ مَنْ أَخْشَتْ أُمُّهُ
تَعَرَّضَ لِلْقَـــذَعِ[1] الْأَخْفَشِ

وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَلَمَّا سَارَ هِجَاؤُهُ فِي الْأَخْفَشِ ، جَمَعَ الْأَخْفَشُ جَمَاعَةً مِنَ الرُّؤَسَاءِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدِيقِ فَسَأَلُوا ابْنَ الرُّومِيِّ أَنْ يَكُفَّ عَنْهُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى الصَّفْحِ عَنْهُ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَمْدَحَهُ بِمَا يُزِيلُ عَنْهُ عَارَ هِجَائِهِ فَقَالَ فِيهِ :

ذُكِرَ الْأَخْفَشُ الْقَدِيمُ فَقُلْنَا :
إِنَّ لِلْأَخْفَشِ الْحَدِيثِ لَفَضْلَا
فَإِذَا مَا حَكَمْتُ وَالرُّومُ قَوْمِي
فِي كَلَامٍ مُعَرَّبٍ كُنْتُ عَدْلَا
أَنَا بَيْنَ الْخُصُومِ فِيهِ غَرِيبٌ
لَا أَرَى الزُّورَ لِلْمُحَابَاةِ أَهْلَا

---

(١) هذا آخر بيت فى القصيدة وقد ترك بين آخر بيت ذكره وبين هذا البيت اثنين وعشرين بيتا ، وفى الأصل « المقذع » بدل القذع ، يريد أن يقول : ليس كل ابن فاحشة يقدر على القذع .

وَمَتَى قُلْتُ بَاطِلًا لَمْ أُلَقَّبْ
فَيلَسُوفًا وَلَمْ أُسَمَّ هِرَقْلَا (١)

وَذَكَرَ الزُّبَيْدِيُّ أَنَّ الْأَخْفَشَ كَانَ يَتَحَفَّظُ هِجَاءَ ابْنِ الرُّومِيِّ لَهُ وَيُمْلِيهِ فِي جُمْلَةِ مَا يُمْلِي، فَلَمَّا رَأَى ابْنُ الرُّومِيِّ أَنَّهُ لَمْ يَأْلَمْ لِهِجَائِهِ تَرَكَ هَجْوَهُ. وَكَانَ الْأَخْفَشُ قَدْ قَرَأَ عَلَى ثَعْلَبٍ وَالْمُبَرِّدِ وَأَبِي الْعَيْنَاءِ وَالْيَزِيدِيِّ.

وَحَدَّثَ الْأَخْفَشُ قَالَ: اسْتَهْدَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ الْمُبَرِّدَ جَلِيسًا يَجْمَعُ إِلَى تَأْدِيبِ وَلَدِهِ الِاسْتِمْتَاعَ بِإِينَاسِهِ وَمُفَاكَهَتِهِ، فَنَدَبَنِي إِلَيْهِ وَكَتَبَ مَعِي: قَدْ أَنْفَذْتُ إِلَيْكَ — أَعَزَّكَ اللهُ — فُلَانًا وَجُمْلَةُ أَمْرِهِ:

إِذَا زُرْتُ الْمُلُوكَ فَإِنَّ حَسْبِي
شَفِيعًا عِنْدَهُمْ أَنْ يَخْبُرُونِي

وَقَدِمَ الْأَخْفَشُ هَذَا مِصْرَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ

(١) والقصيدة طويلة جاء فيها مدح كثير للأخفش، هذا ويعجبني منها قوله:

أيهذا السائلى بعلى　زادك الله بالمعالم جهلا
أنت كالمستنير شمساً بنار　ولعمرى للشمس للعين أجلى

« عبد الخالق »

وَمِائتَيْنِ ، وَخَرَجَ مِنْهَا سَنَةَ ثَلاثِمِائَةٍ إِلَى حَلَبَ مَعَ عَلِيِّ
ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ بِسْطَامَ صَاحِبِ الْخَرَاجِ فَلَمْ يَعُدْ إِلَى مِصْرَ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْحُسَيْنِ هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الصَّابِئُ
فِي كِتَابِهِ كِتَابِ الْوُزَرَاءِ قَالَ :

حَكَى لِي أَبُو الْحَسَنِ ثَابِتُ بْنُ سِنَانٍ قَالَ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ
عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ مُوَاصِلَ الْمُقَامِ عِنْدَ أَبِي عَلِيِّ بْنِ
مُقْلَةَ وَيُرَاعِيهِ أَبُو عَلِيٍّ وَيَبَرُّهُ ، فَشَكَا إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ
الْإِضَاقَةَ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُكَلِّمَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى وَهُوَ
يَوْمَئِذٍ وَزِيرٌ فِي أَمْرِهِ ، وَسَأَلَهُ إِجْرَاءَ رِزْقٍ عَلَيْهِ فِي جُمْلَةِ
مَنْ يَرْتَزِقُ مِنْ أَمْثَالِهِ ، فَخَاطَبَهُ أَبُو عَلِيٍّ وَسَأَلَ أَنْ يُجْرِيَ
عَلَيْهِ رِزْقًا فِي جُمْلَةِ الْفُقَهَاءِ ، فَانْتَهَرَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى انْتِهَارًا
شَدِيدًا وَأَجَابَهُ جَوَابًا غَلِيظًا ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مَجْلِسٍ حَافِلٍ ،
وَمَجْمَعٍ كَامِلٍ ، فَشَقَّ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ مَا عَامَلَهُ بِهِ ، وَقَامَ مِنْ
مَجْلِسِهِ وَقَدِ اسْوَدَّتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنَيْهِ ، وَصَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ
لَائِمًا لِنَفْسِهِ عَلَى سُؤَالِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى مَا سَأَلَهُ ، وَحَلَفَ أَنَّهُ

يُجِدُّ فِي السَّعْيِ عَلَيْهِ، وَوَقَفَ الْأَخْفَشُ عَلَى الصُّورَةِ، وَاغْتَمَّ وَانْتَهَتْ بِهِ الْحَالُ إِلَى أَنْ أَكَلَ الشَّلْجَمَ (١) النِّيءَ، وَقِيلَ إِنَّهُ قُبِضَ عَلَى قَلْبِهِ فَمَاتَ فَجْأَةً، وَكَانَ مَوْتُهُ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.

﴿ ٣٦ – عَلِيُّ بْنُ سَهْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ * ﴾

على بن سهل النيسابورى

أَبُو الْحَسَنِ النَّيْسَابُورِيُّ الْمُفَسِّرُ الْعَالِمُ الْعَابِدُ الدَّيِّنُ، ذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَفَّارِ فِي السِّيَاقِ وَقَالَ: مَاتَ فِي ثَالِثَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَوَصَفَهُ فَقَالَ: نَشَأَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَتَبَحَّرَ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ مِنْ تَلَامِذَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْوَاحِدِيِّ.

﴿ ٣٧ – عَلِيُّ بْنُ طَاهِرِ بْنِ جَعْفَرٍ * ﴾

على بن طاهر السلمى

أَبُو الْحَسَنِ السُّلَمِيُّ النَّحْوِيُّ. نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ ابْنِ اللَّبَّانِ قَالَ: نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ السَّمْعَانِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ

---

(١) الشلجم: نبات يعرف باللفت

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٧

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٩

عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ هِبَةِ اللهِ الْحَافِظُ الدِّمَشْقِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلْوَانَ وَغَيْرَهُ ، وَكَانَ ثِقَةً دَيِّنًا وَقَلَّمَا يَكُونُ النَّحْوِيُّ دَيِّنًا[1] ، ذَكَرَ ابْنُ الأَكْفَانِيِّ أَنَّهُ مَاتَ فِي الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ ، وَذَكَرَ الْحَافِظُ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ قَالَ : عَلِيُّ بْنُ طَاهِرِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَبُو الْحَسَنِ الْقَيْسِيُّ السُّلَمِيُّ النَّحْوِيُّ ، سَمِعَ أَبَا عَبْدِ اللهِ ابْنَ سَلْوَانَ وَأَبَا الْقَاسِمِ بْنَ الشِّمْشَاطِيِّ ، وَأَبَا نَصْرٍ أَحْمَدَ ابْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الْكَفَرْطَابِيِّ وَذَكَرَ جَمَاعَةً قَالَ : وَرَوَى عَنْهُ غَيْثُ بْنُ عَلِيٍّ .

وَحَدَّثَنَا عَنْهُ الْفَقِيهُ أَبُو الْحَسَنِ السُّلَمِيُّ ، وَخَالِي الْقَاضِي أَبُو الْمَعَالِي ، وَجَمِيلُ بْنُ تَمَّامٍ ، وَحِفَاظُ بْنُ الْحَسَنِ ، وَكَانَ ثِقَةً وَكَانَتْ لَهُ حَلْقَةٌ فِي الْجَامِعِ ، وَقَفَ فِيهَا خِزَانَةً فِيهَا كُتُبُهُ . ذَكَرَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ صَابِرٍ أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ : سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَذَكَرَ ابْنُ

---

(١) جملة نافرة ولم هذا ؟ ألان قوماً منهم لوثوا أنفسهم يحكم هذا الحكم ؟ إن فيهم لذوى دين عظيم سوى أن نفراً منهم نبغوا فى النحو ولم يتفقهوا فى سر الشريعة « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » صدق الله العظيم « عبد الخالق »

الأَكْفَانِىُّ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ طَاهِرٍ النَّحْوِىَّ مَاتَ يَوْمَ الْحَادِى وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ .

﴿ ٣٨ – عَلِىُّ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ كِرْدَانَ النَّحْوِىُّ * ﴾

على بن طلحة النحوى

أَبُو الْقَاسِمِ . قَالَ أَبُو غَالِبِ بْنُ بُشْرَانَ : كَانَ ابْنُ كِرْدَانَ يُعْرَفُ بِابْنِ الصَّحْنَاتِىِّ وَلَمْ يَبِعْ قَطُّ الصَّحْنَاةَ[1]، وَإِنَّمَا كَانَ أَعْدَاؤُهُ يُلَقِّبُونَهُ بِذَلِكَ فَغَلَبَ عَلَيْهِ قَالَ : وَهَذَا الشَّيْخُ أَوَّلُ الشُّيُوخِ الَّذِينَ قَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْأَدَبَ :

قَالَ السِّلَفِىُّ الْحَافِظُ : سَأَلْتُ خَمِيسَ بْنَ عَلِىٍّ الْحَوْزِىَّ عَنِ ابْنِ كِرْدَانَ فَقَالَ : صَحِبَ أَبَا عَلِىٍّ الْفَارِسِىَّ وَعَلِىَّ بْنَ عِيسَى الرُّمَّانِىَّ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمَا كِتَابَ سِيبَوَيْهِ ، وَالْوَاسِطِيُّونَ يُفَضِّلُونَهُ عَلَى ابْنِ جِنِّىٍّ وَالرَّبَعِىِّ ، صَنَّفَ كِتَاباً كَبِيراً فِى إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ، قَالَ لِى شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ : كَانَ يُقَارِبُ

---

(١) الصحنة والصحناة : نبه على هذا اللفظ فى القاموس وكأنه ما نسميه السردين وفى الأصل بالسين ولعله محرف فأصلحته إلى ما ترى « عبد الخالق »

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٩

خَمْسَةَ عشرَ مُجلّداً ، ثُمَّ بَدَا لَهُ فيهِ فغسلهُ قبلَ موتِهِ ،
مَاتَ سنةَ أربعٍ وعشرينَ وأربعمائةٍ ، وكانَ مُتنزِّهاً
مُتصوِّناً ، ركِبَ إليهِ فخرُ المُلكِ أبو غالبٍ محمّدُ بنُ عليّ
ابنِ خلفٍ وزيرُ ابنِ بهاءِ الدّولةِ وهوَ سُلطانُ الوقتِ ، وبذلَ
لهُ فلمْ يقبلْ ، وكانَ قدْ جرتْ بينهُ وبينَ القاضي أبي تغلبَ
أحمدَ بنِ عُبيدِ اللهِ العاقوليّ صديقِ الوزيرِ المغربيّ وخليفةِ
السُّلطانِ والحكّامِ على واسطَ في وقتهِ خصومةٌ ، وكانَ معظّماً
مُفخّماً ، فقالَ لهُ ابنُ كردانَ : إنْ صُلتَ علينا بمالكَ
صُلنا عليكَ بقناعتنا . وآخرُ منْ حدّثَ عنهُ أبو المعالي
محمّدُ بنُ عبدِ السّلامِ بنِ شاندةَ ، وذكرهُ أبو عبدِ اللهِ
محمّدُ بنُ سعيدٍ الدّبيثيّ في نحاةِ واسطَ فقالَ :

عليُّ بنُ طلحةَ بنِ كردانَ النحويُّ أبو القاسمِ الواسطيُّ
المولدِ والدّارِ ، أخذَ النّحوَ عنْ أبي عليٍّ الفارسيّ
وأبي بكرِ بنِ الجرّاحِ صاحبِ ابنِ الأنباريّ ، قالَ ابنُ
بشرانَ : هوَ أوّلُ شيخٍ قرأتُ عليهِ ووصفهُ بالفضلِ
والمعرفةِ ، وعنهُ أخذَ النّحوَ أبو الفتحِ محمّدُ بنُ محمّدِ

أَبْنِ مُخْتَارٍ وَغَيْرُهُ مِنَ الْوَاسِطِيِّينَ وَكَانَ شَاعِراً ، وَمِنْ شِعْرِهِ فِي ذَمِّ وَاسِطَ :

سَئِمَ الْأَدِيبُ مِنَ الْمُقَامِ بِوَاسِطٍ
إِنَّ الْأَدِيبَ بِوَاسِطٍ مَهْجُورُ
يَا بَلْدَةً فِيهَا الْغَنِيُّ مُكَرَّمٌ
وَالْعِلْمُ فِيهَا مَيِّتٌ مَقْبُورُ
لَا جَادَكِ الْغَيْثُ الْهَطُولُ وَلَا اُجْتُلِي
فِيكِ الرَّبِيعُ وَلَا عَلَاكِ حُبُورُ
شَرَّ[1] الْبِلَادِ أَرَى فِعَالَكِ سَاتِراً
عَنِّي الْجَمِيلَ ، وَشَرُّكِ الْمَشْهُورُ

حَدَّثَ أَبُو الْجَوَائِزِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ بَارِي الْكَاتِبُ الْوَاسِطِيُّ قَالَ : اُجْتَمَعَ مَعَنَا فِي حَلْقَةِ شَيْخِنَا أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ كِرْدَانَ النَّحْوِيِّ سَيْدُوكُ الشَّاعِرُ وَنَحْنُ فِي الْجَامِعِ بِوَاسِطَ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَجَرَى فِي عَرْضِ الْمُذَاكَرَاتِ ذِكْرُ مَنْ أَحَالَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْعِشْقِ ، وَمَنْ أَحَالَ عَلَى نَاظِرِهِ

(١) شر منادى ، ويصح أن ترفعها خبرا لمبتدإ محذوف «عبد الخالق»

بِهِ أَيْضاً وَمَضَتْ أَنَاشِيدُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ أَبُو طَاهِرٍ سَيْذُوكُ : قَدْ حَضَرَنِي فِي هَذَا الْمَعْنَى شَيْءٌ وَأَنْشَدَنَا :

يَا قَلْبُ مِنْ هَذَا حَذِرْتُ عَلَيْكَا
ذُقْ مَا جَنَيْتَ فَكَمْ نَصَحْتُ إِلَيْكَا

إِنْضَجْ بِنَارِكَ لَا أَرَاحَكَ حَرُّهَا
فَلَطَالَمَا ضَاعَ الْعِتَابُ لَدَيْكَا

لَمَّا أَطَعْتَ الطَّرْفَ ثُمَّ عَصَيْتَنِي
عَلِقَ الْهَوَى يَا قَلْبُ مِنْ طَرَفَيْكَا

وَسَمِعْتُ أَذَانَ الْعَصْرِ فَقُلْتُ لِشَيْخِنَا : أَكْتُبُهَا قَبْلَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ أَوْ إِذَا صَلَّيْنَا ؟ قَالَ : اُكْتُبْهَا وَلَوْ أَنَّ الْإِمَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ (١) ، وَأَنْشَدَنَا حِينَئِذٍ لِنَفْسِهِ :

أَبْصَرْتُ فِي الْمَأْتَمِ مَقْدُودَةً (٢)
تَقْضِي ذِمَاماً بِتَكَالِيفِهَا

تُشِيرُ بِاللَّطْمِ إِلَى وَجْنَةٍ
ضَرَّجَهَا (٣) مُبْدِعُ تَأْلِيفِهَا

---

(١) يريد ولو كانت الصلاة الجمعة والامام على المنبر (٢) مقدودة : حسنة التقطيع والمعتدلة القامة (٣) يقال : وجنة مضرجة : مشبعة بحمرة

إِذَا تبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ وَجْهِهَا
جَمَّشَهُ لَيْـــلُ تطَارِيفِهَا(١)

وَحدَّثَ أَبُو غَالِبِ بْنُ بُشْرَانَ النَّحْوِىُّ قَالَ : أَنْشَدَنِى أَبُو القَاسِمِ عَلِىُّ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ كِرْدَانَ النَّحْوِىُّ قَالَ : أَنْشَدَنِى أَبُو طَاهِرٍ سَيْذُوكُ لِنَفْسِهِ وَكَانَ يَعْرِضُ عَلَىَّ شِعْرَهُ ، وَقَدِ ٱبْتَكَرَ مَعْنًى غَرِيباً وَإِنْ كَانَ اللَّفْظُ قَرِيباً :

إِنَّ دَائِى الْغَدَاةَ أَبْرَحُ دَاءِ
وَطَبِيبِى سَرِيرَةٌ مَا تَبُوحُ
يَحْسَبُونِى إِذَا تَكَلَّمْتُ حَيًّا
رُبَّمَا طَارَ طَائِرٌ مَذْبُوحُ

قَالَ ٱبْنُ كِرْدَانَ وَأَنْشَدَنِى سَيْذُوكُ أَيْضاً لِنَفْسِهِ :

أَسْتَوْدِعُ اللّٰهَ مَنْ بَانُوا فَلَا نَظَرِى(٢)
مِنِّى وَلَا أُذُنِى عِنْدِى وَلَا بَصَرِى

(١) جمشه : ستره . التطريف : خضاب الأصابع ، يقول : إذا تبدى وجهها المشبه للصبح سترته أطرافها المخضبة ، أو سترت بياضه . وجعل هذا تجميشاً من تجميش الشعر بمعنى إزالته (٢) فى الأصل : « فلا بصرى » وقد قال الناشر فى الهامش لعلها فلا نظرى وسواء كانت نظرى أم بصرى فهى قلقة « عبد الخالق »

عَهْدِى بِنَا وَرِدَاءُ الْوَصْلِ يَشْمَلُنَا
وَاللَّيْلُ أَطْوَلُهُ كَاللَّمْحِ بِالْبَصَرِ
وَالْآنَ لَيْلِى مُذْ غَابُوا فَدَيْتُهُمُ
لَيْلُ الضَّرِيرِ وَصُبْحِى غَيْرُ مُنْتَظَرِ

﴿ ٣٩ عَلِىُّ بْنُ ظَافِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَزْدِىُّ * ﴾

على بن ظافر الأزدى

وَكُنْيَةُ ظَافِرٍ أَبُو الْمَنْصُورِ، وَهُوَ مِصْرِىٌّ وَزَرَ لِلْمَلِكِ

(*) ترجم له فى كتاب دائرة المعارف لمحمد فريد وجدى المجلد السادس ص ٦٧٠ هو ابن حسين الفقيه الوزير جمال الدين الأزدى المصرى ابن العلامة أبى منصور . ولد سنة سبع عشرة وخمسمائة وتفقه على والده ، وقرأ الأدب وبرع فيه ، وقرأ على والده الأصول ، وتفوق على غيره فى علم التاريخ وأخبار الملوك ، ودرس بمدرسة المالكية بمصر بعد أبيه ، وتوسل إلى الديوان العزيز وولى وكالة بيت المال مدة .

كان متوقد الخاطر طلق العبارة ، وكان مع علو منصبه ، وإقبال الدنيا عليه له نزوع إلى أهل الآخرة محبا لأهل الدين والصلاح، أقبل فى آخر عمره على مطالعة الأحاديث وأنعم النظر فيها وله من المصنفات كتاب نفائس الذخيرة ولم يكمل ولو أكمل ما كان فى الأدب مثله .

ومن شعره قوله :

إنى لأعجب من حبي فأكتمه … جهدى وجفنى بفيض الدمع يعلنه
وكون من أنا أهواه وأعشقه … يخرب القلب عمدا وهو يسكنه
وأعجب الكل أمرا أن مبسمه … من أصغر الدر جرما وهو أثمنه

وله أيضا

كم من دم يوم النوى مطلول … بين رسوم الحى والطلول —

الْأَشْرَفِ مُوسَى بْنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ ، وَكَانَ نِعْمَ الرَّجُلُ ، لَهُ عُلُومٌ جَمَّةٌ وَفَضَائِلُ كَثِيرَةٌ ، ثُمَّ تَرَكَ الْوِزَارَةَ وَعَادَ إِلَى مِصْرَ فَتُوُفِّيَ بِهَا فِي مُنْتَصَفِ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ عَنْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً .

— بانوا فلا جسم ولا ربع لهم إلا رماه البين بالنحول
يا راحلين والفؤاد معهم مسابق فى أول الرعيل
ردوا فؤادى عندكم ما باعكم إياه إلا طرفى الفضولى
ورب ظبى منكم تخاف من سطوة عينيه أسود الغيل
أنار منه الوجه حتى كدت أن أقول لولا الدين بالحلول
ينقص بالعلة كل كامل فى الحسن غير لحظه العليل

وقال فى كتابه بدائع البدائه : اجتمعنا ليلة من ليالى رمضان بالجامع لجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث ، وقد أوقد فانوس السحور فاقترح بعض الحاضرين على الأديب أبى الحجاج يوسف بن على المنبوذ بالتعجة أن يصنع قطعة فى فانوس السحور ، وإنما طلب بذلك إظهار عجزه فصنع وأنشد :

ونجم من الفانوس يشرق ضوءه ولكنه دون الكواكب لايسرى
ولم أر نجما قط قبل طلوعه إذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

فانتدبت له من دون الجماعة وقلت له : هذا التعجب لا يصح لأنا قد رأينا نجوما لا تدخل تحت الحصر ، ولا تحصى بالعد ، إذا غابت تنهى الصائمين عن الفطر وهي نجوم الصباح ، فأسرف الجماعة فى تقريعه وأخذوا فى تمزيق عرضه وتقطيعه ، فصنع أيضاً رحمه الله تعالى وأنشد :

هذا اللواء سحور يستضاء به وعسكر الشهب فى الظلماء جرار
والصائمون جميعاً يهتدون به « كأنه علم فى رأسه نار »

فلما أصبح سمع من كان غائباً من أصحابنا فى ليلتنا ما جرى بيننا فصنع الرشيد أبو عبد الله محمد بن متالو — رحمه الله — وأنشدنيه : —

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ بَدَائِعِ الْبَدَائِهِ فِيمَنْ قَالَ شِعْراً عَلَى الْبَدِيهَةِ ، وَكِتَابُ مَكْرُمَاتِ الْكُتَّابِ ، وَكِتَابُ أَخْبَارِ الشُّجْعَانِ ، وَكِتَابُ مَنْ أُصِيبَ بِمَنِ اسْمُهُ عَلِيٌّ

— أحبب بفانوس غدا صاعدا وضوءه دان من العين
يقضى بصوم وبفطر معا فقد حوى وصف الهلالين

وصنع الفقيه أبو محمد القلعي — رحمه الله تعالى : —

وكوكب من ضرام الزند مطلعه تسرى النجوم ولا يسرى إذا رقبا —
يراقب الصبح خوفا أن يفاجئه فان بدا طالعا فى أفقه غربا
كأنه عاشق وافى على شرف يرعى الحبيب فان لاح الرقيب خبا

ثم إنى صنعت بعد حين فقلت :

ألست ترى شخص المنار وعوده عليه بفانوس السحور لهيب
كحامل منظوم الأنابيب أسمر عليه سنان بالدماء خضيب
ترى بين زهر الزهر منه شقيقة لها العود غصن والمنار كثيب
وتبدو كخد أحمر والدجى لمى بدا فيه ثغر للنجوم شنيب
كأن زنجى الدجى من لهيبه ومن خفقه قلب عراه وجيب
تراه يراعى الشهب ليلا فان دنا طلوع صباح حان منه غروب
فهل كان يرعاها لعشق ففر إذ درى أن رومي الصباح رقيب ؟

وقلت فى اختصار المعنى الأول من هذه القطعة

أنظر إلى المنار والـ ـفانوس فيه يرفع
كحامل رمحا سنا نه خضيب يلمع

وقلت أيضاً :

ألست ترى حسن المنار وضوءه يرفع من جنح الدجنة أستارا
تراه إذا جن الظلام مراقباً له مضرما فى قلب فانوسه نارا
كصب نجود من بنى الزنج سامها وصالا وقد أبدى لترغب دينارا —

وَابْتَدَأَ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكِتَابُ الدُّوَلِ الْمُنْقَطِعَةِ ، وَكِتَابُ التَّشْبِيهَاتِ ، وَكِتَابُ أَسَاسِ السِّيَاسَةِ ، وَكِتَابُ أَخْبَارِ السَّلْجُوقِيَّةِ .

﴿ ٤٠ – عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ النُّوبَخْتِيُّ * ﴾

على بن العباس النوبختي

أَبُو الْحَسَنِ ، أَحَدُ مَشَايِخِ الْكُتَّابِ وَأَهْلِ الْأَدَبِ الْمَشَاهِيرِ وَالْمُرُوءَةِ . رَوَى مِنْ أَخْبَارِ الْبُحْتُرِيِّ وَابْنِ الرُّومِيِّ قِطْعَةً

— وقات فيه :

وليلة صوم قد سهرت بجبها	على أنها من طيبها تفضل الدهرا
حكى الليل فيها سقف ساج مسمرا	من الشهب قد أضحت مساميره تبرا
كما قام رومى بكأس مدامة	وحيا بها زنجية وشحت درا

وقال على بن ظافر :

وقد بدت النجوم على سماء	تـكامل صحوها فى كل عين
كسقف أزرق من لازورد	بدت فيه مسامر من لجين

وله أيضاً :

والليل أقرع بالـكواكب شائب	فيه مجرته بمثل المفرق
ولربما يأتى الهلال يبحره	متصيداً حوت النجوم بزورق
حتى إذا هبت على الماء الصبا	وألاح نور تمامه بالمشرق
أبدى لنا علما بهيجاً مذهبا	قد لاح فى تجعيد كم أزرق
وحكى برادة عسجد قد رام صا	نعها يؤلف بينها بالزئبق

توفى على بن ظافر سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

حَسَنَةً ، وَمَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلاثِمائَةٍ بَعْدَ سِنٍّ عَالِيَةٍ ، وَهُوَ الْقَائِلُ لِابْنِ عَمِّهِ أَبِي سَهْلٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيٍّ النُّوبَخْتِيِّ وَشَرِبَ دَوَاءً :

يَا مُحْيِيَ الْعَارِفَاتِ وَالْكَرَمِ وَقَاتِلَ الْحَادِثَاتِ وَالْعَدَمِ

كَيْفَ رَأَيْتَ الدَّوَاءَ وَأَعْقَبَكَ الْـ ـلَّهُ شِفَاءً بِهِ مِنَ السَّقَمِ ؟

لَئِنْ تَخَطَّتْ إِلَيْكَ نَائِبَةٌ حَطَّتْ بِقَلْبِي ثِقْلًا مِنَ الْأَلَمِ

شَرِبْتَ فِيهَا الدَّوَاءَ مُرْتَجِيًا دَفْعَ أَذًى مِنْ عِظَامِكَ الْعُظُمِ

وَالدَّهْرُ لَا بُدَّ مُحْدِثٌ طَبَعًا فِي صَفْحَتَيْ كُلِّ صَارِمٍ خَذِمِ

﴿ ٤١ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سِنَانٍ الطُّوسِيُّ * ﴾

علي بن عبد الله الطوسي

أَبُو الْحَسَنِ التَّيْمِيُّ أَحَدُ أَعْيَانِ عُلَمَاءِ الْكُوفَةِ ، أَخَذَ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَكَانَ عَدُوًّا لِابْنِ السِّكِّيتِ لِأَنَّهُمَا أَخَذَا

(*) ترجم له في كتاب بغية الوعاة ص ٣٤٠ بترجمة لم تزد على معجم الأدباء سوى قوله : ذكره الزبيدي في الطبقة الرابعة من اللغويين الكوفيين وقال : كان أعلم من أبي عبيد .

عَنْ نَصْرَانَ الْخُرَاسَانِيِّ وَاخْتَلَفَا فِي كُتُبِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، «أُخلِيَ فِي الأَصْلِ» ذَكَرَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ فَقَالَ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُعَلَّى الْبَاهِلِيِّ قَالَ: أَكْثَرْتُ يَوْماً سُؤَالَ الطُّوسِيِّ فَقَالَ مُتَمَثِّلاً:

يُسَرُّ وَيُعْطِي كُلَّ شَيْءٍ سَأَلْتَهُ
وَمَنْ يُكْثِرِ التَّسْآلَ لَا بُدَّ يُحْرَمِ

قَالَ: وَوَجَّهَ بِإِنْسَانٍ فِي حَاجَةٍ فَقَصَّرَ فَقَالَ:

نَحِلْتَ[1] وَكَلَّفْنَاكَ مَا لَمْ تَقُمْ بِهِ
وَهَلْ تَحْمِلُ الْفُصْلَانُ أَحْمَالَ بُزَّلٍ؟[2]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: كَانَ الطُّوسِيُّ رَاوِيَةً لِأَخْبَارِ الْقَبَائِلِ وَأَشْعَارِ الْفُحُولِ، وَلَقِيَ مَشَايِخَ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ. قَالَ: وَلَا مُصَنَّفَ لَهُ. وَكَانَ شَاعِراً ذَكَرَ لَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ قَوْلَهُ:

هَجَمَ الْبَرْدُ وَلَا أَمْـ ـلِكُ إِلَّا رِوَايَةَ الْعَرَبِيَّةْ

---

(١) نحل: سقم ودق من مرض أو تعب (٢) الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه والبازل: البعير الذي طلع نابه.

وَقَمِيصاً لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ لَمْ يَبْـ
ـقَ عَلَى عَاتِقَيَّ مِنْهُ بَقِيَّهْ

هَلْ يَفُلُّ الْفَنَاءَ عَنِّي فُنُونُ الْـ
ـعِلْمِ إِنْ أَعْصَفَتْ شَمَالٌ[1] عَرِيَّهْ ؟

قَالَ : وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ يَرْثِي الطُّوسِيَّ الرَّاوِيَةَ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْهَا :

مَنْ عَاشَ لَمْ يَخْلُ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ حَزَنِ
بَيْنَ الْمَصَائِبِ مِنْ دُنْيَاهُ وَالْمِحَنِ

وَالْمَوْتُ قَصْدُ امْرِئٍ مُدَّ الْبَقَاءُ لَهُ
فَكَيْفَ يَسْكُنُ مِنْ عَيْشٍ إِلَى سَكَنِ

وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي الدُّنْيَا عَلَى سَفَرٍ
فَرَاحِلٌ خَلَّفَ الْبَاقِي عَلَى الظُّعُنِ

وَلَا أَرَى زَمَناً أَرْدَى أَبَا حَسَنٍ
وَخَانَ فِيهِ عَلَى حُرٍّ بِمُؤْتَمَنِ

(١) يريد أن يقول : هل يدفع الموت عنى ما اتصفت به من العلم إذا هبت العواصف التى تعرى المرء من كل أسباب البقاء ؟ ، والاستفهام إنكارى بمعنى النفى .

لَقَدْ هَوَى جَبَلٌ لِلْمَجْدِ لَوْ وُزِنَتْ
بِهِ الْجِبَالُ الرَّوَاسِي الشُّمُّ(١) لَمْ تَزِنِ
وَأَصْبَحَ الْحَبْلُ حَبْلُ الدِّينِ مُنْتَثِراً(٢)
وَأُدْرِجَ الْعِلْمُ وَالطُّوسِيُّ فِي كَفَنِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي سَالِفِ الزَّمَنِ
وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي غَابِرِ الزَّمَنِ(٣) ؟

٤٢ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ *

علي بن عبد الله المعروف بالشبيه

ابْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَبُو الْقَاسِمِ الْعَلَوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالشَّبِيهِ. سَمِعَ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُظَفَّرِ، وَكَتَبَ عَنْهُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْحَافِظُ وَقَالَ: كَانَ دَيِّناً حَسَنَ الِاعْتِقَادِ يُوَرِّقُ بِأُجْرَةٍ وَيَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ، وَيُوَاسِي الْفُقَرَاءَ مِنْ كَسْبِهِ، سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ: وُلِدْتُ فِي لَيْلَةِ

---

(١) الشم: العالية (٢) منتثراً: متفككا (٣) الغابر: المستقبل

(*) راجع المنهل الصافي جزء ٣ ص ٤٠٧

عِيدِ الْأَضْحَى سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَمَاتَ فِي الْعَشْرِ الْأُوَلِ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

قَالَ الشَّرِيفُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ الْعُمَرِيُّ النَّسَّابَةُ فِي كِتَابِ الشَّافِي فِي النَّسَبِ مِنْ تَصْنِيفِهِ: وَمِنْهُمْ «يَعْنِي مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ» زَيْدٌ النَّسَّابَةُ الْجَلِيلُ صَاحِبُ كِتَابِ الْمَبْسُوطِ، «وَيُلَقَّبُ الشَّبِيهَ» ابْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ الشَّهِيدِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمِنْ وَلَدِهِ بِبَغْدَادَ أَبُو الْفَضْلِ الْحَسَنُ صَاحِبُ الْعَوْجَاءِ، وَأَخُوهُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيٌّ الْمُوَضِّحُ النَّاسِخُ، لَهُ خَطٌّ مَلِيحٌ ابْنَا أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ النَّقِيبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ الشَّبِيهِ، بِهِ يُعْرَفُونَ، «وَلَهُ بَقِيَّةٌ». وَجَدْتُ عَلَى ظَهْرِ دِيوَانِ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ بِخَطِّ ابْنِ الشَّبِيهِ وَكَانَ الدِّيوَانُ كُلُّهُ بِخَطِّهِ:

دِيوَانُ عُرْوَةَ الْعَبْسِيِّ أَوْضَحَهُ
خَطُّ امْرِئٍ زَادَهُ حُسْنًا وَتَبْيِينًا

نَجْلُ الأَكَارِمِ مِنْ آلِ الشَّبِيهِ فَتًى
بِجَدِّهِ خَتَمَ اللهُ النَّبِيِّينَا
صَلَّى الإِلٰهُ عَلَيْهِ مَادَجَا غَسَقٌ
وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَا

﴿ ٤٣ – عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيُّ * ﴾

على بن عبد الله النيسابورى

الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَبِي الطَّيِّبِ، مَوْلِدُهُ بِنَيْسَابُورَ، وَمَوْطِنُهُ قَصَبَةُ سَابْزَوَارَ، وَكَانَ لَهُ مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِالْقُرْآنِ وَبِتَفْسِيرِهِ، مَاتَ فِي ثَامِنِ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ سَابْزَوَارَ، وَقَدْ عَمِلَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَمْرٍو مِنْ دَهَاقِينِ وَمَيْمُولَانَ مَدْرَسَةً بِاسْمِهِ فِي مَحَلَّةِ أَسْفِرِيسَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ عَشْرٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَأَثَرُهَا إِلَى الْآنِ بَاقٍ، وَكَانَ لَهُ تَلَامِيذُ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو وَغَيْرُهُ، وَلَهُ

(*) ترجم له فى كتاب طبقات المفسرين وفى تاريخ بغداد ج ١٢

عِدَّةُ تَصانِيفَ فِي تفسِيرِ القُرْآنِ المَجِيدِ مِنْهَا : كِتَابُ التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ فِي ثَلاثِينَ مُجَلَّداً ، وَكِتَابُ التَّفْسِيرِ الأَوْسَطِ أَحَدَ عَشَرَ مُجَلداً ، وَكِتَابُ التَّفْسِيرِ الصَّغِيرِ ثَلاثُ مُجَلَّداتٍ . وَكَانَ يُمْلِي ذَلِكَ مِنْ حِفْظِهِ ، وَلَمَّا مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ لَمْ يُوجَدْ فِي خِزَانَةِ كُتُبِهِ إِلَّا أَرْبَعُ مُجَلَّداتٍ ، أَحَدُهَا فِقْهِيٌّ ، وَآخَرُ أَدَبِيٌّ ، وَمُجَلَّدَانِ فِي التَّارِيخِ ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ سابْزَوَارَ ، وَعِنْدَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ مُجَرَّبَةٌ ، وَحُمِلَ فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمائَةٍ إِلَى السُّلْطَانِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَشَرَعَ فِي رِوَايَةِ خَبَرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَيْرِ أَمْرٍ مِنَ السُّلْطَانِ ، فَقَالَ السُّلْطَانُ لِغُلَامٍ : يَاغُلَامُ دِهْ رَأْسَهُ ، فَلَكَمَهُ عَلَى رَأْسِهِ لَكْمَةً كَانَتْ سَبَباً إِلَى قِلَّةِ سَمْعِهِ وَطَرَشِهِ ، ثُمَّ عَرَفَ السُّلْطَانُ مَنْزِلَتَهُ مِنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالنَّزَاهَةِ وَالْوَرَعِ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ فَلَمْ يَقْبَلْهُ وَقَالَ : لَاحَاجَةَ لِي فِي الْمَالِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَرُدَّ عَلَيَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنِّي قَبِلْتُهُ وَهُوَ سَمْعِي ، فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ : أَيُّهَا

الرَّجُلُ، إِنَّ لِلْمُلْكِ صَوْلَةً وَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَى السِّيَاسَةِ، وَرَأَيْتُكَ قَدْ تَعَدَّيْتَ الْوَاجِبَ مَجْرَى مِنِّى مَاجَرَى، وَالْآنَ فَأُحِبُّ أَنْ تَجْعَلَنِى فِى حِلٍّ . فَقَالَ : اللهُ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بِالْمِرْصَادِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَحْضَرْتَنِى لِسَمَاعِ الْوَعْظِ وَأَخْبَارِ الرَّسُولِ وَالْخُشُوعِ، لَا لِإِقَامَةِ قَوَانِينِ الْمُلْكِ وَاسْتِعْمَالِ السِّيَاسَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَتَعَلَّقُ بِالْمُلُوكِ وَأَمْثَالِهِمْ لَا بِالْعُلَمَاءِ، فَخَجِلَ السُّلْطَانُ وَجَبَذَ(١) بِرَأْسِهِ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ . وَمِنْ كَلَامِهِ فِى خُطْبَةِ التَّفْسِيرِ : الزَّمَانُ زَمَانُ سُفَهَاءِ السُّفْلِ، وَالْقِرَانُ قِرَانُ انْقِلَابِ النِّحَلِ، وَالْفَضْلُ فِى أَبْنَائِهِ فُضُولٌ، وَطُلُوعُ التَّمْيِيزِ فِيهِمْ أُفُولٌ، وَالدِّينُ دَيْنٌ، وَالدُّنْيَا عَيْنٌ، وَإِنْ تَحَلَّى أَحَدُهُمْ بِالْعُلُومِ، وَادَّعَى أَنَّهُ فِى الْخُصُوصِ مِنَ الْعُمُومِ، فَغَايَتُهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ مَعَانِيهِ، وَيَتَحَلَّى بِالْفَضْلِ وَهُوَ لَا يُدَانِيهِ، وَيَجْمَعَ الْأَحَادِيثَ وَالْأَخْبَارَ، وَهُوَ فِيهَا مَثَلُ

---

(١) جبذ : جذب

الحِمَارِ يَحْمِلُ الأَسْفَارَ [١] . وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ وَمِنْ شِعْرِهِ فِي [٢] دُمْيَةِ القَصْرِ :

فَلَكُ [٣] الأَفَاضِلِ أَرْضُ نَيْسَابُورِ
مُرْسَى الأَنَامِ وَلَيْسَ مُرْسَى بُورِ [٤]

دُعِيَتْ أَبَرْشَهْرَ [٥] البِلَادِ لِأَنَّهَا
قُطْبٌ وَسَائِرُهَا رُسُومُ السُّورِ

هِيَ قُبَّةُ الإِسْلَامِ نَائِرَةُ الصُّوَى [٦]
فَكَأَنَّهَا الأَقْمَارُ فِي الدَّيْجُورِ [٧]

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَلْقَهُ بِمَهَابَةٍ
زُفَّتْ عَلَيْهِ بِفَضْلِهِ المَوْفُورِ

لَهُمُ الأَوَامِرُ وَالنَّوَاهِي كُلُّهَا
وَمَدَى سِوَاهُمْ رُتْبَةُ المَأْمُورِ

نَقَلْتُ جَمِيعَ ذَلِكَ مِنْ تَارِيخِ بَيْهَقَ لِأَبِي الحَسَنِ بْنِ أَبِي القَاسِمِ البَيْهَقِيِّ مُصَنِّفِ كِتَابِ وِشَاحِ الدُّمْيَةِ .

---

(١) الأسفار : الكتب يشير إلى قوله تعالى : « كمثل الحمار يحمل أسفارا » .

(٢) أي المذكور في كتاب دمية القصر (٣) الفلك : من كل شيء : مستداره ومعظمه (٤) البور : الذي لاخير فيه (٥) أبرشهر : مدينة بنيسابور . وهي بفتح الهمزة وسكون الباء وفتح الراء ولضرورة الشعر ضبطت كما ترى .

(٦) الصوى : الدلائل في الطريق (٧) الديجور : الظلام .

﴿ ٤٤ – عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْصَمِ * ﴾

علي بن عبد الله الهروي

الْهَرَوِيُّ الْإِمَامُ صَدْرُ الْإِسْلَامِ مَاتَ « انْقَطَعَ فِي الْأَصْلِ » ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ الْوِشَاحِ فَقَالَ : قَدْ بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ أَطْوَرَيْهِ[1] ، فَلَا فَضْلَ إِلَّا وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ ، وَرَسَتْ بِالْفَصَاحَةِ قَوَاعِدُهُ ، وَاشْتَدَّ بِالزَّهَادَةِ سَاعِدُهُ ، وَقَدِ اخْتَلَفْتُ مُدَّةً مَدِيدَةً إِلَيْهِ ، وَقَرَأْتُ مَا شِئْتُ مِنْ دَقَائِقِ الْعُلُومِ عَلَيْهِ ، وَوَجَدْتُهُ حَالًّا عُقُودَ الْمُشْكِلَاتِ ، فَاتِقَ رُتُوقِ الْمُعْضِلَاتِ ، وَلَعَمْرِي إِنَّهُ – رَحِمَهُ اللهُ – كَشَفَ عَنِ الْعُلُومِ نِقَابَهَا ، وَرَفَعَ عَنِ الْحَقَائِقِ حِجَابَهَا ، فَلَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِ فَاضِلٌ إِلَّا وَقَدِ اغْتَرَفَ مِنْ بِحَارِهِ ، وَاقْتَبَسَ مِنْ أَنْوَارِهِ ، وَتَصَانِيفُهُ كَثِيرَةٌ ، وَسَعْيُهُ مَشْهُورٌ ، وَسَعْيُ النَّاظِرِ فِيهِ مَشْكُورٌ ، وَمِنْ تَصَانِيفِهِ : كِتَابُ مِفْتَاحِ الْبَلَاغَةِ ، كِتَابُ الْبَسْمَلَةِ ،

---

(١) بلغ من العلم أطوريه : أى أوله وآخره

(*) راجع تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٥

كِتَابُ نَهْجِ الرَّشَادِ ، كِتَابُ عُقُودِ الْجَوَاهِرِ ، كِتَابُ لَطَائِفِ النُّكَتِ ، كِتَابُ تَصْفِيَةِ الْقُلُوبِ ، كِتَابُ دِيوَانِ شِعْرِهِ . وَمِنْ مَنْظُومِهِ :

ضَحِكَ الرَّبِيعُ بِعَبْرَةِ الْأَنْدَاءِ (١)
وَمِنَ الْعَجَائِبِ ضَاحِكٌ بِبُكَاءِ

خَرَجَتْ لَهُ نَحْوَ الشِّتَاءِ كَتِيبَةٌ
ذُعِرَتْ مَوَاكِبُهُ عَنِ الصَّحْرَاءِ

رَكِبَتْ فَوَارِسُهُ الْهَوَاءَ نَجَرَّدَتْ
سَيْفاً جَلَا جَيْشَ الدُّجَى بِضِيَاءِ (٢)

رَقَّ الرَّبِيعُ لَهَا فَأَرْسَلَ نَحْوَهَا
بُشْرَى بِغَيْمٍ فِي نَسِيمِ هَوَاءِ

وَالْغُصْنُ قُرِّطَ أُذْنُهُ بِدَرَاهِمٍ
مَضْرُوبَةٍ مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ

وَالرَّوْضُ أُلْبِسَ حُلَّةً مَوْشِيَّةً
أَحْسِنْ بِهَا مِنْ صَنْعَةِ الْأَنْدَاءِ

(١) الأنداء جمع ندى : وهو الماء (٢) السيف هنا : البرق

قُضْبَانُ نَخْلٍ أَخْرَجَتْ ذَهَباً لَنَا
أَعْجِبْ بِهَا مِنْ صَيْرَفٍ مِعْطَاء
وَشَقَائِقُ النُّعْمَانِ تُشْبِهُ صَارِخاً
مُتَظَلِّماً مُتَشَحِّطاً (١) بِدِمَاء
وَالزَّعْفَرَانُ كَأَنَّمَا فُرِشَتْ بِهِ
دِيبَاجَةٌ نُسِجَتْ مِنَ الْقَمْرَاء (٢)

* * *

سَاءَلْتُهَا هَلَّا بَرَزْتِ لِنَاظِرٍ
صَبٍّ كَئِيبٍ هَائِمٍ بَكَّاء ؟
فَأَبَتْ وَآلَتْ لَا يَحُلُّ نِقَابَهَا
إِلَّا مُجِيرُ الدَّوْلَةِ الْغَرَّاء

وَلَهُ :

هَنِيئاً لَكَ الْعِيدُ الْمُبَارَكُ يَا صَدْرُ
وَسَاعَدَكَ الْإِقْبَالُ وَالْيُمْنُ وَالنَّصْرُ
إِذَا مَا أَعَادَ الْعِيدُ لِلنَّاسِ نَضْرَةً
فَقَدْ أُلْبِسَ الْأَعْيَادُ مِنْ وَجْهِكَ الْبِشْرُ

---

(١) تشحط فی دمه : غرق (٢) القمراء : الخضرة

وَإِنْ نُشِرَتْ أَعْلَامُ دِينِ مُحَمَّدٍ
فَذِكْرُكَ فِي أَقْصَى الْبِلَادِ لَهُ نَشْرُ
وَإِنْ أَحْرَمَ الْحُجَّاجُ عَنْ جُلِّ حَالِهِمْ
فَأَحْرَمَ عَمَّنْ دُونَكَ الْفَضْلُ وَالْفَخْرُ
وَإِنْ كَانَ لَبَّى لِلزِّيَارَةِ مُحْرِمٌ
فَلَبَّى إِلَى أَوْصَافِكَ النَّظْمُ وَالنَّثْرُ
وَإِنْ جَمَعُوا فَرْضَيْنِ ثَمَّ وَقَصَّرُوا(١)
فَلِلدِّينِ وَالدُّنْيَا بِكَ الْجَمْعُ وَالْقَصْرُ
وَإِنْ طَوَّفُوا بِالْبَيْتِ سَبْعاً وَأَحْرَمُوا
فَمَا طَافَ إِلَّا بَابَكَ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
وَإِنْ ضَحَّتِ الْأَقْوَامُ بِالْبُدْنِ سُنَّةً
فَضَحَّ بِمَنْ عَادَاكَ مَا انْفَلَقَ الْفَجْرُ

٤٥ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَصِيفٍ النَّاشِىءُ *

علي بن عبد الله الناشىء

الْخَلَّاءُ، وَيُكْنَى أَبَا الْحُسَيْنِ. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ:

(١) المراد التقصير للشعر لأجل التحلل من الاحرام
(*) راجع المنهج الصافي ج ٣ ص ٤٠٧

حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الْخَالِعُ قَالَ : حَدَّثَنِي النَّاشِئُ قَالَ : كَانَ جَدِّي وَصِيفٌ مَمْلُوكاً ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ أَبِي عَطَّاراً فِي الْحَضْرَةِ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَكُنْتُ لَمَّا نَشَأْتُ مَعَهُ فِي دُكَّانِهِ كَانَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَجْلِسُ عِنْدَنَا وَأَنَا لَا أَعْرِفُهُ ، وَكَانَ يَلْبَسُ الدُّرَّاعَةَ[١] وَثِيَابُهُ وَسِخَةٌ ، وَانْقَطَعَ عَنَّا مُدَّةً فَسَأَلْتُ عَنْهُ أَبِي وَقُلْتُ : مَافَعَلَ ذَلِكَ الشَّيْخُ الْوَسِخُ الثِّيَابِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ : وَيْحَكَ ذَاكَ ابْنُ الرُّومِيِّ وَقَدْ مَاتَ ، فَنَدِمْتُ أَنْ لَمْ أَكُنْ أَخَذْتُ عَنْهُ شَيْئاً وَلَا عَرَفْتُهُ فِي حَالِ حُضُورِهِ وَتَشَاغَلْتُ بِالصَّنْعَةِ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ ، ثُمَّ لَقِيتُ ثَعْلَباً وَلَمْ آخُذْ عَنْهُ إِلَّا أَبْيَاتاً مِنْهَا[٢] :

إِنَّ أَخَا الْإِخْوَانِ مَنْ يَسْعَى مَعَكْ
وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ[٣]

قَالَ الْخَالِعُ : وَكَانَ النَّاشِئُ قَلِيلَ الْبِضَاعَةِ فِي الْأَدَبِ قَئُوماً[٤] بِالْكَلَامِ وَالْجَدَلِ ، يَعْتَقِدُ الْإِمَامَةَ وَيُنَاظِرُ عَلَيْهَا

---

(١) الدراعة : ثوب من الكتان كان يلبسه العظيم من الأخيار

(٢) كانت فى الأصل « وهي » وأرى أن ما ذكر أولى لأنه لم يذكر له إلا بيتا واحدا . (٣) وبعد البيت

ومن إذا ريب الزمان صدعك — شتت فيك شمله ليجمعك

(٤) قئوما : كثير القيام « عبد الخالق »

بِأَجْوَدِ عِبَارَةٍ ، فَاسْتَنْفَدَ عُمُرَهُ فِي مَدِيحِ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى عُرِفَ بِهِمْ ، وَأَشْعَارُهُ فِيهِمْ لَا تُحْصَى كَثْرَةً ، وَمَدَحَ مَعَ ذَلِكَ الرَّاضِي بِاللهِ وَلَهُ مَعَهُ أَخْبَارٌ ، وَقَصَدَ كَافُوراً الْإِخْشِيدِيَّ بِمِصْرَ وَامْتَدَحَهُ ، وَامْتَدَحَ ابْنَ حِنْزَابَةَ وَكَانَ يُنَادِمُهُ ، وَطَرِيَ(١) إِلَى الْبَرِيدِيِّ بِالْبَصْرَةِ ، وَإِلَى أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ ، بِأَرَّجَانَ ، وَعَضُدِ الدَّوْلَةِ بِفَارِسَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ عَلَى مَا خَبَّرَنِي بِهِ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَاتَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكُنْتُ حِينَئِذٍ بِالرَّيِّ فَوَرَدَ كِتَابُ ابْنِ بَقِيَّةَ إِلَى ابْنِ الْعَمِيدِ بِخَبَرِهِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ شَيَّعَ جِنَازَتَهُ مَاشِياً وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ كُلُّهُمْ ، وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ قُرَيْشٍ وَقَبْرُهُ هُنَاكَ مَعْرُوفٌ .

قَالَ الْخَالِعُ : وَلَمْ يُخَلِّفْ عَقِباً وَلَا عَلِمْتُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ قَطُّ ، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى الْأَحْدَاثِ وَلَا يَشْرَبُ النَّبِيذَ ، وَلَهُ فِي الْمُجُونِ وَالْوَلَعِ طَبَقَةٌ عَالِيَةٌ ، وَعَنْهُ أَخَذَ مُجَّانُ بَابِ الطَّاقِ

---

(١) طرى إليه : أقبل

كُلُّهُمْ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ ، وَكَانَ يَخْلِطُ بِجَدَلِهِ وَمُنَاظَرَاتِهِ هَزْلًا مُسْتَمْلَحاً وَمُجُوناً مُسْتَطَاباً يَعْتَمِدُ بِهِ إِخْجَالَ خَصْمِهِ ، وَكَسْرَ حَدِّهِ ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ مَشْهُورَةٌ ، وَكَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ تَخْدُمُهُ ، فَدَخَلَ يَوْماً إِلَى دَارِ أُخْتِهِ وَأَنَا مَعَهُ ، فَرَأَى صَبِيًّا صَغِيراً أَسْوَدَ فَقَالَ لَهَا : مَنْ هَذَا ؟ فَسَكَتَتْ فَأَلَحَّ عَلَيْهَا فَقَالَتْ : ابْنُ بِشَارَةَ ، فَقَالَ : مِمَّنْ ؟ فَقَالَتْ مِنْ أَجْلِ هَذَا أَمْسَكْتُ ، فَاسْتَدْعَى الْجَارِيَةَ وَقَالَ لَهَا : هَذَا الصَّبِيُّ مَنْ أَبُوهُ ؟ فَقَالَتْ مَالَهُ أَبٌ ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : سَلِّمْ إِذًا عَلَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ : حَدَّثَنِي الْخَالِعُ قَالَ : حَدَّثَنِي النَّاشِئُ قَالَ : أَدْخَلَنِي ابْنُ رَائِقٍ عَلَى الرَّاضِي بِاللهِ ، وَكُنْتُ مَدَّاحاً لِابْنِ رَائِقٍ وَنَافِقاً عَلَيْهِ ، فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى الرَّاضِي قَالَ لِي : أَنْتَ النَّاشِئُ الرَّافِضِيُّ ؟ فَقُلْتُ : خَادِمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الشِّيعِيُّ . فَقَالَ : مِنْ أَيِّ الشِّيعَةِ ؟ فَقُلْتُ : شِيعَةِ بَنِي هَاشِمٍ : فَقَالَ : هَذَا خُبْثُ حِيلَةٍ . فَقُلْتُ : مَعَ

طهارةِ مولدٍ . فقالَ هاتِ ما معكَ . فأنشدتهُ فأمرَ أنْ يُخلعَ عليَّ عشرُ قطعٍ ثياباً ، وأُعطى أربعةَ آلافِ درهمٍ ، فأُخرجَ إليَّ ذلكَ وتسلمتهُ وعُدتُ إلى حضرتهِ فقبلتُ الأرضَ وشكرتهُ وقلتُ : أنا ممنْ يلبسُ الطيلسانَ . فقالَ : ها هُنا طيالسُ عدنيةٌ ، أعطوهُ منها طيلساناً ، وأضيفوا إليها عمامةَ خزٍّ ففعلوا . فقالَ : أنشدني منْ شعركَ في بني هاشمٍ فأنشدتهُ :

بني العبّاسِ إنَّ لكمْ دماءً
أراقتها أميّةُ بالذُّحولِ
فليسَ بهاشميٍّ منْ يُوالي
أُميّةَ واللعينَ أبا زبيلِ

فقالَ : ما بينكَ وبينَ أبي زبيلٍ ؟ فقلتُ : أميرُ المؤمنينَ أعلمُ . فابتسمَ وقالَ : انصرفْ . قالَ الخالعُ : وشاهدتُ العمامةَ والطيلسانَ معهُ وبقيا عندهُ إلى أنْ ماتَ . قالَ : وحدثني الخالعُ قالَ : كانَ أبو الحسنِ شيخاً طويلاً جسيماً

عَظِيمَ الخِلْقَةِ ، عَرِيضَ الأَلْوَاحِ ، مُوَفَّرَ القُوَّةِ ، جَهْوَرِيّ الصَّوْتِ ، عُمِّرَ نَيِّفًا وَتِسْعِينَ سَنَةً ، لَمْ تَضْطَرِمْ(١) أَسْنَانُهُ ، وَلَا قَلَعَ سِنًّا مِنْهَا وَلَا مِنْ أَضْرَاسِهِ . وَكَانَ يَعْمَلُ الصُّفْرَ وَيُخَرِّمُهُ ، وَلَهُ فِيهِ صَنْعَةٌ بَدِيعَةٌ . قَالَ : وَمِنْ عَمَلِهِ قِنْدِيلٌ بِالْمَشْهَدِ بِمَقَابِرِ قُرَيْشٍ مُرَبَّعٌ غَايَةٌ فِي حُسْنِهِ .

قَالَ الخَالِعُ : وَمِنْ مُجُونِهِ فِي المُنَاظَرَاتِ وَغَيْرِهَا : أَنَّهُ نَاظَرَ أَبَا الحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى الرُّمَّانِيَّ فِي مَسْأَلَةٍ فَانْقَطَعَ الرُّمَّانِيُّ وَقَالَ : أُعَاوِدُ النَّظَرَ ، وَرُبَّمَا كَانَ فِي أَصْحَابِي مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي بِهَذِهِ المَسْأَلَةِ ، فَإِنْ ثَبَتَ الحَقُّ مَعَكَ وَافَقْتُكَ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ يَنَدَّدُ بِهِ . وَدَخَلَ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ كَعْبٍ الأَنْصَارِيُّ أَحَدُ المُعْتَزِلَةِ فَقَالَ : فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمْ يَا أَبَا الحُسَيْنِ ؟ فَقَالَ : فِي ثِيَابِنَا ، فَقَالَ : دَعْنَا مِنْ مُجُونِكَ وَأَعِدِ المَسْأَلَةَ ، فَلَعَلَّنَا أَنْ نَقْدَحَ فِيهَا فَقَالَ : كَيْفَ تَقْدَحُ وَحُرَاقُكَ(٢) رَطْبٌ ؟ وَمِنْهُ حِكَايَتُهُ المَشْهُورَةُ مَعَ الأَشْعَرِيِّ الَّذِي نَاظَرَهُ فَصَفَعَهُ فَقَالَ :

---

(١) في الأصل : « تضطرب » (٢) الحراق كغراب وكتاب : نار لاتبقى شيئاً فمع أن هذا معنى الحراق فانه رطب عند المخاطب

مَا هَذَا يَا أَبَا الْحُسَيْنِ ؟ فقَالَ : هَذَا فِعْلُ اللهِ بِكَ ، فَلِمَ تَغْضَبُ مِنِّى ؟ فقَالَ : مَا فَعَلَهُ غَيْرُكَ ، وَهَذَا سُوءُ أَدَبٍ وَخَارِجٌ عَنِ الْمُنَاظَرَةِ ، فقَالَ : نَاقَضْتَ . إِنْ أَقَمْتَ عَلَى مَذْهَبِكَ فَهُوَ مِنْ فِعْلِ اللهِ ، وَإِنِ انْتَقَلْتَ فَخُذِ الْعِوَضَ ، فَانْقَطَعَ الْمَجْلِسُ بِالضَّحِكِ وَصَارَتْ نَادِرَةً .

« قَالَ عُبَيْدُ اللهِ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ تعَالَى مُؤَلِّفُ هذَا الْكِتَابِ : لَوْ كَانَ الْأَشْعَرِىُّ مَاهِراً لَقَامَ إِلَيْهِ وَصَفَعَهُ أَشَدَّ مِنْ تِلْكَ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : صَدَقْتَ ، تِلْكَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِى ، وَهَذِهِ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِكَ ، فَتَصِيرُ النَّادِرَةُ عَلَيْهِ لَا لَهُ » .

قَالَ الْخَالِعُ : فَأَنْشَدَنِى يَوْماً لِنَفْسِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

تِجَاهُ الشَّطَا جَنْبُ الْحِمَى فَالْمُشَرَّفُ
حِيَالُ الرُّبَى فَالشَّاهِقُ الْمُتَشَرِّفُ

فَقُلْتُ لَهُ بِمَ ارْتَفَعَتْ هذِهِ الْأَسْمَاءُ وَهِىَ ظُرُوفٌ ؟ فَقَالَ بِمَا يَسُوءُكَ ، وَبَعْدَ هذَا الْبَيْتِ :

طُلُولٌ أَطَالَ الْحُزْنَ لِى حَزْنُ نَهْجِهَا [1]
وَأَلْزَمَنِى وَجْداً عَلَيْهَا التَّأَسُّفُ

(١) يريد صعوبة طريقها

فَإِذَا حَمَلَ مَا قَالَهُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ تِلْكَ الظُّرُوفَ هِيَ الطُّلُولُ، وَهِيَ: مَاشَخَصَ مِنَ الْأَرْضِ، وَجُعِلَتْ شُخُوصًا جَازَ الرَّفْعُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ، وَإِنْ جُعِلَتْ مَحَالَّ[1] لِلطُّلُولِ فَلَيْسَ إِلَّا النَّصْبُ، وَمِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

وَقَفْتُ عَلَى أَرْجَائِهَا أَسْأَلُ الرُّبَى
عَنِ الْخُرَّدِ[2] الْأَتْرَابِ وَالدَّارُ صَفْصَفُ

وَكَيْفَ يُجِيبُ السَّائِلِينَ مَرَابِعٌ
عَفَتْهَا[3] شَآبِيبٌ مِنَ الْمُزْنِ وُكَّفُ؟

وَمِنْهَا فِي وَصْفِ الْخَمْرِ:

دِنَانٌ[4] كَرُهْبَانٍ عَلَيْهَا بَرَانِسٌ
مِنَ الْخَزِّ دُكْنٌ[5] يَوْمَ فِصْحٍ تُصَفَّفُ

---

(١) كانت فى الأصل بالتنوين والألف (٢) الخرد: جمع خريدة: وهى البكر، والأتراب: المساوون فى السن (٣) عفتها: محتها، شآبيب جمع شؤبوب: وهى الدفعة من المطر، والمزن: السحب التى بها ماء، وكف: سائلة منهمرة.

(٤) الدن. الاناء العظيم ويسمى الراقود، والبرانس: ثياب الرهبان

(٥) جمع أدكن، وهو المائل إلى السواد وكانت فى الأصل «رقش»

يُنظَمُ مِنهَا المَزجُ سِلْـكاً كَأَنَّهُ
إِذَا مَا بَدَا فِي الْـكَأْسِ دُرٌّ مُنَصَّفُ

وَمِنْ مُجُونِ النَّاشِیء: أَنَّهُ نَاظَرَ بَعضَ الْمُجبِرَةِ فَحَرَّكَ الْجَبْرِیُّ يَدَهُ فقَالَ لِلنَّاشِیء: هَذِهِ مَنْ حَرَّكَهَا؟ فقالَ النَّاشِیءُ: مَنْ أُمُّهُ زَانِيَةٌ. فَغَضِبَ الرَّجُلُ فقَالَ لَهُ: نَاقَضْتَ، إِذَا كَانَ الْمُحرِّكُ غَيْرَكَ فَلِمَ تَغْضَبُ؟.

« قَالَ عُبَيْدُ اللهِ الفَقِيرُ إِلَيْهِ: وَهَذَا أَيضاً كُفْرٌ وَبُهتٌ، لِأَنَّ الْمُحرِّكَ لَهَا عَلَى اعتِقَادِ النَّاشِیء مُنَاظِرُهُ، فَيَكُونُ قَدْ أَسَاءَ الْعِشْرَةَ مَعَ جَلِيسِهِ، وَعَلَى مَذْهَبِ صَاحِبِهِ الْخَالِقُ، فَيَكُونُ قَدْ كَفَرَ، فَعَلَى كُلِّ حَالٍ هُوَ مُسِیءٌ. »

وَسَمِعَ يَوْماً رَجُلاً يُنَادِی عَلَى لَحمِ الْبَقَرِ: أَيْنَ مَنْ حَلَفَ أَلَّا يُغْبَنَ؟ فقَالَ لَهُ « إِيشْ » تُرِيدُ مِنْهُ؟ تُرِيدُ أَنْ تُحَنِّثَهُ؟

وَلَقَّبَ رَجُلاً مِنْ بَابِ الطَّاقِ بِالْأَبْعَدِ، وَلَقَّبَ آخرَ بِالْآخرِ، وَهَاتَانِ لَفظَتَانِ جَامِعَتَانِ لِـكُلِّ سَبٍّ وَقَذْفٍ، لِأَنَّ النَّاسَ مُغْرَوْنَ بِإِلْحَاقِ كُلِّ قَبِيحٍ فَظِيعٍ بِهِمَا، عَلَى سَبِيلِ الْـكِنَايَةِ وَالِاسْتِرَاحَةِ فِي الْـكَلَامِ إِلَيْهِمَا.

قَالَ الخَالِعُ : وَحَدَّثَنِي النَّاشِئ قَالَ : لَمَّا وَفَدْتُ عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَقَعَ فِي أَبُو العَبَّاسِ النَّامِي وَقَالَ : هَذَا يَكْتُبُ التَّعَاوِيذَ . فَقُلْتُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ : يَتَأَمَّلُ الأَمِيرُ فَإِنْ كَانَ يَصْلُحُ أَنْ يُكْتَبَ مِثْلُهُ عَلَى المَسَاجِدِ بِالرِّبْجِ [1] فَالقَوْلُ كَمَا قَالَ . فَأَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةً أَوَّلُهَا :

أَلدَّهْرُ أَيَّامُهُ مَاضٍ وَمُرْتَقَبُ

وَقُلْتُ فِيهَا :

فَارْحَلْ إِلَى حَلَبٍ فَالخَيْرُ مُنْجَلِبٌ

مِنْ نَيْلِ كَفِّكَ إِنْ لَاحَتْ لَنَا حَلَبُ

فَقَالَ يَا أَبَا الحُسَيْنِ : بَيْتٌ جَيِّدٌ لَكِنَّهُ كَثِيرُ اللَّبَنِ . وَأَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةً أُخْرَى أَقُولُ فِيهَا :

كَأَنَّ مَشِيبِي إِذْ يَلُوحُ عَقَارِبٌ

وَأَقْتَلُ مَا أَبْصَرْتَ بِيضُ العَقَارِبِ

(١) فى الأصل : الربخ . والربج والروبج : الدرهم الصغير الخفيف .

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُوذَةٌ فِي تَمِيمَةٍ (١)
وَقَدْ حَلِيَتْ وَاسْتُودِعَتْ حِرْزَ كَاعِبِ (٢)

وَحَدَّثَ الْخَالِعُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ النَّاشِيءُ قَالَ: كُنْتُ بِالْكُوفَةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ وَأَنَا أُمْلِي شِعْرِي فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِهَا وَالنَّاسُ يَكْتُبُونَهُ عَنِّي، وَكَانَ الْمُتَنَبِّي إِذْ ذَاكَ يَحْضُرُ مَعَهُمْ وَهُوَ بَعْدُ لَمْ يُعْرَفْ وَلَمْ يُلَقَّبْ بِالْمُتَنَبِّي، فَأَمْلَيْتُ الْقَصِيدَةَ الَّتِي أَوَّلُهَا:

بِآلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ وَفِي أَبْيَاتِهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ

وَقُلْتُ فِيهَا:

كَأَنَّ سِنَانَ ذَابِلِهِ ضَمِيرٌ فَلَيْسَ عَنِ الْقُلُوبِ لَهُ ذَهَابُ
وَصَارِمُهُ كَبَيْعَتِهِ بِخُمٍّ (٣) مَقَاصِدُهَا مِنَ الْخَلْقِ الرِّقَابُ

فَلَمَحْتُهُ يَكْتُبُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، وَمِنْهَا أَخَذَ مَا أَنْشَدْتُمُونِي الْآنَ مِنْ قَوْلِهِ:

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عُيُونٌ
وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادِ

(١) العوذة: الرقية، والتميمة: ما يعلق على الصبي يزعم العوام أنها تمنع عنه النظرة وهي المسماة «حجاب» (٢) الكاعب: الجارية التي نهد ثديها
(٣) تقدم له ذكر في بعض التراجم.

وَقَدْ صُغْتَ الأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ

فَمَا يَخْطُرْنَ إِلَّا فِي فُؤَادِ

قَالَ الْخَالِعُ : وَأَصْلُ هذَا لِأَبِي تَمَّامٍ :

مِنْ كُلِّ أَزْرَقَ (١) نَظَّارٍ بِلَا نَظَرٍ

إِلَى الْمَقَاتِلِ مَافِي مَتْنِهِ أَوَدُ (٢)

كَأَنَّهُ كَانَ تِرْبَ الْحُبِّ مُذْ زَمَنٍ

فَلَيْسَ يُعْجِزُهُ قَلْبٌ وَلَا كَبِدُ

وَعَلَيْهِ وَقَعَ (٣) الْمُتَنَبِّي وَسَبَقَ إِلَى ذَلِكَ دِيكُ الْجِنِّ

أَيْضاً فِي قَوْلِهِ :

قَناً تَنْصَبُّ فِي ثُغَرِ التَّرَاقِي

كَمَا يَنْصَبُّ فِي الْمُقَلِ الرُّقَادُ (٤)

---

(١) الأزرق : السنان والرمح (٢) الأود : الاعوجاج ، والمقاتل جمع مقتل : المكان الذي يكون منه الموت . (٣) كانت في الأصل « وضع »

(٤) كانت في الأصل : « قنى ينصب في ثغر القواق » فأصلحت إلى ما ترى وقد جهدت أن أعثر عليه في مظانه كشرح العكبري وكتابي الابانة في سرقات المتنبي والوساطة وما شاكل ذلك فلم أجدها

والبيت لديك الجن واسمه عبد السلام بن رغبان بفتح الراء — والثغر جمع ثغرة : وهي النقرة في النحر ، وكل نقرة بين عظمى الترقوتين .

« عبد الخالق »

وَأَبْيَاتُ الْمُتَنَبِّي أَمْثَلُ مِنَ الْجَمِيعِ إِذَا تُرِكَتِ الْعَصَبِيَّةُ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ :حَدَّثَنِي الْخَالِعُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ وَالِدِي فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَأَنَا صَبِيٌّ فِي مَجْلِسِ الْكَبُوذِيِّ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي بَيْنَ الْوَرَّاقِينَ وَالصَّاغَةِ وَهُوَ غَاصٌّ بِالنَّاسِ، وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ وَافَى وَعَلَيْهِ مُرَقَّعَةٌ وَفِي يَدِهِ سَطِيحَةٌ وَرَكْوَةٌ (١) وَمَعَهُ عُكَّازٌ وَهُوَ شَعِثٌ فَسَلَّمَ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِصَوْتٍ يَرْفَعُهُ ثُمَّ قَالَ: أَنَا رَسُولُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهَا، فَقَالُوا: مَرْحَباً بِكَ وَأَهْلاً وَرَفَعُوهُ فَقَالَ: أَتَعَرِّفُونَ لِي أَحْمَدَ الْمُزَوِّقَ النَّائِحَ؟ فَقَالُوا: هَاهُوَ جَالِسٌ، فَقَالَ: رَأَيْتُ مَوْلَاتَنَا عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي النَّوْمِ فَقَالَتْ لِي: امْضِ إِلَى بَغْدَادَ وَاطْلُبْهُ وَقُلْ لَهُ نُحْ عَلَى ابْنِي بِشِعْرِ النَّاشِيءِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ:

بَنِي أَحْمَدٍ قَلْبِي لَكُمْ يَتَقَطَّعُ
بِمِثْلِ مُصَابِي فِيكُمُ لَيْسَ يُسْمَعُ

وَكَانَ النَّاشِيءُ حَاضِراً فَلَطَمَ لَطْماً عَظِيماً عَلَى وَجْهِهِ وَتَبِعَهُ

(١) المرقعة: الثوب المرقع، والسطيحة: المزادة، والركوة: الدلو الصغير

الْمُزَوِّقُ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ . وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ فِي ذَلِكَ النَّاشِئُ ثُمَّ الْمُزَوِّقُ ، ثُمَّ نَاحُوا بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى أَنْ صَلَّى النَّاسُ الظُّهْرَ وَتَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ ، وَجَهَدُوا بِالرَّجُلِ أَنْ يَقْبَلَ شَيْئًا مِنْهُمْ فَقَالَ : وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الدُّنْيَا مَا أَخَذْتُهَا ، فَإِنَّنِي لَا أَرَى أَنْ أَكُونَ رَسُولَ مَوْلَاتِي عَلَيْهَا السَّلَامُ ثُمَّ آخُذَ عَنْ ذَلِكَ عِوَضًا وَانْصَرَفَ وَلَمْ يَقْبَلْ شَيْئًا . قَالَ : وَمِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَهِيَ بِضْعَةَ عَشَرَ بَيْتًا :

عَجِبْتُ لَكُمْ تَفْنُونَ قَتْلًا بِسَيْفِكُمْ
وَيَسْطُو عَلَيْكُمْ مَنْ لَكُمْ كَانَ يَخْضَعُ
كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْصَى بِقَتْلِكُمْ
وَأَجْسَامُكُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ تُوَزَّعُ

قَالَ : وَحَدَّثَنِي الْخَالِعُ قَالَ : اجْتَزْتُ بِالنَّاشِئِ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي السَّرَّاجِينَ فَقَالَ لِي : قَدْ عَمِلْتُ قَصِيدَةً وَقَدْ طُلِبَتْ وَأُرِيدُ أَنْ تَكْتُبَهَا بِخَطِّكَ حَتَّى أُخْرِجَهَا فَقُلْتُ : أَمْضِي فِي

حاجَةٍ وَأَعودُ، وقصدْتُ المكانَ الّذي أَرَدْتُهُ وَجلستُ فيهِ فَحَمَلَتْني عيْني فرأيتُ في منامي أبا القاسِمِ عبْدَ العزيزِ الشّطْرَنجِيّ النّائحَ فقالَ لي: أُحِبُّ أَنْ تقومَ فتكتبَ قَصيدَةَ النّاشِىءِ البائِيّةَ فإنّا قدْ نُحْنا بِها البارِحَةَ بالمشْهَدِ، وَكانَ هذَ الرّجلُ قدْ تُوُفّيَ وهُوَ عائِدٌ مِنَ الزّيارَةِ، فقمْتُ وَرَجَعْتُ إِليْهِ وَقُلتُ: هاتِ البائِيَةَ حتّى أَكْتُبَها فَقالَ: مِنْ أَيْنَ علِمْتَ أَنّها بائِيّةٌ؟ وَما ذَكَرْتُ بها أَحداً، فَحَدّثْتُهُ بالمَنامِ فبكى وقالَ: لاشَكّ أَنّ الوقْتَ قدْ دَنا فكتَبْتُها فَكانَ أَوّلُها:

رَجائِي بَعيدٌ وَالْمماتُ قَريبُ
وَيُخْطِىءُ ظَنّي وَالْمَنُونُ تُصيبُ

وَمِنْ شِعْرِ النّاشِىءِ:

وَليلٍ توارَى النّجْمُ مِنْ طولِ مُكثِهِ
كَمَا ازْوَرّ مَحْبُوبٌ لِخَوْفِ رَقيبِهِ

كَأَنّ الثُرَيّا فيهِ باقَةُ نَرْجِسٍ
يُحَيِّ بها ذُو صَبْوَةٍ لِحَبيبِهِ

وَلَهُ :

وَكَأَنَّ عَقْرَبَ صُدْغِهِ وَقَفَتْ
لَمَّا دَنَتْ مِنْ نَارِ وَجْنَتِهِ

قَرَأْتُ بِخَطِّ بَدِيعِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْهَمَذَانِيِّ فِيمَا قَرَأَهُ عَلَى ابْنِ فَارِسٍ اللُّغَوِيِّ : سَمِعْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ النَّاشِئَ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَصِيفٍ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ قَالَ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُغَلِّسِ الْفَقِيهِ فَانْقَلَبَتْ مَحْبَرَةٌ لِبَعْضِ مَنْ حَضَرَ عَلَى ثِيَابِي، فَدَخَلَ أَبُو الْحُسَيْنِ وَحَمَلَ إِلَيَّ قَمِيصاً دَبِيقِيًّا وَرِدَاءً حَسَناً. قَالَ: فَأَخَذْتُهُمَا وَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي وَغَسَلْتُ ثِيَابِي وَلَبِسْتُهُمَا وَرَدَدْتُ الْقَمِيصَ وَالرِّدَاءَ إِلَى أَبِي الْحُسَيْنِ. فَلَمَّا رَآهُمَا غَضِبَ غَضَباً شَدِيداً وَقَالَ: الْبَسْهُمَا لَوْلَا أَنَّكَ تَتَوَشَّحُ بِالْأَدَبِ لَجَفَوْتُكَ

« وَهَذِهِ حِكَايَةٌ[1] وَجَدْتُهَا بَعْدَ أَخْبَارِ النَّاشِئِ بِخَطِّ الْمُصَنِّفِ »

---

(١) بعد أن تستقصى قراءة الحكاية ترى أن لا مناسبة بينها وبين ترجمة الناشىء « عبد الخالق »

قَرَأْتُ فِى كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِى الْأَزْهَرِ فِى عُقَلَاءِ الْمَجَانِينَ : حَدَّثَنِى عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى الْكَاتِبُ قَالَ : كُنْتُ يَوْماً جَالِساً فِى صَحْنِ دَارِى إِذَا حِجَارَةٌ قَدْ سَقَطَتْ عَلَىَّ بِالْقُرْبِ مِنِّى ، فَبَادَرْتُ هَارِباً وَأَمَرْتُ الْغُلَامَ بِالصُّعُودِ إِلَى السُّطُوحِ وَالنَّظَرِ مِنْ أَيْنَ أَتَتْنَا الْحِجَارَةُ ؟ فَرَجَعَ إِلَىَّ وَقَالَ لِى : يَا مَوْلَاىَ امْرَأَةٌ مِنْ دَارِ ابْنِ الرُّومِىِّ الشَّاعِرِ تَقُولُ : اللهَ اللهَ فِينَا ، اسْقُونَا مَاءً وَإِلَّا مِتْنَا عَطَشاً ، فَإِنَّ الْبَابَ عَلَيْنَا مُقْفَلٌ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِسَبَبِ تَطَيُّرِ صَاحِبِنَا ، فَإِنَّهُ يَلْبَسُ ثِيَابَهُ فِى كُلِّ يَوْمٍ وَيَتَعَوَّذُ وَيَقْرَأُ ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى الْبَابِ وَالْمِفْتَاحُ مَعَهُ ، فَيَضَعُ عَيْنَهُ عَلَى خَلَلٍ مِنَ الْبَابِ فَتَقَعُ عَلَى جَارٍ لَهُ نَازِلٍ بِإِزَائِهِ وَكَانَ أَعْوَرَ ، فَإِذَا بَصُرَ بِهِ رَجَعَ وَخَلَعَ ثِيَابَهُ وَتَرَكَ الْبَابَ عَلَى حَالِهِ سَائِرَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ . فَدَفَعَ إِلَيْهَا مَا طَلَبَتْهُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ غَدٍ وَجَّهْتُ بِخَادِمٍ لِى اسْمُهُ طَاهِرٌ ، وَكَانَ ابْنُ الرُّومِىِّ يَعْرِفُهُ وَأَمَرْتُهُ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى بَابِهِ وَتَقَدَّمْتُ إِلَى بَعْضِ

الْغِلْمَانِ فِي الْمَصِيرِ إِلَى الْأَعْوَرِ بِرِسَالَتِي وَمَسْأَلَتِهِ الْمَصِيرَ إِلَيَّ ، فَلَمَّا زَالَ الرَّجُلُ عَنْ مَوْضِعِهِ دَقَّ الْخَادِمُ الْبَابَ عَلَى ابْنِ الرُّومِيِّ وَخَاطَبَهُ وَسَأَلَهُ الْمَصِيرَ إِلَيَّ أَيْضاً . قَالَ الْخَادِمُ : فَخَرَجَ فَوَضَعَ عَيْنَهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى وَلَمْ يَرَ جَارَهُ فَفَتَحَ الْبَابَ وَخَرَجَ لَا تُقْلِعُ عَيْنُهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيَّ ، وَلَا يَصْرِفُ كَلَامَهُ إِلَّا إِلَى نَاحِيَتِي .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : فَإِنِّي لَجَالِسٌ أَنْتَظِرُهُ ، وَقَدِ انْصَرَفَ الْأَعْوَرُ إِذْ وَافَانِي أَبُو خَدِيجَةَ الطَّرَسُوسِيُّ ، وَكَانَ فِي نَاحِيَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي ، وَقَدْ دَفَعَ إِلَيْهِ الْمُعْتَضِدُ بِرَذَعَةَ[1] لِيُوَصِّلَهُ إِلَى الْحَسَنِ ابْنِهِ لِيَتَوَلَّى تَسْلِيمَهُ إِلَى ابْنِ رَاشِدٍ ، فَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ إِذْ دَخَلَ ابْنُ الرُّومِيِّ مَعَ الْخَادِمِ عَلَيْنَا ، فَلَمَّا تَخَطَّى عَتَبَةَ بَابِ الصَّحْنِ عَثَرَ فَانْقَطَعَ شِسْعُ[2] نَعْلِهِ فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ وَدَخَلَ مَذْعُوراً ، فَقُلْتُ لَهُ :

---

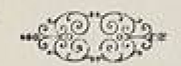
(١) برذعة هذا : رجل موسوس (٢) الشسع : زمام النعل « رباطه » وهو بين الأصبع الوسطى والتي تليها .

أَيكُونُ شيءٌ يا أَبَا الحسنِ أَحْسَنَ مِنْ خُرُوجِكَ مِنْ مَنْزِلِكَ عَلَى وَجْهِ خادِمِي ؟ فقالَ : لَقَدْ لَحِقَنِي مَا رَأَيتَ مِنَ الْعَثْرَةِ لِأَنِّي أَفْكَرْتُ أَنَّ بِهِ عَاهَةً ، قُلْتُ : وَمَا هِيَ ؟ قالَ : هُوَ مَجْبُوبٌ ، فَقَالَ بَرْذَعَةُ الْمُوَسْوَسُ : وَشَيْخُنَا يَتَطَيَّرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ وَيُفْرِطُ ، قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قلتُ : هَذَا عَلِيُّ بْنُ الرُّومِيِّ الْكَاتِبُ ، قَالَ : الشَّاعِرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ يُؤْذِنُ صَرْفُهُ
بِتَفْرِيقِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَبَائِبِ
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَوَطَّنْتُهَا عَلَى
رُكُوبِ جَمِيلِ الصَّبْرِ عِنْدَ النَّوَائِبِ
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا عَلَى جَوْرِ حُكْمِهَا
فَأَيَّامُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَصَائِبِ
فَخُذْ خُلْسَةً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَعِيشُهُ
وَكُنْ حَذِراً مِنْ كَامِنَاتِ الْعَوَاقِبِ

وَدَعْ عَنْكَ ذِكْرَ الفَأْلِ وَالزَّجْرِ وَاطَّرِحْ
تَطَيُّرَ جَارٍ أَوْ تَفَاؤُلَ صَاحِبِ

فَرَأَيْتُ ابْنَ الرُّومِيِّ شَبِيهاً بِالْبَاهِتِ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّهُ قَدْ شَغَلَ قَلْبَهُ بِحِفْظِ الأَبْيَاتِ ، ثُمَّ نَهَضَ بَرْذَعَةُ وَأَبُو خَدِيجَةَ مَعَهُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ : وَاللهِ لَا تَطَيَّرْتُ بَعْدَ هذَا ، فَأَقَامَ عِنْدِي وَكَتَبْتُ هٰذِهِ الأَبْيَاتَ مِنْ حِفْظِهِ وَزَالَتْ عَنْهُ الطِّيَرَةُ .



انتهى الجزء الثالث عشر

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء الرابع عشر ﴾

وأوله ترجمة

﴿ على بن عبد الله بن موهب الجذامى ﴾

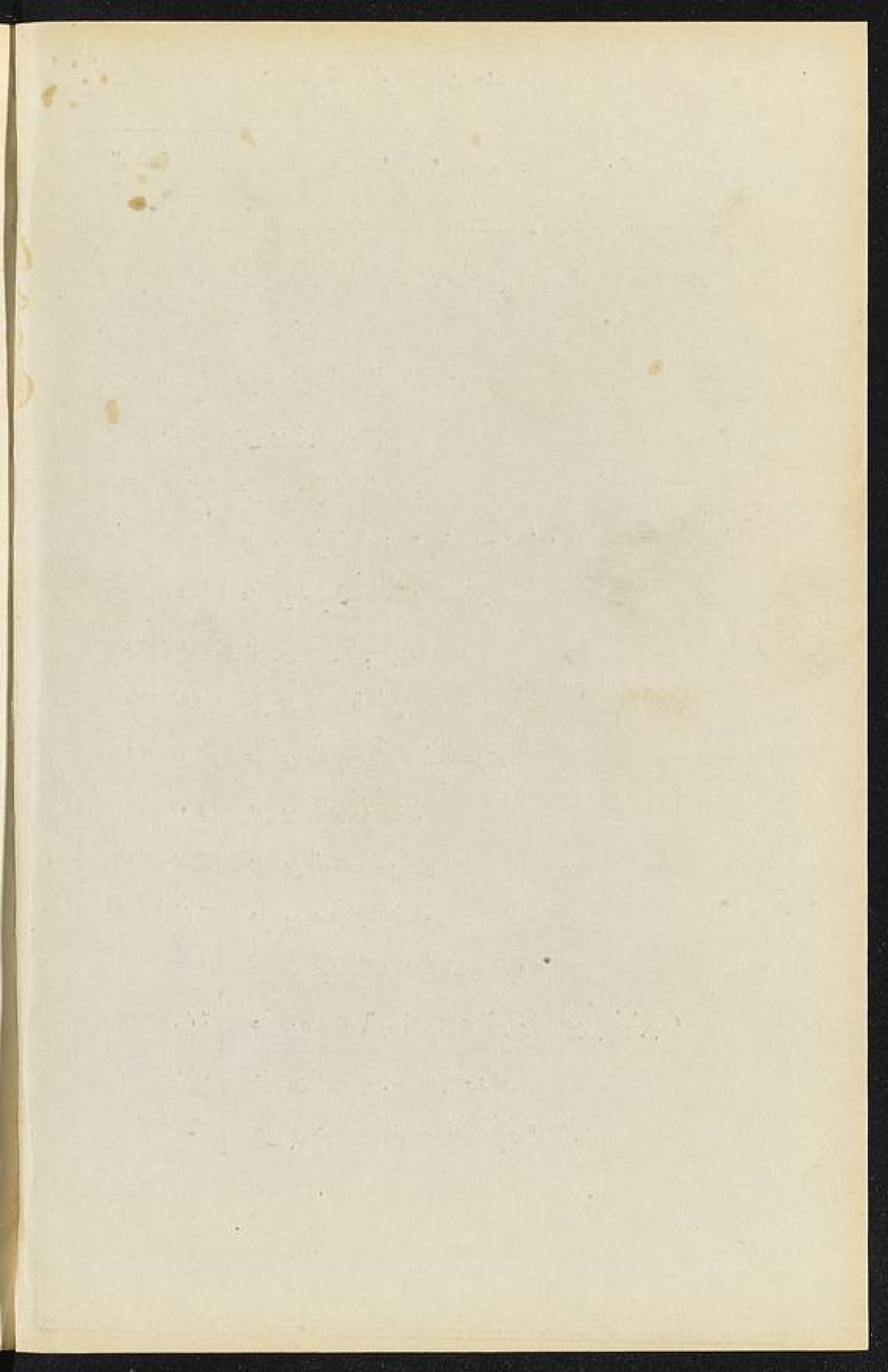
الدكتور أحمد فريد رفاعى بك

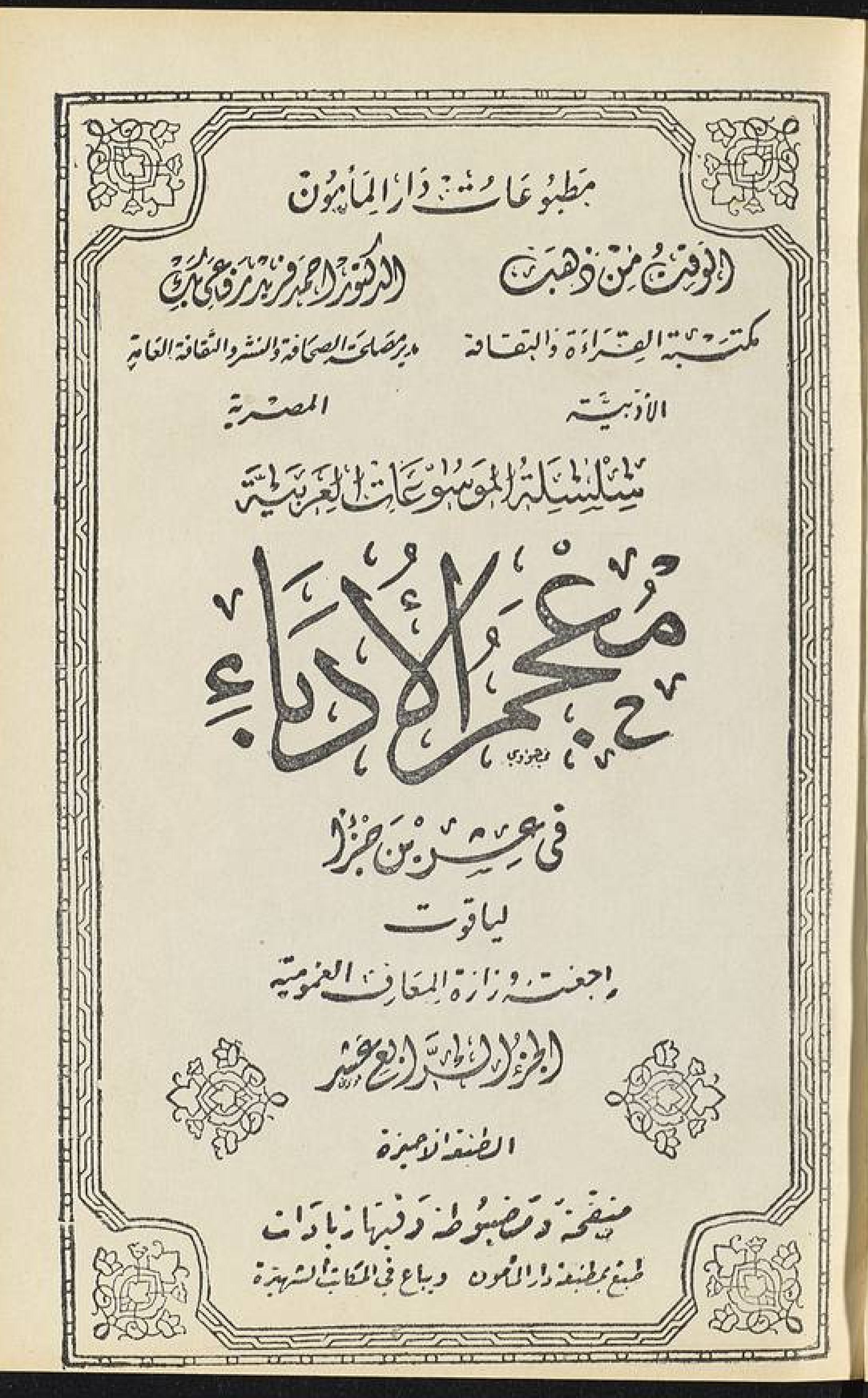


الجزء الثالث عشر

« من كتاب معجم الأدباء »

لياقوت الرومى





مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور أحمد فريد رفاعي بك

مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

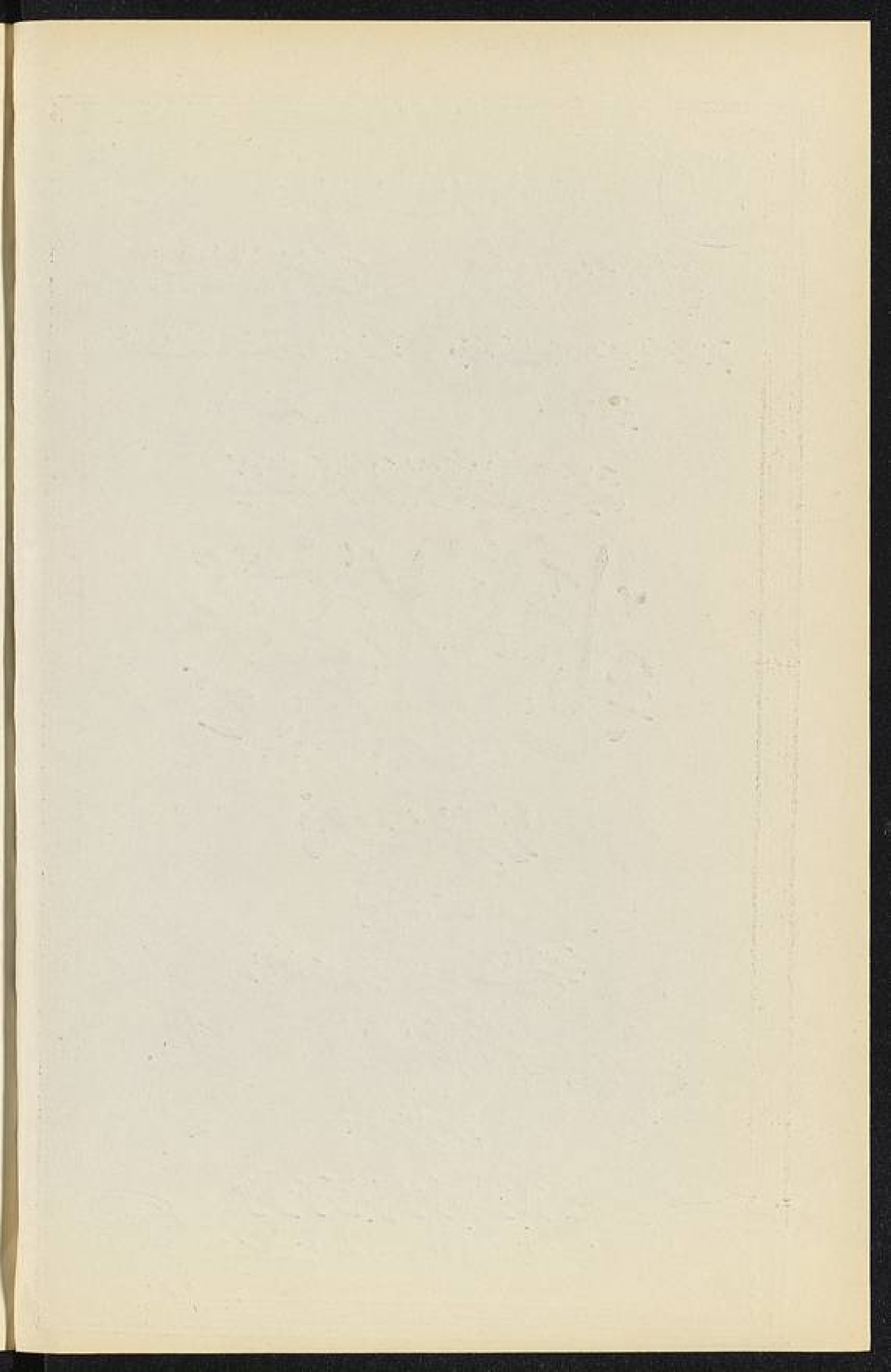
راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء الرابع عشر

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة



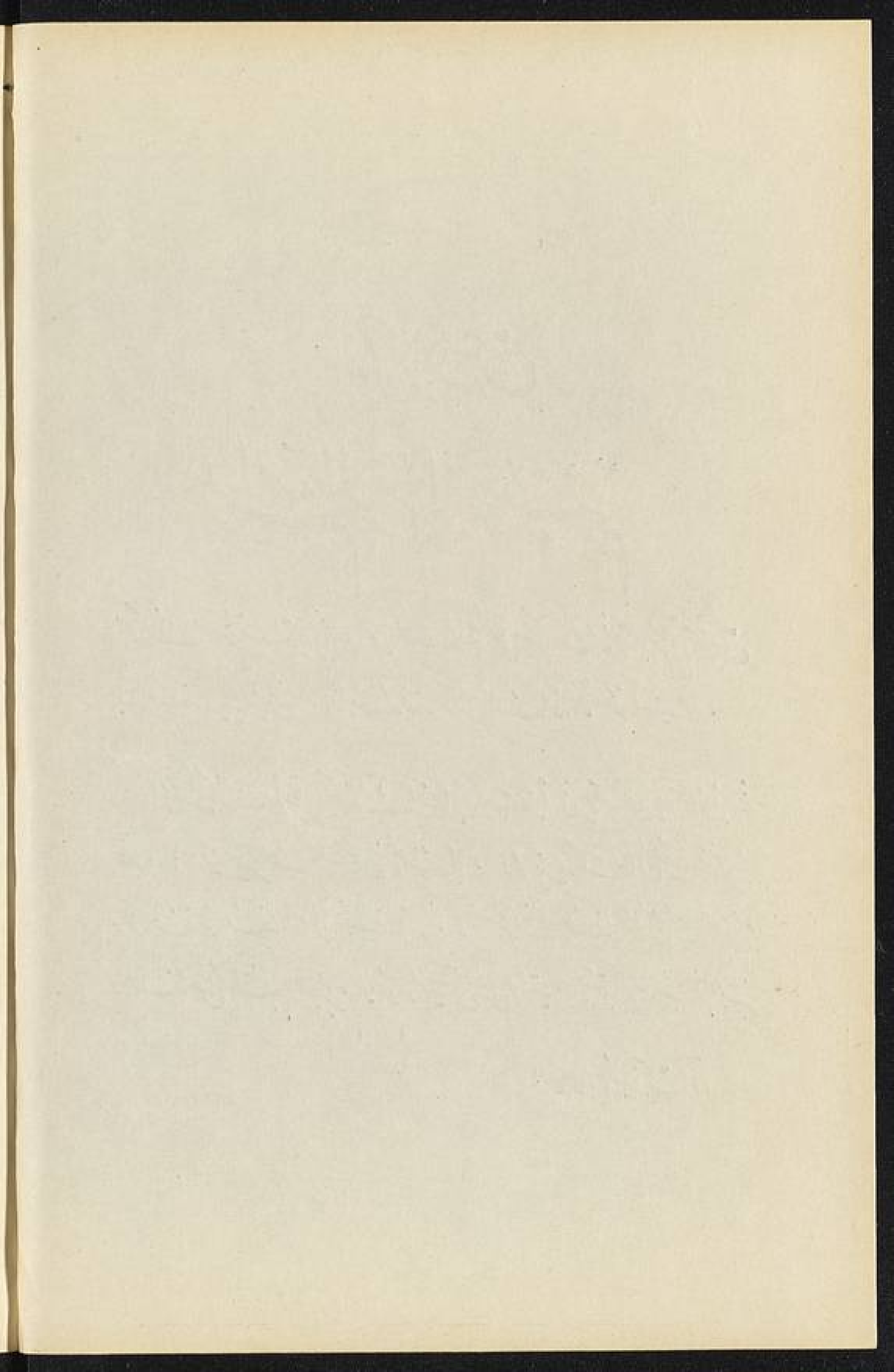
مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين. اما بعد فقد قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب انسان كتابا في يومه الا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

العماد الأصفهاني



﴿١ – عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَوْهَبٍ الْجُذَامِي*﴾

على بن عبدالله الجذامي

أَبُو الْحَسَنِ. لَهُ تَأْلِيفٌ عَظِيمٌ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، رَوَى عَنِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرِهِ، مَاتَ فِي سَادِسَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

﴿٢ – عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ*﴾

على بن عبدالله العقيلى

ابْنِ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ أَبِي جَرَادَةَ الْعُقَيْلِيُّ أَبُو الْحَسَنِ الْأَنْطَاكِيُّ مِنْ أَهْلِ حَلَبَ يَسْكُنُ بَابَ أَنْطَاكِيَةَ، غَزِيرُ الْفَضْلِ، وَافِرُ الْعَقْلِ، دَمِثُ الْأَخْلَاقِ، حَسَنُ الْعِشْرَةِ، لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْأَدَبِ وَاللُّغَةِ وَالْحِسَابِ وَالنُّجُومِ، وَيَكْتُبُ خَطًّا حَسَنًا، وَلَهُ أُصُولٌ حَسَنَةٌ، وَرَدَ بَغْدَادَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَسَمِعَ بِهَا وَغَيْرِهَا، وَسَمِعَ بِحَلَبَ أَبَا الْفَتْحِ عَبْدَ اللهِ بْنَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عِيسَى الْحَلَبِيَّ، وَأَبَا الْفِتْيَانِ مُحَمَّدَ بْنَ سُلْطَانَ بْنِ حَيُّوسٍ الْغَنَوِيَّ.

(*) ترجم له فى كتاب طبقات المفسرين صفحة ١٧٢
وترجم له فى الوافى بالوفيات ج ٥ ص ٢٨٥

(*) لم نعثر على من ترجم له فيما رجعنا إليه من مظان

قَالَ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ: قَرَأْتُ عَلَيْهِ بِحَلَبَ وَخَرَجْتُ يَوْماً مِنَ عِنْدِهِ فَرَآنِي بَعْضُ الصَّالِحِينَ فَقَالَ لِي: أَيْنَ كُنْتَ؟ قُلْتُ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ، قَرَأْتُ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنَ الْحَدِيثِ فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ: ذَاكَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ؟ قُلْتُ: وَلِمَ؟ هَلْ هُوَ إِلَّا مُتَشَيِّعٌ يَرَى رَأْيَ الْحَلَبِيِّينَ؟ فَقَالَ لِي لَيْتَهُ اقْتَصَرَ عَلَى هَذَا، بَلْ يَقُولُ بِالنُّجُومِ وَيَرْوِي رَأْيَ الْأَوَائِلِ، وَسَمِعْتُ بَعْضَ الْحَلَبِيِّينَ يَتَّهِمُهُ بِذَلِكَ. وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ: فِي مُحَرَّمٍ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَرْبِعِمِائَةٍ بِحَلَبَ، وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ:

يَا ظِبَاءَ الْبَانِ(1) قَوْلًا بَيِّناً
مَنْ لَنَا مِنْكُمْ بِظَبْيٍ مَلَّنَا؟
يُشْبِهُ الْبَدْرَ بِعَاداً وَسَنَا
مَنْ نَفَى عَنْ مُقْلَتَيَّ الْوَسَنَا(2)؟
فَتَكَتْ أَلْحَاظُهُ فِي مُهْجَتِي
فَتْكَ بِيضِ الْهِنْدِ أَوْ سُمْرِ الْقَنَا

(1) البان: شجر معتدل القوام لين يشبه به القد لطوله (2) الوسن: النعاس

يَصْرَعُ الْأَبْطَالَ فِى نَجْدَتِهِ
إِنْ رَمَى عَنْ قَوْسِهِ أَوْ إِنْ رَنَا
دَانَ أَهْلُ الدَّلِّ وَالْحُسْنِ لَهُ
مِثْلَ مَادَانَتْ لِمَوْلَانَا الدُّنَا[1]

قَالَ : وَمَاتَ سَنَةَ نَيِّفٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . قُلْتُ : وَكَانَ لِأَبِي الْحَسَنِ هَذَا ابْنٌ فَاضِلٌ أَدِيبٌ شَاعِرٌ اسْمُهُ الْحَسَنُ ؛ وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَلِيٍّ ، سَافَرَ إِلَى مِصْرَ فِى أَيَّامِ ابْنِ رُزَّيْكَ وَمَدَحَهُ وَحَظِيَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ مَاتَ بِمِصْرَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَهُوَ الْقَائِلُ :

يَا صَاحِبَيَّ أَطِيلَا فِى مُؤَانَسَتِى
وَذِكْرَانِى بِخُلَّانٍ وَعُشَّاقِ
وَحَدِّثَانِى حَدِيثَ الْخَيْفِ إِنَّ بِهِ
رَوْحًا[2] لِقَلْبِي وَتَسْهِيلًا لِأَخْلَاقِ
مَاضَرَّ رِيحَ الصَّبَا لَوْ نَاسَمَتْ حُرَقِى
وَاسْتَنْقَذَتْ مُهْجَتِي مِنْ أَسْرِ أَشْوَاقِ

---

(١) الدنا : جمع الدنيا وهى الحياة الحاضرة نقيض الآخرة (٢) روحا : راحة ، والخيف : كل هبوط وارتفاع فى سفح الجبل ، والمكان المرتفع

دَاءٌ تَقَادَمَ عِنْدِي ، مَنْ يُعَالِجُهُ ؟
وَنَفْثَةٌ بَلَغَتْ مِنِّي ، مَنِ الرَّاقِ ؟
يَفْنَى الزَّمَانُ وَآمَالِي مُصَرَّمَةٌ
مِمَّنْ أُحِبُّ عَلَى مَطْلٍ وَإِمْلَاقِ
وَاضَيْعَةَ الْعُمْرِ لَا الْمَاضِي انْتَفَعْتُ بِهِ
وَلَا حَصَلْتُ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْبَاقِي

﴿ ٣ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ سَلَامَةَ * ﴾

علي بن عبد الجبار الهذلي

ابْنِ عَيْذُونَ الْهُذَلِيُّ اللُّغَوِيُّ أَبُو الْحَسَنِ التُّونِسِيُّ ذَكَرَهُ السِّلَفِيُّ فَقَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الشَّوَاذِلِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ تَمِيمٍ الْحُصَرِيُّ لِنَفْسِهِ بِالْقَيْرَوَانِ :

قَالُوا اطْرَحْ أَبَدًا كَافَ الْخِطَابِ فَفِي
خَطِّ الْكِتَابِ[1] بِهَا حَطٌّ مِنَ الرُّتَبِ

(١) أي الكتب التي يرسلها إليه

(*) ترجم له في كتاب أنباه الرواة صفحة ٥٨٩

وترجم له في كتاب بغية الوعاة ص ٣٤٠ وفيها ذكر أن مولده سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .

فَقُلْتُ مَنْ كَانَ فِى نَفْسِى تَصَوُّرُهُ
فَكَيْفَ أُنْزِلُهُ فِى مَنْزِلِ الْغَيَبِ[1] ؟

قَالَ : وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ : سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ يَوْمَ عِيدِ النَّحْرِ بِتُونِسَ ، وَتُوُفِّىَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِى ذِى الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَكَانَ إِمَامًا فِى اللُّغَةِ حَافِظًا لَهَا حَتَّى إِنَّهُ لَوْ قِيلَ لَمْ يَكُنْ فِى زَمَانِهِ أَلْغَى مِنْهُ[2] لَمَا اسْتُبْعِدَ ، وَكَانَتْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى نَظْمِ الشِّعْرِ ، وَلَهُ إِلَىَّ قَصَائِدُ وَقَدْ أَجَبْتُهُ عَنْهَا .

وَمِنْ جُمْلَةِ شِعْرِهِ قَصِيدَةٌ فِى الرَّدِّ عَلَى الْمُرْتَدِّ الْبَغْدَادِىِّ ، فِيهَا أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ بَيْتٍ عَلَى قَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَفِيهَا فَوَائِدُ أَدَبِيَّةٌ . وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِىِّ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ اللُّغَوِىَّ بِمَدِينَةِ مَازَرَ مِنْ جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ ، وَكُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْهِ لِمَا اشْتَهَرَ مِنْ فَضْلِهِ وَتَبَحُّرِهِ فِى اللُّغَةِ ، فَاتَّصَلَ بِابْنِ مَنْكُودٍ صَاحِبِ الْبَلَدِ أَنَّهُ يَشْرَبُ وَكَانَ يُكْرِمُهُ ، فَشَقَّ عَلَيْهِ وَصَارَ يَكْرَهُهُ وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ وَقَالَ : الْمَدِينَةُ أَكْبَرُ وَالشَّرَابُ

---

(١) الغيب كجمل : الغائبون (٢) أفعل تفضيل من لغا

بِهَا أَكْثَرُ ، فَأَحْوَجَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا وَلَمْ أَقْرَأْ عَلَيْهِ شَيْئًا .

وَأَمَّا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ رَشِيقٍ الْأَزْدِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ ، فَقَدْ رَأَيْتُهُ أَيْضًا بِمَازَرَ ، وَأَنْشَدَنِي شَيْئًا وَلَمْ أَرَ قَطُّ أَحْفَظَ لِلْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْقَطَّاعِ الصِّقِلِّيِّ ، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ كَثِيرًا .

﴿ ٤ – عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَزَّازُ السُّوسِيُّ * ﴾

علي بن عبد الرحمن السوسي

أَبُو الْعَلَاءِ اللُّغَوِيُّ مِنْ سُوسِ خُوزِسْتَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ سَمِعَ الْمَحَامِلِيَّ أَبَا عَبْدِ اللهِ ، وَرَوَى عَنْهُ أَبُو نَصْرٍ السِّجْزِيُّ الْحَافِظُ ، وَلَا أَعْلَمُ مِنْ حَالِهِ غَيْرَ هَذَا .

﴿ ٥ – عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الْحَسَنِ * ﴾

علي بن عبد الرحيم السلمي

ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ السُّلَمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَصَّارِ اللُّغَوِيُّ مِنْ أَهْلِ الرَّقَّةِ ، وَرَدَ بَغْدَادَ فَقَرَأَ بِهَا الْعِلْمَ وَأَقَامَ

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته في ياقوت

(*) ترجم له في كتاب بغية الوعاة صفحة ٣٤١ بترجمة لم تزد إلا يوم وفاته فقيل : إنه مات يوم السبت بعد صلاة الظهر ثالث محرم . وكان عارفا بديوان المتنبي .

بِالْمُطْبِقِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ الْمُعَظَّمَةِ، وَمَاتَ فِي ثَالِثِ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِمِائَةٍ. انْتَهَتْ إِلَيْهِ الرِّيَاسَةُ فِي مَعْرِفَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. قَرَأَ عَلَى أَبِي مَنْصُورٍ الْجَوَالِيقِيِّ وَلَازَمَهُ حَتَّى بَرَعَ فِي فَنِّهِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي الْعِزِّ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ كَادِشَ، وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي قَاضِي الْبِيمَارِسْتَانِ، وَأَبِي الْوَقْتِ السِّجْزِيِّ وَغَيْرِهِمْ. وَتَخَرَّجَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ الشَّيْخُ أَبُو الْبَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعُكْبَرِيُّ الضَّرِيرُ، وَكَانَ تَاجِراً مُوسِراً ضَابِطاً، سَافَرَ الْكَثِيرَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَأَخَذَ عَنْ أَهْلِهَا وَرَوَى عَنْهُمْ، وَخَطُّهُ الْمَرْغُوبُ فِيهِ الْمُتَنَافَسُ فِي تَحْصِيلِهِ، فَإِنَّهُ مَلِيحُ الْخَطِّ جَيِّدُ الضَّبْطِ، وَلَا أَعْرِفُ لَهُ مُصَنَّفاً وَلَا سَمِعْتُ لَهُ شِعْراً.

٦ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ بْنِ سَابُورَ (*)

على بن عبد العزيز البغوى

أَبُو الْحَسَنِ الْبَغَوِيُّ الْجَوْهَرِيُّ، عَمُّ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغَوِيِّ. نَزِيلُ مَكَّةَ، صَاحِبُ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ وَرَوَى

(*) راجع طبقات المفسرين ص ١٧٣

عَنْهُ غَرِيبَ الْحَدِيثِ ، وَكِتَابَ الْحَيْضِ ، وَكِتَابَ الطُّهُورِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ ، وَحَجَّاجِ بْنِ الْمِنْهَالِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَثِيرٍ الْعَبْدِيِّ ، وَسَلَمَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَزْدِيِّ ، وَالْقَعْنَبِيِّ ، وَعَاصِمِ بْنِ عَلِيٍّ وَغَيْرِهِمْ ، وَصَنَّفَ الْمُسْنَدَ . حَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ أَخِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ ، وَدَعْلَجٌ السِّجْزِيُّ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبَرَانِيُّ . وَحَدَّثَ بِالْمُسْنَدِ عَنْهُ أَبُو عَلِيٍّ حَامِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّفَّاءُ الْهَرَوِيُّ . سُئِلَ عَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فَقَالَ : ثِقَةٌ مَأْمُونٌ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : هُوَ صَدُوقٌ .

حَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ السُّنِّيُّ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيَّ ، وَسُئِلَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَكِّيِّ فَقَالَ : قَبَّحَ اللهُ عَلِيَّ ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ثَلَاثًا ، فَقِيلَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ : أَتَرْوِي عَنْهُ؟ فَقَالَ لَا ، فَقِيلَ لَهُ : أَكَانَ كَذَّابًا ؟ فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنَّ قَوْمًا اجْتَمَعُوا لِيَقْرَءُوا عَلَيْهِ وَبَرُّوهُ بِمَا سَهُلَ ، وَكَانَ فِيهِمْ إِنْسَانٌ غَرِيبٌ فَقِيرٌ لَمْ يَكُنْ فِي جُمْلَةِ مَنْ بَرَّهُ ، فَأَبَى أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ حَاضِرٌ حَتَّى يَخْرُجَ أَوْ يَدْفَعَ كَمَا دَفَعُوا ، فَذَكَرَ الْغَرِيبُ

أَنْ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا قُصَيْعَةٌ فَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِهَا ، فَلَمَّا أَحْضَرَهَا حَدَّثَهُمْ .

وَعَنِ القَاضِي أَبِي نَصْرِ بْنِ الْكَسَّارِ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ السُّنِّيَّ يَقُولُ : بَلَغَنِي أَنَّ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ يَقْرَأُ كُتُبَ أَبِي عُبَيْدٍ بِمَكَّةَ عَلَى الْحَاجِّ بِالْأَجْرِ ، فَإِذَا عَاتَبُوهُ عَلَى الْأَخْذِ قَالَ : يَاقَوْمُ أَنَا بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ (١) ، إِذَا خَرَجَ الْحَاجُّ نَادَى أَبُو قُبَيْسٍ قُعَيْقِعَانَ مَنْ بَقِيَ ؟ فَيَقُولُ : بَقِيَ الْمُجَاوِرُونَ (٢) ، فَيَقُولُ : أَطْبِقْ .

وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ الْمُنَادِي فِيمَنْ مَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ . وَجَاءَنَا الْخَبَرُ بِمَوْتِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ صَاحِبِ أَبِي عُبَيْدٍ مِنْ مَكَّةَ مَعَ الْحَاجِّ ، وَأَنَّهُ تُوُفِّيَ قَبْلَ الْمَوْسِمِ .

وَحَدَّثَ أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي الْحُسَيْنِ

---

(١) الأخشبان : جبلا مكة : أبو قبيس والأحمر — والأحمر اسمه قعيقعان ، وفي الأصل « أبو قبيس قيقعان » وصوابها ما ذكرنا

(٢) المجاورون : المقيمون بمكة بجوار بيت الله الحرام والمراد من قوله أطبق : الكناية عن انتهاء مورد الرزق والكسب . « عبد الخالق »

مُحَمَّدِ بْنِ طَالِبٍ النَّسَفِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِمَكَّةَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ مُؤَدِّبِي الَّذِي عَلَّمَنِي الْخَطَّ فَجِيءَ بِبُنَيَّةٍ لَهُ صَغِيرَةٍ يُقَالُ لَهَا وَسْنَاءُ وَعَلَيْهَا ثَوْبُ حَرِيرٍ، فَأَجْلَسَهَا فِي حِجْرِهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَمَا الْوَسْنَاءُ إِلَّا شِبْهُ دُرٍّ ... وَلَاسِيَّمَا[1] إِذَا لَبِسَتْ حَرِيرَا

فَأَحْسَنُ زِيِّهَا ثَوْبٌ نَظِيفٌ ... تُكَفَّنُ فِيهِ ثُمَّ أَرَى سَرِيرَا

تَهَادَى بَيْنَ أَرْبَعَةٍ عِجَالٍ[2] ... إِلَى قَبْرٍ فَتَمْلَؤُنَا سُرُورَا

« ٧ – عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ »
« ابْنِ إِسْمَاعِيلَ الْجُرْجَانِيُّ * »

علی بن عبد العزيز الجرجانی

أَبُو الْحَسَنِ قَاضِي الرَّيِّ فِي أَيَّامِ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ.

---

(١) هذا استعمال مولد وقد نقده الحريرى فى درة الغواص وعده من أوهام الخواص ورد عليه، واعتبره المتأخرون صحيحا فى الاستعمال بمثابة أخص ويعتبرون لا سيما مفعولا مطلقا لفعل من معناه أى أخص، والذى رد على الحريرى هو الشهاب الخفاجى، والمتقدمون يقولون: ما خالف قول امرىء القيس ؟ :

* ولا سيما يوم بدارة جلجل *

من تشديد الياء والمجىء بلا مسبوقة بالواو وبعدها اسم فقد أخطأ.

(٢) تهادى: تمايل، أربعة عجال: يعجلون بها فى السير لتدفن

« عبد الخالق »

(*) ترجم له له فى كتاب طبقات المفسرين ص ١٧٣

وَكَانَ أَدِيبًا أَرِيبًا كَامِلًا . مَاتَ بِالرَّيِّ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِسِتٍّ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَهُوَ قَاضِي الْقُضَاةِ بِالرَّيِّ حِينَئِذٍ ، وَذَكَرَهُ الْحَاكِمُ فِي تَارِيخِ نَيْسَابُورَ وَقَالَ : وَرَدَ نَيْسَابُورَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ مَعَ أَخِيهِ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَخُوهُ إِذْ ذَاكَ فَقِيهٌ مُنَاظِرٌ ، وَأَبُو الْحَسَنِ قَدْ نَاهَزَ الْحُلُمَ ، فَسَمِعَا مَعًا الْحَدِيثَ الْكَبِيرَ ، وَلَمْ يَزَلْ أَبُو الْحَسَنِ يَتَقَدَّمُ إِلَى أَنْ ذُكِرَ فِي الدُّنْيَا . وَحُمِلَ تَابُوتُهُ إِلَى جُرْجَانَ فَدُفِنَ بِهَا ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ أَحْمَدَ ، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ الْوَزِيرُ الْخَطِيرُ أَبُو عَلِيٍّ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْقَاسِمِ وَزِيرُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ ، وَأَبُو الْفَضْلِ الْعَارِضُ رَاجِلَيْنِ[1] ، وَوَقَعَ الِاخْتِيَارُ بَعْدَ مَوْتِهِ عَلَى أَبِي مُوسَى عِيسَى بْنِ أَحْمَدَ الدَّيْلَمِيِّ فَاسْتُدْعِيَ مِنْ قَزْوِينَ ، وَوُلِّيَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِالرَّيِّ وَلَهُ يَقُولُ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ : وَقَدْ أَنْشَأَ عَهْدًا لِلْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ عَلَى قَاضِي الرَّيِّ :

---

(١) أي سائرين على أقدامهما

إِذَا نَحْنُ سَلَّمْنَا لَكَ الْعِلْمَ كُلَّهُ
فَدَعْنَا وَهَذِي الْكُتْبَ نُحْسِنْ صُدُورَهَا

فَإِنَّهُمُ لَا يَرْتَضُونَ مَجِيئَنَا
بِجَزْعٍ إِذَا نَظَّمْتَ أَنْتَ شُذُورَهَا[1]

وَكَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ قَدْ قَرَأَ عَلَيْهِ وَاغْتَرَفَ مِنْ بَحْرِهِ، وَكَانَ إِذَا ذَكَرَهُ فِي كُتُبِهِ تَبَخْبَخَ[2] بِهِ، وَشَمَخَ بِأَنْفِهِ بِالانْتِمَاءِ إِلَيْهِ. وَطَوَّفَ فِي صِبَاهُ الْبِلَادَ وَخَالَطَ الْعِبَادَ، وَاقْتَبَسَ الْعُلُومَ وَالْآدَابَ، وَلَقِيَ مَشَايِخَ وَقْتِهِ وَعُلَمَاءَ عَصْرِهِ. وَلَهُ رَسَائِلُ مُدَوَّنَةٌ وَأَشْعَارٌ مُفَنَّنَةٌ، وَكَانَ جَيِّدَ الْخَطِّ مَلِيحاً يُشْبِهُ بِخَطِّ ابْنِ مُقْلَةَ.

وَمِنْ شِعْرِهِ:

أَفْدِي الَّذِي قَالَ وَفِي كَفِّهِ
مِثْلُ الَّذِي أَشْرَبُ مِنْ فِيهِ

الْوَرْدُ قَدْ أَيْنَعَ[3] فِي وَجْنَتِي
قُلْتُ: فَمِي بِاللَّثْمِ[4] يَجْنِيهِ

---

(١) الجزع بالفتح ويكسر: الخرز اليماني، وشذور جمع شذر: القطعة من الذهب، فالكلام على المجاز أى أن كلامنا أشبه بالجزع، ونظمك الكلام أشبه بقطع الذهب.

(٢) بخبخ الرجل: قال بخ بخ (٣) أينع: احمر (٤) اللثم: التقبيل.

وَمِنْهُ :

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا
رَأَوْا رَجُلًا فِي مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا (١)

أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمُ هَانَ عِنْدَهُمْ
وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا

وَمَا زِلْتُ مُنْحَازاً بِعِرْضِيَ جَانِباً
مِنَ الذَّمِّ أَعْتَدُّ الصِّيَانَةَ مَغْنَمَا

إِذَا قِيلَ هَذَا مَشْرَبٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى
وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا

وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لَاحَ لِي يَسْتَفِزُّنِي
وَلَا كُلُّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَرْضَاهُ مُنْعِمَا

وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا
بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِيَ سُلَّمَا

وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي
لِأَخْدُمَ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لِأُخْدَمَا

---

(١) أحجم : امتنع وعصى

أَأَشْقَى بِهِ غَرْساً وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً
إِذَنْ فَابْتِيَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا ؟

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ تَعَظَّمَا

وَلَـكِنْ أَذَلُّوهُ جِهَاراً وَدَنَّسُوا
مُحَيَّاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا (١)

وَمِنْهُ :

وَقَالُوا : اُضْطَرِبْ فِي الْأَرْضِ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ
فَقُلْتُ : وَلَـكِنْ مَطْلَبُ الرِّزْقِ ضَيِّقُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ حُرٌّ يُعِينُنِي
وَلَمْ يَكُ لِي كَسْبٌ فَمِنْ أَيْنَ أُرْزَقُ ؟

وَمِنْهُ :

أُحِبُّ اسْمَهُ مِنْ أَجْلِهِ وَسَمِيَّهُ
وَيَتْبَعُهُ فِي كُلِّ أَخْلَاقِهِ قَلْبِي

وَيَجْتَازُ بِالْقَوْمِ الْعِدَا ، فَأُحِبُّهُمْ
وَكُلُّهُمُ طَاوِي الضَّمِيرِ (٢) عَلَى حَرْبِي

(١) تجهم : بشع وقبح (٢) أى عاقد النية ومبيت العزم

وَمِنْهُ :

قَدْ بَرَّحَ الشَّوْقُ بِمُشْتَاقِكْ فَأَوْلِهِ أَحْسَنَ أَخْلَاقِكْ
لَاتَجْفُهُ وَارْعَ لَهُ حَقَّهُ فَإِنَّهُ خَاتَمُ عُشَّاقِكْ

وَلِلْقَاضِي عِدَّةُ تَصَانِيفَ مِنْهَا : كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، كِتَابُ تَهْذِيبِ التَّارِيخِ . كِتَابُ الْوَسَاطَةِ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَخُصُومِهِ ، وَفِي هَذَا الْكِتَابِ يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ نَيْسَابُورَ :

أَيَا قَاضِياً قَدْ دَنَتْ كُتْبُهُ
وَإِنْ أَصْبَحَتْ دَارُهُ شَاحِطَهْ[1]
كِتَابُ الْوَسَاطَةِ فِي حُسْنِهِ لِعِقْدِ مَعَالِيكَ كَالْوَاسِطَهْ

وَمِنْ شِعْرِهِ :

مَاتَطَعَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى
صِرْتُ لِلْبَيْتِ وَالْكِتَابِ جَلِيسَا
لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزَّ عِنْدِي مِنَ الْعِلْـ
ـمِ فَلِمْ أَبْتَغِي سِوَاهُ أَنِيسَا ؟

(١) شاحطة : بعيدة

إِنَّمَا الذُّلُّ فِي مُخَالَطَةِ النْـ
ـنَاسِ فَدَعْهُمْ وَعِشْ عَزِيزاً رَئِيسَا

وَمِنْ سَائِرِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَسْتَقْرِضَ الْمَالَ مُنْفِقاً
عَلَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ فِي زَمَنِ الْعُسْرِ
فَسَلْ نَفْسَكَ الْإِنْفَاقَ مِنْ كَنْزِ صَبْرِهَا
عَلَيْكَ وَإِنْظَاراً إِلَى زَمَنِ الْيُسْرِ
فَإِنْ فَعَلَتْ كُنْتَ الْغَنِيَّ وَإِنْ أَبَتْ
فَكُلُّ مَنُوعٍ بَعْدَهَا وَاسِعُ الْعُذْرِ

وَحَدَّثَ الثَّعَالِبِيُّ عَنْ أَبِي نَصْرٍ التَّهْذِيبِيِّ (١) قَالَ : سَمِعْتُ الْقَاضِيَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ : انْصَرَفْتُ يَوْماً مِنْ دَارِ الصَّاحِبِ وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْعِيدِ فَجَاءَنِي رَسُولُهُ بِعِطْرِ الْفِطْرِ وَمَعَهُ رُقْعَةٌ بِخَطِّهِ فِيهَا هَذَانِ الْبَيْتَانِ :

يَأَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ
مَعْ قُرْبِ عَهْدِ لِقَائِهِ مُشْتَاقَهْ

(١) في الأصل : المهذبي ، وفي الثعالبي : النمري

أَهْدَيْتُ عِطْراً مِثْلَ طِيبِ ثَنائِهِ
فَكَأَنَّمَا أُهْدِى لَهُ أَخْلاقَهْ

قَالَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنَّ الصَّاحِبَ يُقْسِمُ لِى مِنْ إِقْبَالِهِ وَإِكْرَامِهِ بِجُرْجَانَ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَلَقَّانِى بِهِ فِى سَائِرِ الْبِلَادِ، وَقَدِ اسْتَعْفَيْتُهُ يَوْماً مِنْ فَرْطِ تَحَفِّيهِ بِى وَتَوَاضُعِهِ لِى فَأَنْشَدَنِى :

أَكْرِمْ أَخَاكَ بِأَرْضِ مَوْلِدِهِ ... وَأَمِدَّهُ مِنْ فِعْلِكَ الْحَسَنِ
فَالْعِزُّ مَطْلُوبٌ وَمُلْتَمَسٌ ... وَأَعَزُّهُ مَانِيلَ فِى الْوَطَنِ

ثُمَّ قَالَ : قَدْ فَرَغْتَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى فِى الْعَيْنِيَّةِ ، فَقُلْتُ لَعَلَّ مَوْلَانَا يُرِيدُ قَوْلِى :

وَشَيَّدْتُ مَجْدِى بَيْنَ قَوْمِى فَلَمْ أَقُلْ
أَلَا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ صَنِيعِى !

فَقَالَ : مَا أَرَدْتُ غَيْرَهُ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « يَا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ » .

قَالَ الثَّعَالِبِىُّ : الْقَاضِى أَبُو الْحَسَنِ عَلِىُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

حَسَنَةُ جُرْجَانَ وَفَرْدُ الزَّمَانِ، وَنَادِرَةُ الْفَلَكِ، وَإِنْسَانُ حَدَقَةِ الْعِلْمِ، وَدُرَّةُ تَاجِ الْأَدَبِ، وَفَارِسُ عَسْكَرِ الشِّعْرِ، يَجْمَعُ خَطَّ ابْنِ مُقْلَةَ إِلَى نَثْرِ الْجَاحِظِ وَنَظْمِ الْبُحْتُرِيِّ: وَيَنْظِمُ عِقْدَ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْسَانِ فِي كُلِّ مَا يَتَعَاطَاهُ، «وَأَنْشَدَ بَيْتَ الصَّاحِبِ الْمُقَدَّمَ ذِكْرُهُ» وَقَدْ كَانَ فِي صِبَاهُ خَلَفَ الْخَضِرَ فِي قَطْعِ عَرْضِ الْأَرْضِ وَتَدْوِيخِ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَغَيْرِهِمَا، وَاقْتَبَسَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ مَا صَارَ بِهِ فِي الْعُلَمَاءِ عَلَماً، وَفِي الْكَمَالِ عَالِماً، ثُمَّ عَرَّجَ عَلَى حَضْرَةِ الصَّاحِبِ فَأَلْقَى بِهَا عَصَا الْمُسَافِرِ، فَاشْتَدَّ اخْتِصَاصُهُ بِهِ وَحَلَّ مِنْهُ مَحَلاًّ بَعِيداً فِي رِفْعَتِهِ، قَرِيباً فِي أُسْرَتِهِ، وَسَيَّرَ فِيهِ قَصَائِدَ أَخْلَصَتْ عَلَى قَصْدٍ[1]، وَفَرَائِدَ[2] أَتَتْ مِنْ فَرْدٍ، وَمَا مِنْهَا إِلَّا صَوْبُ الْعَقْلِ[3] وَذَوْبُ[4] الْفَضْلِ، وَتَقَلَّدَ قَضَاءَ جُرْجَانَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ تَصَرَّفَتْ بِهِ أَحْوَالٌ فِي حَيَاةِ الصَّاحِبِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ مِنَ الْوِلَايَةِ وَالْعُطْلَةِ،

---

(١) أخلصت على قصد: دلت على الاخلاص دون الافراط (٢) فرائد الخ: أي ليس لها مثيل (٣) الصوب: الانصباب (٤) الذوب: الخالص

وَتَوَقَّ[1] مَحَلُّهُ إِلَى قضاء القُضَاةِ بالرَّيِّ، فَلَمْ يَعزِلْهُ إِلَّا مَوْتُهُ رَحِمَهُ اللهُ تعالَى.

وَعَرَضَ عَلَيَّ أَبُو نَصْرٍ الْمُصْعَبِيُّ كِتَابًا لِلصَّاحِبِ بِخَطِّهِ إِلَى حُسَامِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ تَاشٍ الْحَاجِبِ، فِي مَعْنَى الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ نُسْخَتُهُ بَعْدَ التَّصْدِيرِ وَالتَّشْبِيبِ: قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ وَصْفِي لِلْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِيمَا سَبَقَ إِلَى حَضْرَةِ الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ صَاحِبِ الْجَيْشِ — دَامَ عُلُوُّهُ — مِنْ كُتُبِي مَا أَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أُوَدِّ فِيهِ بَعْضَ الْحَقِّ وَإِنْ كُنْتُ دَلَلْتُهُ عَلَى جُمْلَةٍ تَنْطِقُ بِلِسَانِ الْفَضْلِ، وَتَكْشِفُ عَنْ أَنَّهُ مِنْ أَفْرَادِ الدَّهْرِ فِي كُلِّ قِسْمٍ مِنْ أَقْسَامِ الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ، فَأَمَّا مَوْقِعُهُ مِنِّي: فَالْمَوْقِعُ الَّذِي تَخْطُبُهُ هَذِهِ الْمَحَاسِنُ وَتُوجِبُهُ هَذِهِ الْمَنَاقِبُ، وَعَادَتُهُ مَعِي أَلَّا يُفَارِقَنِي مُقِيمًا وَظَاعِنًا وَمُسَافِرًا وَقَاطِنًا، وَقَدِ احْتَاجَ الْآنَ إِلَى مُطَالَعَةِ جُرْجَانَ بَعْدَ أَنْ شَرَطْتُ عَلَيْهِ تَصْيِيرَ الْمُقَامِ كَالْإِلْمَامِ فَطَالَبَنِي مَكَانَهُ[2] بِتَعْرِيفِ

(١) في اليتيمة « وأنفي » (٢) في اليتيمة : مكاتبتي

الأَمِيرِ مَصْدَرَهُ وَمَوْرِدَهُ ، فَإِنْ عَنَّ لَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَى عَرْضِهِ وَجَدَ مِنْ شَرَفِ إِسْعَافِهِ مَا هُوَ الْمُعْتَادُ مِنْ فَضْلِهِ ، لِيَتَعَجَّلَ انْكِفَاؤُهُ (١) إِلَى بِمَا رَسَمَ — أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ — مِنْ مُظَاهَرَتِهِ عَلَى مَا يُقَدِّمُ الرَّحِيلَ وَيَفْسَحُ السَّبِيلَ مِنْ بَذْرَقَةٍ (٢) إِنِ احْتَاجَ إِلَى الِاسْتِظْهَارِ بِهَا ، وَمُخَاطَبَةٍ لِبَعْضِ مَنْ فِي الطَّرِيقِ بِتَعَرُّفِ (٣) النَّهْجِ فِيهَا ، فَإِنْ رَأَى الأَمِيرُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ حُظُوظِي الْجَسِيمَةِ عِنْدَهُ تَعَهُّدَ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ بِمَا يُعَجِّلُ رَدَّهُ فَإِنِّي مَا غَابَ كَالْمُضِلِّ النَّاشِدِ ، وَإِذَا عَادَ كَالْغَانِمِ الْوَاجِدِ ، فَعَلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَلَمَّا عَمِلَ الصَّاحِبُ رِسَالَتَهُ الْمَعْرُوفَةَ فِي إِظْهَارِ مَسَاوِىءِ الْمُتَنَبِّي ، عَمِلَ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ كِتَابَ الْوَسَاطَةِ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَخُصُومِهِ فِي شِعْرِهِ ، فَأَحْسَنَ وَأَبْدَعَ ، وَأَطَالَ وَأَطَابَ ، وَأَصَابَ شَاكِلَةَ (٤) الصَّوَابِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الأَمَدِ فِي فَصْلِ الْخِطَابِ ، وَأَعْرَبَ (٥) عَنْ تَبَحُّرِهِ فِي الأَدَبِ وَعِلْمِ الْعَرَبِ ،

---

(١) الانكفاء : الرجوع (٢) البذرقة : الخفارة فى الطريق (٣) فى اليتيمة : بتصرف (٤) أصاب شاكلة الصواب : أى أصاب وجه الصواب (٥) أعرب : أظهر

وَتَمَكُّنِهِ مِنْ جَوْدَةِ الْحِفْظِ وَقُوَّةِ النَّقْدِ ، فَسَارَ الْكِتَابُ مَسِيرَ الرِّيَاحِ ، وَطَارَ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ جَنَاحٍ .

وَقَالَ فِيهِ بَعْضُ النَّيْسَابُورِيِّينَ الْبَيْتَيْنِ الْمُقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا

وَمِنْ شِعْرِهِ :

أَنْثُرْ عَلَى خَدَّيَّ مِنْ وَرْدِكْ
أَوْ دَعْ فَمِي يَقْطِفُهُ مِنْ خَدِّكْ
إِرْحَمْ قَضِيبَ الْبَانِ وَارْفُقْ بِهِ
قَدْ خِفْتُ أَنْ يَنْقَدَّ[1] مِنْ قَدِّكْ
وَقُلْ لِعَيْنَيْكَ — بِنَفْسِي هُمَا —
يُخَفِّفَانِ السُّقْمَ عَنْ عَبْدِكْ

وَلَهُ :

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أُسَرُّ بِمَنْ دَنَا
مَخَافَةَ نَأْيٍ أَوْ حِذَارَ صُدُودِ
فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي تَقُولُ لِمُقْلَتِي
وَقَدْ قَرَّبُوا — خَوْفَ التَّبَاعُدِ — جُودِي

(١) ينقد : ينشق

فَلَيْسَ قَرِيباً مَنْ يُخَافُ بِعَادُهُ ... وَلَا مَنْ يُرَجَّى قُرْبُهُ بِبَعِيدِ

وَلَهُ يَسْتَطْرِدُ :

مَنْ عَاذِرِي مِنْ زَمَنٍ ظَالِمٍ ... لَيْسَ بِمُسْتَحْيٍ وَلَا رَاحِمِ ؟

يَفْعَلُ بِالإِخْوَانِ أَحْدَاثُهُ ... فِعْلَ الْهَوَى بِالدَّنِفِ[1] الْهَائِمِ

كَأَنَّمَا أَصْبَحَ يَرْمِيهِمُ ... عَنْ جَفْنِ مَوْلَايَ أَبِي الْقَاسِمِ

وَقَالَ يَذْكُرُ بَغْدَادَ وَيَتَشَوَّقُهَا :

يَا نَسِيمَ الْجَنُوبِ[2] بِاللَّهِ بَلِّغْ ... مَا يَقُولُ الْمُتَيَّمُ الْمُسْتَهَامُ

قُلْ لِأَحْبَابِهِ فِدَاكُمْ فُؤَادٌ ... لَيْسَ يَسْلُو وَمُقْلَةٌ لَا تَنَامُ

بِنْتُمُ فَالرُّقَادُ عِنْدِي سُهَادٌ

مُذْ نَأَيْتُمْ وَالْعَيْشُ عِنْدِي لِمَامُ[3]

فَعَلَى الْكَرْخِ فَالْقَطِيعَةِ فَالشَّـ

ـطِّ فَبَابِ الشَّعِيرِ مِنِّي السَّلَامُ[4]

يَا دِيَارَ السُّرُورِ لَا زَالَ يَبْكِي

بِكِ فِي مَضْحَكِ الرِّيَاضِ غَمَامُ

---

(١) الدنف : الذي لازمه المرض ، والهائم : العاشق (٢) في الحاشية : الشمال

(٣) في الأصل « لهام » ومراده أن الحياة لديه إنما هي لمام وقليلة

(٤) هذه أمكنة ببغداد

رُبَّ عَيْشٍ صَحِبْتُهُ فِيكِ غَضٍّ
وَجُفُونُ الْخُطُوبِ عَنِّي نِيَامُ

فِي لَيَالٍ كَأَنَّهُنَّ أَمَانٌ
مِنْ زَمَانٍ كَأَنَّهُ أَحْلَامُ

وَكَأَنَّ الْأَوْقَاتَ فِيهَا كُئُوسٌ
دَائِرَاتٌ وَأُنْسُهُنَّ مُدَامُ

زَمَنٌ مُسْعِدٌ وَإِلْفٌ وَصُولٌ
وَمُنًى يَسْتَلِذُّهَا الْأَوْهَامُ

كُلُّ أُنْسٍ وَلَذَّةٍ وَسُرُورٍ
بَعْدَ مَا بِنْتُمْ عَلَيَّ حَرَامُ

وَلَهُ فِي ذَلِكَ :

سَقَى جَانِبَيْ بَغْدَادَ أَخْلَافُ مُزْنَةٍ
تُحَاكِي دُمُوعِي صَوْبَهَا وَانْحِدَارَهَا

فَلِي مِنْهُمَا قَلْبٌ شَجَانِي اشْتِيَاقُهُ
وَمُهْجَةُ نَفْسٍ مَا أَمَلُّ ادِّكَارَهَا

سَأَغْفِرُ لِلْأَيَّامِ كُلَّ عَظِيمَةٍ
لَئِنْ قَرَّبَتْ بَعْدَ الْبِعَادِ مَزَارَهَا

وَلَهُ فِي ذَلِكَ :

أَرَاجِعَةٌ تِلْكَ اللَّيَالِي كَعَهْدِهَا
إِلَى الْوَصْلِ أَمْ لَا يُرْتَجَى لِي رُجُوعُهَا ؟

وَصُحْبَةُ أَحْبَابٍ لَبِسْتُ لِفَقْدِهِمْ ثِيَابَ حِدَادٍ يُسْتَجَدُّ خَلِيعُهَا

إِذَا لَاحَ لِي مِنْ نَحْوِ بَغْدَادَ بَارِقٌ

تَجَافَتْ جُفُونِي وَٱسْتَطِيرَ هُجُوعُهَا ؟

وَإِنْ أَخْلَفَتْهَا الْغَادِيَاتُ رُعُودَهَا (١)

تُكَلِّفُ تَصْدِيقَ الْغَمَامِ دُمُوعُهَا

سَقَى جَانِبَيْ بَغْدَادَ كُلُّ غَمَامَةٍ

يُحَاكِي دُمُوعَ الْمُسْتَهَامِ هُمُوعُهَا

مَعَاهِدُ مِنْ غِزْلَانِ أُنْسٍ تَحَالَفَتْ

لَوَاحِظُهَا أَلَّا يُدَاوَى صَرِيعُهَا

بِهَا تَسْكُنُ النَّفْسُ النَّفُورُ وَيَغْتَدِي

بِآنَسَ مِنْ قَلْبِ الْمُقِيمِ نَزِيعُهَا

يَحِنُّ إِلَيْهَا كُلُّ قَلْبٍ كَأَنَّمَا

يُشَادُ بِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ رُبُوعُهَا

فَكُلُّ لَيَالِي عَيْشِهَا زَمَنُ الصِّبَا

وَكُلُّ فُصُولِ الدَّهْرِ فِيهَا رَبِيعُهَا

---

(١) في الأصل : « وإن أخلفتها الناديات وعودها » وما أثبته كالذى فى اليتيمة « عبد الخالق »

وَلَهُ فِي ذَلِكَ :

بِجَانِبِ الكَرْخِ مِنْ بَغْدَادَ لِي سَكَنٌ
لَوْلَا التَّجَمُّلُ لَمْ أَنْفَكَّ أَنْدُبُهُ

وَصَاحِبٍ مَا صَحِبْتُ الصَّبْرَ مُذْ بَعُدَتْ
دِيَارُهُ وَأَرَانِي لَسْتُ أَصْحَبُهُ

فِي كُلِّ يَوْمٍ لِعَيْنِي مَا يُؤَرِّقُهَا
مِنْ ذِكْرِهِ وَلِقَلْبِي مَا يُعَذِّبُهُ

مَازَالَ يُبْعِدُنِي عَنْهُ وَأَتْبَعُهُ
وَيَسْتَمِرُّ عَلَى ظُلْمِي وَأُعْتِبُهُ

حَتَّى أَوَتْ(١) لِي النَّوَى مِنْ طُولِ جَفْوَتِهِ
وَسَهَّلَتْ لِي سَبِيلًا كُنْتُ أَرْهَبُهُ

وَمَا الْبِعَادُ دَهَانِي بَلْ خَلَائِقُهُ
وَلَا الْفِرَاقُ شَجَانِي بَلْ تَجَنُّبُهُ

وَلَهُ فِي التَّخَلُّصِ :

أَوَ مَا انْثَنَيْتَ عَنِ الْوَدَاعِ بِلَوْعَةٍ
مَلَأَتْ حَشَاكَ صَبَابَةً وَغَلِيلَا ؟

---

(١) في اليتيمة : « لوت »

وَمَدَامِعٍ تَجْرِى فَتَحْسَبُ أَنَّ فِى
آمَاقِهِنَّ بَنَانَ إِسْمَاعِيلَا [١]

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِى الْأَمِيرِ شَمْسِ الْمَعَالِى قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيرَ :

وَلَمَّا تَدَاعَتْ لِلْغُرُوبِ شُمُوسُهُمْ
وَقُمْنَا لِتَوْدِيعِ الْفَرِيقِ الْمُغَرَّبِ
تَلَقَّيْنَ أَطْرَافَ السُّجُوفِ [٢] بِمُشْرِقٍ
لَهُنَّ وَأَعْطَافَ الْخُدُورِ بِمُغْرِبِ
فَمَا سِرْنَ إِلَّا بَيْنَ دَمْعٍ مُضَيَّعٍ
وَلَا قُمْنَ إِلَّا بَيْنَ قَلْبٍ مُعَذَّبِ
كَأَنَّ فُؤَادِى قِرْنُ [٣] قَابُوسَ رَاعَهُ
تَلَاعُبُهُ بِالْفَيْلَقِ الْمُتَأَشِّبِ [٤]

---

(١) يريد أن فى الآماق يد إسماعيل الكريم الكثيرة العطاء فكثرة الدموع من ذلك . (٢) السجوف : الستائر ، والمشرق صفة لمحذوف : أى دمع مشرق من أشرقه بمعنى أغصه ، ومغرب صفة لمحذوف : أى قلب مبالغ فى الحزن . يريد أنهن عند الصمود وتلق السجوف بكين ، فلما صرن فى أعطاف الخدور حزنت قلوبهن فهى معذبة، والبيت بعد يوضح ما قلنا . (٣) القرن : المنازل والقرين : الصاحب

(٤) الفيلق : الجيش ، المتأشب : المختلط فهو يصف فؤاده إذ يشتد خفقانه بقرن قابوس ومنازله إذا راعه ما يفعله قابوس بفيلقه المختلط الكثير فان قلبه يشتد اضطرابه . « عبد الخالق »

وَلَهُ فِى الصَّاحِبِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

وَمَا بَالُ هَذَا الدَّهْرِ يَطْوِى جَوَانِحِى
عَلَى نَفْسٍ مَحْزُونٍ وَقَلْبٍ كَئِيبِ
تُقَسِّمُنِى الْأَيَّامُ قِسْمَةَ جَائِرٍ
عَلَى نَضْرَةٍ مِنْ حَالِهَا وَشُحُوبِ
كَأَنِّى فِى كَفِّ الْوَزِيرِ رَغِيبَةٌ تُقَسَّمُ فِى جَدْوَى أَغَرَّ وَهُوبِ

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِى الصَّاحِبِ :

وَلَا ذَنْبَ لِلْأَفْكَارِ أَنْتَ تَرَكْتَهَا
إِذَا احْتَشَدَتْ لَمْ يُنْتَفَعْ بِاحْتِشَادِهَا
سَبَقْتَ بِأَفْرَادِ الْمَعَانِى وَأَلَّفْتْ
خَوَاطِرُكَ الْأَلْفَاظَ بَعْدَ شِرَادِهَا
وَإِنْ نَحْنُ حَاوَلْنَا اخْتِرَاعَ بَدِيعَةٍ
حَصَلْنَا عَلَى مَسْرُوقِهَا وَمُعَادِهَا

وَلَهُ فِى الصَّاحِبِ مِنْ قَصِيدَةٍ يُهَنِّئُهُ بِالْبُرْءِ مِنَ الْمَرَضِ :

بِكَ الدَّهْرُ يُبْدِى ظِلَّهُ وَيَطِيبُ
وَيُقْلِعُ عَمَّا سَاءَنَا وَيَتُوبُ

وَنَحْمَدُ آثَارَ الزَّمَانِ وَرُبَّمَا
ظَلِلْنَا وَأَوْقَاتُ الزَّمَانِ ذُنُوبُ
أَفِى كُلِّ يَوْمٍ لِلْمَكَارِمِ رَوْعَةٌ
لَهَا فِى قُلُوبِ الْمَكْرُمَاتِ وَجِيبُ؟[1]
تَقَسَّمَتِ الْعَلْيَاءُ جِسْمَكَ كُلَّهُ
فَمِنْ أَيْنَ فِيهِ لِلسَّقَامِ نَصِيبُ؟
إِذَا أَلِمَتْ نَفْسُ الْوَزِيرِ تَأَلَّمَتْ
لَهَا أَنْفُسٌ تَحْيَا بِهَا وَقُلُوبُ
وَوَاللهِ لَا لَاحَظْتُ وَجْهًا أُحِبُّهُ
حَيَاتِى وَفِى وَجْهِ الْوَزِيرِ شُحُوبُ
وَلَيْسَ شُحُوبًا مَا أَرَاهُ بِوَجْهِهِ
وَلَكِنَّهُ فِى الْمَكْرُمَاتِ نُدُوبُ[2]
فَلَا تَجْزَعَنْ تِلْكَ السَّمَاءُ تَغَيَّمَتْ
وَعَمَّا قَلِيلٍ تَبْتَدِى فَتَصُوبُ
تَهَلَّلَ وَجْهُ الْمَجْدِ وَابْتَسَمَ النَّدَى
وَأَصْبَحَ غُصْنُ الْفَضْلِ وَهُوَ رَطِيبُ

(١) الوجيب : الخفقان والرجف (٢) الندوب جمع ندبة : وهى أثر الجرح

فَلَا زَالَتِ الدُّنْيَا بِمُلْكِكَ طَلْقَةً
وَلَا زَالَ فِيهَا مِنْ ظِلَالِكَ طِيبُ

وَلَهُ :

عَلَى مُهْجَتِي تَجْنِي الْحَوَادِثُ وَالدَّهْرُ
فَأَمَّا اصْطِبَارِي فَهُوَ مُمْتَنِعٌ وَعْرُ (١)
كَأَنِّي أُلَاقِي كُلَّ يَوْمٍ يَنُوبُنِي
بِذَنْبٍ وَمَا ذَنْبِي سِوَى أَنَّنِي حُرُّ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الزَّمَانِ سِوَى الَّذِي
أَضِيقُ بِهِ ذَرْعًا فَعِنْدِي لَهُ الصَّبْرُ
وَقَالُوا : تَوَصَّلْ بِالْخُضُوعِ إِلَى الْغِنَى
وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْخُضُوعَ هُوَ الْفَقْرُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْمَالِ بَابَانِ حَرَّمَا
عَلَيَّ الْغِنَى : نَفْسِي الْأَبِيَّةُ وَالدَّهْرُ
إِذَا قِيلَ : هَذَا الْيُسْرُ عَايَنْتُ (٢) دُونَهُ
مَوَاقِفَ خَيْرٌ مِنْ وُقُوفِي بِهَا الْعُسْرُ

(١) يريد أن صبره فى منعه فلا يمكن ضياعه ، وهو وعر على من يريد إضماعه .
(٢) فى اليتيمة : أبصرت

إِذَا قَدَّمُوا بِالْوَفْرِ قُدِّمْتُ قَبْلَهُمْ

بِنَفْسٍ فَقِيرٍ كُلُّ أَخْلَاقِهِ وَفْرُ (١)

وَمَاذَا عَلَى مِثْلِي إِذَا خَضَعَتْ لَهُ

مَطَامِعُهُ فِي كَفِّ مَنْ حَصَلَ التِّبْرُ (٢) ؟

وَلَهُ :

سَقَى الْغَيْثُ أَوْ دَمْعِي — وَقَلَّ كِلَاهُمَا —

لَهَا أَرْبُعًا ، جَوْرُ الْهَوَى بَيْنَهَا عَدْلُ

بِحَيْثُ اسْتَرَقَّ الدِّعْصُ وَانْبَسَطَ النَّقَا (٣)

وَحَيْثُ تَنَاهَى الْحِقْفُ (٤) وَانْقَطَعَ الرَّمْلُ

أُكَثِّرُ مِنْ أَوْصَافِهَا وَهِيَ وَاحِدٌ

وَلَكِنْ أَرَى أَسْمَاءَهَا فِي فَمِي تَحْلُو

وَفِي ذَلِكَ الْخِدْرِ الْمُكَلَّلِ ظَبْيَةٌ

لِكُلِّ فُؤَادٍ عِنْدَ أَجْفَانِهَا ذَحْلُ (٥)

---

(١) أي إذا تقدم الناس وظهروا بسبب الغنى ، كان ظهوري وتقدمي بأخلاق عظيمة (٢) مطامع جمع مطمع مصدر ميمي — وفي كف متعلق به .

(٣) الدعص : كثيب من الرمل ، النقا : القطعة من الرمل المحدودبة (٤) الحقف : ما اعوج من الرمل واستطال ، وكل هذا وصف لجسمها على حد قول الآخر :

كيف أسلو وأنت حقف وغصن وغزال لحظا وقدا وردفا

(٥) الذحل : الثأر لأن نظراتها سيوف قاتلة « عبد الخالق »

إِذَا خَطَرَاتُ الرِّيحِ بَيْنَ سُجُوفِهَا
أَبَاحَتْ لِطَرْفِ الْعَيْنِ مَا حَظَرَ الْبُخْلُ
تَلَقَّتْ بِأَثْنَاءِ النَّصِيفِ (١) لَحَاظَنَا
وَقَالَتْ لِأُخْرَى : مَا لِمُسْتَهْتِرٍ عَقْلُ ؟
أَفِى مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ يَمْرَحُ طَرْفُهُ
وَأَعْدَاؤُنَا حُولٌ وَحُسَّادُنَا قُبْلُ (٢) ؟
وَمَدَّتْ لِإِسْبَالِ السُّجُوفِ بَنَانَهَا
فَغَازَلَنَا عَنْهَا الشَّمَائِلُ وَالشَّكْلُ

﴿ ٨ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ * ﴾

على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان

ابْنِ بَنَّاءِ بْنِ حَاجِبِ النُّعْمَانِ ، أَبُو الْحَسَنِ . قَدْ ذَكَرْتُ مَعْنَى تَسْمِيَتِهِمْ بِحَاجِبِ النُّعْمَانِ فِى تَرْجَمَةِ أَبِيهِ ، وَلَهُ دِيوَانُ

---

(١) النصيف : الخمار وكل ما غطى الرأس ، تصفه بالاستهتار لأنه يلحظها وتستتر منه بالنصيف ولله النابغة إذ يقول :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

(٢) حول من الحول : وهو النظر بمؤخر العين ، والأصل فى الحول إقبال الحدقة على الأنف ، فهو يشبه المراقبين لهم بالحول ، والقبل من القبل : وهو إقبال السواد على الأنف عكس الحول ، قال فى القاموس : أو مثل الحول أو أحسن منه ، والغرض منه كالغرض من الحول أى المراقبة المختلسة .

« عبد الخالق »

(*) راجع تاريخ مدينة بغداد

شِعْرٍ كَبِيرُ الْحَجْمِ ، وَكَانَ أَبُوهُ يَكْتُبُ لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ وَزِيرِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَكَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ لِلطَّائِعِ لِلَّهِ ، ثُمَّ لِلْقَادِرِ بِاللَّهِ بَعْدَهُ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَخُوطِبَ بِرَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ ، وَخَدَمَ خَلِيفَتَيْنِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَاتَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَوَلِيَ ابْنُهُ أَبُو الْفَضْلِ مَكَانَهُ فَلَمْ يَسُدَّ مَسَدَّهُ فَعُزِلَ بَعْدَ شُهُورٍ .

وَحَدَّثَ ابْنُ نَصْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْفَتْحِ أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى الشَّاعِرُ الْمَعْرُوفُ بِحَمْدِيَّةَ قَالَ : لَمَّا قَبَضَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ حَاجِبِ النُّعْمَانِ وَاسْتَكْتَبَ أَبَا الْعَلَاءِ ابْنَ تُرَيْكٍ وَهِيَ النَّظَرُ وَقَلَّ رَوْنَقُهُ ، وَاتَّفَقَ أَنْ دَخَلَ يَوْمًا إِلَى الدِّيوَانِ فَوَجَدَ عَلَى مِخَدَّتِهِ قِطْعَةً مِنْ عَذِرَةٍ يَابِسَةٍ ، فَانْخَزَلَ وَتَلَاشَى أَمْرُهُ فَقُبِضَ عَلَيْهِ وَأُعِيدَ أَبُو الْحَسَنِ إِلَى رُتْبَتِهِ ، وَكَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الْعَلَاءِ مِنْ قَبْلُ مُمَاظَّةٌ[1] فِي بَعْضِ الْأُمُورِ ، فَامْتَدَحْتُ أَبَا الْحَسَنِ بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

---

(١) مماظة : مخاصمة ومشاتمة

زُمَّتْ رَكَائِبُهُمْ فَاسْتَشْعَرَ التَّلَفَا

حَتَّى بَلَغْتُ مِنْهَا إِلَى قَوْلِي :

يَامَنْ إِذَا مَارَآهُ الدَّهْرُ سَالَمَهُ
وَظَلَّ مُعْتَذِراً مِمَّا جَنَى وَهَفَا

قَدْ رَامَ غَيْرُكَ هَذَا الطَّرْفَ يَرْكَبُهُ
فَمَا اسْتَطَاعَ لَهُ جَرْياً بَلَى وَقَفَا

لَمْ يَرْجِعِ الطَّرْفُ عَنْهُ مِنْ تَبَظْرُمِهِ(١)
حَتَّى رَأَيْنَا عَلَى دَسْتٍ(٢) لَهُ طُرَفَا

فَدَفَعَ إِلَىَّ صُورَةَ عَنْقَاءَ فِضَّةً مُذَهَّبَةً كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِيهَا طِيبٌ وَقَالَ : خُذْ هَذِهِ الطُّرْفَةَ فَإِنَّهَا أَطْرَفُ مِنْ طُرْفَتِكَ .

وَقَرَأْتُ فِي الْمُفَاوَضَةِ : حَدَّثَنِي الْوَزِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ عِيسَى ابْنُ مَاسَرْجِيسَ قَالَ : كُنْتُ أَخْلُفُ الْوَزَارَةَ بِبَغْدَادَ مُشَارِكاً لِأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حَاجِبِ النُّعْمَانِ ، فَدَعَانِي يَوْماً إِلَى دَارِهِ بِبِرْكَةِ زَلْزَلٍ وَتَجَمَّلَ وَاحْتَشَدَ وَدَعَا بِكُلِّ مَنْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِحِذْقٍ فِي الْغِنَاءِ مِنْ رِجَالٍ وَإِمَاءٍ مِثْلِ عُلَيَّةَ الْخَاقَانِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنْ نُظَرَائِهَا فِي الْوَقْتِ ، وَحَضَرَ

---

(١) أى من حمقه (٢) الدست : المجلس

الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَزْرَقِ نَسِيبُهُ وَانْتَقَلْنَا مِنَ الطَّعَامِ إِلَى مَجْلِسِ الشَّرَابِ، فَلَمَّا دَارَتِ الْكَأْسُ أَدْوَارًا قَالَ لِي: مَا أَرَاكَ تَحْلِفُ عَلَى الْقَاضِي لِيَشْرَبَ مَعَنَا وَيُسَاعِدَنَا وَإِنْ كَانَ لَا يَشْرَبُ إِلَّا قَارِصًا[1]. قُلْتُ: أَنَا غَرِيبٌ وَمُحْتَشِمٌ لَهُ وَأَمْرُهُ بِكَ أَمَسُّ وَأَنْتَ بِهِ أَخَصُّ. قَالَ: فَاسْتَدْعَى غُلَامًا وَقَالَ: امْضِ إِلَى إِسْحَاقَ الْوَاسِطِيِّ وَاسْتَدْعِ مِنْهُ قَارِصًا وَتَوَلَّ خِدْمَةَ الْقَاضِي - أَيَّدَهُ اللهُ -، فَمَضَى الْغُلَامُ وَغَابَ سَاعَةً ثُمَّ أَتَى وَمَعَهُ خُمَاسِيَّةٌ فِيهَا مِنَ الشَّرَابِ الصَّرِيفِينِيِّ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا إِلَّا أَنَّ عَلَى رَأْسِهَا كَاغَدًا وَخَتْمًا وَسَطْرًا فِيهِ مَكْتُوبٌ: قَارِصٌ مِنْ دُكَّانِ إِسْحَاقَ الْوَاسِطِيِّ. قَالَ: فَتَأَمَّلَهُ الْقَاضِي وَأَبْصَرَ الْخَطَّ وَالْخَتْمَ ثُمَّ أَمَرَ فَسُقِيَ رِطْلًا، فَلَمَّا شَرِبَهُ وَاسْتَوْفَاهُ قَالَ لِلْغُلَامِ: وَيْلَكَ مَا هَذَا؟ قَالَ: يَاسَيِّدِي هَذَا قَارِصٌ. قَالَ لَا، بَلْ وَاللهِ الْخَالِصُ، ثُمَّ ثَنَّى لَهُ وَثَلَّثَ، فَاضْطَرَبَ أَمْرُ الْقَاضِي عَلَيْنَا وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَلَا فَاسْقِنِي الصَّهْبَاءَ مِنْ حَلَبِ الْكَرْمِ
وَلَا تَسْقِنِي خَمْرًا بِعِلْمِكَ أَوْ عِلْمِي

---

(١) القارص: النبيذ

أَلَيْسَتْ لَهَا أَسْمَاءٌ شَتَّى كَثِيرَةٌ

أَلَا فَاسْقِنِيهَا وَاُكْنِ عَنْ ذَلِكَ الْإِسْمِ ؟

فَكَانَ كُلَّمَا أَتَاهُ بِالْقَدَحِ سَأَلَهُ عَنْهُ فَيَقُولُ تَارَةً : مُدَامٌ، وَتَارَةً خَنْدَرِيسٌ (١) وَهُوَ يَشْرَبُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ : خَمْرٌ حَرِدَ (٢) وَاسْتَخَفَّ بِهِ ، فَيَتَوَارَى بِالْقَدَحِ سَاعَةً ثُمَّ يُعِيدُهُ وَيَقُولُ : هَذِهِ قَهْوَةٌ فَيَشْرَبُ بِهِ ، فَلَمْ يَشْرَبِ الْقَاضِي إِلَّا بِمِقْدَارِ سِتَّةِ أَسْمَاءٍ أَوْ سَبْعَةٍ مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ حَتَّى انْبَطَحَ فِي الْمَجْلِسِ وَلُفَّ فِي طَيْلَسَانٍ أَزْرَقَ عَلَيْهِ وَحُمِلَ إِلَى دَارِهِ

﴿ ٩ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْغَنِيِّ الْقَرَوِيُّ الْحُصَرِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ (*) ﴾

على بن عبد الغنى القروى

قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ فَرْحَةِ الْأَنْفُسِ : « وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ غَالِبٍ الْغَرْنَاطِيُّ » يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالنَّحْوِ وَشَاعِراً مَشْهُوراً وَكَانَ ضَرِيراً ، طَافَ الْأَنْدَلُسَ وَمَدَحَ مُلُوكَهَا ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لِلْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ عِنْدَ مَوْتِ أَبِيهِ الْمُعْتَضِدِ أَبِي عَمْرٍو عَبَّادِ بْنِ مُحَمَّدٍ :

---

(١) الخندريس : الخمر القديمة (٢) حرد : غضب

(*) راجع بغية الوعاة

مَاتَ عَبَّادٌ وَلَكِنْ بَقِيَ النَّجلُ الكَرِيمُ
فَكَأَنَّ المَيْتَ حَيٌّ غَيْرَ أَنَّ الضَّادَ مِيمُ (١)

وَمَدَحَ بَعْضَ مُلُوكِ الأَنْدَلُسِ فَغَفَلَ عَنهُ إِلَى أَنْ حَفَزَهُ الرَّحِيلُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَأَنْشَدَهُ :

مَحَبَّتِي تَقْتَضِي وِدَادِي وَحَالَتِي تَقْتَضِي الرَّحِيلَا
هَذَانِ خَصْمَانِ لَسْتُ أَقْضِي بَيْنَهُمَا خَوفَ أَنْ أَمِيلَا
وَلَا يَزَالَانِ فِي اخْتِصَامٍ حَتَّى تَرَى رَأْيَكَ الجَمِيلَا

وَدَخَلَ عَلَى المُعْتَصِمِ مُحَمَّدِ بْنِ مَعْنِ بْنِ صُمَادِحٍ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَكَلَّمَ المُعْتَصِمُ فِي أَمْرِهِ مَعَ وُزَرَائِهِ وَكُتَّابِهِ لِيَرَى رَأْيَهُمْ فِيهِ ، فَنُقِلَ إِلَيْهِ عَنِ الكَاتِبِ أَبِي الأَصْبَغِ بْنِ أَرْقَمَ كَلَامٌ أَحْفَظَهُ (٢) ، فَانْصَرَفَ وَدَخَلَ عَلَى ابْنِ صُمَادِحٍ وَأَنْشَدَهُ :

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ المُعَظَّمْ لَا تُطِعِ الكَاتِبَ ابْنَ أَرْقَمْ
لِأَنَّهُ حَيَّةٌ وَتَدْرِي مَا فَعَلَتْ بِأَبِيكَ آدَمْ

وَحَكَى أَبُو العَبَّاسِ البَلَنْسِيُّ الأَعْمَى أَيْضاً عَنهُ وَكَانَ

(١) يريد ضاد المعتضد فان بدلها ميما فی المعتمد . (٢) أی أغضبه

مِنْ تَلَامِيذِهِ ، وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ مُتَنَازَعَانِ بَيْنَهُمَا لَا أَدْرِي لِمَنْ مِنْهُمَا ؟ :

وَقَالُوا : قَدْ عَمِيتَ فَقُلْتُ : كَلَّا وَإِنِّي الْيَوْمَ أَبْصَرُ مِنْ بَصِيرِ

سَوَادُ الْعَيْنِ زَادَ سَوَادَ قَلْبِي لِيَجْتَمِعَا عَلَى فَهْمِ الْأُمُورِ

وَذَكَرَهُ الْحُمِيدِيُّ وَقَالَ : دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ بَعْدَ الْخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُهُمْ لَهُ :

وَلَمَّا تَمَايَلَ مِنْ سُكْرِهِ وَنَامَ دَبَبْتُ لِأَعْجَازِهِ

فَقَالَ وَمَنْ ذَا ؟ فَجَاوَبْتُهُ عَمٌ يَسْتَدِلُّ بِعُكَّازِهِ

﴿ ١٠ — عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
﴿ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ ﴾ (*)

علي بن أبي طالب

« وَاسْمُ أَبِي طَالِبٍ عَبْدُ مَنَافٍ » بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ « وَاسْمُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَامِرٌ وَهُوَ شَيْبَةُ الْحَمْدِ لَقَبٌ لَهُ » ابْنِ هِشَامٍ « وَاسْمُهُ عَمْرٌو » بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ « وَهُوَ الْمُغِيرَةُ » بْنِ قُصَيٍّ « وَاسْمُهُ زَيْدٌ » بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ ابْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ

(*) ترجم له في كتاب الأعلام جزء ثان

ٱبنِ كِنَانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إِلْيَاسَ بنِ مُضَرَ ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ .

أَخْبَارُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ كَثِيرَةٌ ، وَفَضَائِلُهُ شَهِيرَةٌ ، إِنْ تَصَدَّيْنَا لِاسْتِيعَابِهَا وَانْتِخَابِ مَحَاسِنِهَا كَانَتْ أَكْبَرَ حَجْمًا مِنْ جَمِيعِ كِتَابِنَا هٰذَا . مَاتَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَمُدَّةُ عُمُرِهِ فِيهَا خِلَافٌ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ ، وَلَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ جُمَلٍ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّارِيخِ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَجَارِي أُمُورِهِ ، وَنُتْبِعُهَا بِذِكْرِ وَلَدِهِ وَمَنْ أَعْقَبَ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يُعْقِبْ ، وَذِكْرِ شَيْءٍ مِمَّا صَحَّ مِنْ شِعْرِهِ وَحِكَمِهِ .

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ النَّحْوَ وَسَنَّ الْعَرَبِيَّةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ يَقْرَأُ « إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ » بِكَسْرِ اللَّامِ فِي رَسُولِهِ ، فَوَضَعَ النَّحْوَ وَأَلْقَاهُ إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ ، وَقَدِ اسْتَوْفَيْنَا خَبَرَ ذَلِكَ فِي بَابِ أَبِي الْأَسْوَدِ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي مَنْصُورٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الأَزْهَرِيِّ اللُّغَوِيِّ فِي كِتَابِ التَّهْذِيبِ لَهُ : قَالَ أَبُو عُثْمَانَ المَازِنِيُّ : لَمْ يَصِحَّ عِنْدَنَا أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ تَكَلَّمَ مِنَ الشِّعْرِ بِشَيْءٍ غَيْرَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

تِلْكُمْ قُرَيْشٌ تَمَنَّانِي لِتَقْتُلَنِي
وَلَا وَجَدِّكَ مَا بَرُّوا وَلَا ظَفِرُوا

فَإِنْ هَلَكْتُ فَرَهْنٌ ذِمَّتِي لَهُمُ
بِذَاتِ رَوْقَيْنِ لَا يَعْفُو لَهَا أَثَرُ

قَالَ: وَيُقَالُ: دَاهِيَةٌ ذَاتُ رَوْقَيْنِ، وَذَاتُ وَدْقَيْنِ: إِذَا كَانَتْ عَظِيمَةً. كَانَ قَدْ بُويِعَ لَهُ يَوْمَ قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَتْ وَقْعَةُ الْجَمَلِ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ وَأَحَدٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَعِدَّةُ مَنْ قُتِلَ فِي وَقْعَةِ الْجَمَلِ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ، مِنْهُمْ مِنَ الأَزْدِ خَاصَّةً أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَمِنْ ضَبَّةَ أَلْفٌ وَمِائَةٌ، وَبَاقِيهِمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَقِيلَ: أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ. وَمِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ نَحْوُ أَلْفٍ. وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ سِتٍّ وَثَلاثِينَ، وَكَانَ

بَيْنَ وَقْعَةِ الْجَمَلِ وَالْتِقَائِهِ مَعَ مُعَاوِيَةَ بِصِفِّينَ سَبْعَةُ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْماً ، وَكَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ وَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ بِصِفِّينَ غُرَّةَ صَفَرٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ ، وَاُخْتُلِفَ فِي عِدَّةِ أَصْحَابِهِمَا فَقِيلَ : كَانَ عَلِيٌّ فِي تِسْعِينَ أَلْفاً ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ فِي مِائَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفاً ، وَقِيلَ : كَانَ مُعَاوِيَةُ فِي تِسْعِينَ أَلْفاً ، وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مِائَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفاً ، وَهَذَا أَوْلَى بِالصِّحَّةِ . وَقُتِلَ بِصِفِّينَ سَبْعُونَ أَلْفاً : مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفاً ، مِنْهُمْ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفاً . وَقِيلَ : غَيْرُ ذَلِكَ ، وَكَانَ الْمُقَامُ بِصِفِّينَ مِائَةَ يَوْمٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَتِ الْوَقَائِعُ تِسْعِينَ وَقْعَةً ، وَبَيْنَ وَقْعَةِ صِفِّينَ وَالْتِقَاءِ الْحَكَمَيْنِ وَهُمَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ خَمْسَةُ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْماً ، وَبَيْنَ الْتِقَائِهِمَا وَخُرُوجِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْخَوَارِجِ بِنَهْرَوَانَ وَقَتْلِهِ إِيَّاهُمْ سَنَةٌ وَشَهْرَانِ ، وَكَانَ الْخَوَارِجُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ مِنَ الْأَزْدِ ، وَلَيْسَ

بِرَاسِبِ بْنِ جَرْمِ بْنِ رِيَانٍ، وَلَيْسَ فِى الْعَرَبِ غَيْرُهُمَا، فَلَمَّا نَزَلَ عَلِىٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَفَرَّقُوا فَبَقِىَ مِنْهُمْ أَلْفٌ وَثَمَانِمِائَةٍ، وَقِيلَ: أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ، فَقَتَلُوا إِلَّا نَفَرًا يَسِيرًا، وَكَانَ سَبَبُ تَفَرُّقِ الْخَوَارِجِ عَنْهُ، أَنَّهُمْ تَنَازَعُوا عِنْدَ الْإِحَاطَةِ بِهِمْ فَقَالُوا: أَسْرِعُوا الرَّوْحَةَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ وَلَعَلَّهَا إِلَى النَّارِ، فَقَالَ: مَنْ فَارَقَهُ، تُرَانَا نُقَاتِلُ مَعَ رَجُلٍ شَاكٍّ. وَبَيْنَ خُرُوجِهِ إِلَى الْخَوَارِجِ وَقَتْلِ ابْنِ مُلْجَمٍ لَهُ لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَى سَنَةٌ وَخَمْسَةُ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةُ أَيَّامٍ.

وَاخْتُلِفَ فِى مُدَّةِ عُمُرِهِ، فَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّهُ اسْتُشْهِدَ وَلَهُ ثَمَانٌ وَسِتُّونَ سَنَةً فِى قَوْلِ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ أَسْلَمَ وَلَهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقِيلَ: سِتٌّ وَسِتُّونَ وَهُوَ قَوْلُ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ أَسْلَمَ وَلَهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقِيلَ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ وَهُوَ قَوْلُ مَنْ يَرَى أَنَّهُ أَسْلَمَ وَلَهُ عَشْرُ سِنِينَ، وَقِيلَ: ثَمَانٌ وَخَمْسُونَ وَهُوَ قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَسْلَمَ وَلَهُ خَمْسُ سِنِينَ، وَهَذَا أَقَلُّ مَا قِيلَ فِى مِقْدَارِ عُمُرِهِ.

وَاخْتُلِفَ فِى مَوْضِعِ قَبْرِهِ، فَقِيلَ: بِالْغَرِىِّ[1] وَهُوَ الْمَوْضِعُ

(١) الغرى أحد الغريين: وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر الامام على

الْمَشْهُورُ الْيَوْمَ ، وَقِيلَ : بِمَسْجِدِ الْكُوفَةِ ، وَقِيلَ : بِرَحَبَةِ الْقَصْرِ بِهَا[1] وَقِيلَ : حُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدُفِنَ مَعَ فَاطِمَةَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهَا وَسَلَامُهُ ، وَكَانَ أَسْمَرَ عَظِيمَ الْبَطْنِ أَصْلَعَ أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ ، أَدْعَجَ عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا الْقَصِيرِ ، تَمْلَأُ لِحْيَتُهُ صَدْرَهُ ، لَا يُغَيِّرُ شَيْبَهُ ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْبَنِينَ أَحَدَ عَشَرَ ، الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَمُحَمَّدُ[2] بْنُ الْحَنَفِيَّةِ – وَأُمُّهُ خَوْلَةُ بِنْتُ جَعْفَرٍ سَبِيَّةٌ – وَعُمَرُ – أُمُّهُ أُمُّ حَبِيبٍ الصَّهْبَاءُ بِنْتُ رَبِيعَةَ تَغْلَبِيَّةٌ ، – وَالْعَبَّاسُ – أُمُّهُ أُمُّ الْبَنِينَ بِنْتُ حِزَامِ بْنِ خَالِدٍ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ – ، وَعَبْدُ اللهِ يُكْنَى أَبَا بَكْرٍ ، وَعُثْمَانُ وَجَعْفَرٌ وَمُحَمَّدٌ الْأَصْغَرُ ، وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي يُكْنَى أَبَا بَكْرٍ ، وَعُبَيْدُ اللهِ وَيَحْيَى . الْمُعَقِّبُونَ مِنْهُمْ خَمْسَةٌ : الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ وَعُمَرُ وَالْعَبَّاسُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَلَهُ مِنَ الْبَنَاتِ سِتَّ عَشْرَةَ : مِنْهُنَّ زَيْنَبُ وَأُمُّ كُلْثُومٍ الَّتِي تَزَوَّجَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَأُمُّهُمَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ

---

(١) الضمير يعود إلى الكوفة . (٢) من رأيي أن ابن الحنيفة تحذف ألف ابن ، وإن كانت الحنفية أماً له ، لأنه شهر بها ، وكثر استعمال نسبته إليها وسبب الحذف كثرة الاستعمال ومثله ابن مريم ، وابن الخطفى « عبد الخالق »

عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ ، فَالْعَقِبُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ زَيْدٍ وَالْحَسَنِ ، وَالْعَقِبُ لِزَيْدٍ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ ، وَالْعَقِبُ لِلْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ مِنْ جَعْفَرٍ وَدَاوُدَ وَعَبْدِ اللهِ وَالْحَسَنِ وَإِبْرَاهِيمَ . وَالْعَقِبُ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ مِنْ جَعْفَرٍ وَعَلِيٍّ وَعَوْنٍ وَإِبْرَاهِيمَ ، وَالْعَقِبُ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنْ عَبْدِ اللهِ ، وَلِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنْ عَوْنٍ ، وَلِعَوْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَلِإِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ .

فَأَمَّا أَبُو هَاشِمٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ ، فَقَدْ ظَنَّ قَوْمٌ أَنَّهُ أَعْقَبَ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ . وَالْعَقِبُ لِعُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ مُحَمَّدِ ابْنِ عُمَرَ ، وَالْعَقِبُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ لِعُمَرَ وَعَبْدِ اللهِ وَجَعْفَرٍ . وَالْعَقِبُ لِلْعَبَّاسِ مِنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَالْعَقِبُ لِعُبَيْدِ اللهِ مِنَ الْحُسَيْنِ وَعَبْدِ اللهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَجْمَعِينَ .

وَمِمَّا يُرْوَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ لِي فَضَائِلَ ، كَانَ أَبِي سَيِّدًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَصِرْتُ مَلِكًا فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَنَا

صِهْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَالُ الْمُؤْمِنِينَ وَكَاتِبُ الْوَحْيِ . فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ[١] : أَبِالْفَضَائِلِ تَفْتَخِرُ عَلَيَّ يَابْنَ آكِلَةِ الْأَكْبَادِ ؟ اُكْتُبْ إِلَيْهِ يَا غُلَامُ :

مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ أَخِي وَصِهْرِي ... وَحَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي
وَجَعْفَرٌ الَّذِي يُضْحِي وَيُمْسِي ... يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ابْنُ أُمِّي
وَبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكَنِي وَعِرْسِي ... مَشُوبٌ لَحْمُهَا بِدَمِي وَلَحْمِي
وَسِبْطَا[٢] أَحْمَدٍ وَلَدَايَ مِنْهَا ... فَأَيُّكُمُ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي[٣] ؟
سَبَقْتُكُمُ إِلَى الْإِسْلَامِ طُرًّا[٤] ... صَغِيرًا مَا بَلَغْتُ أَوَانَ حُلْمِي[٥]

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَخْفُوا هَذَا الْكِتَابَ لَا يَقْرَؤُهُ أَهْلُ الشَّامِ فَيَمِيلُوا إِلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ .

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ الْأَمَالِي لِأَبِي الْقَاسِمِ الزَّجَّاجِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رُسْتَمَ الطَّبَرِيُّ صَاحِبُ

---

(١) يخيل إلى أن هذا الكتاب من الكتب الموضوعة ، فالأسلوب دليل ذلك ، وما كان على يقول مثل هذا النثر أو هذا الشعر ، وللقارىء أن يحكم على قولى . (٢) السبط : ولد الولد ويغلب على ولد البنت (٣) السهم : النصيب والحظ (٤) طرا : جميعا (٥) وبعدها بيتان لم يذكرهما المصنف وهما :

وأوصانى النبي على اختيار ... ببيعته غداة غد برحم
فويل ثم ويل ثم ويل ... لمن يلقى الاله غدا بظلم

أَبِى عُثْمَانَ الْمَازِنِىّ قَالَ : حَدَّثنا أبو حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِىُّ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْحَضْرِىّ قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سَلْمٍ الْبَاهِلِىُّ قَالَ : حَدَّثنِى أَبِى عَنْ جَدِّى عَنْ أَبِى الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِىّ ، أَوْ قَالَ : عَنْ جَدِّى عَنْ ابْنِ أَبِى الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِىّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِىّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَرَأَيْتهُ مُطْرِقًا مُفَكِّرًا فَقُلْتُ : فِيمَ تُفَكِّرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : إِنِّى سَمِعْتُ بِبَلَدِكُمْ هَذَا لَحْنًا فَأَرَدْتُ أَنْ أَضَعَ كِتَابًا فِى أُصُولِ الْعَرَبِيَّةِ . فَقُلْتُ : إِنْ فَعَلْتَ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْيَيْتَنَا وَبَقِيَتْ فِينَا هَذِهِ اللُّغَةُ ، ثُمَّ أَتَيْتهُ بَعْدَ أَيَّامٍ فَأَلْقَى إِلَىَّ صَحِيفَةً فِيهَا :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : الْكَلَامُ كُلُّهُ اسْمٌ وَفِعْلٌ وَحَرْفٌ ، وَالِاسْمُ مَا أَنْبَأَ عَنِ الْمُسَمَّى ، وَالْفِعْلُ مَا أَنْبَأَ عَنْ حَرَكَةِ الْمُسَمَّى ، وَالْحَرْفُ مَا أَنْبَأَ عَنْ مَعْنًى لَيْسَ بِاسْمٍ وَلَا فِعْلٍ . ثُمَّ قَالَ لِى : تَتَبَّعْهُ وَزِدْ فِيهِ مَا وَقَعَ لَكَ ، وَاعْلَمْ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ أَنَّ الْأَشْيَاءَ ثَلَاثَةٌ : ظَاهِرٌ وَمُضْمَرٌ وَشَىْءٌ لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلَا مُضْمَرٍ . قَالَ : فَجَمَعْتُ مِنْهُ أَشْيَاءَ وَعَرَضْتُهَا

عَلَيْهِ وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ حُرُوفُ النَّصْبِ ، فَكَانَ مِنْهَا إِنَّ وَأَنَّ وَلَيْتَ وَلَعَلَّ وَكَأَنَّ وَلَمْ أَذْكُرْ لَكِنَّ . فَقَالَ لِي : لِمَ تَرَكْتَهَا ؟ فَقُلْتُ : لَمْ أَحْسَبْهَا مِنْهَا . فَقَالَ : بَلْ هِيَ مِنْهَا فَزِدْهَا فِيهَا . قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ : قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْأَشْيَاءُ ثَلَاثَةٌ : ظَاهِرٌ وَمُضْمَرٌ وَشَيْءٌ لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلَا مُضْمَرٍ ، فَالظَّاهِرُ رَجُلٌ وَفَرَسٌ وَزَيْدٌ وَعَمْرٌو وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَالْمُضْمَرُ نَحْوُ ، أَنَا وَأَنْتَ وَالتَّاءُ فِي فَعَلْتُ وَالْيَاءُ فِي غُلَامِي وَالْكَافُ فِي ثَوْبِكَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَأَمَّا الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلَا مُضْمَرٍ فَالْمُبْهَمُ ، نَحْوُ هَذَا وَهَذِهِ وَهَاتَا وَتَا وَمَنْ وَمَا وَالَّذِي وَأَيٌّ وَكَمْ وَمَتَى وَأَيْنَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

﴿ ١١ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْقَزْوِينِيُّ * ﴾

علي بن عبد الملك القزويني

أَبُو طَالِبٍ النَّحْوِيُّ ، كَانَ أَبُوهُ أَبُو عَلِيٍّ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَرُوَاةِ الْحَدِيثِ ، وَسَمِعَ أَبُو طَالِبٍ جَمَاعَةً مِنْهُمْ : مِهْرَوَيْهِ ، وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَطَّانُ . قَالَ الْخَلِيلِيُّ : وَهُوَ إِمَامٌ فِي شَأْنِهِ قَرَأْنَا عَلَيْهِ وَأَخَذَ عَنْهُ الْخَلْقُ ،

(*) راجع بغية الوعاة

وَمَاتَ فِي آخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَخَلَفَ أَوْلَادًا صِغَارًا اشْتَغَلُوا بِمَا لَا يَعْنِيهِمْ فَقُتِلُوا . وَأَخُوهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ سَمِعَ الْحَدِيثَ لَكِنَّهُ كَانَ كَاتِبًا فَلَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ . وَأَبُو عَلِيٍّ ابْنُهُ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَقَرَأَ الْفِقْهَ ، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالْكِتَابَةِ فَمَاتَ فِي الْغُرْبَةِ وَقَدْ انْقَطَعَ نَسْلُهُ .

« ١٢ – عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ الرَّيْحَانِيُّ * »

على بن عبيدة الريحاني

أَحَدُ الْبُلَغَاءِ الْفُصَحَاءِ ، مِنَ النَّاسِ مَنْ يُفَضِّلُهُ عَلَى الْجَاحِظِ ، فِي الْبَلَاغَةِ وَحُسْنِ التَّصْنِيفِ مَاتَ « أُخْلِيَ مَكَانُهُ »

(*) ترجم له فى تاريخ بغداد جزء ١٢ صفحة ١٨ بما يأتى قال :

كان كثير الفضل ، مليح اللفظ ، حسن العبارة . وله كتب حسان فى الحكم والأمثال وكان له اختصاص بالمأمون .

روى عنه أحمد بن أبي طاهر وغيره . أخبرنا الجوهرى ، أخبرنا محمد بن عمران بن موسى ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن أبي سعيد ، حدثنا أحمد بن أبي طاهر ، حدثنا على ابن عبيدة الريحانى قال : التقى أخوان يتوددان ، فقال أحدهما لصاحبه .كيف ودك لى ؟ فقال : حبك متوشج بفؤادى ، وذكرك سمير سهادى . فقال الآخر : أما أنا فأوجز فى وصفى ، ما أحب أن يقع على سواك طرفى . قال ابن أبي طاهر : وكنت عنده يوما ـ يعنى عند على بن عبيدة — فورد عليه كتاب أم محمد ابنة المأمون ، فكتب جواب الكتاب ثم أعطانى القرطاس فقال : اقطعه . فقلت : وما لك لا تقطعه أنت ؟ فقال . ما قطعت شيئاً قط . أخبرنا الحسن بن الحسين النعالى ، أخبرنا أحمد بن نصر الذارع ، حدثنا محمد بن خلف ، حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال : قال على بن عبيدة الريحانى : المودة مستفادة ، أخبرنا أبو بشر محمد بن عمر الوكيل ، حدثنا محمد بن عمران المرزبانى ، حدثنى

وَكَانَ لَهُ اخْتِصَاصٌ بِالْمَأْمُونِ وَيَسْلُكُ فِي تَأْلِيفَاتِهِ وَتَصْنِيفَاتِهِ طَرِيقَةَ الْحِكْمَةِ ، وَكَانَ يُرْمَى بِالزَّنْدَقَةِ ، وَلَهُ مَعَ الْمَأْمُونِ أَخْبَارٌ مِنْهَا : أَنَّهُ كَانَ بِحَضْرَةِ الْمَأْمُونِ يَجْمِشُ[1] غُلَامًا فَرَآهُمَا الْمَأْمُونُ فَأَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ هَلْ عَلِمَ عَلِيٌّ أَمْ لَا ؟ فَقَالَ لَهُ : أَرَأَيْتَ ؟ فَأَشَارَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ وَفَرَّقَ أَصَابِعَهُ أَيْ خَمْسَةٌ وَتَصْحِيفُ خَمْسَةٍ جَمْشَةٌ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْفِطْنَةِ وَالذَّكَاءِ .

وَقَالَ جَحْظَةُ فِي أَمَالِيهِ : حَدَّثَنِي أَبُو حَرْمَلَةَ قَالَ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ الرَّيْحَانِيُّ : حَضَرَنِي ثَلَاثَةُ تَلَامِيذَ لِي فَجَرَى لِي كَلَامٌ حَسَنٌ فَقَالَ أَحَدُهُمْ : حَقٌّ هَذَا الْكَلَامِ أَنْ يُكْتَبَ بِالْغَوَالِي عَلَى خُدُودِ الْغَوَانِي[2] . وَقَالَ الْآخَرُ : بَلْ

—— أحمد بن محمد الجوهری ، حدثنا أحمد بن محمد بن أبی الذیال قال : قلت لأبی الحسن علی بن عبیدة الریحانی : القول « زر غباً تزدد حباً » فقال لی : یا أبا علی ، هذا مثل للعامة ، یجفو عن الخاصة . قال الحکیم : بکثرة زیادة الثقة تحوز المقة : قال ابن أبی الذیال : فحدثت إبراهیم بن الجنید فقال : أحسن والله وکتبه عنی ، أخبرنا البرقانی ، أخبرنا إبراهیم بن محمد بن یحیی المزکی ، أخبرنا محمد بن إسحاق السراج قال : سمعت أحمد بن الفتح قال : سمعت علی بن عبیدة الریحانی یقول : لولا لهب من الحرص ینشأ فی القلوب ولا یملك الاعتبار إطفاء توقده ، ما کان فی الدنیا عوض من یوم یضیع فیها یمکن فیه العمل الصالح .

(١) جمشه : قرصه ولاعبه (٢) الغوالی : جمع غالیة : وهی الطیب . والغوانی : الحسان

حقّه أن يُكتب بأنامل الحور على النور. وقال الآخر: بل حقّه أن يُكتب بقلم الشكر في ورق النعم. ومن مستحسن أخباره المطربة أنه قال: أتيت باب الحسن ابن سهل فأقمت ببابه ثلاثة أشهر لا أحظى منه بطائل فكتبت إليه:

مدحت ابن سهل ذا الأيادي وما له
بذاك يدٌ عندي ولا قدمٌ بعدُ
وما ذنبه والناس إلا أقلّهم
عيالٌ[1] له إن كان لم يكُ لي جَدُّ
سأحمده للناس حتى إذا بدا
له فيّ رأيٌ عاد لي ذلك الحمدُ

فبعث إليّ: « باب السلطان يحتاج إلى ثلاث خلال: مال وعقل وصبر » فقلت للواسطة: تؤدي عني؟ قلت تقول له: « لو كان لي مال لأغناني عن الطلب منك، أو صبرٌ لصبرت على الذلّ ببابك، أو عقلٌ لاستدللت به على النزاهة عن رفدك[2] »، فأمر لي بثلاثين ألف درهم.

(١) عيال الرجل. عشيرته وأولاده الذين تلزمه نفقتهم (٢) الرفد: العطاء والمعونة

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بُرْدٍ الْخَبَّازِ : أَخْبَرَنِي أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ طَاهِرٍ قَالَ : كُنْتُ فِي مَجْلِسِ بَعْضِ أَصْدِقَائِي يَوْمًا وَكَانَ مَعِي عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ الرَّيْحَانِيُّ فِي الْمَجْلِسِ ، وَفِي الْمَجْلِسِ جَارِيَةٌ كَانَ عَلِيٌّ يُحِبُّهَا فَجَاءَ وَقْتُ الظُّهْرِ فَقُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلِيٌّ وَالْجَارِيَةُ فِي الْحَدِيثِ ، فَأَطَالَ حَتَّى كَادَتِ الصَّلَاةُ تَفُوتُ ، فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ : قُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْجَارِيَةِ وَقَالَ : حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ ، أَيْ حَتَّى تَقُومَ الْجَارِيَةُ . قَالَ : فَجَعَلْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْ حُسْنِ جَوَابِهِ وَسُرْعَتِهِ وَكِنَايَتِهِ . وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ :

كِتَابُ الْمَصُونِ ، كِتَابُ التَّدَرُّجِ ، كِتَابُ رَائِدِ الْوُدِّ ، كِتَابُ الْمُخَاطَبِ ، كِتَابُ الطَّارِفِ ، كِتَابُ الْهَاشِمِيِّ ، كِتَابُ النَّاشِئِ ، كِتَابُ الْمُوَشَّحِ ، كِتَابُ الْجِدِّ ، كِتَابُ شَمْلِ الْأُلْفَةِ ، كِتَابُ الزِّمَامِ ، كِتَابُ الْمُتَحَلِّي ، كِتَابُ الصَّبْرِ ، كِتَابُ سَبَارِيهَا ، كِتَابُ مِهْرَزَادَ خَشِيشَ ، كِتَابُ صِفَةِ الدُّنْيَا ، كِتَابُ رُوشَنَائِدِل ، كِتَابُ سَفَرِ الْجَنَّةِ ، كِتَابُ الْأَنْوَاعِ ، كِتَابُ الْوَشِيجِ ، كِتَابُ الْعَقْلِ وَالْجَمَالِ ،

كِتَابُ أَدَبِ جَوَانَشِيرَ، كِتَابُ شَرْحِ الْهَوَى، كِتَابُ الطَّارِسِ[1] كِتَابُ الْمُسَجَّى ، كِتَابُ أَخْلَاقِ هَارُونَ ، كِتَابُ الْأَسْنَانِ ، كِتَابُ الْخُطَبِ ، كِتَابُ النَّاجِمِ ، كِتَابُ صِفَةِ الْفَرَسِ . كِتَابُ النَّبِيهِ ، كِتَابُ الْمَشَاكِلِ ، كِتَابُ فَضَائِلِ إِسْحَاقَ، كِتَابُ صِفَةِ الْمَوْتِ ، كِتَابُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، كِتَابُ الْيَأْسِ وَالرَّجَاءِ ، كِتَابُ صِفَةِ الْعُلَمَاءِ ، كِتَابُ أَنِيسِ الْمَلِكِ . كِتَابُ الْمُؤَمَّلِ وَالْمَهِيبِ ، كِتَابُ وَرُودٍ وَوَدُودٍ الْمَلِكَتَيْنِ ، كِتَابُ النَّمْلَةِ وَالْبَعُوضَةِ ، كِتَابُ الْمُعَاقَبَاتِ ، كِتَابُ مَدْحِ النَّدِيمِ ، كِتَابُ الْجُمَلِ ، كِتَابُ خُطَبِ الْمَنَابِرِ ، كِتَابُ النِّكَاحِ ، كِتَابُ الْإِيقَاعِ ، كِتَابُ الْأَوْصَافِ ، كِتَابُ امْتِحَانِ الدَّهْرِ ، كِتَابُ الْأَجْوَادِ ، كِتَابُ الْمُجَالَسَاتِ ، كِتَابُ الْمُنَادَمَاتِ .

قَالَ : سَأَلَ الْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ وَثُمَامَةَ بْنَ أَشْرَسَ وَعَلِيَّ بْنَ عُبَيْدَةَ الرَّيْحَانِيَّ عَنِ الْعِشْقِ مَا هُوَ ؟ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ : الْعِشْقُ ارْتِيَاحٌ فِي الْخِلْقَةِ ، وَفِكْرَةٌ تَجُولُ فِي الرُّوحِ ، وَسُرُورٌ مَنْشَؤُهُ الْخَوَاطِرُ ، لَهُ مُسْتَقَرٌّ غَامِضٌ ، وَمَحَلٌّ

(١) في الفهرست . الطاوس

لَطِيفُ الْمَسَالِكِ، يَتَّصِلُ بِأَجْزَاءِ الْقُوَى، يَنْسَابُ فِي الْحَرَكَاتِ.
وَقَالَ يَحْيَى: الْعِشْقُ سَوَانِحُ تَسْنَحُ لِلْمَرْءِ فَيَهْتَمُّ لَهَا وَيُؤْثِرُهَا.
قَالَ ثُمَامَةُ: يَا يَحْيَى، إِنَّمَا عَلَيْكَ أَنْ تُجِيبَ فِي مَسْأَلَةٍ فِي الطَّلَاقِ أَوْ عَنْ مُحْرِمٍ يَصْطَادُ ظَبْيًا، وَأَمَّا هَذِهِ فَمَسْأَلَتُنَا.
قَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: فَمَا الْعِشْقُ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: إِذَا تَقَادَمَتْ جَوَاهِرُ النُّفُوسِ بِوَصْفِ الشَّاكِلَةِ[1] أَحْدَثَتْ لَمْعَ بَرْقٍ سَاطِعٍ تَسْتَضِيءُ بِهِ نَوَاظِرُ الْعُقُولِ، وَتَشْرُقُ لَهُ طَبَائِعُ الْحَيَاةِ فَيَتَوَلَّدُ مِنْ ذَلِكَ الْبَرْقِ نُورٌ خَاصٌّ بِالنَّفْسِ مُتَّصِلٌ بِجَوْهَرِيَّتِهَا يُسَمَّى عِشْقًا. قَالَ الْمَأْمُونُ: يَا ثُمَامَةُ أَحْسَنْتَ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ[2].

﴿ ١٣ – عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ الدَّقَّاقِ* ﴾

علی بن عبید الله الدقیق

أَبُو الْقَاسِمِ الدَّقِيقِيُّ النَّحْوِيُّ. أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ فِي هَذَا الشَّأْنِ، أَخَذَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ وَأَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ

---

(١) لعله: «بوصف المشاكلة» (٢) وربك لا أدرى ما سبب أحسنت يا ثمامة، فانه كلام من جنس كلام الفلاسفة إذا أرادوا الاغراب ليظن الناس أن مستواهم العقلى فوق عقول السامعين «عبد الخالق»

(*) راجع بغية الوعاة

وَأَبِي الْحَسَنِ الرُّمَّانِيِّ، وَكَانَ مُبَارَكًا فِي التَّعْلِيمِ، تَخَرَّجَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ لِحُسْنِ خُلُقِهِ وَسَجَاحَةِ سِيرَتِهِ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَمَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ هِلَالُ ابْنُ الْمُحَسِّنِ فِي تَارِيخِهِ، فِي سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. وَلَهُ تَصَانِيفُ مِنْهَا: كِتَابُ شَرْحِ الْإِيضَاحِ رَأَيْتُهُ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ، وَأَنَا أَظُنُّهُ شَرْحَ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ السِّمْسِمِيِّ لِأَنَّهُ مَحْشُوٌّ بِقَوْلِهِ: قَالَ السِّمْسِمَانِيُّ. وَمَا أَدْرِي الدَّقَّاقَ مِمَّنْ أَخَذَ عَنِ السِّمْسِمَانِيِّ وَهُوَ أَكْبَرُ سِنًّا مِنْهُ، وَمَشَايِخُهُمَا وَوَفَاتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلَكِنِ اشْتَبَهَ الِاسْمُ فَنُسِبَ إِلَى هَذَا لِشُهْرَتِهِ بِالنَّحْوِ. وَلِلدَّقِيقِيِّ أَيْضًا كِتَابُ شَرْحِ الْجَرْمِيِّ كِتَابُ الْعَرُوضِ رَأَيْتُهُ، كِتَابُ الْمُقَدِّمَاتِ.

وَذَكَرَ الْقَاضِي أَبُو الْمَحَاسِنِ بْنُ مِسْعَرٍ قَالَ: أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الدَّقِيقِيُّ صَاحِبُ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الرُّمَّانِيِّ، قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ قِرَاءَةَ تَفَهُّمٍ، وَأَخَذَ بِذَلِكَ خَطَّهُ عَلَيْهِ وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهِ، وَعَنْهُ أَخَذْتُ، وَعَلَى رِوَايَتِهِ عَوَّلْتُ.

١٤ – عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ السَّمْسَمِيُّ (١) *

علي بن عبيد الله السمسمي

أَبُو الْحَسَنِ اللُّغَوِيُّ النَّحْوِيُّ . كَانَ جَيِّدَ الْمَعْرِفَةِ بِفُنُونِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ ، صَحِيحَ الْخَطِّ غَايَةً فِي إِتْقَانِ الضَّبْطِ ، قَرَأَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ وَأَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ . وَكَانَ ثِقَةً فِي رِوَايَتِهِ ، مَاتَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي خِلَافَةِ الْقَادِرِ بِاللهِ .

حَدَّثَ ابْنُ نَصْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ بُرْهَانٍ النَّحْوِيُّ قَالَ : قَالَ لَنَا أَبُو الْحَسَنِ السَّمْسَمِيُّ — وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ مَسْأَلَةً مِنْ مَسَائِلِ النَّوْكَى (٢) — وَحَضَرَ مَجْلِسَ أَبِي عُبَيْدَةَ رَجُلٌ فَقَالَ : — رَحِمَكَ اللهُ — أَبَا عُبَيْدَةَ مَا الْعَنْجِيدُ ؟ قَالَ : — رَحِمَكَ اللهُ — مَا أَعْرِفُ هَذَا ، قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ أَيْنَ يُذْهَبُ بِكَ عَنْ قَوْلِ الْأَعْشَى ؟ :

يَوْمَ تُبْدِي لَنَا قُتَيْلَةُ عَنْ جِيـ ـدٍ تَلِيعٍ يَزِينُهُ الْأَطْوَاقُ (٣)

---

(١) ضبطه ابن خلكان بكسر السين : نسبة إلى البقلة المعروفة ولم يعلل لتلك النسبة ، وقد ضبطناه بالفتح كما في الترجمة نسبة إلى سمسم التي ضبطها ياقوت في معجم البلدان بفتح أوله وثالثه (٢) النوكى : الحمق (٣) جيد تليع : عنق طويل ، والطوق : حلى العنق

(*) ترجم له في بغية الوعاة

فقال: - عافاك الله - عن حرف جاء لمعنى. والجيد: العنق.

ثم قام آخر في المجلس فقال: أبا عبيدة - رحمك الله - ما الأودع؟ قال: - عافاك الله - ما أعرفه. قال: سبحان الله أين أنت عن قول العرب زاحم بعود أودع؟ فقال: ويحك، هاتان كلمتان. والمعنى أو اتركْ أو ذر، ثم استغفر الله وجعل يدرس فقام رجل فقال: - رحمك الله - أخبرني عن كوفا، أمن المهاجرين أم من الأنصار؟ قال: قد رويت أنساب الجميع وأسماءهم ولست أعرف فيهم كوفا. قال: فأين أنت عن قوله تعالى؟: «والهدى معكوفا». قال: فأخذ أبو عبيدة نعليه واشتد ساعياً في مسجد البصرة يصيح بأعلى صوته: من أين حشرت[1] البهائم على اليوم؟. ورأيت جماعة من أهل العلم يزعمون أن النسبة إلى السمسمي والسمسماني واحد يقال هذا ويقال هذا. وكان أبو الحسن هذا مليح الخط صحيح الضبط حجة فيما يكتبه، ومن هذا البيت جماعة كتاب مجيدون نذكر منهم في مواضعهم من يقع إلينا حسب الطاقة.

---

(١) حشرت: جمعت

وَحَدَّثَ غَرْسُ النِّعْمَةِ بْنُ الصَّابِئِ فِي كِتَابِ الْهَفَوَاتِ قَالَ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ السَّمْسَمَانِيُّ مُتَطَيِّراً فَخَرَجَ يَوْمَ عِيدٍ مِنْ دَارِهِ فَلَقِيَهُ بَعْضُ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ مُهَنِّئاً : عَرَّفَ اللهُ سَيِّدَنَا الشَّيْخَ بَرَكَةَ هَذَا الْيَوْمِ فَقَالَ : وَإِيَّاكَ يَاسَيِّدِي، وَعَادَ فَأَغْلَقَ بَابَهُ وَلَمْ يَخْرُجْ يَوْمَهُ (١) . وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ الْمَنْسُوبَةَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ السَّمْسَمِيِّ :

دَعْ مُقْلَتِي تَبْكِي عَلَيْكَ بِأَرْبَعِ
إِنَّ الْبُكَاءَ شِفَاءُ قَلْبِ الْمُوجَعِ

وَدَعِ الدُّمُوعَ تَكُفُّ (٢) جَفْنِي فِي الْهَوَى
مَنْ غَابَ عَنْهُ حَبِيبُهُ لَمْ يَهْجَعِ

وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَيْكَ حَتَّى رَقَّ لِي
مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُنِي وَبَكَى مَعِي

وَوَجَدْتُ بِخَطِّ أَبِي الْحَسَنِ السَّمْسَمَانِيِّ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِ الْمُزَنِيِّ (٣) صَاحِبِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُمَا اللهُ (٤) أَنَّهُ كَانَ كَثِيراً مَا يَتَمَثَّلُ :

---

(١) لعله فهم أن من مات فى هذا اليوم كان مغفورا له . أى أنه ميت .

(٢) تكف من باب نصر لازم ومتعد ، بجفنى مفعول به . (٣) نسبة إلى مزينة كجهينة جاء فى القاموس : أن مزن كقفل : بلدة ولكن هذا ليس منها .

(٤) لعل كلمة أنه ساقطة من هذا الأصل .

يَصُونُ الْفَتَى أَثْوَابَهُ حَذَرَ الْبِلَى
وَنَفْسُكَ أَحْرَى يَافَتَى لَوْ تَصُونُهَا

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْعَاكَ بِالْغَيْبِ أَوْ يَرَى
لِنَفْسِكَ إِكْرَامًا وَأَنْتَ تُهِينُهَا ؟

قَرَأْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْخَشَّابِ النَّحْوِيِّ ، أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْزَقِيُّ الْفَرَضِيُّ ، أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ ، أَنْشَدَنَا عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِاللهِ السَّمْسَمِيُّ النَّحْوِيُّ :

أَتُرَى الْجِيرَةَ الَّذِينَ تَنَادَوْا بُكْرَةً لِلزِّيَالِ قَبْلَ الزَّوَالِ ؟
عَلِمُوا أَنَّنِي مُقِيمٌ وَقَلْبِي مَعَهُمْ رَاحِلٌ (١) أَمَامَ الْجِمَالِ
مِثْلُ صَاعِ الْعَزِيزِ فِي أَرْحُلِ الْقَوْ مِ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا فِي الرِّحَالِ

﴿ ١٥ — عَلِيُّ بْنُ عَسَاكِرَ بْنِ الْمُرَحَّبِ * ﴾

علی بن عساكر البطائحی

أَبُو الْحَسَنِ الْمُقْرِئُ النَّحْوِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِالْبَطَائِحِيِّ الضَّرِيرِ ، كَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَهُوَ مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْبَطَائِحِ تُعْرَفُ بِالْمُحَمَّدِيَّةِ قَرِيبَةٍ مِنَ الصَّلِيقِ ،

---

(١) كانت فى الأصل « واحد »

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ، وترجم له أيضا فى كتاب بغية الوعاة .

مَاتَ بِبَغْدَادَ فِي ثَامِنَ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ بَغْدَادَ وَاسْتَوْطَنَهَا إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى أَبِي الْعِزِّ الْقَلَانِسِيِّ الْوَاسِطِيِّ ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ الْبَارِعِ بْنِ الدَّبَّاسِ ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ الْمَرْزَقِيِّ ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ بِنْتِ الشَّيْخِ . وَقَرَأَ النَّحْوَ عَلَى الْبَارِعِ وَغَيْرِهِ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ جَمَاعَةٍ . وَأَقْرَأَ النَّاسَ مُدَّةً وَحَدَّثَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا . قَالَ صَدَقَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَدَّادِ فِي تَارِيخِهِ : كَانَ سَبَبُ وَفَاةِ الْبَطَائِحِيِّ أَنَّهُ ظَهَرَ بِهِ بَاصُورٌ مِمَّا يَلِي تَحْتَ كَتِفِهِ فَبَقِيَ بِهِ مُدَّةً طَوِيلَةً يَنِزُّ إِلَى خَارِجِ الْبَدَنِ ، ثُمَّ انْفَتَحَ إِلَى بَاطِنِهِ فَهَلَكَ بِهِ ، وَأَوْصَى لِطُغُنْدِيِّ صَاحِبِهِ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وَيَقْرُبُهُ مِنْ جِهَةِ النِّسَاءِ بِثُلُثِ مَالِهِ ، وَوَقَفَ كُتُبَهُ عَلَى مَدْرَسَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلِيِّ ، وَخَلَّفَ مِقْدَارَ أَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ وَدَارًا فِي دَارِ الْخِلَافَةِ .

﴿ ١٦ – عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ * ﴾

على بن على البرق

أَبُو الْحَسَنِ الْبَرْقِيُّ . قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْفَضْلِ الْمَقْدِسِيُّ : فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ مَاتَ عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ أَبُو الْحَسَنِ الْبَرْقِيُّ النَّحْوِيُّ الشَّاعِرُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَيْرَ ذَلِكَ .

﴿ ١٧ – عَلِيُّ بْنُ عَرَّاقٍ الصَّنَّارِيُّ * ﴾

على بن عراق الصنارى

أَبُو الْحَسَنِ الْخُوَارِزْمِيُّ ، مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ بِمُذَانَةَ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى خُوَارِزْمَ ، ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو مُحَمَّدٍ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَرْسَلَانَ فِي تَارِيخِ خُوَارِزْمَ وَقَالَ : كَانَ نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا عَرُوضِيًّا فَقِيهًا مُفَسِّرًا مَذْكُورًا ، قَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ الضَّرِيرِ النَّيْسَابُورِيِّ ، وَالْفِقْهَ بِخُوَارِزْمَ عَلَى الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْوَبَرِيِّ ، ثُمَّ ٱرْتَحَلَ فِي الْفِقْهِ إِلَى بُخَارَى فَتَفَقَّهَ بِهَا عَلَى مَشَايِخِهَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى جُرْجَانِيَّةِ خُوَارِزْمَ فَتَكَلَّمَ فِي مَسَائِلَ مَعَ أَئِمَّتِهَا ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى قَرْيَةِ مُذَانَةَ وَتَوَطَّنَهَا ، وَكَانَ يَعِظُ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِهَا غَدَاةَ الْجُمْعَةِ ،

(*) راجع بغية الوعاة

(*) راجع بغية الوعاة

وَكَانَ يَحْفَظُ اللُّغَاتِ الْغَرِيبَةَ [١] وَالْأَشْعَارَ الْعَوِيصَةَ، وَصَنَّفَ كِتَابَ شَمَارِيخِ الدُّرَرِ فِى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ كَتَبَ فِى آخِرِهِ :

فَرَغْنَا مِنْ كِتَابَتِهِ عَشِيًّا وَكَانَ اللهُ فِى عَوْنِى وَلِيًّا
وَقَدْ أَدْرَجْتُهُ نُكَتًا حِسَانًا وَمَعْنًى يُشْبِهُ الرُّطَبَ الْجَنِيًّا

قَالَ : وَقَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِى عَمْرٍو الْبَقَّالِ : كَانَ مِنْ لَطَائِفِ الصَّنَّارِىِّ إِذَا نَامَ وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ الرُّسْتَاقِ فِى مَجْلِسِهِ نَادَاهُ مِنْ عَلَى الْمِنْبَرِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَأَيُّهَا التَّيْسُ الْمُذَانِىُّ، اتْرُكِ الْمَنَامَ وَاسْمَعِ الْكَلَامَ، ثُمَّ يُنْشِدُهُ :

وَصَاحِبٍ نَبَّهْتُهُ لِيَنْهَضَا إِذَا الْكَرَى فِى عَيْنِهِ تَمَضْمَضَا
فَقَامَ عَجْلَانَ [٢] وَمَا تَأَرَّضَا [٣] وَتَمَّ [٤] بِالْكَفَّيْنِ وَجْهًا أَبْيَضَا

ثُمَّ يَقُولُ تَمَضْمَضَ مِنَ النُّعَاسِ : إِذَا دَبَّ فِى عَيْنِهِ، وَمِنْهُ الْمَضْمَضَةُ فِى الْوُضُوءِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْغَاسِلَ يُمَضْمِضُ الْمَاءَ فِى فَمِهِ : أَىْ يُدِيرُهُ وَيُجْرِيهِ [٥] فِيهِ .

---

(١) فى الأصل : « العربية » (٢) العجلان : السريع (٣) تأرض : تثاقل إلى الأرض . (٤) تم الشىء كنصر : أصلحه ، وقد ظن الناشر الأول أنها ثم العاطفة ، فجعل بعدها مسح ولا حاجة إلى ذلك (٥) كانت فى الأصل « يدبها ويجربها » وهو تصحيف أصلح بما ذكر

١٨ – عَلِيُّ بْنُ عِيسَى أَبُو الْحَسَنِ الصَّائِغُ *

على بن عيسى الصائغ

النَّحْوِيُّ الرَّامَهُرْمُزِيُّ ، قَالَ الْقَاضِى أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ : حَدَّثَنِى أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصٍ الْخَلَّالُ قَالَ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الصَّائِغُ النَّحْوِيُّ الرَّامَهُرْمُزِيُّ وَاسِعَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ مَلِيحَ الشِّعْرِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ الَّتِى أَوَّلُهَا « سقط من الأصل » وَفِيهَا تَجَوُّزٌ كَثِيرٌ وَأَمْرٌ بِخِلَافِ الْجَمِيلِ قَالَهَا عَلَى طَرِيقِ التَّخَالُعِ وَالتَّطَايُبِ ، وَكَانَ صَالِحاً مُعْتَقِداً لِلْحَقِّ لَا عَنِ اتِّسَاعٍ فِى الْعِلْمِ - يَعْنِى عِلْمَ الْكَلَامِ - وَلَكِنَّهُ كَانَ وَاسِعَ الْمَعْرِفَةِ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ ، وَأَبُو الْحَسَنِ الصَّائِغُ هَذَا هُوَ أُسْتَاذُ أَبِى هَاشِمِ بْنِ أَبِى عَلِيٍّ الْجُبَّائِيِّ بَعْدَ أَبِى بَكْرٍ الْمَبْرَمَانِ فِى النَّحْوِ ، قَرَأَ عَلَيْهِ لَمَّا وَرَدَ الْبَصْرَةَ وَاسْتَفَادَ مِنْهُ حَتَّى بَلَغَ أَعْلَى مَرَاتِبِ النَّحْوِ حَتَّى قَالَ ابْنُ دَرَسْتَوَيْهِ : اجْتَمَعْتُ مَعَ أَبِى هَاشِمٍ فَأَلْقَى إِلَيَّ بِمِائَتَىْ مَسْأَلَةٍ مِنْ غَرِيبِ النَّحْوِ مَا سَمِعْتُ بِهَا قَطُّ وَلَا كُنْتُ أَحْفَظُ جَوَابَهَا ، وَقَدْ ذَكَرْتُ قِصَّتَهُ مَعَ

(*) راجع بغية الوعاة

أَبِى هَاشِمٍ بِكَمَالِهَا فِى تَرْجَمَةِ أَبِى هَاشِمٍ عَبْدِ السَّلَامِ .

وَقَالَ أَبُو عُمَرَ الْخَلَّالُ : أَنْفَذَ بِى الصَّيْدَلَانِىُّ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُعْتَزِلِىُّ غُلَامُ أَبِى عَلِىٍّ الْجُبَّائِىِّ إِلَى أَبِى الْحَسَنِ الرَّامَهُرْمُزِىِّ وَقَالَ لِى : قُلْ لَهُ : إِنِّى قَرَأْتُ الْبَارِحَةَ فِى كِتَابِ شَيْخِنَا أَبِى عَلِىٍّ فِى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا » أَىْ بَيَّنَّا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوَّهُ ، فَجَعَلَ جَعَلَ بِمَعْنَى بَيَّنَ . وَلَسْتُ أَعْرِفُ هَذَا فِى اللُّغَةِ ، فَاحْفَظْ جَوَابَهُ وَجِئْنِى بِهِ . قَالَ : فَجِئْتُ إِلَى أَبِى الْحَسَنِ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ : نَعَمْ ، هَذَا مَعْرُوفٌ فِى لُغَةِ الْعَرَبِ .
وَقَدْ قَالَ الْعَرِيفُ الْعَنْسِىُّ « بِالنُّونِ » :

جَعَلْنَا لَهُمْ نَهْجَ الطَّرِيقِ فَأَصْبَحُوا
عَلَى ثَبَتٍ[1] مِنْ أَمْرِهِمْ حَيْثُ يَمَّمُوا

قَالَ : فَعُدْتُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَعَرَّفْتُهُ ذَلِكَ . « قُلْتُ هَكَذَا وَجَدْتُ هَذَا الْخَبَرَ ، وَالْكَلِمَةُ الْمَسْئُولُ عَنْهَا غَيْرُ مُبَيَّنَةٍ ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَلَهُ أَنْ يُصْلِحَهَا »[2] .

---

(١) الثبت : البرهان والحجة (٢) قال الناشر : يظهر أن جعل الثانية من قوله : فجعل جعل ، كانت قد سقطت من الأصل الذى بين يدى المؤلف .

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي القَاسِمِ عَبْدِ الْمَجِيدِ ابْنِ بُشْرَانَ الْخُوزِسْتَانِيُّ : وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ مَاتَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الصَّائِغُ الرَّامَهُرْمُزِيُّ الشَّاعِرُ ، وَقَدْ كَانَ شَخَصَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْمِسْمَعِيِّ ، ثُمَّ عَدَلَ إِلَى دَرْكٍ بِسِيرَافَ ، فَخَرَجَ مَعَ دَرْكٍ فِي هَيْجٍ كَانَ مِنَ الْعَامَّةِ بِهَا ، وَقَدْ رَمَوْهُ بِالْمَقَالِيعِ فَأَصَابَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى حَجَرٌ فَهَلَكَ ، وَكَانَ شَاعِراً عَالِماً . فَمِنْ شِعْرِهِ :

سُهَادِي غَيْرُ مَفْقُودِ ... وَنَوْمِي غَيْرُ مَوْجُودِ
وَجَرْيُ الدَّمْعِ فِي الْخَدِّ ... كَنَظْمِ الدُّرِّ فِي الْجِيدِ
لِفِعْلِ الشَّيْبِ فِي اللِّمَّـ ... ـةِ لَا لِلْخُرَّدِ الْغِيدِ (١)
لَقَدْ صَارَ بِيَ الشَّيْبُ ... إِلَى لَوْمٍ وَتَفْنِيدِ (٢)
وَمَا الْمَرْءُ إِذَا شَابَ ... لَدَيْهِنَّ بِمَوْدُودِ (٣)

وَهِيَ طَوِيلَةٌ مَدَحَ فِيهَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَكَانَ لَهُمْ مَدَّاحاً .

---

(١) يريد أن سهاده ودمعه إنما كان لشيب لمته لا من أجل النساء (٢) التفنيد مصدر فنده : أى كذبه وعجزه وخطأ رأيه (٣) وهذا شعر سقيم ولا أدرى مابقية الشعر والحمد لله

« عبد الخالق »

﴿ ١٩ – عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ ﴾

علي بن عيسى بن الجراح

أَبو الْحَسَنِ الْوَزِيرُ . كَانَتْ مَنْزِلَتُهُ مِنَ الرِّيَاسَةِ وَمَعْرِفَتُهُ بِالْعَدْلِ وَالسِّيَاسَةِ تَجِلُّ عَنْ وَصْفِهَا ، وَمِنْ حُسْنِ الصِّنَاعَةِ وَالْكِفَايَةِ مَاهُوَ مَشْهُورٌ مَذْكُورٌ ، وَزَرَ لِلْمُقْتَدِرِ بِاللهِ دَفْعَتَيْنِ ، وَمَاتَ فِي لَيْلَةِ الْيَوْمِ الَّذِي عَبَرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ فِي صَبِيحَتِهِ إِلَى بَغْدَادَ ، وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ انْتِصَافَ اللَّيْلِ مِنْ سَلْخِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ فِي دَارِهِ وَعُمْرُهُ تِسْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَنِصْفٌ ، وَحُمَّ يَوْماً وَاحِداً ، وَمَوْلِدُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَلَهُ كِتَابُ جَامِعِ الدُّعَاءِ ، كِتَابُ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ ، أَعَانَهُ عَلَيْهِ أَبُو الْحُسَيْنِ الْوَاسِطِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ ، كِتَابُ رَسَائِلِهِ .
كَانَ تَقَلُّدُهُ لِلْوِزَارَةِ الْأُولَى فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَبَقِيَ فِيهَا أَرْبَعَ سِنِينَ غَيْرَ شَهْرٍ ، وَالْأُخْرَى فِي صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَبَقِيَ فِيهَا سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَيَوْمَيْنِ ، وَكَانَ يَسْتَغِلُّ ضِيَاعَهُ فِي السَّنَةِ بِسَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، يُخْرِجُ مِنْهَا فِي وُجُوهِ الْبِرِّ سِتِّينَ وَسِتَّمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ،

ترجم له في طبقات المفسرين صفحة ١٧٦

وَيُنفِقُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى خَاصَّتِهِ ، وَكَانَتْ غَلَّتُهُ عِنْدَ عُطْلَتِهِ وَلُزُومِهِ بَيْتَهُ نَيِّفاً وَثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، يُخْرِجُ مِنْهَا فِي وُجُوهِ الْبِرِّ نَيِّفاً وَأَرْبَعِينَ أَلْفاً ، وَيُنْفِقُ ثَلاثِينَ أَلْفاً عَلَى نَفْسِهِ ، وَكَانَ يَرْتَفِعُ لِابْنِ الفُرَاتِ وَهُوَ مُتَعَطِّلٌ أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ . قَالَ : الصُّولِيُّ وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ وَزَرَ لِبَنِي الْعَبَّاسِ وَزِيرٌ يُشْبِهُهُ فِي زُهْدِهِ وَعِفَّتِهِ وَحِفْظِهِ لِلْقُرْآنِ وَعِلْمِهِ بِمَعَانِيهِ ، وَكَانَ يَصُومُ نَهَارَهُ وَيَقُومُ لَيْلَهُ .

قَالَ الصُّولِيُّ : وَلَا أَعْلَمُ أَنِّي خَاطَبْتُ أَحَداً أَعْرَفَ مِنْهُ بِالشِّعْرِ ، وَكَانَ يُوَقِّعُ بِيَدِهِ فِي جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ يُوَقِّعُ فِيهِ أَصْحَابُ الدَّوَاوِينِ فِي وِزَارَتِهِ ، فَسَأَلْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ طُومَارَ الْهَاشِمِيَّ عَنِ السَّبَبِ فَقَالَ : قَدِ اقْتَصَرَ فِي نَفَقَتِهِ وَأَجْرَى الْفَاضِلَ عَلَى أَوْلَادِ الصَّحَابَةِ بِالْمَدِينَةِ ، وَجَلَسَ لِلْمَظَالِمِ فَأَنْصَفَ النَّاسَ وَأَخَذَ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ ، وَتَنَاصَفَ النَّاسُ بَيْنَهُمْ ، وَلَمْ يَرَوْا أَعَفَّ بَطْناً وَلِسَاناً وَفَرْجاً مِنْهُ ، وَلَمَّا عُزِلَ فِي وِزَارَتِهِ الثَّانِيَةِ وَوَلِيَ ابْنُ الْفُرَاتِ لَمْ يَقْنَعِ الْمُحَسِّنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفُرَاتِ إِلَّا بِإِخْرَاجِهِ عَنْ بَغْدَادَ ، فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ فَأَقَامَ بِهَا مُهَاجِراً وَقَالَ فِي نَكْبَتِهِ :

وَمَنْ يَكُ عَنِّي سَائِلاً لِشَمَاتَةٍ لِمَا نَابَنِي أَوْشَامِتاً غيرَ سَائِلِ

فَقَدْ أَبْرَزَتْ مِنِّي الْخُطُوبُ ابْنَ حُرَّةٍ

صَبُوراً عَلَى أَهْوَالِ تِلْكَ الزَّلَازِلِ

إِذَا سُرَّ لَمْ يَبْطَرْ وَلَيْسَ لِنَكْبَةٍ

إِذَا نَزَلَتْ بِالْخَاشِعِ الْمُتَضَائِلِ

وَلَمَّا جلسَ كَانَ يَلْبَسُ ثِيَابَهُ وَيَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ وَيَقُومُ لِيَخْرُجَ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فَيَرُدُّهُ الْمُتَوَكِّلُونَ فَيَرْفَعُ يَدَهُ إِلَى السَّماءِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ أُشْهِدُكَ أَنِّي أُرِيدُ طَاعَتَكَ وَيَمْنَعُنِي هَؤُلَاءِ، وَأَشَارَ عَلَى الْمُقْتَدِرِ أَنْ يَقِفَ الْعَقَارَ بِبَغْدَادَ عَلَى الْحَرَمَيْنِ وَالثُّغُورِ، وَغَلَّتُهَا ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ، وَالضِّيَاعَ الْمَوْرُوثَةَ بِالسَّوَادِ وَارْتِفَاعُهَا نَيِّفٌ وَثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ سِوَى الْغَلَّةِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ الشُّهُودَ، وَأَفْرَدَ لِهَذِهِ الْوُقُوفِ دِيوَاناً سَمَّاهُ دِيوَانَ الْبِرِّ.

وَرَأَى آثَارَ سَعْيِهِ لِآخِرَتِهِ فِي دُنْيَاهُ، فَإِنَّهُ سَلِمَ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَاءِ عَلَى كَثْرَةِ مَنْ عَادَاهُ وَقَصَدَهُ، وَمَنَعَ حَوَاشِيَ الْمُقْتَدِرِ مِنَ الْمُحَالَاتِ وَحَمَلَهُمْ عَلَى السِّيرَةِ

الْحَمِيدَةِ ، فَأَفْسَدُوا أَمْرَهُ حَتَّى اعْتُقِلَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، ثُمَّ نُفِيَ إِلَى مَكَّةَ وَالْيَمَنِ وَمِصْرَ ، ثُمَّ عَادَ وَوَزَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَاحْتَاجَ إِلَى الْمَشْيِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَجَعَلَ يَتَمَثَّلُ :

قَدْ عَلِمَتْ إِخْوَتُنَا كِلَابُ أَنَّا عَلَى دِقَّتِنَا صِلَابُ

وَكَانَ الدَّيْلَمُ عِنْدَ دُخُولِهِمْ إِلَى بَغْدَادَ إِذَا اجْتَازُوا عَلَى مَحَلَّتِهِ تَجَنَّبُوهَا وَيَقُولُونَ : هَا هُنَا دَارُ الْوَزِيرِ الصَّالِحِ ، وَكَانَتْ دَارُهُ عَلَى دِجْلَةَ وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالسِّتِّينِيِّ ، وَاحْتَاجَتْ مُسَنَّاتُهَا[1] إِلَى مَرَمَّةٍ فَقَدَّرُوا لَهَا[2] صُنَّاعُهَا ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، فَلَمَّا أَحْضَرَ الدَّنَانِيرَ قَالَ : صَرْفُهَا إِلَى الصَّدَقَةِ أَوْلَى ، فَلَيْسَ الْيَوْمَ عَلَى دِجْلَةَ بَيْنَ الْبَلَدِ وَالْمُعِزِّيَّةِ غَيْرُهَا وَهِيَ مَشْهُورَةٌ بِبَغْدَادَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا . قَدْ عُمِلَ عَلَيْهَا عِدَّةُ دَوَالِيبَ لِسَقْيِ مَزَارِعِ الزَّاهِرِ ، وَنَزَلَ يَوْمًا فِي طَيَّارَةٍ فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ قَوْمٌ يَسْأَلُونَهُ تَوْقِيعًا فَقَالَ : نَعَمْ وَكَرَامَةً حَتَّى أَرْجِعَ وَأُوَقِّعَ ، ثُمَّ قَالَ : وَمَنْ لِي بِأَنْ أَرْجِعَ ؟ وَوَقَّعَ لَهُمْ قَائِمًا ثُمَّ قَالَ : اقْتَدَيْتُ

---

(١) المسناة فى القاموس : أنها العرم وفسر العرم فى بابه بأنه سد يعترض به الوادى .   (٢) كان المناسب على اللغة الفصحى أن يقول : فقدر لها صناعها .

فى هَذَا الفِعلِ بِعُمَرَ بْنِ عبدِ العَزِيزِ ، فإِنَّهُ وَقَفَ عَلَى مُتَظَلِّمٍ وَأَطَالَ الْوُقُوفَ حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُ وَقَالَ : إِنَّ الْخَيْرَ سَرِيعُ الذَّهَابِ ، وَخَشِيتُ أَنْ أُفَوِّتَهُ نَفْسِى .

وَلَمَّا وَرَدَ الْبَرِيدِىُّ إِلَى بَغْدَادَ مُسْتَوْلِياً عَلَيْهَا مُتَغَلِّباً خُوِّفَ مِنْهُ وَقِيلَ : الصَّوَابُ أَنْ تَهْرُبَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَقَالَ : أَيَهْرُبُ مَخْلُوقٌ إِلَى مَخْلُوقٍ ؟ اُصْرِفُوا مَا أَعْدَدْتُهُ لِنَفَقَةِ الطَّرِيقِ إِلَى الفُقَرَاءِ .

فَلَمَّا دَخَلَ الْبَرِيدِىُّ لَمْ يُكْرِمْ أَحَدًا غَيْرَهُ ، وَكَثُرَ الْمَوَتَانُ بِبَغْدَادَ فِى أَيَّامِ الْبَرِيدِىِّ ، فَكَفَّنَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى مِنَ الْغُرَبَاءِ وَالْفُقَرَاءِ مَالَا يُحْصَى كَثْرَةً ، حَتَّى نَفِدَ مَا كَانَ عِنْدَهُ فَاسْتَدَانَ لِذَلِكَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، وَكَانَ يُجْرِى عَلَى خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ جِرَايَاتٍ تَكْفِيهِمْ ، وَخَدَمَ السُّلْطَانَ سَبْعِينَ سَنَةً لَمْ يُزِلْ فِيهَا نِعْمَةً عَنْ أَحَدٍ ، وَأُحْصِىَ لَهُ فِى أَيَّامِ وِزَارَتِهِ نَيِّفٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ تَوْقِيعٍ مِنْ الْكَلَامِ السَّدِيدِ ، وَلَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا وَلَا سَعَى فِى دَمِهِ ، فَبَقِيَتْ عَلَيْهِ نِعْمَتُهُ وَعَلَى وَلَدِهِ بَعْدَ أَنْ شُحِذَتْ لَهُ الْمُدَى مِرَارًا ،

فَدَفَعَ اللهُ عَنْهُ وَأَهْلَكَ ظَالِمَهُ ، وَلَمْ يَهْتِكْ حُرْمَةً قَطُّ لِأَحَدٍ فَلَمْ يَهْتِكِ اللهُ لَهُ حُرْمَةً مَعَ كَثْرَةِ نَكَبَاتِهِ ، وَكَانَ عَلَى خَاتَمِهِ مَكْتُوبٌ :

لِلّٰهِ صُنْعٌ خَفِيٌّ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُخَافُ

وَكَانَ لَهُ ابْنٌ يُكْنَى أَبَا نَصْرٍ وَاسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَزَرَ لِلْمُطِيعِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ ، وَمَاتَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فَجْأَةً . وَابْنٌ يُكْنَى أَبَا الْقَاسِمِ وَاسْمُهُ عِيسَى بْنُ عَلِيٍّ كَتَبَ لِلطَّائِعِ لِلّٰهِ .

وَدَخَلَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى عَلَى أَبِي نَصْرٍ وَأَبِي مُحَمَّدٍ وَلَدَيِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ عُمَرَ بْنِ أَبِي عُمَرَ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ يُعَزِّيهِمَا بِمَوْتِ أَبِيهِمَا ، فَلَمَّا أَرَادَ الِانْصِرَافَ الْتَفَتَ إِلَيْهِمَا وَقَالَ : مُصِيبَةٌ قَدْ وَجَبَ أَجْرُهَا ، خَيْرٌ مِنْ نِعْمَةٍ لَا يُؤَدَّى شُكْرُهَا . وَهٰذَا عِنْدِي مِنْ حُرِّ الْكَلَامِ وَفَصْلِ الْخِطَابِ .

﴿ ٢٠ — عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الرُّمَّانِيُّ * ﴾

على بن عيسى الرماني

أَبُو الْحَسَنِ الْوَرَّاقُ ، كَذَا قَالَ الزُّبَيْدِيُّ . وَقَالَ

---

* ترجم له فى كتاب طبقات المفسرين ، وترجم له فى كتاب بغية الوعاة .

التَّنُوخِيُّ : هُوَ يُعْرَفُ بِالْإِخْشِيدِيِّ . قَالَ التَّنُوخِيُّ : وَمِمَّنْ ذَهَبَ فِي زَمَانِنَا إِلَى أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ : أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى النَّحْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الرُّمَّانِيِّ الْإِخْشِيدِيُّ . قَالَ الْمُؤَلِّفُ : أَرَى أَنَّهُ كَانَ تِلْمِيذَ ابْنِ الْإِخْشِيدِ الْمُتَكَلِّمِ أَوْ عَلَى مَذْهَبِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ مُتَكَلِّمًا عَلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَلَهُ مِنْ ذَلِكَ تَصَانِيفُ مَأْثُورَةٌ ، وَكَانَ إِمَامًا فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَّامَةً فِي الْأَدَبِ ، فِي طَبَقَةِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ وَأَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ . وَكَانَ قَدْ شَهِدَ[1] عِنْدَ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مَعْرُوفٍ . مَاتَ فِي حَادِي عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي خِلَافَةِ الْقَادِرِ بِاللهِ . وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ . أَخَذَ عَنِ ابْنِ السَّرَّاجِ وَابْنِ دُرَيْدٍ وَالزَّجَّاجِ . وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي جَمِيعِ الْعُلُومِ مِنَ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالنُّجُومِ وَالْفِقْهِ وَالْكَلَامِ عَلَى رَأْيِ الْمُعْتَزِلَةِ كَمَا ذَكَرْنَا ، وَكَانَ يَمْزُجُ كَلَامَهُ فِي النَّحْوِ بِالْمَنْطِقِ حَتَّى قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ : إِنْ كَانَ النَّحْوُ

(١) شهد : حضر

مَا يَقُولُهُ الرُّمَّانِيُّ فَلَيْسَ مَعَنا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ كَانَ النَّحْوُ مَا نَقُولُهُ نَحْنُ فَلَيْسَ مَعَهُ مِنْهُ شَيْءٌ. وَكَانَ يُقَالُ: النَّحْوِيُّونَ فِي زَمَانِنَا ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ لَا يُفْهَمُ كَلَامُهُ وَهُوَ الرُّمَّانِيُّ، وَوَاحِدٌ يُفْهَمُ بَعْضُ كَلَامِهِ وَهُوَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ، وَوَاحِدٌ يُفْهَمُ جَمِيعُ كَلَامِهِ بِلَا أُسْتَاذٍ وَهُوَ السِّيرَافِيُّ.

وَلِلرُّمَّانِيِّ مِنَ التَّصَانِيفِ الْأَدَبِيَّةِ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، كِتَابُ الْحُدُودِ الْأَكْبَرُ، كِتَابُ الْحُدُودِ الْأَصْغَرُ، كِتَابُ مَعَانِي الْحُرُوفِ، كِتَابُ شَرْحِ الصِّفَاتِ، كِتَابُ شَرْحِ الْمُوجَزِ لِابْنِ السَّرَّاجِ، كِتَابُ شَرْحِ الْأَلِفِ وَاللَّامِ لِلْمَازِنِيِّ، كِتَابُ شَرْحِ مُخْتَصَرِ الْجَرْمِيِّ، كِتَابُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، كِتَابُ شَرْحِ أُصُولِ ابْنِ السَّرَّاجِ، كِتَابُ شَرْحِ سِيبَوَيْهِ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الْمُفْرَدَاتِ مِنْ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ، كِتَابُ شَرْحِ الْمَدْخَلِ لِلْمُبَرِّدِ، كِتَابُ التَّصْرِيفِ، كِتَابُ الْهِجَاءِ، كِتَابُ الْإِيجَازِ فِي النَّحْوِ، كِتَابُ الِاشْتِقَاقِ الْكَبِيرُ، كِتَابُ الِاشْتِقَاقِ الصَّغِيرُ، كِتَابُ الْأَلِفَاتِ فِي الْقُرْآنِ، كِتَابُ شَرْحِ الْمُقْتَضَبِ، كِتَابُ شَرْحِ مَعَانِي الزَّجَّاجِ.

قرأت بخط أبي حيان التوحيدي في كتابه الذي ألفه في تقريظ الجاحظ — وقد ذكر العلماء الذين كانوا يفضلون الجاحظ — فقال: ومنهم علي بن عيسى الرماني فإنه لم ير مثله قط بلا تقية ولا تحاش ولا اشمئزاز ولا استيحاش علما بالنحو، وغزارة في الكلام وبصرا بالمقالات، واستخراجا للعويص وإيضاحا للمشكل، مع تأله وتنزه ودين ويقين وفصاحة، وفقاهة وعفافة ونظافة.

وقرأت بخط أبي سعد: سمعت أبا طاهر السنجي، سمعت أبا الكرم بن الفاخر النحوي، سمعت القاضي أبا القاسم علي بن المحسن التنوخي، سمعت شيخنا أبا الحسن علي ابن عيسى الرماني النحوي يقول وقد سئل، فقيل له: لكل كتاب ترجمة، فما ترجمة كتاب الله عز وجل؟ فقال: «هذا بلاغ للناس ولينذروا به».

وقال أبو حيان: سمعت علي بن عيسى يقول لبعض أصحابه: لا تعادين أحدا وإن ظننت أنه لن ينفعك، فإنك لا تدري متى تخاف عدوك أو تحتاج إليه؟ ومتى

تَرْجُو صَدِيقَكَ أَوْ تَسْتَغْنِي عَنْهُ ؟ وَإِذَا اعْتَذَرَ إِلَيْكَ عَدُوُّكَ فَاقْبَلْ عُذْرَهُ ، وَلْيَقِلَّ عَيْبُهُ عَلَى لِسَانِكَ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَرَأَيْتُ فِي مَجْلِسِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى النَّحْوِيِّ رَجُلًا مِنْ مَرْوَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ مَنْ وَمَا ، وَمِنْ وَمِمَّ ، فَأَوْسَعَ لَهُ الْكَلَامَ وَبَيَّنَ ، وَقَسَّمَ وَفَرَّقَ ، وَحَدَّ وَمَثَّلَ ، وَعَلَّقَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ بِشَرْطِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ فَهِمَ السَّائِلُ أَوْ تَصَوَّرَ ، وَسَأَلَ إِعَادَتَهُ عَلَيْهِ وَإِبَانَتَهُ لَهُ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ حَتَّى أَضْجَرَهُ ، وَمِنْ حَدِّ الْحِلْمِ أَخْرَجَهُ . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، يَلْزَمُنِي أَنْ أُبَيِّنَ لِلنَّاسِ وَأُصَوِّرَ لِمَنْ لَيْسَ بِنَاعِسٍ ، وَمَا عَلَيَّ أَنْ أُفْهِمَ الْبُهْمَ وَالشُّقْرَ وَالدُّهْمَ ، مِثْلُكَ لَا يَتَصَوَّرُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ وَهَذِهِ الْأَمْثِلَةِ ، فَإِنْ أَرَحْتَنَا وَنَفْسَكَ فَذَاكَ ، وَإِلَّا فَقَدْ حَصَلْنَا مَعَكَ عَلَى الْهَلَاكِ ، قُمْ إِلَى مَجْلِسٍ آخَرَ وَوَقْتٍ غَيْرِ هَذَا . فَأَسْمَعَهُ الرَّجُلُ مَا سَاءَ الْجَمَاعَةَ ، وَعَادَ بِالْوَهْنِ وَالْغَضَاضَةِ ، وَوَثَبَ النَّاسُ لِضَرْبِهِ وَسَحْبِهِ ، فَمَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ مَنْعٍ بَعْدَ قِيَامِهِ مِنْ صَدْرِ مَجْلِسِهِ وَدَفْعِ النَّاسِ عَنْهُ ، وَأَخْرَجَهُ صَاغِرًا

ذَلِيلًا مَهِينًا وَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الدَّقَّاقِ وَقَالَ لَهُ : مَتَى رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا فَلَا يَكُونَنَّ مِنْكَ إِلَّا التُّؤَدَةُ وَالِاحْتِمَالُ ، وَإِلَّا فَتَصِيرُ نَظِيرًا لِخَصْمِكَ ، وَتَعْدَمُ فِي الْوَسَطِ فَضْلَ التَّمْيِيزِ . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ هَجَا نُمَيْرًا ... وَلَمْ يَسْمَعْ لِشَاعِرِهَا جَوَابَا
رَغِبْنَا عَنْ هِجَاءِ بَنِي كُلَيْبٍ ... وَكَيْفَ يُشَاتِمُ النَّاسُ الْكِلَابَا ؟

﴿ ٢١ — عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ الْفَرَجِ بْنِ صَالِحٍ الرَّبَعِيُّ * ﴾

علي بن عيسى الربعي

الزُّهَيْرِيُّ أَبُو الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ ، أَحَدُ أَئِمَّةِ النَّحْوِيِّينَ وَحُذَّاقِهِمْ ، الْجَيِّدُ النَّظَرِ الدَّقِيقُ الْفَهْمِ وَالْقِيَاسِ ، أَخَذَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ وَهَاجَرَ إِلَى شِيرَازَ فَأَخَذَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ وَلَازَمَهُ عِشْرِينَ سَنَةً ، فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : مَا بَقِيَ شَيْءٌ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَلَوْ سِرْتَ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ لَمْ تَجِدْ أَعْرَفَ مِنْكَ بِالنَّحْوِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ عَنْ نَيِّفٍ وَتِسْعِينَ

(*) ترجم له في كتاب أنباه الرواة ، وترجم له في كتاب بغية الوعاة

سَنَةً ، وَصَنَّفَ تَصَانِيفَ مِنْهَا : كِتَابُ شَرْحِ الْإِيضَاحِ لِأَبِي عَلِيٍّ ، كِتَابُ شَرْحِ مُخْتَصَرِ الْجَرْمِيِّ ، كِتَابُ الْبَدِيعِ فِي النَّحْوِ ، كِتَابُ شَرْحِ الْبُلْغَةِ ، كِتَابُ مَا جَاءَ مِنَ الْمَبْنِيِّ عَلَى فَعَالِ ، كِتَابُ التَّنْبِيهِ عَلَى خَطَإِ ابْنِ جِنِّيٍّ فِي تَفْسِيرِ شِعْرِ الْمُتَنَبِّي ، كِتَابُ شَرْحِ سِيبَوَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ غَسَلَهُ ، وَذَاكَ أَنَّ أَحَدَ بَنِي رِضْوَانَ التَّاجِرِ نَازَعَهُ فِي مَسْأَلَةٍ فَقَامَ مُغْضَباً وَأَخَذَ شَرْحَ سِيبَوَيْهِ وَجَعَلَهُ فِي إِجَّانَةٍ[1] وَصَبَّ عَلَيْهِ الْمَاءَ وَغَسَلَهُ ، وَجَعَلَ يَلْطِمُ بِهِ الْحِيطَانَ وَيَقُولُ : لَا أَجْعَلُ أَوْلَادَ الْبَقَّالِينَ نُحَاةً . وَكَانَ مُبْتَلًى بِقَتْلِ الْكِلَابِ وَكَسْرِ سُوقِهِمْ[2] وَيَقُولُ : مَا الَّذِي يَمْنَعُهُمْ مِنْ نُزُولِ الشَّطِّ ؟ فَقِيلَ لَهُ : يَمْنَعُهُمْ كِلَابُ الْقَصَّابِينَ .

وَسَأَلَ يَوْماً أَوْلَادَ الْأَكَابِرِ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ مَجْلِسَهُ أَنْ يَمْضُوا مَعَهُ إِلَى كَلْوَاذَى فَظَنُّوا ذَلِكَ لِحَاجَةٍ عَرَضَتْ لَهُ هُنَاكَ ، فَرَكِبُوا خُيُولًا وَجَعَلَ هُوَ يَمْشِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَسَأَلُوهُ الرُّكُوبَ فَأَبَى عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا صَارَ بِخَرَابِهَا وَقَفَهُمْ عَلَى ثَلْمٍ[3]

(١) الاجانة : إناء تغسل فيه الثياب (٢) كانت فى الأصل « بوقهم »
(٣) الثلم : الخلل فى الحائط

وَأَخَذَ كِسَاءً وَعَصاً، وَمَا زَالَ يَعْدُو إِلَى كَلْبٍ هُنَاكَ وَالْكَلْبُ يَثِبُ عَلَيْهِ تَارَةً وَيَهْرُبُ مِنْهُ أُخْرَى حَتَّى أَعْيَاه، وَعَاوَنُوهُ حَتَّى أَمْسَكُوهُ وَعَضَّ عَلَى الْكَلْبِ بِأَسْنَانِهِ عَضًّا شَدِيداً وَالْكَلْبُ يَسْتَغِيثُ وَيَزْعَقُ، فَمَا تَرَكَهُ حَتَّى اشْتَفَى وَقَالَ: هٰذَا عَضَّنِي مُنْذُ أَيَّامٍ وَأُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَ قَوْلَ الْأَوَّلِ:

شَاتَمَنِي كَلْبُ بَنِي مِسْمَعٍ فَصُنْتُ عَنْهُ النَّفْسَ وَالْعِرْضَا
وَلَمْ أُجِبْهُ لِاحْتِقَارِي لَهُ مَنْ ذَا يَعَضُّ الْكَلْبَ إِنْ عَضَّا؟

وَكَانَ يَوْماً يَمْشِي عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ وَالرَّضِيُّ وَالْمُرْتَضَى الْعَلَوِيَّانِ فِي زَبْزَبٍ [1] وَمَعَهُمَا أَبُو الْفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّيٍّ فَقَالَ لَهُمَا: مِنْ أَعْجَبِ أَحْوَالِ الشَّرِيفَيْنِ أَنْ يَكُونَ عُثْمَانُ جَالِساً مَعَهُمَا فِي الزَّبْزَبِ وَعَلِيٌّ يَمْشِي عَلَى الشَّطِّ بَعِيدًا مِنْهُمَا.

حَدَّثَ أَبُو غَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرَانَ النَّحْوِيُّ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرَّبَعِيُّ النَّحْوِيُّ إِلَى وَاسِطَ وَنَزَلَ فِي حُجْرَةٍ فِي جِوَارِ شَيْخِنَا أَبِي إِسْحَاقَ الرِّفَاعِيِّ، وَكُنْتُ أَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ أُسَائِلُهُ، فَقَالَ لِي أَبُو إِسْحَاقَ يَوْماً: قَدِ انْعَكَفْتَ عَلَى

---

(١) الزبزب: ضرب من السفن

هذا المجنون ؟ فقلت له : إنه يحكى النحو عن أبى على كما أنزل . فقال : صدقت ، هو يحكى النحو عن أبى على كما أنزل . وحدث ابن بشكوال فى كتاب الصلة فى أخبار علماء الأندلس قال : قال الربعى : كان عبد الله بن حمود الزبيدى الأندلسى قد قرأ يوما على أبى على فى نوادر الأصمعى : أكأت الرجل : إذا رددته عنك ، فقال أبو على : ألحق هذه الكلمة بباب أجأ فإنى لم أجد لها نظيرا غيرها ، فسارع من حوله إلى كتابتها . وقال الربعى : فقلت أيها الشيخ : ليس أكأت من أجأ فى شىء . قال : وكيف ذلك ؟ قال : قلت لأن إسحاق بن إبراهيم الموصلى وقطربا النحوى حكيا أنه يقال : كيأ الرجل : إذا جبن ، فخجل الشيخ وقال : إذا كان كذا فليس منه ، فضرب كل واحد منهم على ما كتب .

قرأت بخط هلال بن المظفر الريحانى فى كتاب ألفه : ذكر غير واحد من أهل زنجان أن رجلا منها يعرف بجابر بن أحمد خرج إلى بغداد متأدبا ، فحين دخل قصد

عَلِيَّ بْنَ عِيسَى النَّحْوِيَّ بَعْدَ أَنْ لَبِسَ ثِيَاباً فَاخِرَةً عَطِرَةً وَتَجَمَّلَ وَتَزَيَّنَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى: مِنْ أَيْنَ الْفَتَى؟ قَالَ: مِنَ الزَّنْجَانِ بِأَلِفٍ وَلَامٍ، فَعَلِمَ الرَّبَعِيُّ أَنَّ الرَّجُلَ خَالٍ مِنَ الْفَضْلِ فَقَالَ: مَتَى وَرَدْتَ؟ قَالَ: أَمْسِ. فَقَالَ: جِئْتَ رَاجِلًا أَمْ رَاكِباً؟ فَقَالَ: بَلْ رَاكِباً. قَالَ: الْمَرْكُوبُ مُكْتَرًى أَمْ مُشْتَرًى؟ قَالَ: بَلْ مُكْتَرًى. فَقَالَ الشَّيْخُ: مُرَّ وَاسْتَرْجِعِ الْكِرَى فَإِنَّهُ لَمْ يَحْمِلْ شَيْئاً، ثُمَّ أَنْشَدَ الشَّيْخُ:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَصْغَرَانِ لِسَانُهُ ... وَمَعْقُولُهُ وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ

فَإِنْ طُرَّةٌ رَاقَتْكَ فَاخْبُرْ فَرُبَّمَا
أَمَرَّ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرَّبَعِيُّ: اسْتَدْعَانِي عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْحَمَاسَةُ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى بَابِ الْأَضْيَافِ وَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ؟:

وَمُسْتَنْبِحٍ بَاتَ الصَّدَى (١) يَسْتَتِيهُهُ
إِلَى كُلِّ صَوْتٍ وَهُوَ فِي الرَّحْلِ جَانِحُ (٢)

---

(١) الصدى . ما يرده الأنف على المصوت فيه (٢) أى مائل

فَقُلْتُ لِأَهْلِى : مَابُغَامُ (١) مَطِيَّةٍ
وَسَارٍ أَضَافَتْهُ الْكِلَابُ النَّوَابِحُ ؟

فَقُلْتُ : هَذَا قَوْلُ عُقْبَةَ بْنِ بُجَيْرٍ الْحَارِثِىِّ ، وَمَعْنَاهُ : أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا ضَلَّتْ فِى سَفَرٍ وَصَارَتْ بِحَيْثُ تَظُنُّ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنْ حِلَّةٍ نَبَحَتْ لِتَسْمَعَهَا الْكِلَابُ فَتُجِيبَهَا ، فَيَعْرِفُونَ بِهِ مَوْضِعَ الْقَوْمِ فَيَقْصِدُونَهُ وَيَسْتَضِيفُونَ فَيُضَافُونَ . فَقَالَ : إِنَّ قَوْماً يَتَشَبَّهُونَ بِالْكِلَابِ حَتَّى يُضَافُوا لَأَدْنِيَاءُ النُّفُوسِ ، فَوَجَمْتُ (٢) بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنَا وَاقِفٌ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَىَّ ، وَكَانَ مِنْ عَادَاتِنَا أَنَّهُ مَا دَامَ يَنْظُرُ إِلَى أَحَدِنَا لَمْ يَزَلْ وَاقِفاً بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَرُدَّ طَرْفَهُ . قَالَ : ثُمَّ فَكَّرَ فَقَالَ : لَا بَلْ إِنَّ أَقْوَاماً يَسْتَنْبِحُونَ فِى هَذَا الْقَفْرِ وَالْمَكَانِ الْجَدْبِ فَيَسْتَضِيفُونَ فَيُضَافُونَ مَعَ الْإِقْلَالِ وَالْعُدْمِ (٣) لَقَوْمٌ كِرَامٌ ، وَأَمَرَ لِى بِجَائِزَةٍ فَدَعَوْتُ لَهُ وَانْصَرَفْتُ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِى الْكَرَمِ الْمُبَارَكِ بْنِ الْفَاخِرِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ يَعْقُوبَ : قَالَ لَنَا الرَّئِيسُ أَبُو الْبَرَكَاتِ جَبْرُ بْنُ عَلِىٍّ

---

(١) البغام : صوت الظبية والمراد هنا صوت الناقة (٢) وجم : سكت وعجز عن التكلم من شدة الغيظ أو الخوف (٣) العدم : الفقر

أبْنِ عِيسى الرَّبَعِي : قَالَ لِي أَبِي: أَخرَجَ إِلَيَّ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بِيَدِهِ مُجَلَّدًا بِأَدَمٍ مُبَطَّنٍ بِدِيبَاجٍ (١) أَخضَرَ فِي أَنْصَافِ السُّلْطَانِيِّ مُذَهَّبٍ مَفصُولٍ بِالذَّهَبِ بِخَطٍّ أَحْسَنَ، فِيهِ شِعْرٌ مُدَبَّرٌ وَحَسَنٌ لَيسَ لَهُ مَعْنًى. فَقَالَ لِي : كَيْفَ تَرَى هَذَا الشِّعْرَ؟ فَقُلْتُ: شِعْرٌ مُدَبَّرٌ وَالَّذِي قَالَهُ خَرِبُ الْبَيْتِ مُسَوَّدُ الْوَجْهِ، ثُمَّ يَمْضِي عَلَى ذَلِكَ زَمَانٌ، وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَأَوْمَأَ إِلَى خَادِمٍ وَقَالَ لَهُ: امْضِ إِلَى مَرْقَدِنَا وَجِئْنَا بِشِعْرِنَا، فَمَضَى وَجَاءَ بِالْمُجَلَّدِ بِعَيْنِهِ وَهُوَ هُوَ فَأَبْلَسْتُ (٢) فَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُ؟ وَتَلَجْلَجَ (٣) لِسَانِي وَرَبَا فِي فَمِي، فَقُلْتُ حَسَنًا جَيِّدًا، وَلَمْ يُرَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا أَلْبَتَّةَ.

قَرَأْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْخَشَّابِ: جَارَيْتُ الشَّيْخَ أَبَا مَنْصُورٍ مَوْهُوبَ بْنَ الْجَوَالِيقِيِّ ذِكْرَ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بْنِ صَالِحِ بْنِ الْفَرَجِ الرَّبَعِيِّ صَاحِبِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ، فَأَخَذْتُ فِي تَقْرِيظِهِ وَتَفْضِيلِهِ وَقَالَ لِي: كَانَ يَحْفَظُ

(١) الأدم : الجلد ، والديباج : الحرير ، وأنصاف السلطاني : مقدار من الورق يسمى بهذا الاسم ، لأن الذي يكتب فيه للسلطان كبير المساحة وهذا نصفه ، وله قلم خاص ، وقد وضع هذا صاحب صبح الأعشى «عبد الخالق»

(٢) أبلست : تحيرت (٣) تلجلج : ثقل وردد الكلام ، وربا : انتفخ

الْكَثِيرَ مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ بِمَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُهُ مِنْ نُظَرَائِهِ يَقُومُ بِهِ، إِلَّا أَنَّ جُنُونَهُ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهُ يَتَمَكَّنُ مِنْهُ أَحَدٌ فِي الْأَخْذِ عَنْهُ وَالْإِفَادَةِ مِنْهُ. قَالَ: وَقَالَ لِي الشَّيْخُ أَبُو زَكَرِيَّاءَ: سَأَلْتُ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ بُرْهَانٍ فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَيِّدَنَا، تَتْرُكُ الرَّبَعِيَّ وَالْأَخْذَ عَنْهُ مَعَ إِدْرَاكِكَ إِيَّاهُ وَتَأْخُذُ عَنْ أَصْحَابِهِ؟ فَقَالَ لِي: كَانَ مَجْنُونًا وَأَنَا كَمَا تَرَى، فَمَا كُنَّا نَتَّفِقُ. قَالَ: وَلَقَدْ مَرَّ يَوْمًا بِسَكْرَانَ مُلْقًى عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَحَلَّ سِرْوَالَهُ يَعْنِي سِرْوَالَ الرَّبَعِيِّ، وَجَلَسَ عَلَى أَنْفِهِ وَجَعَلَ يَضْرِطُ وَيُشِمُّهُ السَّكْرَانَ وَيَقُولُ لَهُ:

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ[1] نَجْدٍ ... فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

« ٢٢ — عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ حَمْزَةَ بْنِ وَهَّاسٍ »

« أَبِي الطَّيِّبِ * »

على بن عيسى الأمير

يُعْرَفُ بِابْنِ وَهَّاسٍ، مِنْ وَلَدِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَذَكَرَ الْعِمَادُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ

(١) العرار: النرجس البرى

(*) راجع طبقات المفسرين

عَنْ دَهْمَسَ بْنِ وَهَّاسِ بْنِ عَتُودِ بْنِ حَازِمِ بْنِ وَهَّاسِ الْحَسَنِيِّ:
أَنَّ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى مَاتَ بِمَكَّةَ فِي سَنَةِ نَيِّفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ.
وَكَانَ فِي عَشْرِ الثَّمَانِينَ، وَكَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ مِخْلَافِ
ابْنِ سُلَيْمَانَ، وَكَانَ شَرِيفاً جَلِيلاً هُمَاماً[1] مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ
وَشُرَفَائِهَا وَأُمَرَائِهَا، وَكَانَ ذَا فَضْلٍ غَزِيرٍ. وَلَهُ تَصَانِيفُ
مُفِيدَةٌ وَقَرِيحَةٌ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ مُجِيدَةٌ، قَرَأَ عَلَى الزَّمَخْشَرِيِّ
بِمَكَّةَ وَبَرَزَ[2] عَلَيْهِ، وَصُرِفَتْ أَعِنَّةُ[3] طَلَبَةِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ،
وَتُوُفِّيَ فِي أَوَّلِ وِلَايَةِ الْأَمِيرِ عِيسَى بْنِ فُلَيْتَةَ أَمِيرِ مَكَّةَ
فِي سَنَةِ نَيِّفٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: مَاجَمَعَ
اللهُ لَنَا بَيْنَ وِلَايَةِ عِيسَى وَبَقَاءِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى.

وَلَهُ شِعْرٌ مِنْهُ فِي مَرْثِيَةِ الْأَمِيرِ قَاسِمٍ جَدِّ الْأَمِيرِ عِيسَى:

يَا حَادِيَ الْعِيسِ[4] عَلَى بُعْدِهَا وَخَادَةً[5] تَسْحَبُ فَضْلَ النِّعَالِ
رِفْقاً عَلَيْهِنَّ فَلَا قَاسِماً
لَهَا عَلَى الْأَيْنِ[6] وَفَرْطِ الْكَلَالِ[7]

---

(١) كانت فى الأصل « تماما » وأصلحت (٢) برز عليه : فاقه ونبغ
(٣) أعنة جمع عنان : وهو الزمام أى توجهوا إليه (٤) حادى العيس : الذى يسوق الابل ويتغنى لها ليلا (٥) وخادة : سريعة، والنعال : جلد يجعل فى الخف ليمنع الحفى
(٦) الأين : التعب والاعياء (٧) كانت فى الأصل : « الملال » وقاسما منصوب بمحذوف، أى فلا ترى قاسما، يريد أن الذى كان يقوم لأصحابها مات .

غَاضَ النَّمِيرُ (١) الْعَذْبُ يَا وَارِدًا وَحَالَ عَنْ عَهْدِكَ ذَاكَ الزُّلَالِ
إِنْ يَغْضِ لَا يَغْضَ بَطِيءُ (٢) الْقِرَى أَوْ يُودِ لَا يُودِ (٣) ذَمِيمَ الْفِعَالِ

وَلَهُ مَدْحٌ فِي الزَّمَخْشَرِيِّ ذَكَرْتُهُ فِي تَرْجَمَتِهِ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

صِلِي حَبْلَ الْمَلَامَةِ أَوْ فَبُتِّي (٤) وَكُفِّي مِنْ عِتَابِكِ أَوْ أَشِتِّي
هِيَ الْأَنْضَاءُ عَزْمَةُ ذِي هُمُومٍ تَحَسْبُكِ وَالْمَلَامَ وَلَاهُبِلْتِ (٥)
إِلَيْكِ فَلَسْتُ مِمَّنْ يَطَّبِيهِ (٦) مَلَامٌ أَوْ يَرِيعُ إِذَا أَهَبْتِ (٧)
حَلَفْتُ بِهَا تَوَاهَقُ كَالْحَنَايَا (٨) بَقَايَا مَا بِهَا كَثِمَالِ قَلْتِ (٩)
سَوَاهِمُ كَالْحَنَايَا زَاحِـــرَاتٍ
تَرَاكُعُ مِنْ وَجًى وَدَبًا وَعَنْتِ (١٠)
جَوَازِعُ بَطْنِ نَخْلَةَ عَابِرَاتٍ تَؤُمُّ الْبَيْتَ مِنْ خَمْسٍ وَسِتِّ

(١) أى الماء الصافى (٢) أى إن يمت ويذهب فما كان بطيئا عن قرى الضيفان (٣) أو إن يهلك فانما هلك ذميم الفعال (٤) أى اقطعى (٥) هبلت : ثكلت (٦) يطبيه : يخدعه (٧) أهبت : ناديت (٨) تواهق كالحنايا : تمد أعناقها فى السير كالأقواس (٩) ثمال قلت : مابقى من ماء فى نقرة فى الصخر ، وفى الأصل : بدون « مابها » (١٠) الناقة الساهمة : الضامرة والجمع سواهم تشبه الحنايا ، والزاحرة من زحر كجعل : التى تخرج النفس بأنين ، والتراكع : الانحناء ، ومن هنا سمى الفعل فى الصلاة ركوعا ، وكان الركوع هنا من الوجى والدبا : هو المشى الرويد ، والعنت : هو الهلاك وأصله بالتحريك سكن للشعر . « عبد الخالق »

أَزَالُ أُدِيبُ أَنْضَاءً طِلَاحاً بِكُلِّ مُلَمَّعِ الْقَفَرَاتِ مَرْتِ (١)
وَأَرْغَبُ عَنْ مَحَلٍّ فِيهِ أَضْحَتْ حِبَالُ الْمَجْدِ تَضْعُفُ عِنْدَ مَتِّ (٢)
أَمَا جَرَّبْتِ يَا أَيَّامُ مِنِّي فُرُوكَ (٣) تَجَمُّعٍ وَحَلِيفَ شَتِّ
أَبِيٌّ مَا مَجَمْتِ صَفَاهُ إِلَّا وَأَثَّرَ فِي نُيُوبِكِ مَا مَجَمْتِ
وَرُبَّ أَخٍ كَرِيمِ الْمَجْدِ مَحْضٍ يُرَاعُ لِدَعْوَتِي كَالسَّيْفِ صَلْتِ
أَبَتْ نَفْسِي فَلَمْ تَسْمَحْ إِلَيْهِ بِشَكْوَى غَيْرِ مَاجِدِ وَصَمْتِ
أَقُولُ لِنَفْسِيَ الْمِشْفَاقِ مَهْلًا أَلَيْسَ عَلَى الرَّزِيَّةِ مَا صَبَرْتِ ؟
لَئِنْ فَارَقْتِ خَيْرَ عُرًا لِأَهْلٍ نَخَيْرُ بَنِي أَبِيكِ بِهِ نَزَلْتِ

وَكَتَبَ إِلَى عَمَّتِهِ وَقَدْ أَرْسَلَتْ تَقُولُ لَهُ : كَمْ هَذَا الْبُعْدُ عَنَّا وَالتَّغَرُّبُ ؟ :

وَمُهْدِيَةٍ عِنْدِي عَلَى نَأْيِ دَارِهَا رَسَائِلَ مُشْتَاقٍ كَرِيمٍ وَسَائِلُهْ
تَقُولُ : إِلَى كَمْ يَابْنَ عِيسَى تَجَنُّباً وَبُعْداً وَكَمْ ذَا عَنْكَ رَكْباً نُسَائِلُهْ ؟؟

---

(١) أزال محذوف نفيها جواب حلفت ، أى لا أزال ، وأديب أصلها أدئب من أدأبه : جعله يدأب ويجد فى العمل ، سهلت الهمزة ياء بعد نقل حركتها إلى الدال ، والانضاء جمع نضو : الهزيل ، والطلاح : التى تشتكى من بطونها ، والملمع من القفر : ما لمع فيه الآل ، والمرت : الأرض التى لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها
(٢) المت : التوسل (٣) فروك : بغض « عبد الخالق »

فَيُوشِكُ أَنْ تُودِي وَمَا مِنْ حَفِيَّةٍ[1]
عَلَيْكَ وَلَا بَالٍ بِمَا أَنْتَ فَاعِلُهْ

فَقُلْتُ لَهَا: فِي الْعِيسِ وَالْبُعْدِ رَاحَةٌ
لِذِي الْهَمِّ إِنْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ مَقَاتِلُهْ

وَفِي كَاهِلِ اللَّيْلِ الْخُدَارِيِّ[2] مَرْكَبٌ
وَكَمْ مَرَّةٍ نَجَّى مِنَ الضَّيْمِ كَاهِلُهْ

إِذَا لَمْ تُعَادِلْكَ اللَّيَالِي بِصَاحِبٍ
وَلَا سَمَحَتْ بِالنُّجْحِ عَفْوًا أَنَامِلُهْ

فَلَا خَيْرَ فِي أَنْ تَرْأَمَ الضَّيْمَ ثَاوِيًا[3]
وَغَيْظًا عَلَى طُولِ اللَّيَالِي تُمَاطِلُهْ

ذَرِينِي فَلِي نَفْسٌ أَبَى أَنْ يُدِرَّهَا
عِصَابٌ وَقَلْبٌ يَشْرَبُ الْيَأْسَ حَامِلُهْ[4]

---

(١) أى احتفاء بك ، ولابال اسم من بالى مبالاة ، أى غير معنى بك من أحد

(٢) الخدارى : المظلم (٣) ترأم : ترضى ، والضيم : الذلة والهوان ، وثاويا : مقيما (٤) العصاب : الشد على الشىء وجفاف الريق ، فهو يقول : إنه مهما شد الدهر على خناقه ، أو مهما جف ريقه من البؤس فلن يسمح لنفسه بسؤال أحد ، وأن له قلبا حامله يشرب اليأس ، وكان حامله فى الأصل « حاصله »

إِذَا سِيمَ وِرْداً بَعْدَ خِمْسٍ تَشَمَّرَتْ
عَنِ الْمَاءِ خَوْفَ الْمُقْذِعَاتِ ذَلَاذِلُهْ (١)

﴿ ٢٣ – عَلِيُّ بْنُ فَضَّالِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ ﴾
﴿ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ * ﴾

علي بن فضال المجاشعي

ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عِيسَى بْنِ حَسَنِ بْنِ زَمْعَةَ بْنِ هَمِيمِ بْنِ غَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ نَاجِيَةَ بْنِ عِقَالِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمٍ « هَكَذَا وَجَدْتُهُ هَمِيمٌ وَالْمَعْرُوفُ هَمَّامٌ ، وَهُوَ الْفَرَزْدَقُ الشَّاعِرُ ، لِأَنَّ ابْنَ فَضَّالٍ يُعْرَفُ

---

(١) الذلاذل : الأواخر ، والمقذعات : الفحشاء فى القول ، يريد أنه إذا سيم الورد بعد خمس عن الماء تشمرت ذلاذله خوف أن يعيبه الناس .

(*) ترجم له فى كتاب طبقات المفسرين بما يأتى قال :

هو أبو الحسن القيروانى المجاشعى التميمى الفرزدق كان إماما فى اللغة والنحو والتصريف والأدب والتفسير والسير ، ولد بهجر وطوف الأرض وأقام بغزنة مدة وصادف بها قبولا ورجع إلى العراق وأقرأ النحو واللغة وحدث بها جماعة من شيوخ المغرب . قال هبة الله السقطى : كتبت عنه أحاديث فعرضتها على بعض المحدثين فأنكرها وقال : أسانيدها مركبة على متون موضوعة ، فاجتمع به جماعة من المحدثين وأنكروا عليه فاعتذر وقال : وهمت فيها. قال عبد الغافر : ورد ابن فضال بنيسابور فاجتمعت به فوجدته بحرا فى علمه ماعهدت فى البلدين ولا فى الغرباء مثله ، وكان حنبليا يقع فى كل شافعى ، وصنف كتبا كثيرة ذكرها ياقوت ، ومات ببغداد يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، ومن شعره ماذكره ياقوت فى ترجمته .

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة

بِالفَرَزْدَقِ » القَيْرَوَانِىُّ النَّحْوِىُّ أَبُو الْحَسَنِ الْمُجَاشِعِىُّ ، هَجَرَ مَسْقَطَ رَأْسِهِ وَرَفَضَ مَأْلُوفَ نَفْسِهِ ، وَطَفِقَ يَدُوخُ(١) بَسِيطَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ ، يُشَرِّقُ مَرَّةً وَيُغَرِّبُ أُخْرَى ، وَيَرْكَبُ الْقِفَارَ وَيَأْوِى إِلَى ظِلِّ الْأَمْصَارِ بُرْهَةً حَتَّى أَلَمَّ بِغَزْنَةَ فَأَلْقَى عَصَاهُ بِهَا ، وَدَرَّتْ لَهُ أَخْلَافُهَا(٢) فَلَقِىَ وَجْهَ الْأَمَانِىِّ ، وَصَنَّفَ عِدَّةَ تَصَانِيفَ بِأَسَامِى أَكَابِرِ غَزْنَةَ سَارَتْ فِى الْبِلَادِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْعِرَاقِ وَانْخَرَطَ فِى سِلْكِ خِدْمَةِ نِظَامِ الْمُلْكِ مَعَ أَفَاضِلِ الْعِرَاقِ ، وَلَمْ تَطُلْ أَيَّامُهُ حَتَّى نَزَلَ بِهِ حِمَامُهُ ، وَكَانَ إِمَاماً فِى النَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالتَّصْرِيفِ وَالتَّفْسِيرِ وَالسِّيَرِ . صَنَّفَ كِتَابَ التَّفْسِيرِ الْكَبِيرَ الَّذِى سَمَّاهُ الْبُرْهَانَ الْعَمِيدِىَّ فِى عِشْرِينَ مُجَلَّداً ، وَكِتَابَ النُّكَتِ فِى الْقُرْآنِ ، وَكِتَابَ شَرْحِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَهُوَ كِتَابٌ كَبِيرٌ ، وَكِتَابَ إِكْسِيرِ الذَّهَبِ فِى صِنَاعَةِ الْأَدَبِ وَالنَّحْوِ فِى خَمْسِ مُجَلَّدَاتٍ ، وَكِتَابَ الْعَوَامِلِ وَالْهَوَامِلِ فِى الْحُرُوفِ خَاصَّةً ، وَكِتَابَ الْفُصُولِ فِى مَعْرِفَةِ الْأُصُولِ ،

---

(١) داخ البلاد : قهرها واستولى عليها ، والمراد أنه لم يعجز عن الوصول إلى أى بلد أراد (٢) أخلاف جمع خلف : وهو ضرع الناقة ، أى أنه وجد حظه

وَكِتَابَ الإِشَارَةِ فِي تَحْسِينِ الْعِبَارَةِ ، وَكِتَابَ شَرْحِ عُنْوَانِ الإِعْرَابِ ، وَكِتَابَ الْمُقَدِّمَةِ فِي النَّحْوِ ، وَكِتَابَ الْعَرُوضِ ، وَكِتَابَ شَرْحِ مَعَانِي الْحُرُوفِ ، وَكِتَابَ الدُّوَلِ فِي التَّارِيخِ .

رَأَيْتُ فِي الْوَقْفِ السَّلْجُوقِيِّ بِبَغْدَادَ مِنْهُ ثَلَاثِينَ مُجَلَّداً وَيَعُوزُهُ شَيْءٌ آخَرُ ، وَكِتَابَ شَجَرَةِ الذَّهَبِ فِي مَعْرِفَةِ أَئِمَّةِ الأَدَبِ . وَقِيلَ إِنَّهُ صَنَّفَ كِتَاباً فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فِي خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ مُجَلَّداً سَمَّاهُ كِتَابَ الإِكْسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ ، وَكِتَابَ مَعَارِفِ الأَدَبِ كَبِيرٌ نَحْوُ ثَمَانِيَةِ مُجَلَّدَاتٍ . وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ فِي فُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَأَقَامَ بِبَغْدَادَ مُدَّةً وَأَقْرَأَ بِهَا النَّحْوَ وَاللُّغَةَ ، وَحَدَّثَ بِهَا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ شُيُوخِ الْمَغْرِبِ . وَذَكَرَ هِبَةُ اللهِ السَّقَطِيُّ أَنَّهُ كَتَبَ عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ أَحَادِيثَ قَالَ : فَعَرَضْتُهَا عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ سَبْعُونَ الْقَيْرَوَانِيِّ لِمَعْرِفَتِهِ بِرِجَالِ الْغَرْبِ فَأَنْكَرَهَا وَقَالَ : أَسَانِيدُهَا مُرَكَّبَةٌ عَلَى مُتُونٍ مَوْضُوعَةٍ ، وَاجْتَمَعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَبْعُونَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ فَاعْتَذَرَ وَقَالَ : إِنِّي وَهِمْتُ فِيهَا . وَذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَفَّارِ الْفَارِسِيُّ فَقَالَ : وَرَدَ نَيْسَابُورَ وَاخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ

فَوَجَدْتُهُ بَحْراً فِى عِلْمِهِ، مَاعَهِدْتُ فِى الْبَلَدَيْنِ وَلَا فِى الْغُرَبَاءِ مِثْلَهُ فِى حِفْظِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَتَحْقِيقِهِ، فَأَعْرَضْتُ عَنْ كُلِّ شَىْءٍ وَفَارَقْتُ الْمَكْتَبَ وَلَزِمْتُ بَابَهُ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً وَكَانَ عَلَى وَقَارٍ.

قَالَ السَّمْعَانِىُّ: سَمِعْتُ ابْنَ نَاصِرٍ يَقُولُ: مَاتَ ابْنُ فَضَّالٍ فِى ثَانِى عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَدُفِنَ بِبَابِ أَبْرَزَ. قَالَ شُجَاعٌ الذُّهْلِىُّ: أَنْشَدَنَا ابْنُ فَضَّالٍ لِنَفْسِهِ:

لَا عُذْرَ لِلصَّبِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ ... يَخْلَعُ فِى ذَاكَ الْعِذَارِ الْعِذَارْ
كَأَنَّهُ فِى خَدِّهِ إِذْ بَدَا ... لَيْلٌ تَبَدَّى طَالِعاً مِنْ نَهَارْ
تَخَالُهُ جُنْحَ الظَّلَامِ وَقَدْ ... صَاحَ بِهِ ضَوْءُ صَبَاحٍ نَحَارْ

وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْمُبَارَكُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصَّيْرَفِىُّ:
أَنْشَدَنَا ابْنُ فَضَّالٍ لِنَفْسِهِ:

كَأَنَّ بَهْرَامَ وَقَدْ عَارَضَتْ ... فِيهِ الثُّرَيَّا نَظَرَ الْمُبْصِرِ
يَاقُوتَةٌ يَعْرِضُهَا بَائِعٌ ... فِى كَفِّهِ وَالْمُشْتَرِى مُشْتَرِى

وَمِنْ شِعْرِهِ:

خُذِ الْعِلْمَ عَنْ رَاوِيهِ وَاجْتَنِبِ الْهُدَى
وَإِنْ كَانَ رَاوِيهِ أَخَا عَمَلٍ زَارِى[1]

---

(١) أى مزر ومحتقر

فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَالنَّخْلِ يَانِعاً [1]

كُلِ التُّمْرَ مِنْهُ وَاتْرُكِ الْعُودَ لِلنَّارِ [2]

قَالَ عَبْدُ الْغَفَّارِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ : وَأَنْشَدَنِي ابْنُ فَضَّالٍ لِنَفْسِهِ :

يَا يُوسُفِيَّ الْجَمَالِ عَبْدُكَ لَمْ يَبْقَ لَهُ حِيلَةٌ مِنَ الْحِيَلِ

إِنْ قُدَّ فِيهِ الْقَمِيصُ مِنْ دُبُرٍ قَدْ قُدَّ فِيهِ الْفُؤَادُ مِنْ قُبُلِ

وَأَنْشَدَ السَّمْعَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ لِعَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ الْمُجَاشِعِيِّ فِي تَرْجَمَةِ صَاعِدِ بْنِ سَيَّارٍ الْهَرَوِيِّ :

وَإِخْوَانٍ حَسِبْتُهُمُ دُرُوعاً فَكَانُوهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي

وَخِلْتُهُمُ سِهَاماً صَائِبَاتٍ فَكَانُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي

وَقَالُوا : قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ مِنْ وِدَادِي

وَأَنْشَدَ لَهُ صَاحِبُ الْوِشَاحِ فِي نِظَامِ الْمُلْكِ :

دَوَارِسُ آيٍ مَا تَكَادُ تُبِينُ

عَفَاهُنَّ دَمْعٌ لِلسَّحَابِ هَتُونُ [3]

---

(١) فى الاصل « يانع » وقد نبه فى هامش الطبعة الثانية على هذا فقال : لعلها « يانعا » فأثبتها بالنصب (٢) التمر لعل جمعه أتمار ، وجمع الجمع تمر ككتب ، وخفف بالتسكين للشعر (٣) أى متتابع المطر « عبد الخالق »

وَقَفْنَا بِهَا مُسْتَلْهِمِينَ فَلَمْ يَزَلْ
لِسَانُ الْبِلَى عَنْ عُجْمِهِنَّ يُبِينُ

وَمَا خِفْتُ أَنْ تُبْدِى خَفِيَّ سَرَائِرِى
مَوَاثِلُ أَمْثَالُ الْجَمَاجِمِ جُونُ (١)

عَلَى حِينَ عَاصَيْتُ الصِّبَا وَهُوَ طَائِعٌ
وَأَرْخَصْتُ عِلْقَ اللَّهْوِ وَهُوَ ثَمِينُ

أَرَى الْمُزْنَ يَهْوَى رَسْمَ مَنْ قَدْ هَوِيتُهُ
فَلِي وَلَهُ دَمْعٌ بِهِ وَحَنِينُ

سَقَى اللهُ حَيْثُ الظَّاعِنُونَ سَحَائِباً
فَقَلْبِي حَيْثُ الظَّاعِنُونَ رَهِينُ

فَكَمْ ضُمِّنَتْ أَحْدَاجُهُمْ مِنْ جَآذِرٍ (٢)
أَوَانِسَ يَنْضُوهَا جَآذِرُ عِينُ

وَأَقْمَارِ تِمٍّ لَمْ يَرَ النَّاسُ قَبْلَهَا بُدُوراً تَثَنَّى تَحْتَهُنَّ غُصُونُ

يُجَرِّدْنَ مِنْ أَلْحَاظِهِنَّ صَوَارِماً مُهَنَّدَةً : أَجْفَانُهُنَّ جُفُونُ

---

(١) الجون جمع جون : الأسود ، يريد الشواخص الماثلة المشبهة للجماجم

(٢) جآذر جمع جؤذر : وهو ولد البقرة الوحشية ، وعين جمع عيناء : وهى الواسعة العين ، والكلام على المجاز من حيث تشبيه النساء بالجآذر « عبد الخالق »

وَأَنْشَدَ لَهُ :

وَاللهِ إِنَّ اللهَ رَبُّ الْعِبَادْ وَخَالِصِ[1] النِّيَّةِ وَالإِعْتِقَادْ
مَازَادَنِي صَدُّكَ إِلَّا هَوًى وَسُوءُ أَفعالِكَ إِلَّا وِدَادْ
وَإِنِّي مِنْكَ لَفِي لَوْعَةٍ أَقَلُّ مَافِيهَا يُذِيبُ الْجَمَادْ
فَكُنْ كَمَاشِئْتَ فَأَنْتَ الْمُنَى وَاْحكُمْ كَمَاشِئْتَ فَأَنْتَ الْمُرَادْ
وَمَا عَسَى تَبْلُغُهُ طَاقَتِي وَإِنَّمَا بَيْنَ ضُلُوعِي فُؤَادْ

وَمِمَّا نَقَلْتُهُ مِنَ السَّمْعَانِيِّ لِابْنِ فَضَّالٍ :

فَتَنَتْنِي أُمُّ عَمْرٍو وَكَذَاكَ الصَّبُّ مَفْتُونْ
قُلْتُ : جُودِي لِكَئِيبٍ مُسْتَهَامٍ بِكِ مَحْزُونْ
فَلَوَتْ عَنِّي وَقَالَتْ : أَتُرَى ذَا الْمَرْءَ مَجْنُونْ
مَا رَأَى النَّاسَ جَمِيعاً فِي كِتَابِ اللهِ يَتْلُونْ
لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونْ ؟

وَفِي كِتَابِ سِرِّ السُّرُورِ لِابْنِ فَضَّالٍ :

مَا هَذِهِ الْأَلِفُ الَّتِي قَدْزِدْتُمُوا فَدَعَوْتُمُ الْخُوَّانَ[2] بِالإِخْوَانِ

وَزَادَنِي الْحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو نَصْرٍ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ وَهْبَانَ :

---

(١) تابع للقسم فهو يقسم بالله وبنفسه ، وجعل نفسه خالص النية والعقيدة ، وجواب القسم مازادني (٢) الخوان جمع خائن ، والمراد بالألف ألف إخوان التي قبل الخاء

مَا صَحَّ لِي أَحَدٌ فَأَجْعَلَهُ أَخًا ... فِي اللهِ مَحْضًا أَوْ فِي الشَّيْطَانِ
إِمَّا مُوَلٍّ عَنْ وِدَادِي مَا لَهُ ... وَجْهٌ وَإِمَّا مَنْ لَهُ وَجْهَانِ

وَحدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ وَكَانَ كَمَا عَلِمْتُ وَقَّاعَةً فِي كُلِّ مَنِ انْتَسَبَ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ حَنْبَلِيًّا. سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عُثْمَانَ الْأَدِيبَ الْغَزِّيَّ بِنَيْسَابُورَ يَقُولُ: لَمَّا دَخَلَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ فَضَّالٍ النَّحْوِيُّ نَيْسَابُورَ وَاقْتَرَحَ عَلَيْهِ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْمَعَالِي بْنُ الْجُوَيْنِيِّ أَنْ يُصَنِّفَ بِاسْمِهِ كِتَابًا فِي النَّحْوِ وَسَمَّاهُ الْإِكْسِيرَ وَعَدَهُ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ، فَلَمَّا صَنَّفَهُ وَفَرَغَ مِنْهُ ابْتَدَأَ بِقِرَاءَتِهِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْقِرَاءَةِ انْتَظَرَ أَيَّامًا أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ مَا وَعَدَهُ أَوْ بَعْضَهُ فَلَمْ يَدْفَعْ شَيْئًا، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ الْأُسْتَاذُ: عِرْضِي فِدَاؤُكَ وَلَمْ يَدْفَعْ إِلَيْهِ حَبَّةً وَاحِدَةً. قُلْتُ أَنَا: وَبَلَغَنِي أَنَّهُ عَقِيبَ ذَلِكَ وَرَدَ بَغْدَادَ وَأَقَامَ بِهَا وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بَعْدُ فِي النَّحْوِ وَصَنَّفَ كِتَابَهُ فِي التَّارِيخِ. وَمِنْ شِعْرِهِ الَّذِي أَوْرَدَهُ السَّمْعَانِيُّ:

أُحِبُّ النَّبِيَّ وَأَصْحَابَهُ ... وَأُبْغِضُ مُبْغِضَ أَزْوَاجِهِ

وَمَهْمَا ذَهَبْتُمْ إِلَى مَذْهَبٍ   فَمَالِي سِوَى قَصْدِ مِنْهَاجِهِ

قَالَ السِّلَفِيُّ : قَالَ الرَّئِيسُ أَبُو الْمُظَفَّرِ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ نَاقِيَا فِي ابْنِ فَضَّالٍ الْمُجَاشِعِيِّ الْمَغْرِبِيِّ قَالَ : وَدَخَلْتُ دَارَ الْعِلْمِ بِبَغْدَادَ وَهُوَ يَدْرُسُ شَيْئًا مِنَ النَّحْوِ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ فَقُلْتُ :

أَلْيَوْمُ يَوْمٌ قَارِسٌ بَارِدٌ   كَأَنَّهُ نَحْوُ ابْنِ فَضَّالِ
لَا تَقْرَءُوا النَّحْوَ وَلَا شِعْرَهُ   فَيَعْتَرِي الْفَالِجُ فِي الْحَالِ

﴿ ٢٤ – عَلِيُّ بْنُ الْفَضْلِ الْمُزَنِيُّ أَبُو الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ * ﴾

علي بن الفضل المزني

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي سَعِيدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْيَزْدَادِيِّ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى: جَلَاءَ الْمَعْرِفَةِ ، تَعَرَّضَ فِيهِ لِلْمَآخِذِ عَلَى الْعُلَمَاءِ قَالَ : وَكَانَ قُرِئَ كِتَابُ الْكِرْمَانِيِّ فِي النَّحْوِ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْمُزَنِيِّ ، وَقَرَأَهُ هُوَ عَلَى أَبِيهِ ، وَأَبُوهُ عَلَى الْكِرْمَانِيِّ ، وَفَضْلُ أَبِي الْحَسَنِ [1] فِي عَصْرِهِ عَلَى مَنْ كَانَتْ تُضْرَبُ إِلَيْهِ آبَاطُ الْإِبِلِ [2] فِي الْعِرَاقِ لِاقْتِبَاسِ الْعِلْمِ

(١) هنا سقط من الأصل ولعله كلمة : « شائع » أو معروف ، أو لعل الكلام : وفضل أبو الحسن بالبناء للمجهول (٢) أي تشد إليه الرحال

(*) راجع بغية الوعاة ٣٤٥

مِنْهُ . وَكَانَ ابْنُ جَرِيرٍ يَحُثُّهُ أَبَدًا عَلَى قَصْدِ الْعِرَاقِ عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُ لَوْ دَخَلَ بَغْدَادَ لَقُبِلَ فَوْقَ قَبُولِ غَيْرِهِ ، وَلَكَانَ الْأُسْتَاذَ الْمُقَدَّمَ ، وَبَلَغَ مِنْ فَضْلِ عِلْمِهِ أَنَّهُ صَنَّفَ كِتَابًا فِي عِلْمِ « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » وَسَمَّاهُ الْبَسْمَلَةَ وَيَقَعُ فِي ثَلَاثِمِائَةِ وَرَقَةٍ ، وَلَهُ فِي النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ مُصَنَّفَاتٌ لَطِيفَةٌ نَافِعَةٌ ، وَقَدْ رَوَى الْمُزَنِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الضَّرِيرِ .

٢٥ — عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ الْقَاشَانِيُّ الْكَاتِبُ أَبُو الْحَسَنِ *

على بن القاسم القاشانى

ذَكَرَهُ الثَّعَالِبِيُّ فَقَالَ : بَقِيَّةُ مَشْيَخَةِ الْكُتَّابِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي الْبَرَاعَةِ ، الْمَالِكِينَ أَزِمَّةَ الْبَلَاغَةِ ، الْمُتَوَقِّلِينَ[1] فِي هَضَبَاتِ الْمَجْدِ ، الْمُتَرَقِّينَ فِي دَرَجَاتِ الْفَضْلِ وَالرَّسَائِلِ الْجَيِّدَةِ ، وَالْأَشْعَارِ الرَّائِقَةِ . فَمِنْ رَسَائِلِهِ : كِتَابِي ـ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ ـ وَأَنَا مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ جَذَلٍ لِتَجَدُّدِ بِرِّهِ فِي خِطَابِهِ ، وَبَيْنَ خَجَلٍ مِنْ قَوَارِعِ زَجْرِهِ وَعِتَابِهِ ، فَإِذَا خَلَّيْتُ عِنَانَ أُنْسِي فِي رِيَاضِ مَبَارِّهِ فَرَتَعَتْ ، جَاذَبَنِيهِ لَاعِجُ الْإِشْفَاقِ مِنْ سُوءِ ظَنِّهِ فَفَزِعَتْ ،

(١) أى الصاعدين

(*) ترجم له فى كتاب يتيمة الدهر جزء ثالث . وترجم له كذلك فى بغية الوعاة

وَلَوْ كُنْتُ جَانِياً لَاعْتَذَرْتُ ، أَوْ كَانَ سُوءُ ظَنِّهِ بِي صَادِقاً لَاعْتَرَفْتُ ، وَلَعُذْتُ مِنْهُ بِحِقْوَىْ كَرِيمٍ لَا يَبْهَضُهُ (١) اغْتِفَارُ الْجَرَائِرِ (٢) ، وَلَا يَتَعَاظَمُهُ الصَّفْحُ عَنِ الْكَبَائِرِ .

فَصْلٌ : عَلِقَتْ هَذِهِ الْمُخَاطَبَةُ وَالْأَشْغَالُ تَكْتَنِفُنِي ، وَكَدُّ الْخَاطِرِ بِأَسْبَابٍ شَتَّى يَقْتَسِمُنِي ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ كَلَالُ الذِّهْنِ بِارْتِقَاءِ السِّنِّ ، وَنُقْصَانُ الْخَوَاطِرِ بِزِيَادَةِ الشَّوَاغِلِ ، وَاسْتِمْرَارُ الْبَلَادَةِ لِمُفَارَقَةِ الْعَادَةِ ، وَمَوْلَايَ — وَاللهُ يُعِيذُهُ مِنَ السُّوءِ — مُقْتَبَلُ الشَّبَابِ ، زَائِدُ الْأَسْبَابِ ، مُؤْتَنِفُ (٣) الْمَخَائِلِ ، مُتَجَدِّدُ الْفَضَائِلِ ، إِلَى عِلْمٍ لَا يُدْرَكُ مِضْمَارُهُ ، وَلَا يُشَقُّ (٤) غُبَارُهُ ، فَإِذَا حَمَلَنِي عَلَى مُسَاجَلَتِهِ (٥) فَقَدْ عَرَّضَنِي لِلتَّكَشُّفِ ، وَإِنْ عَرَضَنِي عَلَى مِحْنَةِ التَّتَبُّعِ فَقَدْ سَلَبَنِي ثَوْبَ التَّجَمُّلِ .

فَصْلٌ : وَصَلَ كِتَابُ مَوْلَايَ :

فَكَمْ فَرْحَةٍ أَدَّى وَكَمْ كُرْبَةٍ جَلَّى
وَكَمْ بَهْجَةٍ أَوْلَى وَكَمْ غُمَّةٍ سَلَّا (٦)

---

(١) أى لايفدحه ولا يثقله (٢) الجرائر : الذنوب (٣) مؤتنف : مستأنف ، المخائل جمع مخيلة : المحاسن (٤) أى لا يجارى ولا يلحق ، وهذا المثل يضرب للسابق المبرز ولمن لا قرن له يجاريه (٥) المساجلة : تناشد الأشعار والمفاضلة (٦) من سل يسل : نزع

وَسَأَلْتُ اللهَ وَاهِبَ خِصَالِ الْفَضْلِ لَهُ ، وَجَامِعَ خِلَالِ النُّبْلِ فِيهِ ، وَحَائِزَ جَمَالِ الْمُرُوءَةِ لِلزَّمَانِ بِبَقَائِهِ ، وَمَانِحَ كَمَالِ الْمَزِيَّةِ لِلإِخْوَانِ بِمَكَانِهِ ، أَنْ يَتَوَلَّى حِفْظَ النِّعَمِ النَّفِيسَةِ ، وَيُدِيمَ حِيَاطَةَ هَذِهِ الْمَنَائِحِ الْخَطِيرَةِ بِصِيَانَةِ تِلْكَ الشِّيَمِ الْعَلِيَّةِ ، حَتَّى تَسْتَوْفِىَ الْمَكَارِمُ أَعْلَى حَظِّهَا فِى أَيَّامِهِ ، وَتَجُوزَ الْفَضَائِلُ أَقْصَى غَايَاتِهَا فِى مِضْمَارِهِ :

فَيَنْجَحَ ذُوفَضْلٍ وَيَكْمَدَ نَاقِصٌ
وَيَبْهَجَ ذُو وُدٍّ وَيُكْبَتَ حَاسِدُ

فَصْلٌ : وَمَا أَرْتَضِى نَفْسِى لِمُخَاطَبَةِ مَوْلَاىَ إِلَّا إِذَا كُنْتُ مَنْفِىَّ الشَّوَاغِلِ فَارِغَ الْخَوَاطِرِ ، مُخَلَّى الْجَوَارِحِ مُطْلَقَ الْإِسَارِ سَلِيمَ الْأَفْكَارِ ، فَكَيْفَ بِى مَعَ كَلَالِ الْحَدِّ وَانْغِلَاقِ الْفَهْمِ ، وَاسْتِبْهَامِ الْقَرِيحَةِ وَاسْتِعْجَامِ الطَّبِيعَةِ ، وَالْمُعَوَّلُ عَلَى النِّيَّةِ وَهِىَ لِمَوْلَاىَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَكْشُوفَةٌ ، وَالْمَرْجِعُ إِلَى الْعَقِيدَةِ وَهِىَ بِالْوَلَاءِ الْمَحْضِ مَعْرُوفَةٌ ، وَلَا مَجَالَ لِلْعَتْبِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، كَمَا لَا مَجَازَ لِلْعُذْرِ وَرَاءَ هَذِهِ الْخِلَالِ .

وَكَتَبَ إِلَى الصَّاحِبِ أَبِى الْقَاسِمِ بْنِ عَبَّادٍ قَصِيدَةً مِنْهَا :

إِذَا الْغُيُومُ ارْجَحَنَّ[١] بَاسِقُهَا وَحَفَّ أَرْجَاءَهَا بَوَارِقُهَا
وَابْتَسَمَتْ فَرْحَةً لَوَامِعُهَا وَاحْتَفَلَتْ عَبْرَةً حَمَالِقُهَا
وَقِيلَ: طُوبَى لِبَلْدَةٍ نُتِجَتْ بِجَوٍّ أَكْنَافِهَا بَوَارِقُهَا
فَلْيَسْقِ غَيْثُ النَّدَى أَبَا القَاسِمِ الْـ ـقَرْمَ وَزِيرَ الأَنَامِ وَادِقُهَا

وَهِيَ طَوِيلَةٌ ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ — نَتَائِجُ أَرْيَحِيَّةٍ أَثَارَتْهَا مُخَاطَبَاتُ مَوْلَايَ، الَّتِي هِيَ أَنْقَعُ لِغُلَّتِي مِنْ بَرْدِ الشَّرَابِ، وَأَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ بُرْدِ الشَّبَابِ، فَجَاشَ الصَّدْرُ بِمَا أَبْرَأُ إِلَيْهِ مِنْ عُهْدَتِهِ، وَأُسْكِنُهُ ظِلَّ أَمَانَتِهِ وَذِمَّتِهِ، لِيُسْبِلَ عَلَيْهِ سِتْرَ مَوَدَّتِهِ، وَيَتَأَمَّلَهُ بِعَيْنِ مَحَبَّتِهِ. نَعَمْ وَقَدْ مَحَا الزَّمَانُ آثَارَ إِسَاءَتِهِ إِلَيَّ، بِمَا أَسْعَفَنِي بِهِ مِنْ إِقْبَالِ مَوْلَايَ عَلَيَّ، وَتَتَابُعِ بِرِّهِ فِي مُخَاطَبَاتِهِ لَدَيَّ، فَكُلُّ ذَنْبٍ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ مَغْفُورٌ، وَكُلُّ جِنَايَةٍ بِهَذَا الإِحْسَانِ مَغْمُورٌ. وَأَجَابَهُ الصَّاحِبُ بِكِتَابٍ صَدَّرَهُ بِأَبْيَاتٍ مِنْهَا:

بَدَتْ عَذَارَى مَدَّتْ سُرَادِقَهَا وَأَقْسَمَ الْحُسْنُ لَا يُفَارِقُهَا؟

---

(١) ارجحن: مال واهتز.

كَوَاعِبٌ أُخْرِسَتْ دَمَالِجُهَا عَنَّا وَقَدْ أُقْلِقَتْ مَنَاطِقُهَا[1] ؟

أَمْ رَوْضَةٌ أَبْرَزَتْ مَحَاسِنَهَا وَمَا يَنِي قَطْرُهَا يُعَانِقُهَا ؟

أَمْ أَشْرَقَتْ فِقْرَةٌ بَدَائِعُهَا حَدِيقَةٌ زَانَهَا طَرَائِقُهَا ؟

لِلّٰهِ حِلْفُ الْعُلَا أَبُو حَسَنٍ وَقَدْ جَرَتْ لِلْعُلَا سَوَابِقُهَا

لِلّٰهِ تِلْكَ الْأَلْفَاظُ حَامِلَةً غُرُّ مَعَانٍ تَعْيَا دَقَائِقُهَا[2]

يَكَادُ إِعْجَازُهَا يُشَكِّكُنَا فِي سُوَرٍ أَنَّهَا تُوَافِقُهَا

وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، هٰذِهِ — أَطَالَ اللّٰهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ — أَبْيَاتٌ عَلَّقْتُهَا وَالرَّوِيَّةُ لَمْ تَعْتَلِقْهَا ، وَأَعْنَقْتُ فِيهَا وَالْفِكْرَةُ لَمْ تَعْتَنِقْهَا ، لَا ثِقَةً بِالنَّفْسِ وَوَفَائِهَا ، وَسُكُونًا إِلَى الْقَرِيحَةِ وَصَفَائِهَا ، بَلْ عِلْمًا بِأَنِّي وَإِنْ أَعْطَيْتُ الْجُهْدَ عِنَانَهُ ، وَفَسَحْتُ لِلْكَدِّ مَيْدَانَهُ ، لَمْ أُدَانِ مَا وَرَدَ مِنْ أَلْفَاظٍ أَيْسَرُ مَا أَصِفُهَا بِهِ الِامْتِنَاعُ عَلَى الْوَصْفِ أَنْ يَتَقَصَّاهَا ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْإِطْنَابِ أَنْ يَبْلُغَ مَدَاهَا ، وَلَقَدْ قَرَعَ سَمْعِي مِنْهَا مَا أَرَانِي الْعَجْزَ يَخْطِرُ بَيْنَ أَفْكَارِي ، وَالْقُصُورَ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ إِقْبَالِي

---

(١) الشطر الأول كناية عن امتلاء الذراع ، ولذا لا نسمع للدمالج صوتا ، والشطر الثانى كناية عن ضمور الخصر ، فالمناطق قلقة ولذا يقال : وشاح مقلاق ونطاق كذلك ، والكلام استفهامي حذفت همزته من بدت فى أول الكلام .

(٢) يريد أن دقائقها تعيا على الفطاحل « عبد الخالق »

وَإِدْبَارِى، إِلَى أَنْ فَكَّرْتُ فِى أَنَّ فَضِيلَةَ الْمَوْلَى تَشْتَمِلُ عَبْدَهُ، وَتُخَيِّمُ وَإِنْ تَصَرَّفَتْ عِنْدَهُ، فَثَابَ إِلَىَّ خَاطِرٌ نَظَمْتُ بِهِ مَا إِنْ طَالَعَهُ صَفْحاً وَجُوداً رَجَوْتُ أَنْ يَحْظَى بِطَائِلِ الْقَبُولِ، وَإِنْ تَتَبَّعَهُ نَقْداً تَرَاجَعَ عَلَى أَعْقَابِ الْخُمُولِ، هٰذَا وَلَا عَارَ عَلَى مَنْ سَبَقَهُ سُبَّاقُ الْأَقْرَانِ الْمُسْتَوْلِى عَلَى قَصَبِ الرِّهَانِ.[1]

وَمِنْ شِعْرِ الْقَاشَانِىِّ الْمَشْهُورِ:

وَإِنِّى وَإِنْ أَقْصَرْتُ عَنْ غَيْرِ بِغْضَةٍ
لَرَاعٍ لِأَسْبَابِ الْمَوَدَّةِ حَافِظُ

وَمَا زَالَ يَدْعُونِى إِلَى الصَّدِّ مَا أَرَى
فَآبَى وَيَثْنِينِى إِلَيْكَ الْحَفَائِظُ

وَأَنْتَظِرُ الْعُتْبَى وَأُغْضِى عَلَى الْقَذَى
أُلَايِنُ طَوْراً فِى الْهَوَى وَأُغَالِظُ

﴿٢٦ — عَلِىُّ بْنُ الْقَاسِمِ السِّنْجَانِىُّ أَبُو الْحَسَنِ*﴾

على بن القاسم السنجانى

وَسِنْجَانُ قَصَبَةُ خَوَافَ. ذَكَرَهُ الْبَاخَرْزِىُّ فَقَالَ: هُوَ

(١) بمقارنة هذه الرسالة بما فى اليتيمة ومقابلة الشعر بالشعر، رأيت تحريفاً كثيرا هنا وفى اليتيمة فأصلحت بقدر ما وسع فهمى. «عبد الخالق»

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة بترجمة زيد فيها ما يأتى قال: —

صَاحِبُ كِتَابِ مُخْتَصَرِ الْعَيْنِ ، وَمَحَلُّهُ مِنَ الْأَدَبِ مَحَلُّ الْعَيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَمَحَلُّ الْإِنْسَانِ (١) مِنَ الْعَيْنِ ، وَقَدْ سَهَّلَ طَرِيقَ اللُّغَةِ عَلَى طَالِبِيهَا ، وَأَدْنَى قُطُوفَهَا مِنْ مُتَنَاوِلِيهَا بِاخْتِصَارِهِ كِتَابَ الْعَيْنِ ، وَلَا تَكَادُ تَرَى حُجُورَ الْمُتَأَدِّبِينَ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَلَهُ شِعْرُ الزُّهَّادِ وَقَدْ جَرَى فِيهِ عَلَى سَمْتِ الْعُبَّادِ ، وَنَسَجَهُ عَلَى مِنْوَالِ أُولِي الِاجْتِهَادِ ، فَمِمَّا وَقَعَ إِلَيَّ مِنْهُ قَوْلُهُ :

خَلِيلَيَّ قُومَا فَاحْمِلَا لِي رِسَالَةً ... وَقُولَا لِدُنْيَانَا الَّتِي تَتَصَنَّعُ

عَرَفْنَاكِ يَا خَدَّاعَةَ الْخَلْقِ فَاعْزُبِي

أَلَسْنَا نَرَى مَا تَصْنَعِينَ وَنَسْمَعُ ؟

فَلَا تَتَحَلَّيْ لِلْعُيُونِ بِزِينَةٍ ... فَإِنَّا مَتَى مَا تُسْفِرِي نَتَقَنَّعُ

نُغَطِّي بِثَوْبِ الْيَأْسِ مِنَّا عُيُونَنَا

إِذَا لَاحَ يَوْمًا مِنْ مَخَازِيكِ مَطْمَعُ

وَهَلْ أَنْتِ إِلَّا مُتْعَةٌ مُسْتَعَارَةٌ ؟

فَلَمْ يَهْنِنَا مِمَّا رَعَيْنَاهُ مَرْتَعُ

— عن قليل سرائر الخلق تفشو ... في مقام يشيب فيه الوليد
أي يوم هناك يومي إذا ما ... جمع الخلق موقف مشهود

وترجم له في كتاب بغية الوعاة

(١) يريد إنسان العين

فَأَنْتِ خَلُوبٌ[١] كَالْغَمَامَةِ كُلَّمَا

رَجَاهَا مُرَجِّى الْغَيْثِ ظَلَّتْ تَقَشَّعُ[٢]

طَلُوعٌ قَبُوعٌ[٣] كَالْمُغَازِلَةِ الَّتِى تَطَلَّعُ أَحْيَانًا وَحِينًا تَقَبَّعُ

وَلَهُ يَرْثِى نَفْسَهُ :

دَبَّتْ إِلَىَّ بَنَاتُ الْأَرْضِ مُسْرِعَةً

حَتَّى تَمَشَّيْنَ فِى قَلْبِى وَفِى كَبِدِى

وَالْعَيْنُ مِنِّى فُوَيْقَ الْخَدِّ سَائِلَةٌ

وَطَالَمَا كُنْتُ أَحْمِيهَا مِنَ الرَّمَدِ

﴿ ٢٧ — عَلِىُّ بْنُ الْمُبَارَكِ اللَّحْيَانِىُّ * ﴾

على بن المبارك اللحيانى

وَقِيلَ عَلِىُّ بْنُ حَازِمٍ وَيُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ ، أَخَذَ عَنِ الْكِسَائِىِّ ، وَأَخَذَ عَنْهُ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ . وَلَهُ كِتَابُ النَّوَادِرِ . قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِىُّ فِى كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ : وَمِمَّنْ أَخَذَ عَنِ الْكِسَائِىِّ أَبُو الْحَسَنِ عَلِىُّ بْنُ

---

(١) خلوب : خداعة (٢) تقشع : تنكشف وتزول (٣) طلوع قبوع : تظهر ثم تختفى ، وتقبل ثم تدبر

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة وترجم له فى كتاب بغية الوعاة

حَازِمٍ الْخُتَّلِيُّ[١] اللِّحْيَانِيُّ مِنْ بَنِي لِحْيَانَ بْنِ هُذَيْلِ بْنِ مُدْرِكَةَ ابْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ صَاحِبُ كِتَابِ النَّوَادِرِ، وَقِيلَ سُمِّيَ اللِّحْيَانِيَّ لِعِظَمِ لِحْيَتِهِ.

حَدَّثَنِي أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الطُّوسِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ اللِّحْيَانِيِّ قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَسَمِعْتُ ثَعْلَبًا يَقُولُ: قَالَ الْأَحْمَرُ: خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الْكِسَائِيِّ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا اللِّحْيَانِيُّ جَالِسٌ فَقَالَ لِي: أُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ فَتَشْفَعَ لِي إِلَى الْكِسَائِيِّ لِأَقْرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ النَّوَادِرَ. قَالَ: فَدَخَلْتُ إِلَى الْكِسَائِيِّ فَقُلْتُ لَهُ. فَقَالَ: هُوَ بَغِيضٌ ثَقِيلُ الرُّوحِ. قَالَ الْأَحْمَرُ: وَكَانَ اللِّحْيَانِيُّ وَرِعًا. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أُحِبُّ أَنْ تَفْعَلَ فَأَجَابَنِي فَخَرَجْتُ إِلَى اللِّحْيَانِيِّ فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا فَلِمَ لَا تَنْبَسِطُ مَعَهُ؟ فَقَالَ: دَعْنِي وَإِيَّاهُ. قَالَ اللِّحْيَانِيُّ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ مُلُوكِيٍّ وَعَلَيْهِ بَغْدَادِيَّةٌ[٢] مُشَهَّرَةٌ وَعَلَى رَأْسِهِ بَطِّيخِيَّةٌ[٣] وَبِيَدِهِ كِسْرَةُ سَمِيدٍ وَهُوَ يَفُتُّهَا لِلْحَمَامِ. قَالَ

---

(١) قال فى القاموس . وختل كسكر . كورة ببلاد ماوراء النهر منها . . . . . وعلى بن حازم أبو الحسن اللحيانى اللغوى الختليون (٢) يريد ثيابا بغدادية من الثياب المشهرة (٣) والبطيخية : قلنسوة على شكل البطيخة تسمى أرصوصة كما ذكر ذلك صاحب المخصص . « عبد الخالق »

ثَعْلَبٌ : وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ أَفْسَدَهُ . قَالَ : فَقَالَ لِى : مَاتَقُولُ فِى النَّبِيذِ؟قلتُ أَنا؟قَالَ نعَمْ ، قلْتُ أَحسُوهُ ثُمَّ أَفسُوهُ . قَالَ:فضَحِكَ مِنِّى وَقَالَ : أَنتَ ظَرِيفٌ فَاكْتُمْ مَاسَمِعْتَ وَأَقْرَأْ مَاشئتَ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ وَخَرَجْتُ فَإِذَا الْحِجَارَةُ تَأْخذُ كَعْبِى فَالْتفتُّ أَقُولُ مَنْ ذَا ؟ فَإِذَا هُوَ مِنْ مَنْظَرٍ لَهُ يَقُولُ : مَنْ كُنْتَ تقرَأُ عَلَيْهِ حَتَّى صدَّعتَهُ الْيَوْمَ . قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ : وَقَدْ أَخَذَ اللِّحْيَانِىُّ عَنْ أَبِى زَيْدٍ وَأَبِى عَمْرٍو الشَّيْبَانِىِّ وَأَبِى عُبَيْدَةَ وَالْأَصْمَعِىِّ وَعُمْدَتُهُ عَلَى الْكِسَائِىِّ ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْكُوفَةِ كُلُّهُمْ يَأْخُذُونَ عَنِ الْبَصْرِيِّينَ ، وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ يَمْنعُونَ مِنَ الْأَخْذِ عَنْهُمْ ، لِأَنَّهُمْ لَايَرَوْنَ الْأَعْرَابَ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمْ حُجَّةً .

قَالَ ابْنُ جِنِّىٍّ فِى الْخَصَائِصِ : ذَاكَرْتُ يَوْماً أَبَا عَلِىٍّ بِنَوَادِرِ اللِّحْيَانِىِّ فَقَالَ : كُنَاسَةٌ . قَالَ : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ مِقْسَمٍ يَقُولُ : إِنَّ كِتَابَهُ لَايَصِلُهُ بِهِ رِوَايَةٌ وَقَدَحًا فِيهِ وَغَضًّا مِنْهُ .

﴿ ٢٨ — عَلِىُّ بْنُ الْمُبَارَكِ أَبِى الْمَعَالِى بْنِ عَلِىٍّ (*) ﴾

على بن المبارك المعروف بابن الزاهدة

ابْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِى بْنِ بَانَوَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة

الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الزَّاهِدَةِ النَّحْوِيُّ صَاحِبُ ابْنِ الْخَشَّابِ وَلَيْس بِابْنِ الزَّاهِدِ، فَإِنَّ فِي أَصْحَابِ ابْنِ الْخَشَّابِ آخَرَ يُعْرَفُ بِابْنِ الزَّاهِدِ بِغَيْرِ هَاء، وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ هِبَةِ اللهِ مَذْكُورٌ فِي بَابِهِ. وَالزَّاهِدَةُ هٰذِهِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا أُمُّهُ، وَاسْمُهَا أَمَةُ السَّلَامِ الْمُبَارَكَةُ بِنْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَرْبَشِ، وَكَانَتْ وَاعِظَةً مَشْهُورَةً رَوَتِ الْحَدِيثَ، مَاتَ ابْنُ الزَّاهِدَةِ هٰذَا فِي ثَالِثِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدَتِهِ بِرِبَاطٍ لَهُمْ بِدَرْبِ الْبَقَرِ بِمَحَلَّةِ الظَّفَرِيَّةِ، وَكَانَ أَيْضاً يَسْكُنُ بِالظَّفَرِيَّةِ فِي حَيَاتِهِ، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِالنَّحْوِ، قَرَأَ عَلَى الشَّرِيفِ أَبِي السَّعَادَاتِ بْنِ الشَّجَرِيِّ، ثُمَّ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ ابْنِ الْخَشَّابِ، وَأَقْرَأَ الْعَرَبِيَّةَ مُدَّةً وَسَمِعَ مِنْهُ الطَّلَبَةُ وَأُنْشِدْتُ لَهُ :

إِذَا اسْمٌ بِمَعْنَى الْوَقْتِ يُبْنَى لِأَنَّهُ
يُضَمَّنُ مَعْنَى الشَّرْطِ مَوْضِعُهُ نَصْبُ
وَيَعْمَلُ فِيهِ النَّصْبُ مَعْنَى جَوَابِهِ
وَمَا بَعْدَهُ فِي مَوْضِعِ الْجَرِّ يَا نَدْبُ

وَلَهُ فِي كِتَابِ الْخَرِيدَةِ مِنْ قَصِيدَةٍ كَتَبَهَا إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ :

أَلَا حَيِّيَا بِالرَّقْمَتَيْنِ(١) الْمَعَالِمَا
وَإِنْ كُنَّ قَدْ أَصْبَحْنَ دُرْسًا طَوَاسِمَا

وَمِنْ مَدِيحِهَا :

إِذَا كَانَتِ الْأَعْدَاءُ فِعْلًا مُضَارِعًا
أَصَارَ مَوَاضِيهِ الْحُرُوفَ الْجَوَازِمَا

« ٢٩ – عَلِيُّ بْنُ الْمُحَسِّنِ أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِيُّ * »

علي بن المحسن التنوخي

قَالَ السَّمْعَانِيُّ فِي كِتَابِ النَّسَبِ : هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ ابْنُ الْمُحَسِّنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَهْمِ ، وَاسْمُ أَبِي الْفَهْمِ دَاوُدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ تَمِيمِ بْنِ جَابِرِ بْنِ هَانِئِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مُرَيْطِ بْنِ سَرْحِ بْنِ نِزَارِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ فَهْمِ بْنِ تَيْمِ اللهِ بْنِ أَسَدِ بْنِ وَبَرَةَ بْنِ

(١) الرقمة : الروضة أو جانب الوادى

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة بترجمة زادت ما يأتى :

لم أنس دجلة والدجى متصوب — والبدر فى أفق السماء مغرب
فكأنها فيه بساط أزرق — وكأنه فيها طراز مذهب

وترجم له فى كتاب أنباه الرواة صفحة ٥٤٠

تَغْلِبَ بْنِ حُلْوَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ . سَمِعَ أَبَا الْحَسَنِ
عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ كَيْسَانَ النَّحْوِيَّ ، وَإِسْحَاقَ بْنَ سَعْدِ بْنِ
الْحَسَنِ بْنِ سُفْيَانَ النَّسَوِيَّ ، وَرَوَى عَنْهُ الْخَطِيبُ فَأَكْثَرَ ،
وَكَانَ قَدْ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ عِنْدَ الْحُكَّامِ فِي حَدَاثَتِهِ ، مَاتَ فِيمَا
ذَكَرَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْآبَنُوسِيِّ فِي سَنَةِ سَبْعٍ
وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي مُحَرَّمِهَا . قَالَ الْخَطِيبُ : وَسَأَلْتُهُ
عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ : وُلِدْتُ بِالْبَصْرَةِ فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ
سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

قَالَ : وَكَانَ مُعْتَزِلِيًّا ، قَالَ : وَكَانَ عِنْدَهُ كِتَابُ الْقَدَرِ
لِجَعْفَرٍ الْفِرْيَابِيِّ ، وَكَانَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ يَتَحَاشَوْنَ مِنْ
مُطَالَبَتِهِ بِإِخْرَاجِهِ ، فَطَالَبْتُهُ بِهِ وَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ ، وَسَمِعُوا
أَوْ كَمَا قَالَ . وَكَانَ التَّنُوخِيُّ سَاكِتًا لَمْ يَعْتَرِضْ عَلَى شَيْءٍ
مِنْ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ .

قَالَ : وَكَانَ دَخْلُ التَّنُوخِيِّ كُلَّ شَهْرٍ مِنَ الْقَضَاءِ وَدَارِ
الضَّرْبِ وَغَيْرِهِمَا سِتِّينَ دِينَارًا ، فَيَمُرُّ الشَّهْرُ وَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ ،
وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَصْحَابِ الْحَدِيثِ ، وَكَانَ الْخَطِيبُ وَالصُّورِيُّ

وَغيرُهما يَبِيتُونَ عِنْدَهُ، وَكَانَ ثِقَةً فِي الْحَدِيثِ مُتَحَفِّظاً فِي الشَّهادَةِ مُحتاطاً صَدُوقاً، وَتَقَلَّدَ قَضاءَ عِدَّةِ نَواحٍ مِنها الْمَدائِنُ وَأَعمالُها وَدَرْزِيجانُ وَالْبَرَدانُ وَقَرْمِيسِينُ.

وَحَدَّثَنا الْهَمَذانِيُّ فِي تَارِيخِهِ بَعْدَ ذِكْرِ مَوْلِدِهِ وَوَفاتِهِ كَمَا تَقَدَّمَ ثُمَّ قالَ: وَكَانَ ظَرِيفاً نَبِيلاً فَاضِلاً جَيِّدَ النّادِرَةِ.

قَالَ الْقاضِي أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ الدّامغانِيّ: دَخَلْتُ عَلَى الْقاضِي أَبِي الْقاسِمِ التَّنُوخِيِّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِقَلِيلٍ وَقَدْ عَلَتْ سِنُّهُ فَأَخْرَجَ إِلَيَّ وَلَدَهُ مِنْ جارِيَتِهِ، فَلَمَّا رَآهُ بَكَى فَقُلْتُ: تَعِيشُ إِنْ شاءَ اللهُ وَتُرَبِّيهِ وَيُقِرُّ اللهُ عَيْنَكَ بِهِ، فَقَالَ: هَيْهاتَ وَاللهِ ما يَتَرَبَّى إِلَّا يَتِيماً وَأَنْشَدَ:

أَرَى وَلَدَ الْفَتَى كَلًّا عَلَيْهِ ... لَقَدْ سَعِدَ الَّذِي أَمْسَى عَقِيماً

فَإِمَّا أَنْ يُخَلِّفَهُ عَدُوّاً ... وَإِمَّا أَنْ يُرَبِّيَهُ يَتِيماً

ثُمَّ قالَ: أُرِيدُ أَنْ تُزَوِّجَنِي مِنْ أُمِّهِ - فَإِنِّي قَدْ أَعْتَقْتُها - عَلَى صَداقِ عَشَرَةِ دَنانِيرَ فَفَعَلْتُ، وَكَانَ كَمَا قالَ تَرَبَّى يَتِيماً، وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُحَسِّنِ. قَبِلَ الْقاضِي أَبُو عَبْدِ اللهِ شَهادَتَهُ، ثُمَّ ماتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمائَةٍ وَانْقَرَضَ بَيْتُهُ.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ: وُلِدَ لِأَبِي الْقَاسِمِ التَّنُوخِيِّ وَلَدٌ فِي سَنَةِ نَيِّفٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فَقَالَ لَهُ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ: أَيُّهَا الْقَاضِي، كُنْتَ مُنْذُ شُهُورٍ قَرِيبَةٍ قُلْتَ لِي: إِنَّكَ لَا تَعْرِفُ هَذَا الشَّأْنَ الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ الْأَوْلَادُ مُنْذُ سِنِينَ، وَإِنَّهُ لَا حَاسَّةَ بَقِيَتْ لَكَ وَلَا شَهْوَةَ وَلَا قُدْرَةَ عَلَى هَذَا الْفَنِّ، وَأَنْتَ الْيَوْمَ تُقِرُّ عِنْدِي بِوَلَدٍ رُزِقْتَهُ، فَفِي أَيِّ الْقَوْلَيْنِ أَنْتَ كَاذِبٌ أَيُّهَا الْقَاضِي؟ فَقَالَ لَهُ: اللَّهُمَّ غَفْرًا، اللَّهُمَّ غَفْرًا، وَخَجِلَ وَقَامَ. قَالَ: وَاجْتَازَ يَوْمًا فِي بَعْضِ الدُّرُوبِ فَسَمِعَ امْرَأَةً تَقُولُ لِأُخْرَى: كَمْ عُمْرُ بِنْتِكِ يَا أُخْتِي؟ فَقَالَتْ لَهَا: رُزِقْتُهَا يَوْمَ شُهِّرَ بِالْقَاضِي التَّنُوخِيِّ وَضُرِبَ بِالسِّيَاطِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَقَالَ: يَا بَظْرَاءُ صَارَ صَفْعِي تَارِيخَكِ وَمَا وَجَدْتِ تَارِيخًا غَيْرَهُ؟ وَكَانَ أَعْمَشَ الْعَيْنَيْنِ لَا تَهْدَأُ جُفُونُهُ مِنَ الِانْخِفَاضِ وَالِارْتِفَاعِ وَالتَّغْمِيضِ وَالِانْفِتَاحِ، فَقَالَ فِيهِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ بَابَكَ الشَّاعِرُ:

إِذَا التَّنُوخِيُّ انْتَشَا ... وَغَاضَ ثُمَّ انْتَعَشَا
أَخْفَى عَلَيْهِ إِنْ مَشِيـ ... ـتُ وَهُوَ يَخْفَى إِنْ مَشَا
فَلَا أَرَاهُ قِلَّةً ... وَلَا يَرَانِي عَمَشَا

وَكَانَ تَوَلَّى دَارَ الضَّرْبِ فَقَالَ الْبُصْرَوِيُّ فِيهِ :

وَفِي أَمَضِّ الْأَعْمَالِ قَاضٍ لَيْسَ بِأَعْمَى وَلَا بَصِيرِ

يَقْضَمُ مَا يُجْتَبَى إِلَيْهِ قَضْمَ الْبَرَاذِينِ لِلشَّعِيرِ

قَالَ غَرْسُ النِّعْمَةِ : حُدِّثْتُ أَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى التَّنُوخِيِّ عَلَى الطَّرِيقِ وَهُوَ رَاكِبٌ حِمَارَهُ وَأَعْطَاهُ رُقْعَةً وَبَعُدَ مُسْرِعًا فَفَتَحَهَا وَإِذَا فِيهَا :

إِنَّ التَّنُوخِيَّ بِهِ أُبْنَةٌ كَأَنَّهُ يَسْجُدُ لِلْفَيْشِ

لَهُ غُلَامَانِ يَنِيكَانِهِ بِعِلَّةِ التَّزْوِيجِ فِي الْخَيْشِ

فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ :رُدُّوا ذَاكَ زَوْجَ الْقَحْبَةِ الَّذِي أَعْطَانِي الرُّقْعَةَ ، فَعَدَوْا وَرَاءَهُ فَرَدُّوهُ فَقَالَ : هَذِهِ الرُّقْعَةُ مِنْكَ ؟ فَقَالَ : لَا ، أَعْطَانِيهَا بَعْضُ النَّاسِ وَأَمَرَنِي أَنْ أُوَصِّلَهَا إِلَيْكَ ، قَالَ : قُلْ لَهُ : يَا كَشْخَانُ[١] يَاقَرْنَانُ يَازَوْجَ أَلْفِ قَحْبَةٍ ، هَاتِ زَوْجَتَكَ وَأُخْتَكَ وَأُمَّكَ إِلَى دَارِي ، وَانْظُرْ مَا يَكُونُ مِنِّي إِلَيْهِمْ ،

(١) الكشخان : الديوث الذى لا غيرة له ، وكذا القرنان ، إلا أن القرنان يمتاز بأن له شريكا فى قرينته أى زوجته

وَأَحكِمْ ذَلِكَ الْوَقْتَ بِمَا قَدْ حَكَمْتَ بِهِ فِى رُقْعَتِكَ أَوْ بِضِدِّهِ ، فَقَاهُ قَفَاهُ ، فَصفَعُوهُ وَافْتَرَقَا .

قَالَ غَرْسُ النِّعْمَةِ : حَدَّثَنِى أَبُو سَعْدٍ الْمَانِدَائِىُّ قَالَ : دَخَلْتُ يَوْماً عَلَى الْقَاضِى أَبِى الْقَاسِمِ التَّنُوخِىِّ وَكَانَتْ عَيْنُهُ رَمِدَةً أَتَعَرَّفُ خَبَرَهُ فَقَالَ لِى : حَدِّثْنِى مَنْ رَأَيْتَ وَمَا رَأَيْتَ فِى طَرِيقِكَ ؟ فَقُلْتُ : رَأَيْتُ مِنسفاً فِيهِ نَحْوُ عِشْرِينَ رِطلاً رُطَباً أَزَاذاً لِقَاطاً [1] مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ . فَقَالَ لِغُلَامِهِ : يَا أَحْمَدُ ، عَلَىَّ بِالْمِنسفِ السَّاعَةَ ، فَمَضَى أَحْمَدُ وَابْتَاعَهُ وَجَاءَ بِهِ فَحَلَّ عَيْنَهُ وَغَسَلَهَا مِنَ الدَّوَاءِ الَّذِى فِيهَا وَقَالَ لِى : كُلْ حَتَّى آكُلَ . فَقُلْتُ يَا سَيِّدِى عَيْنُكَ رَمِدَةٌ فَكَيْفَ تَأْكُلُ رُطَباً ؟ فَقَالَ : كُلْ فَعَيْنِى تَهْدَأُ وَالرُّطَبُ يَفْنَى ، فَأَكَلَ وَاللهِ مِنْهُ حَتَّى وَقَفَ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِى قَالَ : كُنتُ لَيْلَةً بَائِتاً عِنْدَهُ فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَمَا زَالَ طَرَفُ النِّطْعِ الَّذِى تَحْتَهُ يَصْعَدُ وَيَنْزِلُ وَيَصْفَعُ رَأْسَهُ فَقَالَ : هَذَا سُقُوطُ السَّاعَةِ أَمْ مُصَافَعَةٌ ؟ فَقُلْتُ : مِمَّنْ يَا سَيِّدَنَا ؟ فَقَالَ : فُضُولُكَ وَضَحِكْنَا .

(١) الأزاذ كسحاب : نوع من التمر ، واللقاط : الطيبات منه ، والمفرد لقط .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي قَالَ : حَدَّثَنِي القَاضِي قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا فِي وَقْتِ الْقَيْلُولَةِ نَائِمًا فَاجْتَازَ وَاحِدٌ غَثٌّ يَصِيحُ صِيَاحًا أَزْعَجَنِي وَأَيْقَظَنِي : شَرَّاكُ النِّعَالِ ، شَرَّاكُ النِّعَالِ . فَقُلْتُ لِأَحَدِ الْغُلَامِ : خُذْ كُلَّ نَعْلٍ لِي وَلِمَنْ فِي دَارِي وَأَخْرِجْهَا إِلَى هَذَ الرَّجُلِ لِيَرُمَّهَا وَيَشْتَغِلَ بِهَا فَفَعَلَ ، وَنِمْتُ إِلَى أَنِ اكْتَفَيْتُ ثُمَّ انْتَبَهْتُ وَصَلَّيْتُ الْعَصْرَ وَأَعْطَيْتُهُ أُجْرَتَهُ وَمَضَى ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ جَاءَ وَأَنَا نَائِمٌ فَصَاحَ وَأَنْبَهَنِي فَقُلْتُ لِلْغُلَامِ : أَدْخِلْهُ ، فَأَدْخَلَهُ فَقُلْتُ : يَامَاصَّ كَذَا وَكَذَا مِنْ أُمِّهِ ، أَمْسِ فِي هَذَا الْوَقْتِ أَصْلَحْتَ كُلَّ نَعْلٍ لَنَا ، وَعُدْتَ الْيَوْمَ تَصِيحُ عَلَى بَابِنَا ، أَبَلَغَكَ أَنَّنَا الْبَارِحَةَ تَصَافَعْنَا بِالنِّعَالِ وَقَطَّعْنَاهَا؟ وَقَدْ عُدْتَ الْيَوْمَ لِعَمَلِهَا وَإِصْلَاحِهَا ، فَقَاهُ . فَقَالَ يَا سَيِّدَنَا الْقَاضِي : أَوْ أَتُوبَ أَلَّا أَدْخُلَ هَذَا الدَّرْبَ ؟ قُلْتُ : فَمَا تَتْرُكُنِي أَنَامُ وَلَا أَهْدَأُ وَلَا أَسْتَقِرُّ ؟ فَحَلَفَ أَلَّا يَعُودَ إِلَى الدَّرْبِ وَأَخْرَجْتُهُ إِلَى لَعْنَةِ اللهِ . قَالَ : وَرَأَيْتُهُ يَوْمًا عِنْدَ الرَّئِيسِ الْوَالِدِ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا — وَهُوَ يَشْكُو إِلَيْهِ قُبْحَ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمُسْلِمَةِ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ وَقَصْدِهِ

لَهُ وَغَضَّه مِنْهُ ، وَتَنَاهَى غَضَبُهُ إِلَى أَنْ أَخَذَ الدَّوَاةَ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ الرَّئِيسِ وَرَفَعَهَا إِلَى فَوْقِ رَأْسِهِ وَقَالَ : وَاللّٰهِ لَقَدْ بَالَ فِي حِجْرِي وَعَلَى ثِيَابِي بِعَدَدِ الرَّمْلِ وَالْحَصَا وَالتُّرَابِ ، وَحَطَّ الدَّوَاةَ فَضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ فَكُسِرَتْ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ وَانْصَرَفَ وَقَدِ اسْتَحْيَا وَبَقِينَا مُتَعَجِّبِينَ مِنْهُ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو سَعْدٍ الْمَانَدَائِيُّ قَالَ : كُنْتُ مَعَ الْقَاضِي التَّنُوخِيِّ وَقَدْ خَرَجَ يَوْماً مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ لِيَعْبُرَ إِلَى دَارِهِ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، فَلَمَّا بَلَغْنَا مَشْرَعَةَ نَهْرِ مُعَلَّى صَاحَ بِهِ الْمَلَّاحُونَ : يَا شَيْخُ يَا شَيْخُ ، تَعَالَ هُنَا تَعَالَ هُنَا ، فَوَقَفَ وَقَالَ لَهُمْ : كُلُّ مُرْدِيٍّ (١) مَعَكُمْ وَمِجْذَافٍ فِي كَذَا وَكَذَا مِنْ نِسَائِكُمْ ، مَا فِيكُمْ إِلَّا مَنْ يَعْرِفُنِي وَيَعْلَمُ أَنِّي الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ يَا كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ نَزَلَ وَهُوَ يَسُبُّهُمْ وَيَشْتِمُهُمْ وَالْمَلَّاحُونَ وَأَنَا قَدْ مُتْنَا بِالضَّحِكِ . وَجَاءَهُ غُلَامٌ قَدْ تَزَوَّجَ وَكَتَبَ كِتَاباً بِمَهْرٍ يُشْهِدُهُ فِيهِ وَاسْتَحْيَا الْغُلَامُ مِنْ ذَلِكَ فَجَذَبَ طَاقَةً مِنْ حَصِيرِ الْقَاضِي وَجَعَلَ يَقْطَعُهَا لِحَيَائِهِ وَخَجَلِهِ ، وَلَحَظَهُ الْقَاضِي فَقَالَ يَا هَذَا : أَنَا أَشْهَدُ لَكَ فِي كِتَابٍ يَقْتَضِي أَنْ يُحْمَلَ بِهِ إِلَيْكَ الْقُمَاشُ

---

(١) المردى : خشبة تدفع بها السفينة والجمع مرادىّ

وَالْجِهَازُ اللَّذَانِ يُعَمِّرَانِ بَيْتَكَ وَيُجَمِّلَانِ أَمْرَكَ، وَأَنْتَ مَشْغُولٌ بِقَطْعِ حَصِيرِي وَتَخْرِيبِ بَيْتِي؟ وَشَقَّ الْكِتَابَ قِطَعاً وَلَمْ يَشْهَدْ فِيهِ وَرَمَى بِهِ إِلَيْهِ، فَأَخَذَهُ وَانْصَرَفَ مُتَعَجِّباً.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي الرَّئِيسُ أَبُو الْحُسَيْنِ وَالِدِي قَالَ: شَهِدَ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ — مُنْذُ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ النِّصْفَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ —، نَيِّفاً[1] وَسِتِّينَ سَنَةً مَا وُقِفَ لَهُ عَلَى زَلَّةٍ وَلَا غَلْطَةٍ. وَأَذْكُرُ لَهُ حِكَايَةً وَهِيَ: أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّهُودِ عَلَى زَوْجَةِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي تَمَّامٍ الْهَاشِمِيِّ نَقِيبِ النُّقَبَاءِ فِي إِقْرَارٍ أَقَرَّتْ بِهِ، فَلَمَّا سَمِعُوا إِقْرَارَهَا مِنْ وَرَاءِ السِّتَارَةِ لَمْ يُقْنِعْهُمْ ذَاكَ، وَأَرَادُوا مَنْ يَشْهَدُ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْمُقِرَّةَ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الْكِتَابِ بِعَيْنِهَا، وَأَنْ يُشَاهِدُوهَا حَتَّى يُسَلِّمُوا لَهُ، وَيَصِحَّ أَنْ يَشْهَدُوا عَلَيْهَا بِالْمَعْرِفَةِ، فَلَمْ يُقْدِمُوا عَلَى ذَلِكَ وَخِطَابِ

(١) نيفا معمول لشهد السابقة

أَبِي تَمَّامٍ فِيهِ ، فَخَرَجَ وَلَدُهُ مِنْهَا فَقَامَ لَهُ التَّنُوخِيُّ وَأَخَذَهُ إِلَى حِجْرِهِ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَالَ لَهُ : قَلِيلًا قَلِيلًا ، مَنْ هَذِهِ الَّتِي تُكَلِّمُنَا مِنْ وَرَاءِ السِّتَارَةِ وَتُحَدِّثُنَا وَتُشْهِدُنَا عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ لَهُ : سِتِّي ، فَالْتَفَتَ إِلَى الْجَمَاعَةِ وَقَالَ لَهُمْ : اشْهَدُوا يَاسَادَةُ ، فَأَنَا أَشْهَدُ عِنْدَكُمْ أَنَّ الْمُقِرَّةَ عِنْدَنَا مِنْ وَرَاءِ السِّتَارَةِ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الْكِتَابِ بِعَيْنِهَا ، فَشَهِدُوا وَشَهِدَ مَعَهُمْ . وَقَالَ مِنْ بَعْدُ : هَذَا صَبِيٌّ لَا يَعْرِفُ مَا نَحْنُ فِيهِ ، وَلَوْ كَانَ خَلْفَ السِّتَارَةِ غَيْرُ سِتِّهِ لَقَالَ ، وَلَمَّا كَانَتْ هِيَ بِعَيْنِهَا قَالَ : هِيَ سِتِّي . وَلَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ أَبُو الْحَسَنِ أَجَلَّ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا مَعَنَا .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : كَانَ لَنَا غُلَامٌ يُعْرَفُ بِجَمِيلَةَ فَابْتَاعَ أَلْفَ سَابِلٍ[1] سِرْجِينًا مِنْ مَلَّاحٍ يُعْرَفُ بِالدَّابَّةِ لِيَحْمِلَهُ إِلَى قَرَاحِنَا[2] الْمُشَجَّرِ فِي نَهْرِ عِيسَى لِيُطْرَحَ فِي أُصُولِ الشَّجَرِ ، فَلَمَّا ذَكَرَ جَمِيلَةُ ذَاكَ لِلرَّئِيسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ : اكْتُبْ عَلَيْهِ خَطًّا

(١) سابل وحدة من الواحدات يقدر بها ، ولم أجد لها أصلا فى القاموس ، ويظهر أنها اصطلاح عامي ، وأما السرجين : فهو روث الدواب وهذا ما يطلق عليه اسم سبلة فى عرف العامة . (٢) القراح : الأرض لا ماء بها ولا شجر ولكنها هنا مشجرة أى بها الشجر

وَأَشْهِدْ فِيهِ يَغْنِى الْمُعَلِّمَ فِى الدَّارِ وَمَنْ يَجْرِى مَجْرَاهُ ، فَكَتَبَ
جَمِيلَةُ عَلَى الْمَلَّاحِ رُقْعَةً وَمَضَى بِهَا لَا يَلْوِى عَلَى شَىْءٍ إِلَى
أَنْ عَادَ التَّنُوخِىُّ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ وَهُوَ جَائِعٌ حَاقِنٌ تَعِبٌ
وَالزَّمَانُ صَائِفٌ ، فَقَامَ إِلَيْهِ وَدَعَا لَهُ وَقَالَ لَهُ : مَنْ
أَنْتَ ؟ قَالَ غُلَامُ فُلَانٍ . قَالَ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : شَهَادَةٌ .
قَالَ لَهُ : اُقْعُدْ وَدَخَلَ يَخْلَعَ ثِيَابَهُ وَدَخَلَ بَيْتَ الطَّهَارَةِ
وَأَطَالَ وَالْغُلَامُ يَصِيحُ يَا سَيِّدَنَا أَنَا قَاعِدٌ مِنْ ضَحْوَةِ النَّهَارِ
إِلَى السَّاعَةِ ، فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ؟ اُصْبِرْ حَتَّى أَخْرَا ،
اُصْبِرْ حَتَّى أَخْرَا ، اُصْبِرْ حَتَّى أَخْرَا ، ثُمَّ تَوَضَّأَ لِيُصَلِّيَ
فَلَمْ يُهْنِئْهُ [1] فَقَالَ : اُدْخُلْ دَخَلَتْ بَطْنَكَ الشَّمْسُ ، فَقَدْ وَاللهِ
حَيَّرْتَنِى وَجَنَّنْتَنِى ، فَلَمَّا دَخَلَ أَعْطَاهُ الرُّقْعَةَ فَقَرَأَهَا وَقَالَ :
وَيْلَكَ ، مَا اُسْمُ هٰذَا الْمَلَّاحِ ؟ فَقَالَ الدَّابَّةُ يَا سَيِّدِى ، فَقَالَ :
وَأَىُّ شَىْءٍ يُقِرُّ بِهِ ؟ وَيْلَكَ فَمَا أَقِفُ عَلَيْهِ ، أَرَى خَمْسَةَ آلَافِ
سَابِلٍ وَلَا أَدْرِى مَا بَعْدَهُ ، فَقَالَ يَا سَيِّدَنَا خَمْسَةُ آلَافِ سَابِلٍ
سِرْقِينٍ [2] . فَقَالَ لَهُ : وَمَا السِّرْقِينُ [3] ؟ فَقَالَ : خَرْءُ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ .

---

(١) يريد لم يتركه يهنأ بحاله (٢) السرجين والسرقين : الزبل معرب سركين بالفارسية (٣) استفهام تهكمى

قَالَ : يَا مَاصَّ بَظْرِ أُمِّهِ ، أَنَا شَاهِدُ الْخَرْءِ ؟ وَنَهَضَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُغْتَاظٌ فَأَخَذَ يَنْتِفُ ذَقْنَهُ وَيَضْرِبُ رَأْسَهُ وَفَكَّهُ إِلَى أَنْ جَرَى الدَّمُ مِنْ فِيهِ وَأَخْرَجَهُ ، وَجَاءَ إِلَى الرَّئِيسِ رَحِمَهُ اللهُ فَحَدَّثَهُ بِمَا جَرَى عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا هٰذَا ، الشُّهُودُ يُسْتَشْهَدُونَ فِي الْخَرَا ؟ أَنْتَ بِاللهِ أَحْمَقُ . وَجَاءَنَا الْقَاضِي بَعْدَ الْعَصْرِ يَشْكُو مِنْ جَمِيلَةَ وَلَزِّهِ لَهُ وَتَوَكُّلِهِ بِهِ ، وَيَعْتَذِرُ مِمَّا جَرَّهُ جُنُونُهُ عَلَيْهِ ، وَمَا انْتَهَى مَعَهُ إِلَيْهِ ، فَضَحِكْنَا عَلَيْهِ وَمَرَّتْ لَنَا سَاعَةٌ طَيِّبَةٌ بِمَا أَوْرَدَهُ عَلَيْهِ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي الرَّئِيسُ أَبُو الْحَسَنِ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — قَالَ : حَضَرَ عِنْدِي الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِيُّ يَوْمًا وَقَدْ هَرَبَ الْكَافِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الْقِنَائِيُّ بِبَغْدَادَ ، وَخَرَجَ إِلَى الْأَنْبَارِ ، وَنَظَرَ أَبَا سَعْدٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَكَانَ التَّنُوخِيُّ مَائِلًا إِلَى بَنِي عَبْدِ الرَّحِيمِ وَنَابِيًا عَنْ أَضْدَادِهِمْ . فَبَدَأَ بِذِكْرِ الْقِنَائِيِّ — وَكَانَ لِي صَدِيقًا — بِقَبِيحٍ وَزَادَ وَخَشُنَ وَخَبَطَ ، فَغَمَّضْتُ عَيْنِي وَاسْتَلْقَيْتُ عَلَى

مخدَّتى لعلَّه يَكُفُّ ويَقْطعُ ، فعلِمَ ذاكَ مِنِّى فقفز إلَىَّ يحرّكنى ويقولُ : واللهِ ما أنتَ نائمٌ ، ولكنك ما تُحِبُّ أنْ تسمَعَ فى القِنائىِّ قبيحاً . فقُلتُ : ما أُحِبُّ أنْ أسمَعَ فى القِنائىِّ ولا فى غيْرِه قبيحاً ، وقد تناوَمْتُ لِتَقْطَعَ فلَمْ تفعَلْ ومَضَى ، وبَلَغَ القِنائِىَّ المَجْلِسُ بعَيْنِه . وعادَ القِنائىُّ إلى بغدادَ ناظِراً ، ودَخَلَ التنُوخِىُّ إلَيْهِ مُسَلِّماً وخادِماً فقَالَ لَهُ : يَا قاضِى ، مَا فعلْتُ بِكَ قَبيحاً يقتَضِى ذِكْرَكَ لى وطَعْنَكَ فِىَّ ، فقَالَ : يا موْلانا أنا مجنُونٌ . قَالَ : إذا كُنْتَ مجنُوناً فالمارستانُ لِمِثْلِكَ عُمِلَ ، وفى حَمْلِكَ إليْهِ ومُداواتِكَ فيهِ ثوابٌ ومصلحةٌ وكَفٌّ لكَ عنِ النَّاسِ وأذاهُمْ بجنُونِكَ وخُباطِكَ[1] ، يا أنصارِىُّ « لِلعَرِيفِ على بابِهِ » احْمِلْهُ إلى المارستانِ واحْبِسْهُ مَعَ إخْوانِهِ المَجانِينِ ، فأُخِذَ وحُمِلَ إلى المارستانِ وحُبِسَ فيهِ ، قالَ الرَّئيسُ : وعرَفْتُ القِصةَ فرَكِبْتُ إلى القِنائِىِّ ولحِقَنِى المرْتَضَى والرُّؤساءُ مِنَ النَّاسِ ولَمْ نُفارِقْهُ حَتَّى أفْرَجَ عنْهُ وأطْلَقَهُ .

واجْتازَ القاضِى أبُو القَاسِمِ يوْماً فرَأَى فى طَرِيقِهِ كَلْباً

(١) الخباط كغراب : داء كالجنون

رَابِضاً فَقَالَ لَهُ : اُخْسَأْ[1] اُخْسَأْ اُخْسَأْ فَلَمْ يَبْرَحْ ، فَقَالَ اُخْسَأْ ، وَعَادَ عَنْهُ وَمَضَى . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : لَقِيتُهُ يَوْماً بِنْتُ ابْنِ الْعَلَّافِ زَوْجَةُ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ الْمُزْدَرِعِ ، وَكَانَتْ عَاهِرَةً إِلَى الْحَدِّ الَّذِي تَلْبَسُ الْجُبَّةَ الْمُضَرَّبَةَ ، وَتَتَعَمَّمُ بِالْقِيَادِ[2] وَتَأْخُذُ السَّيْفَ وَالدَّرَقَةَ[3] ، وَتَخْرُجُ لَيْلاً فَتَمْشِي مَعَ الْعَيَّارِينَ[4] وَتَشْرَبُ إِلَى أَنْ تَسْكَرَ وَتَعُودُ سَحَراً إِلَى بَيْتِهَا ، وَرُبَّمَا انْتَهَى بِهَا السُّكْرُ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي لَا تَمْلِكُ مَعَهُ أَمْرَ نَفْسِهَا فَيَحْمِلُهَا الْعَيَّارُونَ إِلَى دَارِ زَوْجِهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . فَقَالَتْ لَهُ يَا قَاضِي : مَا مَعْنَى هَذِهِ التَّاءِ الَّتِي تَكْتُبُهَا عَلَى الدَّرَاهِمِ ؟ وَكَانَ إِلَيْهِ الْعِيَارُ[5] فِي دَارِ الضَّرْبِ ، فَقَالَ لَهَا : هَذَا شَيْءٌ يَعْمَلُونَهُ كَالْعَلَامَةِ ، أَنَّ التَّنُوخِيَّ مُتَوَلِّي الْعِيَارِ فَيَأْخُذُونَ التَّاءَ مِنْ أَوَّلِ نِسْبَتِي ، فَقَالَتْ : كَذَبْتَ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْقَاضِي ، تُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكَ مَعْنَاهَا ؟ فَقَالَ لَهَا : قُولِي

---

(١) اخسأ : ابعد ، من خسأ الكلب : طرده (٢) القياد : الحبل الذى تقاد به الدابة ، فهى تعتم به . وفى المخصص إن من العمامة نوعا يدعى العصاد وقال : إنه ما يلف على الرأس من خرقة أو منديل دون العمامة ، فلعل هذا هو المراد ، أو لعل المراد أنها تجعل القياد كالعقال على الرأس (٣) الدرقة : الترس من الجلد ليس فيه خشب ولا عقب (٤) العيار : من يكثر الذهاب والمجىء ، والذكى الكثير التطواف (٥) أى مراقبة دار الضرب وعيار الدراهم والدنانير

يَاسِتَّ النِّسَاء ، فَقَالَتْ مَعْنَاهَا يَا قَاضِى : تَنِيكُهَا يَا قَاضِى ، فَضَرَبَ حِمَارَهُ وَمَضَى وَهُوَ يَقُولُ لَهَا : لِحْيَةُ زَوْجِكِ فِى حِجْرِى ، لِحْيَةُ زَوْجِكِ فِى حِجْرِى . قَالَ : وَلَقِيَهُ إِنْسَانٌ وَمَعَهُ كِتَابٌ فِى الطَّرِيقِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يَشْهَدَ فِيهِ فَقَالَ : هَاتِ دَوَاةً وَمِحْبَرَةً . فَقَالَ : مَا مَعِى ، فَقَالَ : وَيْحَكَ مَا صَبَرْتَ أَنْ أَنْزِلَ إِلَى دَارِى وَأَشْهَدَ عَلَيْكَ بِدَوَاتِى ؟ بَلِ اعْتَرَضْتَنِى فِى الطَّرِيقِ وَلَيْسَ مَعَكَ مَا تَكْتُبُ مِنْهُ وَيْلَكَ ، مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَنِيكَ فِى الدِّهْلِيزِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَيْرُهُ قَائِمًا مِثْلَ دَسْتَكِ الْهَاوُنِ (١) وَتَرَكَهُ وَمَضَى .

﴿ ٣٠ — عَلِىُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِى سَيْفٍ * ﴾

على بن محمد المدائنى

الْمَدَائِنِىُّ أَبُو الْحَسَنِ مَوْلَى سَمُرَةَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، بَصْرِىٌّ سَكَنَ الْمَدَائِنَ ثُمَّ انْتَقَلَ عَنْهَا إِلَى

(١) يريد يد الهاون ، وقد بحثت عنها فى شفاء الغليل فما وجدتها وهي فارسية لم تعرب ، وسألت أحد الفارسيين فقال لى : إنها تنطق بدون أن يظهر للكاف أثر فى النطق إلا قليلا ، وقال هذا عن الهاون ، وأن آخره كاف أيضاً لا ينطق بها . « عبد الخالق »

(*) راجع شذرات الذهب

بَغْدَادَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ . رَوَى عَنْهُ الزُّبَيْرُ
ابْنُ بَكَّارٍ وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَزَّازُ ،
وَالْحَارِثُ ابْنُ أَبِي أُسَامَةَ وَغَيْرُهُمْ .

حَدَّثَ أَبُو قِلَابَةَ قَالَ : حَدَّثْتُ أَبَا عَاصِمٍ النَّبِيلَ بِحَدِيثٍ
فَقَالَ : عَمَّنْ ؟ فَإِنَّهُ حَسَنٌ ، فَقُلْتُ : لَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ وَلَكِنْ
حَدَّثَنِيهِ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ . فَقَالَ لِي : سُبْحَانَ اللهِ ، أَبُو الْحَسَنِ
إِسْنَادٌ[1] .

وُلِدَ الْمَدَائِنِيُّ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَمَاتَ سَنَةَ
خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ .

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ أُسَامَةَ : سَرَدَ[2] الْمَدَائِنِيُّ الصَّوْمَ
قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَإِنَّهُ كَانَ قَدْ قَارَبَ الْمِائَةَ سَنَةٍ[3]
فَقِيلَ لَهُ فِي مَرَضِهِ : مَا تَشْتَهِي ؟ قَالَ : أَشْتَهِي أَنْ أَعِيشَ ،
وَكَانَ مَوْلِدُهُ وَمَنْشَؤُهُ الْبَصْرَةَ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الْمَدَائِنِ بَعْدَ
حِينٍ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى بَغْدَادَ فَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَاتَّصَلَ
بِإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ فَكَانَ لَا يُفَارِقُ مَنْزِلَهُ ، وَفِي

(١) أبو الحسن وحده كاف فانه كالاسناد (٢) سرد الصوم : تابعه
(٣) صواب هذا التعبير مائة السنة كما يرى البصريون ، أو المائة السنة على
رأي الكوفيين . « عبد الخالق »

مَنْزِلِهِ كَانَتْ وَفَاتُهُ ، وَكَانَ ثِقَةً إِذَا حَدَّثَ عَنِ الثِّقَاتِ .

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَيْفٍ الْكَاتِبِ الْبَغْدَادِيِّ ، حَدَّثَنَا الْيَزِيدِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ قَالَ :

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ : كَانَ أَبِي وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَمُصْعَبٌ الزُّبَيْدِيُّ يَجْلِسُونَ الْعَشِيَّاتِ عَلَى بَابِ مُصْعَبٍ قَالَ : فَمَرَّ عَشِيَّةً مِنَ الْعَشِيَّاتِ رَجُلٌ عَلَى حِمَارٍ فَارِهٍ (١) وَبِزَّةٍ (٢) حَسَنَةٍ ، فَسَلَّمَ وَخَصَّ بِمَسَائِلِهِ يَحْيَى ابْنَ مَعِينٍ . فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا الْحَسَنِ ؟ فَقَالَ : إِلَى هَذَا الْكَرِيمِ الَّذِي يَمْلَأُ كُمِّي مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى أَسْفَلِهِ دَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ . فَقَالَ : وَمَنْ هَذَا يَا أَبَا الْحَسَنِ ؟ قَالَ : أَبُو مُحَمَّدٍ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ . قَالَ : فَلَمَّا وَلَّى قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : ثِقَةٌ ثِقَةٌ ثِقَةٌ . قَالَ : فَسَأَلْتُ أَبِي فَقُلْتُ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ .

وَحَدَّثَ أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِ التَّصْحِيفِ لَهُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَمَّارٍ عَنِ بْنِ أَبِي سَعْدٍ الْوَرَّاقِ قَالَ :

---

(١) الفاره : البين الفراهة أى الحسن (٢) البزة : الهيئة والثياب

الْعَبَّاسُ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ : قَالَ لِى ابْنُ عَائِشَةَ : جَاءَنِى أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِىُّ فَتَحَدَّثَ بِحَدِيثِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ حِينَ أَرَادَ أَنْ يُغِيرَ عَلَى طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ الشَّامِ ، وَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِى دَلِيلِهِ رَافِعٍ :

لِلّٰهِ دَرُّ رَافِعٍ أَنَّى اهْتَدَى ... فَوَّزَ مِنْ قُرَاقِرٍ(١) إِلَى سُوَى

خَمْساً إِذَا مَا سَارَهَا الْجَيْشُ بَكَى

فَقَالَ : الْجَيْشُ(٢) فَقُلْتُ : لَوْ كَانَ الْجَيْشُ لَكَانَ بَكَوْا ، وَعَلِمْتُ أَنَّ عِلْمَهُ مِنَ الصُّحُفِ . قَالَ الْعَسْكَرِىُّ : أَمَّا قَوْلُ ابْنِ عَائِشَةَ إِنَّ الرِّوَايَةَ : « الْجَيْشُ بَكَى » فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَهُوَ صَحِيحٌ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ لَوْ كَانَ الْجَيْشُ لَكَانَ بَكَوْا فَقَدْ وَهِمَ فِى هَذَا ، وَيَجُوزُ لِلْجَيْشِ بَكَى فَيُحْمَلُ عَلَى اللَّفْظِ ، وَقَدْ قَالَ طُفَيْلٌ الْغَنَوِىُّ أَوْ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

---

(١) قراقر : موضع بالسماوة ، وسوى : اسم ماء لبهراء من ناحية السماوة ، ورافع هذا ، كان دليل خالد بن الوليد سنة اثنى عشرة ، وبقية الرجز :

« ما سارها من قبله إنس يرى »

وفوز : صار فى المفازة ، وقد سبق ذكر رافع هذا فى ترجمة خالد بن يزيد مولى بنى المهلب فيمن يضرب بهم المثل فى الاهتداء ولم أكن عرفته فهو هذا المذكور فى الرجز ، وهو طائى الاصل . (٢) كان يريد أن يقول الجبس بكسر الجيم : وهو الضعيف والجبان كما ورد فى معجم البلدان لياقوت « عبد الخالق »

إِنْ يَكُ عَارٌ بِالْقِنَانِ أَتَيْتُهُ

فِرَارِي فَإِنَّ الْجَيْشَ قَدْ فَرَّ أَجْمَعُ (١)

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ قَالَ: قَرَأْتُ بِخَطِّ ابْنِ الْإِخْشِيدِ: كَانَ الْمَدَائِنِيُّ مُتَكَلِّمًا مِنْ غِلْمَانِ مَعْمَرِ بْنِ الْأَشْعَثِ قَالَ: وَحَفْصٌ الْفَرْدُ وَأَبُو شَمِرٍ وَأَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ الْأَصَمُّ وَأَبُو عَامِرٍ وَعَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ رَوْحٍ سِتَّةٌ كَانُوا غِلْمَانَ مَعْمَرِ بْنِ الْأَشْعَثِ.

حَدَّثَ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ: أَمَرَ الْمَأْمُونُ أَحْمَدَ بْنَ يُوسُفَ بِإِدْخَالِي عَلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ ذَكَرَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَحَدَّثْتُهُ فِيهِ بِأَحَادِيثَ إِلَى أَنْ ذَكَرَ لَعْنَ بَنِي أُمَيَّةَ لَهُ، فَقُلْتُ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ الْمُثَنَّى بْنُ عَبْدِ اللهِ أَخُو مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ:

قَالَ لِي رَجُلٌ: كُنْتُ بِالشَّامِ فَجَعَلْتُ لَا أَسْمَعُ أَحَدًا يُسَمَّى عَلِيًّا وَلَا حَسَنًا وَلَا حُسَيْنًا، وَإِنَّمَا أَسْمَعُ مُعَاوِيَةَ وَيَزِيدَ وَالْوَلِيدَ، قَالَ: فَمَرَرْتُ بِرَجُلٍ جَالِسٍ عَلَى بَابِ دَارِهِ

---

(١) في البيت خرم وهو حذف الحرف الأول من الوتد المجموع من أول فعولن وما ماثله.

وَقَدْ عطِشتُ فاستَسقيتُهُ فقَالَ : ياحَسَنُ اسقِهِ ، فقُلتُ لهُ : أَسميتَ حسناً ؟ فقَالَ : إِي وَاللهِ ، إِنَّ لِي أَوْلاداً أَسماؤُهُمْ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ وَجَعْفَرٌ ، فَإِنَّ أَهلَ الشَّامِ يُسَمُّونَ أَوْلادَهُمْ بِأَسماءِ خُلفاءِ اللهِ وَلا يَزالُ أَحَدُنا يَلعَنُ وَلَدَهُ وَيَشْتُمُهُ ، وَإِنَّما سَمَّيْتُ أَوْلادِي بِأَسماءِ أَعْدَاءِ اللهِ ، فَإِذا لَعَنْتُ إِنَّما أَلعَنُ أَعْدَاءَ اللهِ فقُلْتُ لَهُ : ظَنَنْتُكَ خَيْرَ أَهْلِ الشَّامِ ، وَإِذا جَهَنَّمُ لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ مِنْكَ . فقَالَ الْمَأْمُونُ : لا جَرَمَ[1] ، قَدِ ابْتَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يَلعَنُ أَحْيَاءَهُمْ وَأَمْوَاتَهُمْ ، وَيَلعَنُ مَنْ فِي أَصْلابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ ، يَعْنِي الشِّيعَةَ . فِهرِستُ كُتُبِ الْمَدَائِنِيِّ نَقْلاً مِنْ كِتَابِ ابْنِ النَّدِيمِ

وَذَكَرَ أَنَّهُ نَقَلَهُ مِنْ خَطِّ ابْنِ الْكُوفِيِّ .

« كُتُبُهُ فِي أَخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » :

كِتَابُ أُمَّهَاتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، كِتَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْمُنَافِقِينَ ، كِتَابُ عُهُودِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، كِتَابُ

(١) لا جرم : لا عجب

تَسْمِيَةِ الْمُنَافِقِينَ وَمَنْ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، كِتَابُ تَسْمِيَةِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَسْمِيَةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ، كِتَابُ رَسَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابُ كُتُبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُلُوكِ، كِتَابُ آيَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابُ إِقْطَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابُ فُتُوحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابُ صُلْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابُ خُطَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابُ عُهُودِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابُ الْمَغَازِي. وَزَعَمَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْكُوفِيِّ أَنَّهَا عِنْدَهُ فِي ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ جُلُودٍ بِخَطِّ ابْنِ عَبَّاسٍ الْيَابِسِ، وَزَعَمَ تَحْتَ هَذَا الْفَصْلِ وَأُخْرَى فِي جُزْأَيْنِ تَأْلِيفُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ الْخَزَّازِ. كِتَابُ سَرَايَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابُ الْوُفُودِ يَحْتَوِي عَلَى وُفُودِ الْيَمَنِ، وَوُفُودِ مُضَرَ، وَوُفُودِ رَبِيعَةَ، كِتَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابُ خَبَرِ الْإِفْكِ، كِتَابُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابُ

السَّرَايَا[١] ، كِتَابُ عُمَّالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّدَقَاتِ ، كِتَابُ مَا نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ حَجَّةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، كِتَابُ خُطَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ أَخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ الْخَاتَمِ وَالرُّسُلِ ، كِتَابُ مَنْ كَتَبَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَاباً أَوْ أَمَاناً ، كِتَابُ أَمْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُتَّابِهِ وَمَنْ كَانَ يَرُدُّ عَلَيْهِ الصَّدَقَةَ مِنَ الْعَرَبِ .

﴿ أَخْبَارُ قُرَيْشٍ ﴾

كِتَابُ نَسَبِ قُرَيْشٍ وَأَخْبَارِهَا ، كِتَابُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ أَبِي طَالِبٍ وَوَلَدِهِ ، كِتَابُ خُطَبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، كِتَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا . كِتَابُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، كِتَابُ آلِ أَبِي الْعَاصِ ، كِتَابُ أَبِي الْعِيصِ ، كِتَابُ خَبَرِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، كِتَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ ،

---

(١) تقدم له ذكر مضافا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام

كِتَابُ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ ، كِتَابُ عَمْرِو بْنِ الزُّبَيْرِ ، كِتَابُ فَضَائِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، كِتَابُ فَضَائِلِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، كِتَابُ فَضَائِلِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، كِتَابُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ جَعْفَرٍ ، كِتَابُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، كِتَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، كِتَابُ أَمْرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، كِتَابُ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، كِتَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ ، كِتَابُ بِشْرِ ابْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، كِتَابُ عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مَعْمَرٍ التَّيْمِيِّ ، كِتَابُ هِجَاءِ حَسَّانَ لِقُرَيْشٍ ، كِتَابُ فَضَائِلِ قُرَيْشٍ ، كِتَابُ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، كِتَابُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ الْحَارِثِ ، كِتَابُ أَسْمَاءِ مَنْ قُتِلَ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ ، كِتَابُ أَخْبَارِ زِيَادِ ابْنِ أَبِيهِ ، كِتَابُ مَنَاكِحِ زِيَادٍ وَوَلَدِهِ وَدِعْوَتِهِ[1] ، كِتَابُ الْجَوَابَاتِ وَيَحْتَوِي عَلَى جَوَابَاتِ قُرَيْشٍ ، وَجَوَابَاتِ مُضَرَ ، وَجَوَابَاتِ رَبِيعَةَ ، وَجَوَابَاتِ الْمَوَالِي ، وَجَوَابَاتِ الْيَمَنِ .

---

(١) الدعوة بكسر الدال : الادعاء فى النسب ، ولذا يقولون فى زياد : إن أوله لزنية وآخره لدعوة . « عبد الخالق »

﴿ كُتُبُهُ فِي أَخْبَارِ مَنَاكِحِ الْأَشْرَافِ وَأَخْبَارِ النِّسَاء ﴾

كِتَابُ الصَّدَاقِ ، كِتَابُ الْوَلَائِمِ ، كِتَابُ الْمَنَاكِحِ ، كِتَابُ النَّوَاكِحِ ، كِتَابُ الْمُغْتَرِبَاتِ ، كِتَابُ الْقَيْنَاتِ كِتَابُ الْمُرْدَفَاتِ مِنْ قُرَيْشٍ ، كِتَابُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ أُخْتَيْنِ ، وَمَنْ تَزَوَّجَ ابْنَهُ امْرَأَتَهُ ، وَمَنْ جَمَعَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ ، وَمَنْ تَزَوَّجَ مَجُوسِيَّةً ، كِتَابُ مَنْ كُرِهَتْ مُنَاكَحَتُهُ ، كِتَابُ مَنْ قُتِلَ عَنْهَا زَوْجُهَا ، كِتَابُ مَنْ نُهِيَتْ عَنْ تَزْوِيجِ رَجُلٍ فَتَزَوَّجَتْهُ ، كِتَابُ مَنْ تَزَوَّجَ مِنَ الْأَشْرَافِ فِي كَلْبٍ ، كِتَابُ مَنْ هَجَاهَا زَوْجُهَا أَوْ شَكَاهَا ، كِتَابُ مُنَاقَضَاتِ الشُّعَرَاءِ وَأَخْبَارِ النِّسَاءِ ، كِتَابُ مَنْ تَزَوَّجَ فِي ثَقِيفٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، كِتَابُ الْفَاطِمِيَّاتِ ، كِتَابُ مَنْ وَصَفَ امْرَأَةً فَأَحْسَنَ ، كِتَابُ الْكَلْبِيَّاتِ ، كِتَابُ الْعَوَاتِكِ .

﴿ كُتُبُهُ فِي أَخْبَارِ الْخُلَفَاءِ ﴾

كِتَابُ مَنْ تَزَوَّجَ مِنْ نِسَاءِ الْخُلَفَاءِ ، كِتَابُ تَسْمِيَةِ الْخُلَفَاءِ وَكُنَاهُمْ وَأَعْمَارِهِمْ ، كِتَابُ تَارِيخِ أَعْمَارِ الْخُلَفَاءِ ، كِتَابُ حُلِيِّ الْخُلَفَاءِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْخُلَفَاءِ الْكَبِيرُ ابْتَدَأَهُ بِأَخْبَارِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَخَتَمَهُ بِأَخْبَارِ الْمُعْتَصِمِ .

﴿ كُتُبُهُ فِي الأَحْدَاثِ ﴾

كِتَابُ الرِّدَّةِ ، كِتَابُ الْجَمَلِ ، كِتَابُ الْغَارَاتِ ، كِتَابُ النَّهْرَوَانِ ، كِتَابُ الْخَوَارِجِ ، كِتَابُ خَبَرِ ضَابِىءِ بْنِ الْحَارِثِ الْبُرْجُمِيِّ ، كِتَابُ تَوْبَةَ بْنِ مُضَرِّسٍ ، كِتَابُ بَنِي نَاجِيَةَ وَمَصْقَلَةَ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، كِتَابُ مُخْتَصَرِ الْخَوَارِجِ ، كِتَابُ خُطَبِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَكُتُبِهِ إِلَى عُمَّالِهِ ، كِتَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ الْحَضْرَمِيِّ ، كِتَابُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هَبَّارَ ، كِتَابُ عَمْرِو ابْنِ الزُّبَيْرِ ، كِتَابُ مَرْجِ رَاهِطٍ ، كِتَابُ الرَّبَذَةِ وَمَقْتَلِ حُبَيْشٍ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْحَجَّاجِ وَوَفَاتِهِ ، كِتَابُ عَبَّادِ بْنِ الْحُصَيْنِ ، كِتَابُ حَرَّةِ وَاقِمٍ ، كِتَابُ ابْنِ الْجَارُودِ بِرُسْتُقُبَاذَ ، كِتَابُ مَقْتَلِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، كِتَابُ زِيَادِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَشْرَفِ الْعَتَكِيِّ ، كِتَابُ خِلَافِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْأَزْدِيِّ وَمَقْتَلِهِ ، كِتَابُ سَلْمِ بْنِ قُتَيْبَةَ وَرَوْحِ بْنِ حَاتِمٍ ، كِتَابُ الْمُسَوَّرِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبَّادٍ الْحَبَطِيِّ وَعَمْرِو بْنِ سَهْلٍ ، كِتَابُ مَقْتَلِ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، كِتَابُ يَوْمِ سِنْبِيلَ ، كِتَابُ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَهُوَ كِتَابٌ كَبِيرٌ يَشْتَمِلُ عَلَى عِدَّةِ كُتُبٍ

لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ النَّدِيمِ ، وَوَقَعَ إِلَيَّ بِخَطِّ السُّكَّرِيِّ بَعْضُهُ وَقَدْ قَرَأَهُ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ أُسَامَةَ .

« كُتُبُهُ فِي الْفُتُوحِ » :

كِتَابُ فُتُوحِ الشَّامِ مُنْذُ أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ وَإِلَى أَيَّامِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، كِتَابُ فُتُوحِ الْعِرَاقِ مُنْذُ أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ وَإِلَى آخِرِ أَيَّامِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، كِتَابُ خَبَرِ الْبَصْرَةِ وَفُتُوحِهَا وَفُتُوحِ مَا يُقَارِبُهَا مِنْ دِهِسْتَانَ وَالْأَهْوَازِ وَمَاسَبَذَانَ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، كِتَابُ فُتُوحِ خُرَاسَانَ وَأَخْبَارِ أُمَرَائِهَا كَقُتَيْبَةَ وَنَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ وَغَيْرِهِمَا ، كِتَابُ نَوَادِرِ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ، كِتَابُ وِلَايَةِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ ، كِتَابُ وِلَايَةِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ ، كِتَابُ ثَغْرِ الْهِنْدِ ، كِتَابُ أَعْمَالِ الْهِنْدِ ، كِتَابُ فُتُوحِ سِجِسْتَانَ ، كِتَابُ فَارِسَ ، كِتَابُ فَتْحِ الْأُبُلَّةِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ أَرْمِينِيَةَ ، كِتَابُ كَرْمَانَ ، كِتَابُ كَابُلَ وَزَابُلِسْتَانَ ، كِتَابُ الْقِلَاعِ وَالْأَكْرَادِ ، كِتَابُ عُمَانَ ، كِتَابُ فُتُوحِ جِبَالَ طَبَرِسْتَانَ أَيَّامَ الرَّشِيدِ ، كِتَابُ فُتُوحِ مِصْرَ ، كِتَابُ

الرَّیِّ وَأَمْرِ الْعَلَوِیِّ ، کِتَابُ أَخْبَارِ الْحَسَنِ بْنِ زَیْدٍ وَمَا مُدِحَ بِهِ مِنَ الشِّعْرِ وَعُمَّالِهِ ، کِتَابُ فُتُوحِ الْجَزِیرَةِ ، کِتَابُ فُتُوحِ الْبَامِیَانِ ، کِتَابُ فُتُوحِ الْأَهْوَازِ ، کِتَابُ أَمْرِ الْبَحْرَیْنِ ، کِتَابُ فَتْحِ شَهْرَکَنْدَ ، کِتَابُ فَتْحِ بَرْقَةَ ، کِتَابُ فَتْحِ مَکْرَانَ ، کِتَابُ فُتُوحِ الْحِیرَةِ ، کِتَابُ مُوَادَعَةِ النُّبُوَّةِ ، کِتَابُ خَبَرِ سَارِیَةَ بْنِ زُنَیْمٍ ، کِتَابُ فُتُوحِ الرَّیِّ ، کِتَابُ فُتُوحِ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ .

﴿ کُتُبُهُ فِی أَخْبَارِ الْعَرَبِ ﴾

کِتَابُ الْبُیُوتَاتِ ، کِتَابُ الْجِیرَانِ ، کِتَابُ أَشْرَافِ عَبْدِ الْقَیْسِ ، کِتَابُ أَخْبَارِ ثَقِیفٍ ، کِتَابُ مَنْ نُسِبَ إِلَی أُمِّهِ ، کِتَابُ مَنْ سُمِّیَ بِاسْمِ أُمِّهِ ، کِتَابُ الْخَیْلِ وَالرِّهَانِ ، کِتَابُ بِنَاءِ الْکَعْبَةِ ، کِتَابُ خَبَرِ خُزَاعَةَ ، کِتَابُ الْمَدِینَةِ وَجِبَالِهَا وَأَوْدِیَتِهَا .

﴿ کُتُبُهُ فِی أَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ وَغَیْرِهِمْ ﴾

کِتَابُ أَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ ، کِتَابُ مَنْ نُسِبَ إِلَی أُمِّهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ ، کِتَابُ الْعَمَائِرِ ، کِتَابُ الشُّیُوخِ ، کِتَابُ

الغُرَمَاء ، كِتَابُ مَنْ هَادَنَ أَوْ غَزَا ، كِتَابُ مَنِ اُقْتَرَضَ مِنَ الْأَعْرَابِ فِى الدِّيوَانِ فَنَدِمَ وَقَالَ شِعْراً ، كِتَابُ الْمُتَمَثِّلِينَ ، كِتَابُ مَنْ تَمَثَّلَ بِشِعْرٍ فِى مَرَضِهِ ، كِتَابُ الْأَبْيَاتِ الَّتِى جَوَابُهَا كَلَامٌ ، كِتَابُ النَّجَاشِىِّ ، كِتَابُ مَنْ وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ فَتَمَثَّلَ بِشِعْرٍ ، كِتَابُ مَنْ بَلَغَهُ مَوْتُ رَجُلٍ فَتَمَثَّلَ شِعْراً أَوْ كَلَاماً ، كِتَابُ مَنْ تَشَبَّهَ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ ، كِتَابُ مَنْ فَضَّلَ الْأَعْرَابِيَّاتِ عَلَى الْحَضَرِيَّاتِ ، كِتَابُ مَنْ قَالَ شِعْراً عَلَى الْبَدِيهَةِ ، كِتَابُ مَنْ قَالَ شِعْراً فِى الْأَوَابِدِ ، كِتَابُ الِاسْتِعْدَاءِ عَلَى الشُّعَرَاءِ ، كِتَابُ مَنْ قَالَ شِعْراً فَسُمِّىَ بِهِ ، كِتَابُ مَنْ قَالَ فِى الْحُكُومَةِ مِنَ الشُّعَرَاءِ ، كِتَابُ تَفْضِيلِ الشُّعَرَاءِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، كِتَابُ مَنْ نَدِمَ عَلَى الْمَدِيحِ وَمَنْ نَدِمَ عَلَى الْهِجَاءِ ، كِتَابُ مَنْ قَالَ شِعْراً فَأُجِيبَ بِكَلَامٍ ، كِتَابُ الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِىِّ ، كِتَابُ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ ، كِتَابُ مُهَاجَاةِ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ حَسَّانَ لِلنَّجَاشِىِّ ، كِتَابُ قَصِيدَةِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ فِى الْمُلُوكِ وَالْأَحْدَاثِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْفَرَزْدَقِ ، كِتَابُ قَصِيدَةِ

عَبْدِ اللهِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، كِتَابُ خَبَرِ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ .

وَمِنْ كُتُبِهِ الْمُؤَلَّفَةِ : كِتَابُ الْأَوَائِلِ ، كِتَابُ الْمُتَيَّمِينَ ، كِتَابُ التَّعَازِى ، كِتَابُ الْمُنَافَرَاتِ ، كِتَابُ الْأَكَلَةِ ، كِتَابُ الْمُسَيَّرِينَ ، كِتَابُ الْقِيَافَةِ وَالْفَأْلِ وَالزَّجْرِ . كِتَابُ مَنْ جُرِّدَ مِنَ الْأَشْرَافِ ، كِتَابُ الْمُرُوءَةِ ، كِتَابُ الْحَمْقَى ، كِتَابُ اللَّوَاطِينَ ، كِتَابُ الْجَوَاهِرِ ، كِتَابُ الْمُغَنِّينَ ، كِتَابُ الْمَسْمُومِينَ ، كِتَابُ كَانَ يُقَالُ ، كِتَابُ ذَمِّ الْحَسَدِ ، كِتَابُ مَنْ وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ ، كِتَابُ الْخَيْلِ ، كِتَابُ مَنِ اسْتُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ ، كِتَابُ قُضَاةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، كِتَابُ قُضَاةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ رَقَبَةَ بْنِ مَصْقَلَةَ ، كِتَابُ مُفَاخَرَةِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، كِتَابُ مُفَاخَرَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، كِتَابُ ضَرْبِ الدَّرَاهِمِ وَالصَّرْفِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، كِتَابُ خَبَرِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، كِتَابُ خُطْبَةِ وَاصِلٍ ، كِتَابُ إِصْلَاحِ الْمَالِ ، كِتَابُ آدَابِ الْإِخْوَانِ ، كِتَابُ الْبُخْلِ ،

كِتَابُ الْمُقَطَّعَاتِ الْمُتَخَيَّرَاتِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ ابْنِ سِيرِينَ ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ إِلَى ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ ، كِتَابُ النَّوَادِرِ ، كِتَابُ الْمَدِينَةِ ، كِتَابُ مَكَّةَ ، كِتَابُ الْمُخَضْرَمِينَ ، كِتَابُ الْمَرَاعِي وَالْجَرَادِ وَيَحْتَوِي عَلَى الْكُورِ[١] وَالطَّسَاسِيجِ[٢] وَجِبَايَاتِهَا .

﴿ ٣١ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الْمِسْعَرِيُّ * ﴾

على بن محمد المسعرى

صَاحِبُ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ . رُوِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ أَنَّهُ قَالَ : هَذَا الْكِتَابُ - يَعْنِي غَرِيبَ الْحَدِيثِ الْمُصَنَّفِ - أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَعَدَدُ أَبْوَابِهِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَلْفُ بَابٍ ، وَفِيهِ مِنْ شَوَاهِدِ الشِّعْرِ أَلْفٌ وَمِائَتَا بَيْتٍ .

﴿ ٣٢ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ بَسَّامٍ * ﴾

على بن محمد ابن بسام

أَبُو الْحَسَنِ الْعَبَرْتَائِيُّ[٣] الْكَاتِبُ . وَأُمُّهُ أُخْتُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدُونَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ النَّدِيمِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ . وَقَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ :

---

(١) كور جمع كورة وهي : البقعة التى تجتمع فيها القرى والمساكن

(٢) الطساسيج : جمع طسوج : وهو الناحية والقرية (٣) نسبة على غير قياس ، فان الصواب : عبرتى نسبة إلى عبرتا « عبد الخالق »

(*) راجع بغية الوعاة

(*) راجع وفيات الأعيان جزء أول

أُمُّهُ بِنْتُ النَّدِيمِ ، وَلَهُ مَعَ خَالِهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ حَمْدُونَ أَخْبَارٌ . وَكَانَ حَسَنَ الْبَدِيهَةِ شَاعِراً مَاضِياً أَدِيباً لَا يَسْلَمُ مِنْ لِسَانِهِ أَحَدٌ ، وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي الْعَقَقَةِ (١) وَكَانَ يَصْنَعُ الشِّعْرَ فِي الرُّؤَسَاءِ وَيَنْحَلُهُ (٢) ابْنَ الرُّومِيِّ وَغَيْرَهُ . مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْمَرْزُبَانِيِّ بَعْدَ سَنَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ بِسَنَتَيْنِ .

وَقَالَ ثَابِتُ بْنُ سِنَانٍ : مَاتَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَسَّامٍ فِي صَفَرٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِمِائَةٍ عَنْ نَيِّفٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَاسْتَفْرَغَ شِعْرَهُ فِي هِجَاءِ وَالِدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ بَسَّامٍ وَالْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ ، وَكَانَ مَعَ فَصَاحَتِهِ وَبَيَانِهِ لَاحَظَّ لَهُ فِي التَّطْوِيلِ ، إِنَّمَا تَحْسُنُ مُقَطَّعَاتُهُ وَتَنْدُرُ أَبْيَاتُهُ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْكِتَابَةِ ، كَانَ جَدُّهُ نَصْرُ بْنُ مَنْصُورٍ يَتَوَلَّى دِيوَانَ الْخَاتَمِ وَالنَّفَقَاتِ وَالْأَزِمَّةِ فِي أَيَّامِ الْمُعْتَصِمِ ، وَكَانَ هُوَ السَّبَبَ فِي نَكْبَةِ الْفَضْلِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ قَدْ هَجَا الْوَزِيرَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ لَمَّا نُفِيَ إِلَى مَكَّةَ ، فَلَمَّا رُدَّتِ الْوِزَارَةُ جَلَسَ يَوْماً لِلْمَظَالِمِ فَمَرَّتْ فِي جُمْلَةِ الْقِصَصِ رُقْعَةٌ فِيهَا مَكْتُوبٌ :

(١) جمع عاق : من العقوق ، لأن لسانه لم يسلم منه أحد حتى من أحسن إليه ، ولأنه هجا والده (٢) ينحله : ينسبه ، وبابه سمع ومنع

وَافَى ابْنُ عِيسَى وَكُنْتُ أَضْغَنُهُ (١)
أَشَدُّ شَيْءٍ عَلَيَّ أَهْوَنُهُ
مَا قَدَّرَ اللهُ لَيْسَ يَدْفَعُهُ وَمَا سِوَاهُ فَلَيْسَ يُمْكِنُهُ

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى: صَدَقَ هَذَا ابْنُ بَسَّامٍ، وَاللهِ لَا نَالَهُ مِنِّي مَكْرُوهٌ أَبَدًا، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَى ابْنِ بَسَّامٍ الشِّعْرَ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُذْكَرَ مَعَ الشُّعَرَاءِ، وَإِنَّمَا حَمَلَنَا عَلَى ذِكْرِهِ هَاهُنَا رَسَائِلُهُ وَمَالَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ وَهِيَ:

كِتَابُ أَخْبَارِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ جَيِّدٌ بَالِغٌ فِي مَعْنَاهُ، وَجَدْتُ أَخْبَارَ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ تَصْنِيفَ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ نَصْرِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ بَسَّامٍ وَقَدْ رَوَى فِيهِ عَنِ الزُّبَيْرِ ابْنِ بَكَّارٍ، وَعُمَرَ بْنِ شَبَّةَ، وَحَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ الْخَزَّازِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ وَسُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْخٍ وَخَالِهِ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدُونَ، كِتَابُ الْمُعَاقِرِينَ. كِتَابُ دِيوَانِ رَسَائِلِهِ. كِتَابُ مُنَاقَضَاتِ

(١) أضغنه : أحقد عليه وأبغضه ، وليس هذا الفعل متعديا ولعله أبغضه ، أو أن الضمير على نزع الخافض « عبد الخالق »

الشُّعَرَاء . كِتَابُ أَخْبَارِ الْأَحْوَصِ . وَمِنْ شِعْرِهِ الَّذِي قَالَهُ وَنَحَلَهُ ابْنَ الرُّومِيّ قَوْلُهُ يُخَاطِبُ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ سُلَيْمَانَ الْوَزِيرَ وَقَدْ مَاتَ ابْنُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ[1] :

قُلْ لِأَبِي الْقَاسِمِ الْمُرَجَّى قَابَلَكَ الدَّهْرُ بِالْعَجَائِبِ
مَاتَ لَكَ ابْنٌ وَكَانَ زَيْنًا وَعَاشَ ذُو الشَّيْنِ وَالْمَعَايِبِ
حَيَاةُ هَذَا كَفَقْدِ هَذَا فَلَسْتَ تَخْلُو مِنَ الْمَصَائِبِ

فَبَلَغَتِ الْأَبْيَاتُ عُبَيْدَ اللهِ فَسَاءَتْهُ ، فَدَعَا الْبَسَّامِيَّ وَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، كَيْفَ قُلْتَ ؟ فَعَلِمَ الْبَسَّامِيُّ أَنَّهُ مُغْضَبٌ فَقَالَ : قُلْتُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ :

قُلْ لِأَبِي الْقَاسِمِ الْمُرَجَّى لَنْ يَدْفَعَ الْمَوْتَ كَفُّ غَالِبِ
لَئِنْ تَوَلَّى بِمَنْ تَوَلَّى وَفَقْدُهُ أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ
لَقَدْ تَخَطَّتْ لَكَ الْمَنَايَا عَنْ حَامِلٍ عَنْكَ لِلنَّوَائِبِ

يَعْنِي ابْنَهُ أَبَا الْحُسَيْنِ ، فَسَكَتَ عُبَيْدُ اللهِ وَلَهَا عَنْهُ . وَذَكَرَ الصُّولِيُّ فِي كِتَابِ الْوُزَرَاءِ قَالَ : قَالَ أَبُو الْحَارِثِ النَّوْفَلِيُّ الشَّاعِرُ : كُنْتُ أُبْغِضُ الْقَاسِمَ بْنَ

(١) الصواب : سنة تسع ومائتين

عُبَيْدِ اللهِ لِكُفْرِهِ وَلِمَكْرُوهٍ نَالَنِي مِنْهُ ، فَلَمَّا قَرَأْتُ شِعْرَ ابْنِ الْمُعْتَزِّ ، وَهُوَ شِعْرٌ « رَثَى بِهِ الْحُسَيْنَ أَبَا مُحَمَّدٍ » مَذْكُورٌ فِي أَخْبَارِهِ ، وَشِعْرَ ابْنِ بَسَّامٍ ، وَكَانَ ابْنُ بَسَّامٍ قَدْ قَالَ :

مَعَاذَ اللهِ مِنْ كَذِبٍ وَمَيْنِ(١)
لَقَدْ أَبْكَتْ وَفَاتُكَ كُلَّ عَيْنِ

وَلَكِنْ قَدْ تُنَسِّينَا الرَّزَايَا وَيَعْضُدُنَا بَقَاءُ أَبِي الْحُسَيْنِ

قُلْتُ عَلَى لِسَانِ ابْنِ بَسَّامٍ وَأَشَعْتُهَا عَلَيْهِ وَأَنْفَذْتُهَا إِلَيْهِ : قُلْ لِأَبِي الْقَاسِمِ الْمُرَجَّى الْأَبْيَاتَ .

وَحَدَّثَ السَّلَامِيُّ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْمُجَمِّعِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُجَمِّعِ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ حَمْدُونَ النَّدِيمُ قَالَ : كَانَ الْمُعْتَضِدُ أَمَرَ بِعِمَارَةِ الْبُحَيْرَةِ وَاتِّخَاذِ رِيَاضٍ حَوَالَيْهَا ، وَأَنْفَقَ عَلَى الْأَبْنِيَةِ بِهَا سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَ يَخْلُو فِيهَا مَعَ جَوَارِيهِ ، وَفِيهِنَّ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا دُرَيْرَةُ ، فَقَالَ الْبَسَّامِيُّ :

تَرَكَ النَّاسَ بِحَيْرَهْ وَتَخَلَّى فِي الْبُحَيْرَهْ

---

(١) المين : عطف تفسير على ما قبله

قَاعِداً يَضْرِبُ بِالزُّ زُبِّ عَلَى حِرِّ دُرَيْرَهْ

وَبَلَغَتِ الْأَبْيَاتُ الْمُعْتَضِدَ ، فَلَمْ يُظْهِرْ لِأَحَدٍ أَنَّهُ سَمِعَهَا ، وَأَمَرَ بِتَخْرِيبِ مَا اسْتَعْمَرَهُ مِنْ تِلْكَ الْعِمَارَاتِ وَالْأَبْنِيَةِ . قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ : فَكُنْتُ أُلَاعِبُ الْمُعْتَضِدَ بِالشِّطْرَنْجِ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَاسِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ وَهُوَ وَزِيرُهُ ، فَاسْتَأْمَرَهُ فِي شَيْءٍ وَانْصَرَفَ ، فَلَمَّا وَلَّى أَنْشَدَ الْمُعْتَضِدُ قَوْلَ الْبَسَّامِيِّ فِي الْقَاسِمِ :

حَيَاةُ هٰذَا كَمَوْتِ هٰذَا فَلَسْتَ تَخْلُو مِنَ الْمَصَائِبِ

وَجَعَلَ يُكَرِّرُ الْبَيْتَ ، وَعَادَ الْقَاسِمُ إِلَيْهِ فِي شُغْلٍ وَالْمُعْتَضِدُ مَشْغُولٌ بِاللَّعِبِ ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِحُضُورِهِ وَهُوَ يُرَدِّدُ الْبَيْتَ ، فَاحْتَلْتُ حَتَّى أَعْلَمْتُهُ حُضُورَهُ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَاسْتَحْيَا مِنْهُ حَتَّى تَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا الْحُسَيْنِ « وَهُوَ أَوَّلُ مَا كَنَّاهُ لِلْخَجَلِ الَّذِي تَدَاخَلَهُ » لِمَ لَا تَقْطَعُ لِسَانَ هٰذَا الْمَاجِنِ وَتَدْفَعُ شَرَّهُ عَنْكَ ؟ فَانْصَرَفَ الْقَاسِمُ مُبَادِراً إِلَى مَجْلِسِهِ وَمُنْتَهِزاً لِلْفُرْصَةِ فِي ابْنِ بَسَّامٍ وَأَمَرَ بِطَلَبِهِ .

قَالَ ابْنُ حَمْدُونَ : فَدَهِشْتُ وَارْتَعَشَتْ يَدِى فِى اللَّعِبِ خَوْفًا مِمَّا يَلْحَقُ ابْنَ بَسَّامٍ لِلْقَرَابَةِ الَّتِى بَيْنِى وَبَيْنَهُ : فَقَالَ الْمُعْتَضِدُ : مَالَكَ ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الْقَاسِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ لَا يُصْطَلَى بِنَارِهِ ، وَكَأَنِّى بِهِ وَقَدْ قَطَعَ لِسَانَ الْبَسَّامِيِّ حَنَقًا عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَحَدُ النُّبَلَاءِ الشُّعَرَاءِ فَيَكُونُ ذَلِكَ سُبَّةً عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْقَاسِمِ وَسَأَلَهُ عَمَّا فَعَلَهُ فِى أَمْرِ ابْنِ بَسَّامٍ فَقَالَ : قَدْ تَقَدَّمْتُ إِلَى مُؤْنِسٍ بِإِحْضَارِهِ لِأَقْطَعَ لِسَانَهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْحُسَيْنِ ، إِنَّنَا أَمَرْنَاكَ أَنْ تَقْطَعَ لِسَانَهُ بِالْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالتَّكْرِمَةِ لِيَعْدِلَ عَنْ هِجَائِكَ إِلَى مَدْحِكَ . فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : لَوْ عَرَفْتَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ وَعَلِمْتَ مَا قَالَهُ لَاسْتَجَزْتَ قَطْعَ رَأْسِهِ ، عَرَّضَ بِمَا قَالَهُ فِى الْمُعْتَضِدِ وَدُرَيْرَةَ ، فَتَبَسَّمَ الْمُعْتَضِدُ وَقَالَ : يَا أَبَا الْحُسَيْنِ ، إِنَّمَا أَمَرْنَا بِتَخْرِيبِ الْبُحَيْرَةِ لِذَلِكَ ، فَتَقَدَّمْ أَنْتَ بِإِحْضَارِهِ وَأَخْرِجْ ثَلَاثَمِائَةِ دِينَارٍ فَإِنَّ ذَلِكَ أَوْلَى وَأَحْسَنُ مِنْ غَيْرِهِ . قَالَ : فَأَحْضَرَهُ الْقَاسِمُ بَعْدَ ثَالِثَةٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَوَلَّاهُ بَرِيدَ الصَّيْمَرَةِ وَمَا وَالَاهَا ، فَبَقِىَ فِى عَمَلِهِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ الْمُعْتَضِدِ ، ثُمَّ جَمَحَ بِهِ طَبْعُهُ إِلَى إِعَادَةِ الْإِسَاءَةِ فَقَالَ :

أَبْلِـغْ وَزِيرَ الْإِمَامِ عَنِّى وَنَـادِ يَاذَا الْمُصِيبَتَيْنِ

يَمُوتُ حِلفُ النَّدَى (١) وَيَبْقَى حِلفُ الْمَخَازِى (٢) أَبُو الْحُسَيْنِ

فَأَنْتَ مِنْ ذَا عَمِيدُ قَلْبٍ (٣) وَأَنْتَ مِنْ ذَا سَخِينُ (٤) عَيْنِ

حَيَاةُ هَذَا كَمَوْتِ هَذَا فَالْطِمْ عَلَى الرَّأْسِ بِالْيَدَيْنِ

قَالَ جَحْظَةُ : كَانَ ابْنُ بَسَّامٍ يَفْخَرُ بِقَوْلِهِ فِيَّ :

يَا مَنْ هَجَوْنَاهُ فَغَنَّانَا أَنْتَ وَحَقِّ اللهِ أَهْجَانَا (٥)

فَقُلْتُ : هَذَا مَعْنًى لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ خَاطِرُ ابْنِ بَسَّامٍ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَتَى بِهِ مَطْبُوعاً ، وَإِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي هِجَائِهِ شُنْطُفَ :

وَفِي قُبْحِهَا كَافٍ لَنَا مِنْ كِيَادِهَا

وَلَكِنَّهَا فِي فِعْلِهَا لَمْ تَرَدَّدِ (٦)

وَلَوْ عَلِمَتْ مَا كَايَدَتْنَا لِقُبْحِهَا (٧)

بِأَنْفَاسِهَا وَالْوَجْهِ وَالطَّبْلِ وَالْيَدِ

وَقَالَ ابْنُ بَسَّامٍ فِي الْوَزِيرِ الْخَاقَانِيِّ :

وَزِيرٌ مَا يُفِيقُ مِنَ الرَّقَاعَه (٨) يُوَلِّي ثُمَّ يَعْزِلُ بَعْدَ سَاعَه

---

(١) حلف الندى : صديق الكرم (٢) المخازى : المعايب (٣) أى حزين

(٤) يقال : سخنت عينه عند الحزن ، ويقابله قرت عينه عند السرور

(٥) يريد أن غناءه أشق عليهم من هجائهم له (٦) كانت فى الأصل تبرد وأصلحت

(٧) كانت فى الأصل « لأنها » وأصلحت . (٨) الرقاعة : الحمق وقلة الحياء

إِذَا أَهْلُ الرُّشَا صَارُوا إِلَيْهِ فَأَحْظَى القَوْمِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَهْ

فَلَا رَحِمًا تُقَرِّبُ مِنْهُ خَلْقًا

سِوَى الْوَرِقِ الصِّحَاحِ وَلَا شَفَاعَهْ

وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ ذَا الفِعْلُ مِنْهُ

لِأَنَّ الشَّيْخَ أُفْلِتَ مِنْ مَجَاعَهْ

حَدَّثَ أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْعَلَاءِ الشِّيرَازِيُّ الْكَاتِبُ قَالَ : لَمَّا تَقَلَّدَ أَبُو الفَتْحِ الفَضْلُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ الْوَزَارَةَ كُنْتُ أُجَالِسُهُ وَأُؤَانِسُهُ ، فَحَدَّثَنِي يَوْمًا أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ قَالَ : تَقَلَّدْتُ مِصْرَ وَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ بَسَّامٍ مَوَدَّةٌ وَرَضَاعٌ ، وَنَحْنُ مُخْتَلِطُونَ وَأَنَا بِمِصْرَ يَوْمًا فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِابْنِ بَسَّامٍ قَدْ دَخَلَ إِلَيَّ مُتَقَلِّدًا لِلْبَرِيدِ ، فَأَفْهَمْتُهُ أَحْوَالِي ، وَقَاسَمْتُهُ أَكْثَرَ مُرُوءَتِي وَأَمْوَالِي ، وَتَطَلَّبْتُ الْخَلَاصَ مِنْ لِسَانِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ يُمْكِنُ ، وَأَوْصَيْتُ حَاجِبِي أَلَّا يَحْجُبَهُ عَنِّي وَلَوْ كُنْتُ مَعَ زَوْجَتِي ، فَجَاءَ يَوْمًا وَأَنَا نَائِمٌ فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : اُدْخُلْ ، فَدَخَلَ فَوَجَدَنِي نَائِمًا فَاسْتَدْعَى دَوَاةً وَكَتَبَ شَيْئًا وَتَرَكَهُ

وَانْصَرَفَ . فَلَمَّا انْتَبَهْتُ عَرَّفَنِي حَاجِبِي ذَلِكَ ، فَأَخَذْتُ الرُّقْعَةَ فَإِذَا فِيهَا :

مُحْتَجِبٌ دُونَ مَنْ يُلِمُّ بِهِ وَلَيْسَ لِلْخَارِجَاتِ حُجَّابُ
لِأَنَّ لِلْخَارِجَاتِ مَنْفَعَةً تَأْتِيهِ وَالدَّاخِلُونَ طُلَّابُ

قَالَ : فَبَعَثْتُ أَعْرِفُ خَبَرَهُ لِأُعَاتِبَهُ فَإِذَا هُوَ تَحَمَّلَ وَسَارَ عَنِ الْبَلَدِ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أُدَارِيهِ وَأُلَاطِفُهُ لِيَرْجِعَ فَلَمْ يُجِبْ .

قَالَ التَّنُوخِيُّ : حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي قِيرَاطٍ عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ ، حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ قَالَ : كُنْتُ أَحْقِدُ ابْنَ بَسَّامٍ لِهِجَائِهِ إِيَّايَ ، نُخُوطِبَ ابْنُ الْفُرَاتِ فِي وِزَارَتِهِ الْأُولَى فِي تَصْرِيفِهِ ، فَاعْتَرَضْتُ وَقُلْتُ : إِذَا صُرِفَ فَلَا يَحْتَبِسُ النَّاسُ عَلَى مَجَالِسِنَا وَقَدِ افْتَرَقَتْ ، فَإِذَا لَمْ يَضُرَّهُ الْوَزِيرُ فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَلَّا يَنْفَعَهُ ، فَامْتَنَعَ مِنْ تَصْرِيفِهِ قَضَاءً لِحَقِّي ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ بَسَّامٍ فَجَاءَنِي وَخَضَعَ لِي ثُمَّ لَازَمَنِي نَحْوَ سَنَةٍ حَتَّى صَارَ يَخْتَصُّ بِي وَيُعَاشِرُنِي عَلَى النَّبِيذِ ، وَمَدَحَنِي فَقَالَ :

يَا زِينَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَمَا جَمَعَا
وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْقِرْطَاسِ وَالْقَلَمِ

إِنْ يُنْسِىءِ اللهُ فِي عُمْرِي فَسَوْفَ تَرَى
مِنْ خِدْمَتِي لَكَ مَا يُغْنِي عَنِ الْخَدَمِ
أَبَا عَلِيٍّ لَقَدْ طَوَّقْتَنِي مِنَناً
طَوْقَ الْحَمَامَةِ لَا تَبْلَى عَلَى الْقِدَمِ
فَاسْلَمْ فَلَيْسَ يُزِيلُ اللهُ نِعْمَتَهُ
عَمَّنْ يَبُثُّ الْأَيَادِي فِي ذَوِي النِّعَمِ

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّولِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدِ ابْنِ بَسَّامٍ يَقُولُ: كُنْتُ أَتَعَشَّقُ خَادِماً لِخَالِي أَحْمَدَ بْنِ حَمْدُونَ فَقُمْتُ لَيْلَةً لِأَدِبَّ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْهُ لَسَعَتْنِي عَقْرَبٌ فَصَرَخْتُ فَقَالَ خَالِي: مَا تَصْنَعُ هَا هُنَا؟ فَقُلْتُ: جِئْتُ لِأَبُولَ. فَقَالَ: صَدَقْتَ وَلَكِنْ فِي اُسْتِ غُلَامِي، فَقُلْتُ لِوَقْتِي:

وَلَقَدْ سَرَيْتُ مَعَ الظَّلَامِ لِمَوْعِدٍ حَصَّلْتُهُ مِنْ غَادِرٍ كَذَّابِ
فَإِذَا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مُغِذَّةٌ (١)
سَوْدَاءُ قَدْ عَرَفَتْ أَوَانَ ذَهَابِي
لَا بَارَكَ الرَّحْمَانُ فِيهَا عَقْرَباً دَبَّابَةً دَبَّتْ إِلَى دَبَّابِ

فَقَالَ خَالِي: قَبَّحَكَ اللهُ، لَوْ تَرَكْتَ الْمُجُونَ يَوْماً

(١) من أغذ بمعنى أسرع السير

لَتَرَكْتَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ. وَلِابْنِ بَسَّامٍ فِي عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الْوَزِيرِ :

رَجَوْتُ لَكَ الْوِزَارَةَ طُولَ عُمْرِي
فَلَمَّا كَانَ مِنْهَا مَا رَجَوْتُ

تَقَدَّمَنِي أُنَاسٌ لَمْ يَكُونُوا يَرُومُونَ الْكَلَامَ إِذَا دَنَوْتُ

فَأَحْبَبْتُ الْمَمَاتَ وَكُلُّ عَيْشٍ يُحَبُّ الْمَوْتُ فِيهِ فَهُوَ مَوْتُ

وَمِنْ شِعْرِ ابْنِ بَسَّامٍ مِنْ خَطِّ السَّمْعَانِيِّ :

أَقْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصِّبَا
لَمَّا عَلَانِي لِلْمَشِيبِ قِنَاعُ

لِلهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَلَهْوُهُ لَوْ أَنَّ أَيَّامَ الشَّبَابِ تُبَاعُ!

فَدَعِ الصِّبَا يَا قَلْبُ وَاسْلُ عَنِ الْهَوَى
مَا فِيكَ بَعْدَ مَشِيبِكَ اسْتِمْتَاعُ

وَانْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ مُوَدِّعٍ
فَلَقَدْ دَنَا سَفَرٌ وَحَانَ وَدَاعُ

فَالْحَادِثَاتُ مُوَكَّلَاتٌ بِالْفَتَى وَالنَّاسُ بَعْدَ الْحَادِثَاتِ سَمَاعُ

وَلَمَّا وَلِيَ حَامِدُ بْنُ الْعَبَّاسِ وِزَارَةَ الْمُقْتَدِرِ وَرَتَّبَ مَعَهُ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى يُدِيرُ الْأُمُورَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ:

يَا بْنَ الْفُرَاتِ تَعَزَّهْ قَدْ صَارَ أَمْرُكَ آيَهْ
لَمَّا عُزِلْتَ حَصَلْنَا عَلَى وَزِيرٍ بِدَايَهْ

وَعَلِيُّ بْنُ بَسَّامٍ القَائِلُ يَمْدَحُ النَّحْوَ :

رَأَيْتُ لِسَانَ الْمَرْءِ وَافِدَ عَقْلِهِ وَعُنْوَانَهُ فَانْظُرْ بِمَاذَا تُعَنْوِنُ ؟
فَلَا تَعْدُ إِصْلَاحَ اللِّسَانِ فَإِنَّهُ يُخَبِّرُ عَمَّا عِنْدَهُ وَيُبَيِّنُ
وَيُعْجِبُنِي زِيُّ الْفَتَى وَجَمَالُهُ
فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنَيَّ سَاعَةَ يَلْحَنُ
عَلَى أَنَّ لِلْإِعْرَابِ حَدًّا وَرُبَّمَا
سَمِعْتَ مِنَ الْإِعْرَابِ مَا لَيْسَ يَحْسُنُ
وَلَا خَيْرَ فِي اللَّفْظِ الْكَرِيهِ اسْتِمَاعُهُ
وَلَا فِي قَبِيحِ اللَّحْنِ وَالْقَصْدُ أَزْيَنُ

وَمِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ يَهْجُو فِيهَا الْكُتَّابَ :

وَعَبْدُونُ يَحْكُمُ فِي الْمُسْلِمِينْ وَمِنْ مِثْلِهِ تُؤْخَذُ الْجَالِيَهْ (١)
وَدِهْقَانُ (٢) طَيٍّ تَوَلَّى الْعِرَاقْ وَسَقْيَ الْفُرَاتِ وَزَرْ فَانِيَهْ
وَحَامِدُ يَاقَوْمِ لَوْ أَمْرُهُ إِلَيَّ لَأَلْزَمْتُهُ الزَّاوِيَهْ

(١) الجالية : أهل الذمة لأن عمر رضى الله عنه أجلاهم عن جزيرة العرب يريد أنه عمن يجلون عن البلاد ، ولعل المراد بها الجزية على التجوز لعلاقة السببية

(٢) الدهقان : رئيس الاقليم « عبدالخالق »

نَعَمْ وَلَأُزْجِعَنَّهُ صَاغِراً إِلَى بَيْعِ رُمَّانِ خُسْرَاوِيَهْ
أَيَارَبُّ قَدْ رَكِبَ الْأَرْذَلُونَ وَرِجْلِي مِنْ بَيْنِهِمْ مَاشِيَهْ
فَإِنْ كُنْتَ حَامِلِهَا مِثْلَهُمْ وَإِلَّا فَأَرْجِلْ بَنِي الزَّانِيَهْ

قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ هِشَامِ بْنِ أَبِي قِيرَاطٍ : سَمِعْتُ ابْنَ بَسَّامٍ يُنْشِدُ فِي وِزَارَةِ ابْنِ الْفُرَاتِ :

إِذَا حَكَمَ النَّصَارَى فِي الْفُرُوجِ وَبَاهَوْا بِالْبِغَالِ وَبِالسُّرُوجِ
فَقُلْ لِلْأَعْوَرِ الدَّجَّالِ هَذَا أَوَانُكَ إِنْ عَزَمْتَ عَلَى الْخُرُوجِ

قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ هِشَامٍ : حَدَّثَنِي زَنْجِيٌّ الْكَاتِبُ، حَدَّثَنِي ابْنُ بَسَّامٍ قَالَ : كُنْتُ أَتَقَلَّدُ الْبَرِيدَ بِقَلَمٍ [(١)] فِي أَيَّامِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَالْعَامِلُ بِهَا أَبُو عِيسَى أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ خَالِدٍ الْمَعْرُوفُ بِأَخِي أَبِي صَخْرَةٍ، فَأَهْدَى إِلَيَّ فِي لَيْلَةِ عِيدِ الْأَضْحَى بَقَرَةً لِلْأُضْحِيَةِ، فَاسْتَقْلَلْتُهَا وَرَدَدْتُهَا وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

كَمْ مِنْ يَدٍ لِي إِلَيْكَ سَالِفَةٍ وَأَنْتَ بِالْحَقِّ غَيْرُ مُعْتَرِفِ
نَفْسَكَ أَهْدَيْتَهَا لِأَذْبَحَهَا فَصُنْتُهَا عَنْ مَوَاقِعِ التَّلَفِ

---

(١) لم أعثر على قلم فى معجم البلدان والقاموس « عبد الخالق »

﴿ ٣٣ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ * ﴾

على بن محمد الأسدى

الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْكُوفِيِّ صَاحِبُ ثَعْلَبٍ وَالْخَصِيصُ بِهِ .
وَهُوَ مِنْ أَسَدِ قُرَيْشٍ ، وَهُوَ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ
ابْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ رَهْطِ الزُّبَيْرِ
ابْنِ الْعَوَّامِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْخَطِّ الْمَعْرُوفِ بِالصِّحَّةِ الْمَشْهُورِ
بِإِتْقَانِ الضَّبْطِ وَحُسْنِ الشَّكْلِ ، فَإِذَا قِيلَ : نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ
ابْنِ الْكُوفِيِّ فَقَدْ بَالَغَ فِي الِاحْتِيَاطِ ، وَكَانَ مِنْ أَجَلِّ أَصْحَابِ
ثَعْلَبٍ . مَاتَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ،
وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ ثِقَةً صَادِقًا فِي
الرِّوَايَةِ وَحُسْنِ الدِّرَايَةِ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْهَمْزِ
رَأَيْتُهُ أَنَا بِخَطِّهِ ، كِتَابُ مَعَانِي الشِّعْرِ وَاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ
فِيهِ ، كِتَابُ الْفَرَائِدِ وَالْقَلَائِدِ فِي اللُّغَةِ . قَالَ مُؤَلِّفُ
الْكِتَابِ : وَرَأَيْتُ بِخَطِّهِ عِدَّةَ كُتُبٍ فَلَمْ أَرَ أَحْسَنَ ضَبْطًا
وَإِتْقَانًا لِلْكِتَابَةِ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يَجْعَلُ الْإِعْرَابَ عَلَى الْحَرْفِ
بِمِقْدَارِ الْحَرْفِ احْتِيَاطًا ، وَيَكْتُبُ عَلَى الْكَلِمَةِ الْمَشْكُوكِ

(*) راجع بغية الوعاة

فِيهَا عِدَّةَ مِرَارٍ : صَحَّ صَحَّ صَحَّ ، فَكَانَ مِنْ جَمَّاعِي الْكُتُبِ وَأَرْبَابِ الْهَوَى فِيهَا . وَذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ التَّمِيمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ النَّجَّارِ فِي كِتَابِ الْكُوفَةِ مِنْ تَصْنِيفِهِ قَالَ : وَمِنْ أَصْحَابِ ثَعْلَبٍ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكُوفِيُّ الْأَسَدِيُّ الَّذِي خَطُّهُ الْيَوْمَ يُؤْتَدَمُ بِهِ، وَبِيعَ جُزَازَاتُ كُتُبِهِ وَرِقَاعُ سُؤَالَاتِهِ الْعُلَمَاءَ ، كُلُّ رُقْعَةٍ بِدِرْهَمٍ ، وَأَنْفَقَ عَلَى الْعِلْمِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ عَلَى ثَعْلَبٍ وَحْدَهُ ، هٰكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَأَظُنُّهُ سَهْوًا مِنْهُ ، فَإِنَّ ابْنَ الْكُوفِيِّ الْمَشْهُورَ بِجَوْدَةِ الضَّبْطِ اسْمُهُ بِخَطِّهِ عَلَى عِدَّةٍ مِنْ كُتُبِهِ ، وَهُوَ عَلِيُّ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ الْكُوفِيُّ الْأَسَدِيُّ كَمَا قَدَّمْنَا ، فَإِنْ صَحَّتْ رِوَايَةُ ابْنِ النَّجَّارِ فَهُوَ غَيْرُ الَّذِي نَعْرِفُهُ نَحْنُ ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ لِهٰذَا الْمُسَمَّى ذِكْرًا مَعَ كَثْرَةِ بَحْثِي وَتَنْقِيرِي ، وَوَجَدْتُ جُزَازَةً مِنْ إِمْلَاءِ أَبِي الْهَيْذَامِ كِلَابِ بْنِ حَمْزَةَ الْعُقَيْلِيِّ اللُّغَوِيِّ — وَلَهُ فِي هٰذَا الْكِتَابِ تَرْجَمَةٌ — مَا صُورَتُهُ : وَلِأَبِي الْهَيْذَامِ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْكُوفِيِّ النَّحْوِيِّ الْبَغْدَادِيِّ رَحِمَهُ اللهُ :

أَبَا حَسَنٍ أَرَاكَ تَمُدُّ حَبْلِي ... لِتَقْطَعَهُ وَأُرْسِلُهُ بِجُهْدِي

وَأَتْبَعُهُ إِذَا قَصُرَ احْتِيَاطاً ... وَأَنْتَ تَشُدُّ حَبْلَكَ أَيَّ شَدِّ

أُخَيَّ فَكَمْ يَكُونُ بَقَاءُ حَبْلٍ ... يُتَلْتَلُ[1] بَيْنَ إِرْسَالٍ وَمَدِّ

تَعَالَى اللهُ مَا أَجْفَى زَمَاناً ... بَقِيتُ لَهُ وَأَنْكَدُ فِيهِ جَدِّي[2]

أَظُنُّ الدَّهْرَ يَقْصِدُنِي لِأَمْرٍ ... يُحَاوِلُهُ وَيَطْلُبُنِي بِحِقْدِ

إِذَا ذَهَبَتْ بِشَكْلِي[3] عَنْ وِدَادِي ... مَذَاهِبُهُ فَكَيْفَ أَلُومُ ضِدِّي ؟

سَأَصْبِرُ طَائِعاً وَأَغُضُّ طَرْفِي ... وَأَحْفَظُ عَهْدَ مُطَّرَحٍ[4] لِعَهْدِي

وَأَقْصِدُ أَنْ أُحَصِّلَ لِي صَدِيقاً ... أُعَزُّ بِهِ عَلَى خَطَئِي وَعَمْدِي

فَإِنْ أَظْفَرْ بِذَاكَ فَأَيُّ كَنْزٍ ... وَنَيْلِ غَنِيمَةٍ وَثُقُوبِ زَنْدِ[5]

وَإِلَّا كَانَ حُسْنُ الصَّبْرِ أَحْرَى ... بِحُسْنِ مَثُوبَةٍ وَبِنَاءِ مَجْدِ

أَلَا لِلّهِ مَا أَصْبَحْتُ فِيهِ ... مِنَ الْخُلَطَاءِ مِنْ تَعَبٍ وَكَدِّ

لِقَاءٌ بِالْجَمِيلِ وَحُسْنُ بِشْرٍ ... وَإِنْصَافٌ يُشَابُ[6] بِخُلْفِ وَعْدِ

---

(١) يتلتل : يقلقل ويحرك ويزعزع (٢) أنكد جدى : أمنع من حظى

(٣) أى بمن يشاكلنى من أهل وصديق (٤) أى غير ملتفت إليه

(٥) ثقوب زند : ضوء العود الذى تقدح به النار ، وأى للتعظيم فهى الدالة على كمال الصنعة (٦) أى يخلط ، يريد أنهم يلقونه لقاء جميلا ولكن الوعد لا ينجز ، فهم يظهرون غير ما يبطنون .

وَعِلْمٌ لَا يُقَاسُ إِلَيْهِ عِلْمٌ ... بِكُلِّ طَرِيقَةٍ وَبِكُلِّ حَدِّ
وَإِغْفَالٌ لِمَا أَوْلَى وَأَحْجَى[١] ... تَفَقُّدُهُ بِذِى أَدَبٍ وَحَشْدِ
فَيَا للهِ يَا لِلنَّاسِ يَا لَلْـ ... ـعَجَائِبِ بَيْنَ تَقْرِبَةٍ وَبُعْدِ
مِنَ الْأَخْلَاقِ إِذْ مُزِجَتْ فَصَارَتْ ... عَلَاقِمُهَا مُجَدَّحَةً[٢] بِشَهْدِ
أَرَانِى بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ مَالِى ... سِوَى إِحْدَاهُمَا ثِقَةٌ لِقَصْدِ
فَإِنْ أُرِدِ الْأَنِيسَ أَعِشْ ذَلِيلًا ... وَإِنْ أُرِدِ التَّعَزُّزَ أَبْقَ وَحْدِى

﴿ ٣٤ عَلِىُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّاهِ الطَّاهِرِىُّ ﴾

﴿ مِنْ وَلَدِ الشَّاهِ بْنِ مِيكَالَ * ﴾

على بن محمد الطاهرى

وَكَانَ أَدِيبًا طَيِّبًا مُفَاكِهًا فِى نِهَايَةِ الظَّرْفِ وَالنَّظَافَةِ ، يَسْلُكُ مَسْلَكَ أَبِى الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِىِّ فِى تَصَانِيفِهِ ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ دَعْوَةِ التُّجَّارِ ، كِتَابُ نَخْرِ الْمُشْطِ عَلَى الْمِرْآةِ ، كِتَابُ حَرْبِ الْجُبْنِ مَعَ الزَّيْتُونِ ، كِتَابُ الرُّؤْيَا ، كِتَابُ اللَّحْمِ وَالسَّمَكِ ، كِتَابُ عَجَائِبِ الْبَحْرِ ، كِتَابُ

---

(١) تفقده مبتدا خبره أولى وما عطفت عليه ، وبذى متعلق بأولى

(٢) مجدحة : مختلطة «عبد الخالق»

(*) راجع بغية الوعاة

قَصِيدَةِ « وَخياريامكانس [(١)] » . وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لَهُ مَا يُكْتَبُ ،
وَجَدْتُ فِي كِتَابِ الرِّيَاضِ لِلْمَرْزُبَانِيِّ : أَنْشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الشَّاهِ الطَّاهِرِيُّ :

فُؤَادِي عَلِيلٌ وَجِسْمِي نَحِيلٌ ... وَلَيْلِي طَوِيلٌ وَنَوْمِي قَلِيلُ
وَقَلْبِي غَلِيلٌ وَدَائِي دَخِيلٌ [(٢)] ... وَسُقْمِي دَلِيلٌ عَلَى مَا أَقُولُ
وَطَرْفِي كَلِيلٌ [(٣)] فَمَالِي مَقِيلٌ ... وَأَمْرِي جَلِيلٌ فَصَبْرٌ جَمِيلُ

﴿ ٣٥ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدُوسٍ الْكُوفِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

على بن محمد ابن عبدوس الكوفى

ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الشِّعْرِ بِالْعَرُوضِ . كِتَابُ الْبُرْهَانِ فِي عِلَلِ النَّحْوِ . كِتَابُ مَعَانِي الشِّعْرِ .

﴿ ٣٦ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْقَاسِمِ الْإِسْكَافِيُّ * ﴾

على بن محمد الاسكافى

مِنْ أَهْلِ نَيْسَابُورَ ، ذَكَرَهُ الثَّعَالِبِيُّ فَقَالَ : هُوَ لِسَانُ

---

(١) ما فهمت من هذه الكلمة شيئا ولذا أغفلتها من الضبط ، ويخيل إلى أنها زجل خماسى من نوع الهذل ، كأن يقال لامرىء : أتريد كذا ؟ فيقول : وكذا أيضا ، فلعل هذه ختام لكل أربعة أنصاف من الزجل . (٢) أى داخل فى أعماق البدن (٣) أى بصرى ضعيف « عبد الخالق »

(*) راجع بغية الوعاة

(*) لم نعثر له على ترجمة

خُرَاسَانَ وَعَيْنُهَا، وَوَاحِدُهَا فِي الْكِتَابَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَمِمَّنْ لَمْ يَخْرُجْ مِثْلُهُ فِي الصِّنَاعَةِ وَالْبَرَاعَةِ، وَكَانَ تَأَدَّبَ بِنَيْسَابُورَ عِنْدَ مُؤَدِّبٍ بِهَا يُعْرَفُ بِالْحَسَنِ بْنِ مِهْرَجَانَ مِنْ أَعْرَفِ الْمُؤَدِّبِينَ بِأَسْرَارِ التَّأْدِيبِ وَالتَّدْرِيسِ، وَأَعْلَمِهِمْ بِطَرِيقِ التَّدْرِيجِ إِلَى التَّخْرِيجِ، ثُمَّ حَرَّرَ مُدَيْدَةً فِي بَعْضِ الدَّوَاوِينِ فَخَرَجَ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ، وَاسِطَةَ عِقْدِ الْفَضْلِ، وَنَادِرَةَ الزَّمَانِ، وَبِكْرَ[1] الْفَلَكِ كَمَا قَالَ فِيهِ الْهُزَيْمِيُّ:

سَبَقَ النَّاسَ بَيَانًا فَغَدَا وَهُوَ بِالْإِجْمَاعِ بِكْرُ الْفَلَكِ
أَصْبَحَ الْمُلْكُ بِهِ مُتَّسِقًا لِسَلِيلِ الْمُلْكِ عَبْدِ الْمَلِكِ[2]

وَوَقَعَ فِي رَيْعَانِ[3] أَمْرِهِ وَعُنْفُوَانِ عُمُرِهِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ الصَّاغَانِيِّ وَاسْتَأْثَرَ بِهِ وَاسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِهِ، وَقَلَّدَهُ دِيوَانَ رَسَائِلِهِ، فَحَسُنَ خَبَرُهُ، وَسَافَرَ[4] أَثَرُهُ، وَكَانَتْ كُتُبُهُ تَرِدُ عَلَى الْحَضْرَةِ فِي نِهَايَةِ الْحُسْنِ وَالنَّضْرَةِ، فَتَقَعُ الْمُنَافَسَةُ فِيهِ، وَيُكَاتِبُ أَبُو عَلِيٍّ فِي إِيثَارِ الْحَضْرَةِ بِهِ، فَيَتَعَلَّلُ

---

(١) بكر كل شيء: أوله (٢) يعني عبد الملك بن نوح السماني وهو أحد ملوكهم (٣) ريعان أمره، وعنفوان عمره: أول كل منهما

(٤) سافر أثره: شاع ذكره وذاع صيته

وَيَتَسَلَّلُ لِوَاذًا[1] ، وَلَا يَخْرُجُ عَنْهُ إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ كَشْفِ أَبِي عَلِيٍّ قِنَاعَ الْعِصْيَانِ ، وَانْهِزَامِهِ فِي وَقْعَةِ خَرْجِيكَ إِلَى الصَّغَانِيَانِ مَا كَانَ ، وَحَصَلَ[2] أَبُو الْقَاسِمِ فِي جُمْلَةِ الْأَسْرَى مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَلِيٍّ ، فَحُبِسَ فِي الْقُهَنْدَزِ[3] وَقُيِّدَ مَعَ حُسْنِ الرَّأْيِ فِيهِ وَشِدَّةِ الْمَيْلِ إِلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ الْحَمِيدَ نُوحَ بْنَ نَصْرٍ أَرَادَ أَنْ يَسْتَكْشِفَهُ عَنْ سِرِّهِ وَيَقِفَ عَلَى خَبِيئَةِ صَدْرِهِ ، فَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةٌ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الْمَشَايِخِ وَيُقَالُ لَهُ فِيهَا : إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ الصَّاغَانِيَّ قَدْ كَتَبَ إِلَى الْحَضْرَةِ يَسْتَوْهِبُكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَيَسْتَدْعِيكَ إِلَى الشَّاسِ لِتَتَوَلَّى لَهُ كِتَابَةَ الْكُتُبِ السُّلْطَانِيَّةِ ، فَمَا رَأْيُكَ فِي ذَلِكَ ؟ فَوَقَّعَ فِي الرُّقْعَةِ : « رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ » فَلَمَّا عُرِضَ تَوْقِيعُهُ عَلَى الْحَمِيدِ حَسُنَ مَوْقِعُهُ مِنْهُ وَأُعْجِبَ بِهِ ، وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ وَالْخَلْعِ عَلَيْهِ ، وَإِقْعَادِهِ فِي دِيوَانِ الرَّسَائِلِ خَلِيفَةً لِأَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْعَمِيدِ الْمُلَقَّبِ بِكَلَّهْ ، وَهُوَ وَالِدُ

---

(١) يتسلل لواذا : يقدر على الخروج من مأزق الطلب (٢) أى وقع

(٣) القهندز كسفرجل : القلعة

أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ ، وَكَانَ الإِسْمُ لِلْعَمِيدِ وَالْعَمَلُ لِأَبِي الْقَاسِمِ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ بَعْضُ مُجَّانِ الْحَضْرَةِ :

تَبَظْرَمَ [١] الشَّيْخُ كُلَّهُ وَلَسْتُ أَرْضَى ذَاكَ لَهْ

كَأَنَّهُ لَمْ يَرَ مَنْ قُعِّدَ عَنْهُ بَدَلَهْ

وَاللهِ إِنْ دَامَ عَلَى هَذَا الْجُنُونِ وَالْبَلَهْ

فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يُنْتَفُ مِنْهُ السَّبَلَهْ [٢]

وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ يَهْجُوهُ فَقَالَ فِيهِ وَكَانَ يَحْضُرُ الدِّيوَانَ فِي مِحَفَّةٍ لِسُوءِ أَثَرِ النِّقْرِسِ عَلَى قَدَمِهِ :

يَاذَا الَّذِي رَكِبَ الْمِحَفْ فَةَ جَامِعًا فِيهَا جَهَازَهْ

أَتُرَى الزَّمَانَ يُعِيشُنِي حَتَّى يُرِينِيهَا جِنَازَهْ ؟

فَلَمْ تَطُلِ الْأَيَّامُ حَتَّى أَدْرَكَتِ الْعَمِيدَ مَنِيَّتُهُ ، وَبَلَغَ أَبُو الْقَاسِمِ أُمْنِيَّتَهُ ، وَتَوَلَّى الْعَمَلَ بِرَأْسِهِ ، وَعَلَا أَمْرُهُ وَبَعُدَ صِيتُهُ ، وَجَمَعَتْ رَسَائِلُهُ أَقْسَامَ الْحُسْنِ وَالْجَوْدَةِ ، وَازْدَادَ عَلَى الْأَيَّامِ تَبَحُّرًا فِي الصِّنَاعَةِ ، وَيُحْكَى أَنَّ الْحَمِيدَ أَمَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ بِكَتْبِ كِتَابٍ إِلَى بَعْضِ الْأَطْرَافِ وَرَكِبَ مُتَصَيِّدًا

(١) تبظرم : تحمق (٢) السبلة : ما على الشارب من الشعر ، وقيل : طرفه ، وقيل : مجتمع الشاربين .

وَاشْتَغَلَ أَبُو القَاسِمِ عَنْ ذَلِكَ لِمَجْلِسِ أُنْسٍ عَقَدَهُ بَيْنَ إِخْوَانٍ جَمَعَهُمْ عِنْدَهُ ، فَحِينَ رَجَعَ الْحَمِيدُ مِنْ مُتَصَيَّدِهِ اسْتَدْعَى أَبَا القَاسِمِ وَأَمَرَهُ بِاسْتِصْحَابِ الْكِتَابِ الَّذِي رَسَمَ لَهُ كِتَابَتَهُ لِيَعْرِضَهُ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ كَتَبَهُ ، فَأَجَابَ دَاعِيَهُ وَقَدْ نَالَ مِنْهُ الشَّرَابُ وَمَعَهُ طُومَارٌ بَيَاضٌ أَوْهَمَ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِيهِ الْكِتَابُ الْمَرْسُومُ لَهُ ، وَقَعَدَ بِالْبُعْدِ عَنْهُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ كِتَاباً طَوِيلاً سَدِيداً بَلِيغاً أَنْشَأَهُ فِي وَقْتِهِ وَقَرَأَهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ ، وَارْتَضَاهُ الْحَمِيدُ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ قَرَأَهُ مِنْ سَوَادِ مَكْتُوبِهِ وَأَمَرَهُ بِخَتْمِهِ ، فَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَحَرَّرَ مَا قَرَأَهُ وَأَصْدَرَهُ عَلَى الرَّسْمِ فِي أَمْثَالِهِ .

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِ : أَنَّهُ كَانَ أَكْتَبَ النَّاسِ فِي السُّلْطَانِيَّاتِ ، فَإِذَا تَعَاطَى الإِخْوَانِيَّاتِ كَانَ قَصِيرَ الْبَاعِ ، وَكَانَ يُقَالُ : إِذَا اسْتَعْمَلَ أَبُو القَاسِمِ نُونَ الْكِبْرِيَاءِ تَكَلَّمَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَكَانَ فِي عُلُوِّ الرُّتْبَةِ فِي النَّثْرِ وَانْحِطَاطِهِ فِي النَّظْمِ كَالْجَاحِظِ ، وَرَسَائِلُهُ كَثِيرَةٌ مُدَوَّنَةٌ سَائِرَةٌ فِي الآفَاقِ .

قَالَ : وَلَمَّا انْتَقَلَ إِلَى جِوَارِ رَبِّهِ أَكْمَلَ مَا كَانَ شَبَاباً

وآداباً، وغدت الكتابة لفراقه شعثاء[1]، والبلاغة غبراء. أكبر فضلاء الحضرة رزيته، وأكثروا مرثيته، فمن ذلك قول الهزيمي الأبيوردي من قصيدة:

أَلَمْ تَرَ دِيوَانَ الرَّسَائِلِ عُطِّلَتْ
لِفِقْدَانِهِ أَقْلَامُهُ وَدَفَاتِرُهْ

كَثَغْرٍ مَضَى حَامِيهِ لَيْسَ لِسَدِّهِ
سِوَاهُ وَكَالْكَسْرِ الَّذِي عَزَّ جَابِرُهْ

لِيَبْكِ عَلَيْهِ خَطُّهُ وَبَيَانُه
فَذَا مَاتَ وَاشِيهِ وَذَا مَاتَ سَاحِرُهْ

﴿ ٣٧ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَهْمِ ﴾
﴿ دَاوُدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ * ﴾

علي بن محمد التنوخي

التَّنُوخِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ الْقَاضِي، قَدْ تَقَدَّمَ نَسَبُهُ فِي تَرْجَمَةِ حَفِيدِهِ عَلِيِّ بْنِ الْمُحَسِّنِ. قَالَ السَّمْعَانِيُّ: وُلِدَ أَبُو الْقَاسِمِ هَذَا بِأَنْطَاكِيَةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ فِي حَدَاثَتِهِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَتَفَقَّهَ بِهَا

(١) يريد بذلك اضطراب أحوال الكتابة ونظمها

عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِالْأَهْوَازِ وَكُورِهَا ، وَتَقَلَّدَ قَضَاءَ إِيذَجَ وَجُنْدَ حِمْصَ مِنْ قِبَلِ الْمُطِيعِ لِلّٰهِ ، وَمَاتَ بِالْبَصْرَةِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَدُفِنَ بِالْمِرْبَدِ . أَعْرِفُ مِنَ التَّنُوخِيِّينَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرُوا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَهُمْ : أَبُو الْقَاسِمِ وَابْنُهُ أَبُو عَلِيٍّ الْمُحَسِّنُ صَاحِبُ كِتَابِ نِشْوَارِ الْمُحَاضَرَةِ وَكِتَابِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ ، وَحَفِيدُهُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيٌّ الْأَخِيرُ شَيْخُ الْخَطِيبِ وَتِلْكَ الطَّبَقَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي الْأَدَبِ مِنْهَا :

كِتَابٌ فِي الْعَرُوضِ . قَالَ الْخَالِعُ : مَا عُمِلَ فِي الْعَرُوضِ أَجْوَدُ مِنْهُ . كِتَابٌ فِي عِلْمِ الْقَوَافِي ، وَكَانَ بَصِيراً بِعِلْمِ النُّجُومِ ، قَرَأَهُ عَلَى الْبُنَانِيِّ الْمُنَجِّمِ صَاحِبِ الزِّيجِ وَيُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ يَقُومُ بِعَشَرَةِ عُلُومٍ ، وَتَقَلَّدَ الْقَضَاءَ بِالْأَهْوَازِ وَكُورَةِ وَاسِطَ وَأَعْمَالِهَا وَالْكُوفَةِ ، وَسَقْيِ الْفُرَاتِ وَجُنْدَ حِمْصَ وَعِدَّةِ نَوَاحٍ مِنَ الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ وَأَرَّجَانَ وَكُورَةِ سَابُورَ مُجْتَمِعاً وَمُفْتَرِقاً ، وَأَوَّلُ وِلَايَتِهِ الْقَضَاءَ رِيَاسَةً فِي أَيَّامِ الْمُقْتَدِرِ

بِاللهِ بِعَهْدٍ كَتَبَهُ لَهُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ الْوَزِيرُ ، وَشَهِدَ الشُّهُودُ عِنْدَهُ فِيمَا حَكَمَ بَيْنَ أَهْلِ عَمَلِهِ بِالْحَضْرَةِ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَشَهِدُوا عَلَى إِنْفَاذِهِ . وَكَانَ الْمُطِيعُ لِلهِ قَدْ عَوَّلَ عَلَى صَرْفِ أَبِي السَّائِبِ عَنْ قَضَاءِ الْقُضَاةِ وَتَقْلِيدِهِ إِيَّاهُ ، فَأَفْسَدَ ذَلِكَ بَعْضُ أَعْدَائِهِ ، وَكَانَ ابْنُ مُقْلَةَ قَلَّدَهُ الْمَظَالِمَ بِالْأَهْوَازِ وَالْإِشْرَافَ عَلَى الْعِيَارِ بِهَا ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيُّ قَدِ اسْتَخْلَفَهُ بِوَاسِطَ عَلَى بَعْضِ أُمُورِ النَّظَرِ ، وَلَمْ يَزَلْ نَبِيهاً مُتَقَدِّماً يَمْدَحُهُ الشُّعَرَاءُ وَيُجِيزُهُمْ ، وَيُفْضِلُ عَلَى مَنْ قَصَدَهُ إِفْضَالًا أَثَّرَ فِي حَالِهِ ، وَتُوُفِّيَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ وَقَضَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ وَهُوَ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ : كَانَ أَبِي يَحْفَظُ لِلطَّائِيَّيْنِ سَبْعَمِائَةِ قَصِيدَةٍ وَمَقْطُوعَةٍ سِوَى مَا يَحْفَظُ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُحْدَثِينَ وَالْمُخَضْرَمِينَ وَالْجَاهِلِيِّينَ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ دَفْتَراً بِخَطِّهِ هُوَ عِنْدِي يَحْتَوِي عَلَى رُءُوسِ مَا يَحْفَظُهُ مِنَ الْقَصَائِدِ مِائَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَرَقَةً أَثْمَانَ مَنْصُورِيٍّ لِطَافٍ . وَكَانَ يَحْفَظُ مِنَ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ شَيْئاً عَظِيماً مَعَ ذَلِكَ ، وَكَانَ

عَظِيماً فِى الفِقْهِ وَالفَرائِضِ. وَالشُّرُوطُ وَالمَحَاضِرُ وَالسِّجِلَّاتُ رَأْسُ مَالِهِ، وَكَانَ يَحْفَظُ مِنْهُ مَاقَدِ اشْتَهَرَ مِنَ الكَلَامِ وَالمَنْطِقِ وَالهَنْدَسَةِ، وَكَانَ فِى النَّحْوِ وَحِفْظِ الأَحْكَامِ وَعِلْمِ الهَيْئَةِ قُدْوَةً وَفِى حِفْظِ عِلْمِ العَرُوضِ. وَلَهُ فِيهِ وَفِى الفِقْهِ وَغَيْرِهِمَا عِدَّةُ كُتُبٍ مُصَنَّفَةٍ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَحْفَظُ وَيُجِيبُ فِيمَا يَفُوقُ عِشْرِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَداً أَحْفَظَ مِنْهُ، وَلَوْلَا أَنَّ حِفْظَهُ افْتَرَقَ فِى جَمِيعِ هَذِهِ العُلُومِ لَكَانَ أَمْراً هَائِلاً.

قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِىُّ: هُوَ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ العِلْمِ وَالأَدَبِ، وَأَفْرَادِ الكَرَمِ وَحُسْنِ الشِّيَمِ، وَكَانَ كَمَا قَرَأْتُهُ فِى فَصْلٍ لِلصَّاحِبِ: إِنْ أَرَدْتَ فَإِنِّى سُبْحَةُ نَاسِكٍ، أَوْ أَحْبَبْتَ فَإِنِّى تُفَّاحَةُ فَاتِكٍ، أَوِ اقْتَرَحْتَ فَإِنِّى مُدَرَّعَةُ رَاهِبٍ، أَوْ آثَرْتَ فَإِنِّى تَحِيَّةُ شَارِبٍ. وَكَانَ يَتَقَلَّدُ قَضَاءَ البَصْرَةِ وَالأَهْوَازِ بِضْعَ سِنِينَ، وَحِينَ صُرِفَ عَنْهُ وَرَدَ حَضْرَةَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ زَائِراً وَمَادِحاً، فَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ وَأَحْسَنَ قِرَاهُ، وَكَتَبَ فِى مَعْنَاهُ إِلَى الحَضْرَةِ بِبَغْدَادَ حَتَّى أُعِيدَ إِلَى عَمَلِهِ، وَزِيدَ فِى فِى رِزْقِهِ وَرُتْبَتِهِ. وَكَانَ المُهَلَّبِىُّ الوَزِيرُ وَغَيْرُهُ مِنْ رُؤَسَاءِ

الْعِرَاقِ يَمِيلُونَ إِلَيْهِ جِدًّا وَيَتَعَصَّبُونَ لَهُ ، وَيَعُدُّونَهُ رَيْحَانَةَ النُّدَمَاءِ ، وَتَارِيخَ الظُّرَفَاءِ ، وَيُعَاشِرُونَ مِنْهُ مَنْ تَطِيبُ عِشْرَتُهُ ، وَتَكْرُمُ أَخْلَاقُهُ ، وَتَحْسُنُ أَخْبَارُهُ ، وَتَسِيرُ أَشْعَارُهُ ، نَاظِمًا حَاشِيَتَيِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَنَاحِيَتَيِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ . وَبَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ لَهُ غُلَامٌ يُسَمَّى نَسِيمًا فِي نِهَايَةِ الْمَلَاحَةِ وَاللَّبَاقَةِ ، وَكَانَ يُؤْثِرُهُ عَلَى سَائِرِ غِلْمَانِهِ ، وَيَخْتَصُّهُ بِتَقْرِيبِهِ وَاسْتِخْدَامِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ يَأْنَسُ بِهِ :

هَلْ عَلَى مَنْ لَامَهُ مُدْغَمٌ

لِاضْطِرَارِ الشِّعْرِ فِي مِيمِ نَسِيمِ ؟

فَوَقَّعَ تَحْتَهُ نَعَمْ ، وَلِمَ لَا ؟

قَالَ : وَيُحْكَى أَنَّهُ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْقُضَاةِ الَّذِينَ يُنَادِمُونَ الْوَزِيرَ الْمُهَلَّبِيَّ وَيَجْتَمِعُونَ عِنْدَهُ فِي الْأُسْبُوعِ لَيْلَتَيْنِ عَلَى اطِّرَاحِ الْحِشْمَةِ[1] ، وَالتَّبَسُّطِ فِي الْقَصْفِ[2] وَالْخَلَاعَةِ ، وَهُمْ ابْنُ قُرَيْعَةَ[3] ، وَابْنُ مَعْرُوفٍ ، وَالْقَاضِي

---

(١) أى إزالة ما يوجب الكلفة (٢) أى الاقامة فى الأكل والشرب واللهو .

(٣) وقريعة اسم جده ، قال : هذا ابن خلكان نقلا عن السمعانى ، واسمه محمد بن عبد الرحمن ، ولقبه أبو بكر بن قريعة « عبد الخالق »

الإيذجي وغيرهم ، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها ، وكذلك كان المهلبي ، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ، ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا ثوب الوقار للعقار ، وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش ، ووضع في يد كل منهم طاس ذهب من ألف مثقال مملوء شرابا قطربليا (١) وعكبريا فيغمس لحيته فيه ، بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ، ثم يرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق (٢) البرم ويقولون كلما كثر شربهم : هرهر (٣) وإياهم عنى السرى بقوله :

مجالس ترقص القضاة بها ... إذا انتشوا (٤) في مخانق البرم

وصاحب يخلط المجون (٥) لنا ... بشيمة حلوة من الشيم

يخضب بالراح شيبه عبثا ... أنامل مثل حمرة العنم

---

(١) قطربليا : نسبة إلى قطربل ، وهو موضع بالعراق تنسب إليه الخمر الجيدة ، والعكبرى : منسوب إلى عكبرا (٢) مخانق جمع مخنقة : وهى القلادة ، البرم : خيوط مختلفة فالمخانق مصنوعة منها (٣) يريد كثرة ضحكهم ، فان الهرهرة : الضحك فى الباطل (٤) أى إذا سكروا وأخذتهم نشوة الخمر (٥) المجون : المزاح

حَتَّى تَخَالَ الْعُيُونُ شَيْبَتَهُ شُيَيْبَةً (١) قَدْ مَزَجْتَهَا بِدَمِ

فَإِذَا أَصْبَحُوا عَادُوا إِلَى عَادَاتِهِمْ فِي التَّزَمُّتِ وَالتَّوَقُّرِ وَالتَّحَفُّظِ بِأُبَّهَةِ الْقَضَاءِ وَحِشْمَةِ الْمَشَايِخِ الْكُبَرَاءِ.

وَمِنْ شِعْرِ التَّنُوخِيِّ هَذَا:

وَجَاءَ لَاجَاءَ الدُّجَى كَأَنَّهُ
مِنْ طَلْعَةِ الْوَاشِي وَوَجْهِ الْمُرْتَقِبْ

وَفَعَلَ الظَّلَامُ بِالضِّيَاءِ مَا يَفْعَلُهُ الْحُرْفُ (٢) بِأَبْنَاءِ الْأَدَبْ

وَلَهُ:

وَلَيْلَةِ مُشْتَاقٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ
قَدِ اغْتَصَبَتْ عَيْنِي الْكَرَى فَهْيَ نُوَّمُ

كَأَنَّ عُيُونَ السَّاهِرِينَ لِطُولِهَا
إِذَا شَخَصَتْ لِلْأَنْجُمِ الزُّهْرِ أَنْجُمُ

كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ وَالْفَجْرُ ضَاحِكٌ (٣)
يَلُوحُ وَيَخْفَى أَسْوَدٌ يَتَبَسَّمُ

---

(١) يابس من الورق أبيض اسمه شيبة (٢) الحرف بضم حائه: الحرمان، ومنه الحرفة بضم حائها وكسرها، ومن هنا قول عمر رضي الله عنه: «لحرفة أحدهم أشد عليه من عيانه». (٣) أي مسفر ظاهر

وَلَهُ :

عِنْدِي بِهَا وَضِيَاءُ الصُّبْحِ يُطْفِيهَا
كَالسُّرْجِ تُطْفَأُ أَوْ كَالأَعْيُنِ الْعُورِ

أَعْجِبْ بِهِ حِينَ وَافَى وَهْيَ نَيِّرَةٌ
وَظَلَّ يَطْمِسُ مِنْهَا النُّورَ بِالنُّورِ

وَلَهُ :

لَمْ أَنْسَ دِجْلَةَ وَالدُّجَى مُتَصَوِّبٌ[(١)]
وَالْبَدْرُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ مُغَرِّبُ

فَكَأَنَّهَا فِيهِ بِسَاطٌ أَزْرَقٌ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طِرَازٌ مُذْهَبُ

وَلَهُ :

كَتَبْتُ وَلَيْلِي بِالسُّهَادِ نَهَارُ
وَصَدْرِي لِوُرَّادِ الْهُمُومِ صِدَارُ[(٢)]

وَلِي أَدْمُعٌ غُزْرٌ تَفِيضُ كَأَنَّهَا
سَحَائِبُ فَاضَتْ مِنْ يَدَيْكَ غِزَارُ

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الدَّمْعِ مَاءً إِذَا جَرَى
تَلَهَّبُ مِنْهُ فِي الْمَدَامِعِ نَارُ

---

(١) الدجى متصوب : الظلام نازل (٢) الصدار : ما يلبس فوق الشعار ، وهو الذي يقال عنه عند العامة : « سدبري »

رَحَلْتُ وَزَادِي لَوْعَةٌ وَمَطِيَّتِي
جَوَانِحُ مِنْ حَرِّ الْفِرَاقِ حِرَارُ

مَسِيرٌ دَعَاهُ النَّاسُ سَيْرًا تَوَسُّعًا
وَمَعْنَى اسْمِهِ إِنْ حَقَّقُوهُ إِسَارُ

إِذَا رُمْتُ أَنْ أَنْسَى الْأَسَى ذَكَّرَتْ بِهِ
دِيَارٌ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ دِيَارُ

لَكَ الْخَيْرُ، عَنْ غَيْرِ اخْتِيَارِي تَرَحُّلِي
وَهَلْ بِي عَلَى صَرْفِ الزَّمَانِ خِيَارُ ؟

وَهَذَا كِتَابِي وَالْجُفُونُ كَأَنَّهَا
تُحَكَّمُ فِي أَشْفَارِهِنَّ[1] شِفَارُ

وَلَهُ :

فَحْمٌ كَيَوْمِ الْفِرَاقِ يُشْعِلُهُ نَارٌ كَنَارِ الْفِرَاقِ فِي الْكَبِدِ
أَسْوَدُ قَدْ صَارَ تَحْتَ حُمْرَتِهَا مِثْلَ الْعُيُونِ اكْتَحَلْنَ بِالرَّمَدِ

وَلَهُ فِي مَحْبُوبٍ جَسِيمٍ :

مِنْ أَيْنَ أَسْتُرُ وَجْدِي وَهُوَ مُنْهَتِكٌ[2]
مَا لِلْمُتَيَّمِ فِي فَتْكِ الْهَوَى دَرَكُ ؟

---

(١) أشفار جمع شفر : وهو أصل منبت شعر الجفن ، وشفار جمع شفرة : وهي السكين العظيمة العريضة ، أو حد السيف (١) منهتك : مفتضح

قَالُوا : عَشِقْتَ عَظِيمَ الْجِسْمِ ، قُلْتُ لَهُمْ :

كَالشَّمْسِ أَعْظَمُ جِسْمٍ حَازَهُ الْفَلَكُ

وَلَهُ :

رِضَاكَ شَبَابٌ لَا يَلِيهِ مَشِيبُ

وَسُخْطُكَ دَاءٌ لَيْسَ مِنْهُ طَبِيبُ

كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الْقُلُوبِ مُرَكَّبٌ

فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ الْقُلُوبِ حَبِيبُ

قَالَ : وَمِمَّا أُنْشِدْتُهُ لَهُ وَلَمْ أَجِدْهُ فِي دِيوَانِهِ :

قُلْتُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ مَرَّ بِي مُنْتَقِبًا بَعْدَ الضِّيَا بِالظُّلَمْ

بِاللهِ يَأَهْلَ وِدَادِي قِفُوا كَيْ تُبْصِرُوا كَيْفَ زَوَالُ النِّعَمْ؟

وَحَدَّثَ السَّلَامِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي اللَّحَّامُ قَالَ : خَرَجَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ وَرْقَاءَ الشَّيْبَانِيُّ فِي بَعْضِ الْأَسْفَارِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِيُّ الْأَنْطَاكِيُّ يَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ وَيَجْزَعُ عَلَى فِرَاقِهِ :

أَسِيرُ وَقَلْبِي فِي ذُرَاكَ أَسِيرُ وَحَادِي رِكَابِي لَوْعَةٌ وَزَفِيرُ

وَلِي أَدْمُعٌ غُزْرٌ تَفِيضُ كَأَنَّهَا

جَدَى فَاضَ فِي الْعَافِينَ مِنْكَ غَزِيرُ

وَطَرْفٌ طَرِيفٌ(١) بِالسُّهَادِ كَأَنَّهُ

نَدَاكَ وَجَيْشُ الْجُودِ فِيهِ يُغِيرُ

أَبَا أَحْمَدٍ إِنَّ الْمَكَارِمَ مَنْهَلٌ

لَكُمْ أَوَّلٌ مِنْ وِرْدِهِ وَأَخِيرُ

سَمَاحٌ كَمُزْنِ الْجُودِ فِيهِ تَسَجُّمٌ

وَغَابٌ لِأُسْدِ الْمَوْتِ فِيهِ زَئِيرُ

شَبَابُ بَنِي شَيْبَانَ شِيبٌ إِذَا انْتَدَوْا(٢)

وَقُلُّهُمُ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَثِيرُ

وُجُوهٌ كَأَكْبَادِ الْمُحِبِّينَ رِقَّةً

عَلَى أَنَّهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ صُخُورُ

وَحَدَّثَ أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى مَنْصُورٍ الْخَالِدِيِّ قَالَ: كُنْتُ لَيْلَةً عِنْدَ الْقَاضِي

---

(١) طريف فعيل بمعنى مفعول، يريد أنه مصاب (٢) انتدوا: جلسوا فى الندى «النادى» يريد مدحهم بأنهم بلغوا الغاية فى الكمال والوقار وقال: إن الشباب كالشيب ويحترمون احترامهم، وهم يوم اللقاء كثير عددهم وأن لهم عاطفة هى ما هى إلا أنهم صلب عند اللقاء. «عبد الخالق»

التَّنُوخِيّ فِي ضِيَافَتِهِ فَأَغْفَى إِغْفَاءَةً فَخَرَجَتْ مِنْهُ رِيحٌ ، فَضَحِكَ بَعْضُ القَوْمِ فَانْتَبَهَ لِضَحِكِهِ وَقَالَ : لَعَلَّ رِيحًا ، فَسَكَتْنَا فَمَكَثَ هُنَيْهَةً ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

إِذَا نَامَتِ العَيْنَانِ مِنْ مُتَيَقِّظٍ
تَرَاخَتْ بِلَا شَكٍّ تَشَارِيجُ فَقْحَتِهْ
فَمَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ فَيَعْذُرُ نَائِمًا
وَمَنْ كَانَ ذَا جَهْلٍ فَفِي جَوْفِ لِحْيَتِهْ

وَمِنْ خَطِّ السَّمْعَانِيِّ بِإِسْنَادِهِ لَهُ ، وَهِيَ مِنْ مَشْهُورِ شِعْرِهِ :

لَمْ أَنْسَ شَمْسَ الضُّحَى تُطَالِعُنِي ... وَنَحْنُ مِنْ رِقْبَةٍ[١] عَلَى فَرَقِ
وَجَفْنُ عَيْنِي بِدَمْعِهِ شَرِقٌ[٢] ... لَمَّا بَدَتْ فِي مُعَصْفَرٍ شَرِقِ
كَأَنَّهُ أَدْمُعِي وَوَجْنَتُهَا ... لَمَّا رَمَتْنَا الوُشَاةُ بِالحَدَقِ
ثُمَّ تَغَطَّتْ بِكُمِّهَا خَجَلًا
كَالشَّمْسِ غَابَتْ فِي حُمْرَةِ الشَّفَقِ

---

(١) الرقبة : التحفظ والحراسة (٢) الشرق بكسر الراء : الجفن غص بالدمع ، وبفتحها : الثوب الذى زيد صبغه حتى صار مشرقا

وَلَهُ :

تَخَيَّرْ إِذَا مَا كُنْتَ فِي الْأَمْرِ مُرْسِلًا
فَمُبْلِغُ آرَاءِ الرِّجَالِ رَسُولُهَا
وَرَوِّ[1] وَفَكِّرْ فِي الْكِتَابِ فَإِنَّمَا
بِأَطْرَافِ أَقْلَامِ الرِّجَالِ عُقُولُهَا

وَحَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ الْمُحَسِّنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّنُوخِيُّ : جَرَى فِي مَجْلِسِ أَبِي – رَحِمَهُ اللهُ – يَوْمًا ذِكْرُ رَجُلٍ كَانَ صَغِيرًا فَارْتَفَعَ ، فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ : مَنْ ذَاكَ الْوَضِيعُ ؟ أَمْسِ كُنَّا نَرَاهُ بِمُرَقَّعَةٍ يَشْحَذُ ، فَقَالَ أَبِي : وَمَا يَضَعُهُ مِنْ أَنَّ الزَّمَانَ عَضَّهُ ثُمَّ سَاعَدَهُ ؟ كُلُّ كَبِيرٍ إِنَّمَا كَانَ صَغِيرًا أَوَّلًا ، وَالْفَقْرُ لَيْسَ بِعَارٍ إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ فَاضِلًا فِي نَفْسِهِ ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ خَاصَّةً لَا يَعِيبُهُمْ ذَلِكَ ، وَأَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّ مَنْ كَانَ صَغِيرًا فَارْتَفَعَ ، أَوْ فَقِيرًا فَاسْتَغْنَى ، أَفْضَلُ مِمَّنْ وُلِدَ فِي الْغِنَى أَوْ فِي الْجَلَالَةِ ، لِأَنَّ مَنْ وُلِدَ فِي ذَلِكَ إِنَّمَا يُحْمَدُ عَلَى فِعْلِ غَيْرِهِ ، فَلَا حَمْدَ لَهُ هُوَ خَاصَّةً فِيهِ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ

(١) روّ فى الأمر : نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بالجواب فيه ، وكانت فى الأصل « ورد »

فَكَانَ ، فَكَأَنَّمَا بِكَدِّهِ وَصَلَ إِلَى ذَلِكَ ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِمَّنْ وَصَلَ إِلَيْهِ مِيرَاثًا أَوْ بِجِدِّ غَيْرِهِ وَكَدِّ سِوَاهُ .

حَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ الْمُحَسِّنُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ دَاوُدَ التَّنُوخِيُّ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي - رَحِمَهُ اللهُ - يَوْمًا يُنْشِدُ وَسِنِّي إِذْ ذَاكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً بَعْضَ قَصِيدَةِ دِعْبِلِ بْنِ عَلِيٍّ الطَّوِيلَةِ الَّتِي يَفْخَرُ فِيهَا بِالْيَمَنِ وَيُعَدِّدُ مَنَاقِبَهُمْ ، وَيَرُدُّ عَلَى الْكُمَيْتِ فِيهَا فَخْرَهُ بِنِزَارٍ وَأَوَّلُهَا :

أَفِيقِي مِنْ مَلَامِكِ يَا ظَعِينَا[1] كَفَاكِ اللَّوْمَ مَرُّ الْأَرْبَعِينَا

وَهِيَ نَحْوُ سِتِّمَائَةِ بَيْتٍ ، فَاشْتَهَيْتُ حِفْظَهَا لِمَا فِيهَا مِنْ مَفَاخِرِ الْيَمَنِ لِأَنَّهُمْ أَهْلِي ، فَقُلْتُ يَا سَيِّدِي : تُخْرِجُهَا إِلَيَّ حَتَّى أَحْفَظَهَا ؟ فَدَافَعَنِي فَأَلْحَحْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : كَأَنِّي بِكَ تَأْخُذُهَا فَتَحْفَظُ مِنْهَا خَمْسِينَ بَيْتًا أَوْ مِائَةَ بَيْتٍ ، ثُمَّ تَرْمِي بِالْكِتَابِ وَتُخْلِقُهُ[2] عَلَيَّ ، فَقُلْتُ : ادْفَعْهَا إِلَيَّ فَأَخْرَجَهَا وَسَلَّمَهَا لِي وَقَدْ كَانَ كَلَامُهُ أَثَّرَ فِيَّ فَدَخَلْتُ حُجْرَةً لِي كَانَتْ بِرَسْمِي مِنْ دَارِهِ ، فَخَلَوْتُ فِيهَا وَلَمْ أَتَشَاغَلْ يَوْمِي وَلَيْلَتِي بِشَيْءٍ غَيْرِ

(١) الظعينة : المرأة التي في الهودج (٢) تخلقه : تهمله حتى يبلى

حفظها ، فلما كان السحر كنت قد فرغت منها جميعها وأتقنتها، فخرجت إليه غدوة على رسمي فجلست بين يديه فقال لي : كم حفظت من القصيدة ؟ فقلت : قد حفظتها بأسرها ، فغضب وقدر أني قد كذبته وقال : هاتها ، فأخرجت الدفتر من كمي فأخذه وفتحه ونظر فيه وأنا أنشد إلى أن مضيت في أكثر من مائة بيت ، فصفح منها عدة أوراق وقال : أنشد من هاهنا ، فأنشدت مقدار مائة بيت ، فصفح إلى أن قارب آخرها بمائة بيت وقال : أنشدني من هاهنا ، فأنشدته من مائة بيت فيها إلى آخرها فهاله ما رأى من حسن حفظي ، فضمني إليه وقبل رأسي وعيني وقال : بالله يا ابني لا تخبر بهذا أحداً فإني أخاف عليك من العين . قال أبو علي : قال لي أبي : حفظني أبي وحفظت بعده من شعر أبي تمام والبحتري سوى ما كنت أحفظ لغيرهما من المحدثين من الشعراء مائتي قصيدة قال: وكان أبي وشيوخنا بالشام يقولون : من حفظ للطائيين أربعين قصيدة ولم يقل الشعر فهو حمار في مسلاخ[1] إنسان ، فقلت الشعر وبدأت بمقصورتي التي أولها :

---

(١) مسلاخ : جلد

لَوْلَا التَّنَاهِى لَمْ أُطِعْ نَهْىَ النُّهَى
أَىَّ مَدًى يَطْلُبُ مَنْ جَازَ الْمَدَى ؟

قَالَ عَلِىُّ بْنُ الْمُحَسِّنِ: وَجَدْتُ فِى كُتُبِ أَبِى كِتَابًا مِنْ كُتُبِ أَبِى مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِىِّ إِلَيْهِ قَبْلَ تَقَلُّدِهِ الْوَزَارَةَ بِسِنِينَ أَوَّلُهُ: كِتَابِى أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِنَا الْقَاضِى عَنْ سَلَامَةٍ لَا زَالَتْ لَهُ إِلْفًا وَعَلَيْهِ وَقْفًا:

وَحَمْدٍ لِمَوْلًى أَسْتَمِدُّ بِحَمْدِهِ
لَهُ الرُّتْبَةَ الْعَلْيَاءَ وَالْعِزَّ دَائِمَا
وَأَنْ يُسْخِطَ الْأَيَّامَ بِالْجَمْعِ بَيْنَنَا
وَتَرْضَى الْمُنَى حَتَّى يُرِينِيكَ سَالِمَا

وَصَلَ كِتَابُهُ أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ فَقُمْتُ مُعَظِّمًا لَهُ، وَقَعَدْتُ مُشْتَمِلًا عَلَى السُّرُورِ بِهِ:

وَفَضَضْتُهُ فَوَجَدْتُهُ لَيْلًا عَلَى صَفَحَاتِ نُورِ
مِثْلَ السَّوَالِفِ وَالْخُدُو دِ الْبِيضِ زِينَتْ بِالشُّعُورِ
بِنِظَامِ لَفْظٍ كَالثُّغُو رِ وَكَاللَّآلِىءِ فِى النُّحُورِ
أَنْزَلْتُهُ فِى الْقَلْبِ مَنْـ ـزِلَةَ الْقُلُوبِ مِنَ الصُّدُورِ

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ فِي النَّشْوَارِ : حَدَّثَنِي أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ ابْنُ ثَابِتٍ قَالَ: كَتَبَ إِلَى الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ جَوَابَ كِتَابٍ كَتَبْتُهُ إِلَيْهِ، وَصَلَ كِتَابُكَ :

فَمَا شَكَكْتُ وَقَدْ جَاءَ الْبَشِيرُ بِهِ
أَنَّ الشَّبَابَ أَتَانِي بَعْدَ مَاذَهَبَا

وَقُلْتُ: نَفْسِي تُفَدَّى نَفْسَ مُرْسِلِهِ
مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَنْ أَمْلَي وَمَنْ كَتَبَا

وَكَادَ قَلْبِي وَقَدْ قَلَّبْتُهُ قَرِماً (١)
إِلَى قِرَاءَتِهِ أَنْ يَخْرِقَ الْحُجُبَا

قَالَ: وَالشِّعْرُ لَهُ وَأَنْشَدَنِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: وَلَسْتُ أَعْرِفُ لَهُ ذَلِكَ وَلَا وَجَدْتُهُ فِي كُتُبِهِ مَنْسُوباً إِلَيْهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِمَّا قَالَهُ وَلَمْ يُثْبِتْهُ، أَوْ ضَاعَ فِيمَا ضَاعَ مِنْ شِعْرِهِ فَإِنَّهُ أَكْثَرُ مِمَّا حُفِظَ، وَمِنْ شِعْرِ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّنُوخِيِّ الْأَكْبَرِ :

يَجُودُ فَيَسْتَحْيِي الْحَيَا عِنْدَ جُودِهِ
وَيَخْرَسُ صَرْفُ الدَّهْرِ حِينَ يَقُولُ

(١) أي مشتاقاً إليه

عَطَايَا تُبَارِى الرِّيحَ وَهِيَ عَوَاصِفٌ
وَيَخْجَلُ مِنْهَا الْمُزْنُ وَهُوَ هَطُولُ

أَقَامَ لَهُ سُوقًا بَضَائِعُهَا النَّدَى
سَمَاحٌ لِأَرْسَالِ السَّمَاحِ رَسِيلُ (١)

لَهُ نَسَبٌ لَوْ كَانَ لِلشَّمْسِ ضَوْءُهُ
لَمَا غَالَهَا بَعْدَ الطُّلُوعِ أُفُولُ

وَلَهُ :

يَاوَاحِدَ النَّاسِ لَامُسْتَثْنِيًا أَحَدًا
إِذْ كَانَ دُونَ الْوَرَى بِالْمَجْدِ مُنْفَرِدَا

أَمَا تَرَى الرَّوْضَ قَدْ لَاقَاكَ مُبْتَسِمًا
وَمَدَّ نَحْوَ النَّدَامَى لِلسَّلَامِ يَدَا

فَاخْضَرَّ نَاضِرُهُ فِي أَبْيَضٍ يَقَقٍ (٢)
وَاصْفَرَّ فَاقِعُهُ فِي أَحْمَرٍ نَضِدَا

مِثْلُ الرَّقِيبِ بَدَا لِلْعَاشِقَيْنِ ضُحًى
فَاحْمَرَّ ذَا خَجَلًا وَاصْفَرَّ ذَا كَمَدًا (٣)

---

(١) الأرسال جمع رسل : القطيع من كل شىء ، فسماحه لكثرته جعله أرسالا ، والرسيل : المراسل (٢) أى شديد البياض (٣) أى غيظاً

وَلَهُ :

إِلْقَ الْعَدُوَّ بِوَجْهٍ لَاقُطُوبَ بِهِ

يَكَادُ يَقْطُرُ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَاتِ

فَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ يَلْقَى أَعَادِيَهُ

فِي جِسْمِ حِقْدٍ وَثَوْبٍ مِنْ مَوَدَّاتِ

أَلصَّبْرُ خَيْرٌ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ

وَكَثْرَةُ الْمَزْحِ مِفْتَاحُ الْعَدَاوَاتِ

وَلَهُ فِي النَّاعُورَةِ :

بَاتَتْ تَئِنُّ وَمَا بِهَا وَجْدِي ... وَتَحِنُّ مِنْ وَجْدٍ إِلَى نَجْدِ

فَدُمُوعُهَا تَحْيَا الرِّيَاضُ بِهَا ... وَدُمُوعُ عَيْنِي أَقْرَحَتْ خَدِّي

وَلَهُ :

فَدَيْتُ عَيْنَيْكَ وَإِنْ كَانَتَا ... لَمْ تُبْقِيَا مِنْ جَسَدِي شَيْئًا

إِلَّا خَيَالًا لَوْ تَأَمَّلْتَهُ ... فِي الشَّمْسِ لَمْ تُبْصِرْ لَهُ فَيْئًا [1]

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ قَدْ قَالَ قَصِيدَةً يَفْتَخِرُ فِيهَا

بِبَنِي الْعَبَّاسِ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ أَوَّلُهَا :

---

(١) الفيء : الظل

أَبَى اللهُ إِلَّا مَا تَرَوْنَ فَمَا لَكُمْ
غِضَابًا عَلَى الْأَقْدَارِ يَا آلَ طَالِبِ

فَأَجَابَهُ أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِيُّ بِقَصِيدَةٍ نَحَلَهَا بَعْضَ الْعَلَوِيِّينَ وَهِيَ مُثْبَتَةٌ فِي دِيوَانِهِ أَوَّلُهَا :

مِنِ ابْنِ رَسُولِ اللهِ وَابْنِ وَصِيِّهِ
إِلَى مُدْغِلٍ[1] فِي عُقْدَةِ الدِّينِ نَاصِبِ

نَشَا بَيْنَ طُنْبُورٍ وَدُفٍّ وَمِزْهَرٍ
وَفِي حِجْرِ شَادٍ أَوْ عَلَى صَدْرِ ضَارِبِ

وَمِنْ ظَهْرِ سَكْرَانٍ إِلَى بَطْنِ قَيْنَةٍ
عَلَى شُبَهٍ فِي مِلْكِهَا وَشَوَائِبِ

يَقُولُ فِيهَا :

وَقُلْتَ : بَنُو حَرْبٍ كَسَوْكُمْ عَمَائِمًا
مِنَ الضَّرْبِ فِي الْهَامَاتِ حُمْرَ الذَّوَائِبِ

صَدَقْتَ ، مَنَايَانَا السُّيُوفُ وَإِنَّمَا
تَمُوتُونَ فَوْقَ الْفُرْشِ مَوْتَ الْكَوَاعِبِ

---

(١) أدغل في الأمر : أفسد فيه

وَنَحْنُ الأُلَى لا يَسْرَحُ الذَّمُّ بَيْنَنَا
وَلَا تَدَّرِى[1] أَعْرَاضُنَا بِالْمَعَايِبِ
إِذَا مَا انْتَدَوْا كَانُوا شُمُوسَ نَدِيِّهِمْ
وَإِنْ رَكِبُوا كَانُوا بُدُورَ الرَّكَائِبِ
وَإِنْ عَبَسُوا يَوْمَ الْوَغَى ضَحِكَ الرَّدَى
وَإِنْ ضَحِكُوا بَكَّوْا عُيُونَ النَّوَائِبِ
وَمَا لِلْغَوَانِى وَالْوَغَى ؟ فَتَعَوَّذُوا
بِقَرْعِ الْمَثَانِى مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
وَيَوْمَ حُنَيْنٍ قُلْتَ حُزْنَا فَخَارَهُ
وَلَوْ كَانَ يَدْرِى عَدَّهَا فِى الْمَثَالِبِ
أَبُوهُ مُنَادٍ وَالْوَصِىُّ مُضَارِبٌ[2]
فَقُلْ فِى مُنَادٍ صَيِّتٍ وَمُضَارِبِ[3]
وَجِئْتُمْ مَعَ الأَوْلَادِ تَبْغُونَ إِرْثَهُ
فَأَبْعِدْ بِمَحْجُوبٍ بِحَاجِبِ حَاجِبِ

---

(١) تدرى : أى تجعل نفسها دريئة للمعايب (٢) يريد العباس وعليا الوصى
(٣) وإن الفرق لعظيم بين المنادى والمحارب

وَقُلْتُمْ نَهَضْنَا ثَائِرِينَ شِعَارُنَا
بِثَارَاتِ زَيْدِ الْخَيْرِ عِنْدَ التَّحَارُبِ
فَهَلَّا بِإِبْرَاهِيمَ كَانَ شِعَارُكُمْ
فَتَرْجِعَ دَعْوَاكُمْ تَعِلَّةَ[1] خَائِبِ

وَلَهُ فِي مُعِزِّ الدَّوْلَةِ :

لِلَّهِ أَيَّامٌ مَضَيْنَ قَطَعْتُهَا وَطِوَالُهَا بِالْغَانِيَاتِ قِصَارُ
حِينَ الصِّبَا لَدْنُ الْمَهَزِّ قَضِيبُهُ غَضٌّ وَأَنْوَاءُ السُّرُورِ غِزَارُ
أَجْلُو النَّهَارَ عَلَى النَّهَارِ وَأَنْثَنِي وَالشَّمْسُ لِي دُونَ الشِّعَارِ شِعَارُ
حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ أَقْبَلَ ضَمَّنَا دُونَ الْإِزَارِ مِنَ الْعِنَاقِ إِزَارُ
فَعَلَى النُّحُورِ مِنَ النُّحُورِ قَلَائِدٌ وَعَلَى الْخُدُودِ مِنَ الْخُدُودِ خِمَارُ
وَبَدَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ مِنْ حُلَلِ الدُّجَى
تَزْكُو كَمَا يَتَفَتَّحُ النُّوَّارُ
أَقْبَلْنَ وَالْمِرِّيخُ فِي أَوْسَاطِهَا مِثْلَ الدَّرَاهِمِ وَسْطَهَا دِينَارُ
فَالْجَوُّ مُجْتَابُ النُّجُومِ عَلَى الدُّجَى فِي قُمُصِ وَشْيٍ مَا لَهَا أَزْرَارُ
وَكَأَنَّمَا الْجَوْزَاءُ وِشَاحُ خَرِيدَةٍ وَالنَّجْمُ تَاجٌ وَالْوِشَاحُ خِمَارُ

---

(١) أى تعلل

وَمِنهَا فِي المَدْحِ :

مَلِكٌ تُنَاجِيهِ القُلُوبُ بِمَا جَنَت
وَتَخَافُهُ الأَوْهَامُ وَالأَفْكَارُ

فَيَدٌ مُؤَيَّدَةٌ وَقَلْبٌ قُلَّبٌ وَشَبًا يُشَبُّ وَخَاطِرٌ خَطَّارُ

حِينَ العُيُونُ شَوَاخِصٌ وَكَأَنَّهَا لِلخَوْفِ لَمْ تُخْلَقْ لَهَا أَبْصَارُ

كُلُّ الوَرَى أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَاؤُهَا
وَجَمِيعُهُمْ لَيْلٌ وَأَنْتَ نَهَارُ

وَلَهُ :

مَا مِنهُمُ إِلَّا امْرُؤٌ غَمْرُ النَّدَى سَمْحُ اليَدَيْنِ مُؤَمَّلٌ مَرْهُوبُ

يُغْرِيهِ بِالخُلُقِ الرَّفِيعِ وَبِالنَّدَى
وَالمَكْرُمَاتِ العَذْلُ وَالتَّأْنِيبُ

فَلَهُ رَقِيبٌ مِنْ نَدَاهُ عَلَى الوَرَى
وَعَلَيْهِ مِنْ كَرَمِ الطِّبَاعِ رَقِيبُ

وَلَهُ :

وَقَفْنَا نُجِيلُ الرَّأْيَ فِي سَاكِنِي الغَضَا
وَجَمْرُ الغَضَا بَيْنَ الضُّلُوعِ يَجُولُ

نَشِيمُ بِأَرْضِ الشَّامِ بَرْقاً كَأَنَّهُ
عُقُودُ نِضَادٍ مَا لَهُنَّ فُصُولُ[١]

وَلَهُ :

أَمَا فِي جِنَايَاتِ النَّوَاظِرِ نَاظِرٌ
وَلَا مُنْصِفٌ إِنْ جَارَ مِنْهُنَّ جَائِرُ؟
بِنَفْسِيَ مَنْ لَمْ يَبْدُ قَطُّ لِعَاذِلٍ فَيَرْجِعَ إِلَّا وَهُوَ لِي فِيهِ عَاذِرُ
وَلَا لَحَظَتْ عَيْنَاهُ نَاهٍ[٢] عَنِ الْهَوَى
فَأَصْبَحَ إِلَّا وَهُوَ بِالْحُبِّ آمِرُ
يُؤَثِّرُ فِيهِ نَاظِرُ الْفِكْرِ بِالْمُنَى
وَتَجْرَحُهُ بِاللَّمْسِ مِنْهَا الضَّمَائِرُ

حَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ الْمُحَسِّنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّنُوخِيُّ فِي نِشْوَارِهِ قِصَّةً لِأَبِي مَعْشَرٍ قَدْ ذَكَرْتُهَا فِي مَجْمُوعِ الِاخْتِطَافِ عَجِيبَةً. ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا بَعِيدٌ جِدًّا دَقِيقٌ وَلَكِنْ فِيمَا شَاهَدْنَاهُ مِنْ صِحَّةِ بَعْضِ أَحْكَامِ النُّجُومِ كِفَايَةٌ، هَذَا

---

(١) الفاصلة : خرزة تفصل بين الخرزتين فى نظم العقد ، والعقود النضاد : ما جعل الواحد منها بعضه فوق بعض ولذا قال : ما لهن فصول ، فالبرق بأرض الشام يتصل بعضه ببعض كالعقود المنضودة . (٢) كان الحق ناهيا

« عبد الخالق »

أَبِي حَوَّلَ مَوْلِدَ نَفْسِهِ فِي السَّنَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا وَقَالَ لَنَا : هَذِهِ سَنَةُ قَطْعٍ[١] عَلَى مَذْهَبِ الْمُنَجِّمِينَ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى بَغْدَادَ إِلَى أَبِي[٢] الْحَسَنِ الْبُهْلُولِ الْقَاضِي صِهْرِهِ يَنْعِي نَفْسَهُ وَيُوصِيهِ ، فَلَمَّا اعْتَلَّ أَدْنَى عِلَّةٍ وَقَبْلَ أَنْ تَسْتَحْكِمَ عِلَّتُهُ أَخْرَجَ التَّحْوِيلَ وَنَظَرَ فِيهِ طَوِيلًا وَأَنَا حَاضِرٌ فَبَكَى ثُمَّ أَطْبَقَهُ وَاسْتَدْعَى كَاتِبَهُ وَأَمْلَى عَلَيْهِ وَصِيَّتَهُ الَّتِي مَاتَ عَنْهَا وَأَشْهَدَ فِيهَا مِنْ يَوْمِهِ ، فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ غُلَامُ زُحَلَ الْمُنَجِّمِ فَأَخَذَ يُطَيِّبُ نَفْسَهُ وَيُورِدُ عَلَيْهِ شُكُوكًا ، فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ : لَسْتَ مِمَّنْ تَخْفَى عَلَيْهِ فَأَنْسِبَكَ إِلَى غَلَطٍ، وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ هَذَا فَتَسْتَغْفِلَنِي ، وَجَلَسَ فَوَافَقَهُ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي خَافَهُ وَأَنَا حَاضِرٌ ، فَقَالَ لَهُ : دَعْنِي مِنْ هَذَا . بَيْنَنَا شَكٌّ فِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ الْعَصْرَ[٣] لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنَ الشَّهْرِ فَهُوَ سَاعَةُ قَطْعٍ عِنْدَكُمْ ؟ فَأَمْسَكَ أَبُو الْقَاسِمِ غُلَامُ زُحَلَ لِأَنَّهُ كَانَ خَادِماً لِأَبِي وَبَكَى طَوِيلًا وَقَالَ : يَا غُلَامُ طِسْتٌ فَجَاءُوهُ بِهِ فَغَسَلَ التَّحْوِيلَ وَقَطَعَهُ وَوَدَّعَ أَبَا الْقَاسِمِ

(١) أي يكون فيها الموت . (٢) إلى الثانية ومجرورها بدل من إلى الأولى ومجرورها (٣) العصر بدل من يوم الثلاثاء . « عبد الخالق »

تَوْدِيعَ مُفَارِقٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصْرُ مَاتَ[١] كَمَا قَالَ.

قَالَ الْمُحَسِّنُ: وَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: لَمَّا كُنْتُ أَتَقَلَّدُ الْقَضَاءَ بِالْكَرْخِ كَانَ بَوَّابِي بِهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكَرْخِ، وَلَهُ ابْنٌ عُمْرُهُ حِينَئِذٍ عَشْرُ سِنِينَ أَوْ نَحْوُهَا، وَكَانَ يَدْخُلُ دَارِي بِلَا إِذْنٍ وَيَمْتَزِجُ مَعَ غِلْمَانِي، وَأَهَبُ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ الدَّرَاهِمَ وَالثِّيَابَ كَمَا يَفْعَلُ النَّاسُ بِأَوْلَادِ غِلْمَانِهِمْ، ثُمَّ خَرَجْتُ عَنِ الْكَرْخِ وَرَحَلْتُ عَنْهَا وَلَمْ أَعْرِفْ لِلْبَوَّابِ وَلَا لِابْنِهِ خَبَرًا، وَمَضَتِ السُّنُونَ وَأَنْفَذَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيُّ مِنْ وَاسِطٍ بِرِسَالَةٍ إِلَى ابْنِ رَائِقٍ فَلَقِيتُهُ بِدَيْرِ الْعَاقُولِ، ثُمَّ انْحَدَرْتُ أُرِيدُ وَاسِطًا فَقِيلَ لِي: إِنَّ فِي الطَّرِيقِ لِصًّا يُعْرَفُ بِالْكَرْخِيِّ مُسْتَفْحِلَ الْأَمْرِ، وَكُنْتُ خَرَجْتُ بِطَالِعٍ اخْتَرْتُهُ عَلَى مُوجِبِ تَحْوِيلِ مَوْلِدِي لِتِلْكَ السَّنَةِ.

فَلَمَّا عُدْتُ مِنْ دَيْرِ الْعَاقُولِ خَرَجَ عَلَيْنَا اللُّصُوصُ فِي سُفُنٍ عِدَّةٍ بِسِلَاحٍ شَاكٍ[٢] فِي نَحْوِ مِائَةِ رَجُلٍ وَهُوَ كَالْعَسْكَرِ الْعَظِيمِ، وَكَانَ مَعِي غِلْمَانٌ يَرْمُونَ بِالنُّشَّابِ فَخِفْتُ

---

(١) العصر فاعل كان بمعنى جاء أو أتى (٢) أى تام العدة

أَنَّ مَنْ رَمَى مِنهُمْ سَهْمًا ضَرَبْتُهُ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَأَنِّى مُفْزِعُهُ، وَذَلِكَ أَنِّى خِفْتُ أَنْ يُقْتَلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَلَا يَرْضَوْنَ إِلَّا بِقَتْلِى، وَبَادَرْتُ فَرَمَيْتُ بِجَمِيعِ مَا كَانَ مَعِى وَمَعَ الْغِلْمَانِ مِنَ السِّلَاحِ فِى دِجْلَةَ وَاسْتَسْلَمْتُ طَلَبًا لِسَلَامَةِ النَّفْسِ، وَجَعَلْتُ أُفَكِّرُ فِى الطَّالِعِ الَّذِى أَخْرَجْتُ فَإِذَا لَيْسَ مِثْلُهُ مِمَّا يُوجِبُ عِنْدَهُمْ قَطْعًا، وَالنَّاسُ قَدْ أَدْبَرُوا إِلَى وَاسِطٍ وَأَنَا فِى جُمْلَتِهِمْ، وَجَعَلُوا يُفْرِغُونَ السُّفُنَ وَيَنْقُلُونَ جَمِيعَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْتِعَةِ إِلَى الشَّاطِىءِ وَهُمْ يَضْرِبُونَ وَيَقْطَعُونَ بِالسُّيُوفِ، فَلَمَّا انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَيَّ جَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ حُصُولِى فِى مِثْلِ ذَلِكَ وَالطَّالِعُ لَا يُوجِبُهُ، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ وَإِذَا بِسَفِينَةِ رَئِيسِهِمْ قَدْ دَنَتْ وَطَرَحَ عَلَيَّ كَمَا صَنَعَ فِى سَائِرِ السُّفُنِ لِيُشْرِفَ عَلَى مَا يُؤْخَذُ، فَحِينَ رَآنِى زَجَرَ أَصْحَابَهُ عَنِّى وَمَنَعَهُمْ مِنْ أَخْذِ شَىْءٍ مِنْ سَفِينَتِى، وَصَعِدَ بِمُفْرَدِهِ إِلَيَّ وَجَعَلَ يَتَأَمَّلُنِى، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَى يَدَيَّ يُقَبِّلُهُمَا وَهُوَ مُتَلَثِّمٌ فَارْتَعْتُ وَقُلْتُ: يَاهَذَا، مَا شَأْنُكَ؟ فَأَسْفَرَ لِثَامَهُ وَقَالَ: أَمَا تَعْرِفُنِى يَا سَيِّدِى؟ فَتَأَمَّلْتُهُ فَلِجَزَعِى لَمْ أَعْرِفْهُ فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ،

فَقَالَ: بَلَى، أَنَا عَبْدُكَ ابْنُ فُلَانٍ الْكَرْخِيّ بَوَّابِكَ هُنَاكَ، وَأَنَا الصَّبِيُّ الَّذِي تَرَبَّيْتُ فِي دَارِكَ. قَالَ: فَتَأَمَّلْتُهُ فَعَرَفْتُهُ إِلَّا أَنَّ اللِّحْيَةَ قَدْ غَيَّرَتْهُ فِي عَيْنِي، فَسَكَنَ رَوْعِي قَلِيلاً وَقُلْتُ يَا هَذَا: كَيْفَ بَلَغْتَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ؟ فَقَالَ يَا سَيِّدِي: نَشَأْتُ فَلَمْ أَتَعَلَّمْ غَيْرَ مُعَالَجَةِ السِّلَاحِ وَجِئْتُ إِلَى بَغْدَادَ أَطْلُبُ الدِّيوَانَ فَمَا قَبِلَنِي أَحَدٌ، وَانْضَافَ إِلَيَّ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ فَطَلَبْتُ قَطْعَ الطَّرِيقِ، وَلَوْ كَانَ أَنْصَفَنِي السُّلْطَانُ وَأَنْزَلَنِي بِحَيْثُ أَسْتَحِقُّ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَانْتَفَعَ بِخِدْمَتِي مَا فَعَلْتُ بِنَفْسِي هَذَا. قَالَ: فَأَقْبَلْتُ أَعِظُهُ وَأُخَوِّفُهُ اللَّهَ ثُمَّ خَشِيتُ أَنْ يَشُقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَيُفْسِدَ رِعَايَتَهُ لِي فَأَقْصَرْتُ، فَقَالَ لِي يَا سَيِّدِي: لَا يَكُونُ بَعْضُ هَؤُلَاءِ أَخَذَ مِنْكَ شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: لَا، مَا ذَهَبَ مِنِّي إِلَّا سِلَاحٌ رَمَيْتُهُ أَنَا إِلَى الْمَاءِ وَشَرَحْتُ لَهُ الصُّورَةَ فَضَحِكَ وَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ أَصَابَ الْقَاضِي، فَمَنْ فِي الْكَارِ (١) مِمَّنْ تَعْتَنِي بِهِ؟ فَقُلْتُ: كُلُّهُمْ عِنْدِي بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْغَمِّ بِهِمْ، فَلَوْ أَفْرَجْتَ عَنِ الْجَمِيعِ.

(١) فی الأصل « الكبار » والمناسب للمقام ما أثبتناه ، ومعنى الكار : السفن المنحدرة فيها طعام .

« عبد الخالق »

فَقَالَ: وَاللهِ لَوْلَا أَنَّ أَصْحَابِي قَدْ تَفَرَّقُوا (١) مَا أَخَذُوهُ لَفَعَلْتُ ذَلِكَ، وَلَـكِنَّهُمْ لَا يُطِيعُونَنِي إِلَى رَدِّهِ، وَلَـكِنِّي أَمْنَعُهُمْ عَنْ أَخْذِ شَيْءٍ آخَرَ مِمَّا فِي السُّفُنِ مِمَّا لَمْ يُؤْخَذْ بَعْدُ، فَجَزَيْتُهُ الْخَيْرَ فَصَعِدَ إِلَى الشَّاطِئِ وَأَصْعَدَ جَمِيعَ أَصْحَابِهِ وَمَنَعَهُمْ عَنْ أَخْذِ شَيْءٍ آخَرَ مِمَّا فِي السُّفُنِ مِمَّا لَمْ يُؤْخَذْ، وَرَدَّ عَلَى قَوْمٍ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً كَانَتْ أُخِذَتْ مِنْهُمْ، وَأَطْلَقَ النَّاسَ وَسَارَ مَعِي إِلَى حَيْثُ آمَنَ عَلَيَّ وَوَدَّعَنِي وَانْصَرَفَ رَاجِعاً.

حَدَّثَ أَبُو الْقَاسِمِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ قُلِّدْتُهُ الْقَضَاءَ بِعَسْكَرِ مُكْرَمٍ وَتُسْتَرَ وَجُنْدَيْسَابُورَ وَأَعْمَالَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ الْقَاضِي أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْبُهْلُولِ التَّنُوخِيِّ، وَكُنْتُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ عُمُرِي، وَذَلِكَ فِي شُهُورِ سَنَةِ عَشْرَةٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَمِنْ شِعْرِهِ الْمَشْهُورِ مَا نَقَلْتُهُ مِنْ دِيوَانِ شِعْرِهِ.

وَرَاحٍ مِنَ الشَّمْسِ مَخْلُوقَةٍ ... بَدَتْ لَكَ فِي قَدَحٍ مِنْ نَهَارِ
هَوَاءٌ وَلَـكِنَّهُ سَاكِنٌ ... وَمَاءٌ وَلَـكِنَّهُ غَيْرُ جَارِي
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَهُ وَهْوَ فِيهِ ... تَأَمَّلْتَ مَاءً مُحِيطاً بِنَارِ

(١) تفرقوا بمعنى توزعوا فيما بينهم

فَهَذَا النِّهَايَةُ فِي الِابْيِضَاضِ وَهَذِي النِّهَايَةُ فِي الِاحْمِرَارِ :
وَمَا كَانَ فِي الْحُكْمِ أَنْ يُوجَدَا
لِفَرْطِ التَّنَافِي وَفَرْطِ النِّفَارِ
وَلَكِنْ تَجَاوَرَ سَطْحَاهُمَا الْـ ـبَسِيطَانِ فَاتَّفَقَا بِالْجِوَارِ
وَكَانَ الْمُدِيرُ لَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا مَالَ لِلسَّقْيِ أَوْ بِالْيَسَارِ
تَدَرَّعَ ثَوْبًا مِنَ الْيَاسَمِينِ لَهُ فَرْدُ كُمٍّ مِنَ الْجُلَّنَارِ

قُلْتُ : وَقَدْ تُنُوزِعَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ وَرُوِيَتْ لِغَيْرِهِ فَقِيلَ : إِنَّهَا لِأَبِي النَّصْرِ الْأَنْطَاكِيِّ النَّحْوِيِّ وَغَيْرِهِ .

﴿ ٣٨ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ﴾

﴿ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْعَمِيدِ * ﴾

أبو الفتح ابن العميد

الْمُلَقَّبُ بِذِي الْكِفَايَتَيْنِ ، كِفَايَةِ السَّيْفِ وَكِفَايَةِ الْقَلَمِ ، وَزِيرُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ بُوَيْهِ بَعْدَ أَبِيهِ ، « وَبَذَلَ مَالًا فِي ذَلِكَ » ثُمَّ وَزِيرُ ابْنِهِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ بُوَيْهِ بِالرَّيِّ وَأَصْفَهَانَ وَتِلْكَ الْأَعْمَالِ . وَوَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ صُحْبَةَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ لِنُصْرَةِ عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ . قُتِلَ عَلَى مَا يَجِيءُ شَرْحُهُ — إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى — فِي سَنَةِ

سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، كَذَا ذَكَرَ ابْنُ الصَّابِئِ . كَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا بَلِيغًا ، قَدِ اقْتَدَى بِأَبِيهِ فِي عُلُوِّ الْهِمَّةِ وَبُعْدِ الشَّأْوِ فِي الْكَرَمِ وَالْفَضْلِ :

إِنَّ السَّرِيَّ إِذَا سَرِي[1] فَبِنَفْسِهِ
وَابْنُ السَّرِيِّ إِذَا سَرِي أَسْرَاهُمَا

وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ أَدَّبَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ ، وَهَذَّبَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ فَارِسٍ اللُّغَوِيُّ وَأَحْسَنَ تَهْذِيبَهُ . وَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي تَرْجَمَتِهِ ، وَهُوَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، قَامَ مَقَامَهُ فِي وِزَارَةِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَذَلِكَ قَبْلَ الِاسْتِكْمَالِ وَفِي بُعْدٍ مِنَ الِاكْتِهَالِ ، وَعُمْرُهُ حِينَئِذٍ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَأَلْقَى رُكْنُ الدَّوْلَةِ مَقَالِيدَهُ إِلَيْهِ ، وَعَوَّلَ فِي تَدْبِيرِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا جَرَى لِعِزِّ الدَّوْلَةِ بُخْتِيَارَ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَادَ مَا جَرَى مَعَ غُلَامِهِ سُبُكْتِكِينَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَمِّهِ

---

(١) سري كرضي : شرف ، وتأتي مثل كرم وسكنت الياء للضرورة .

رُكْنِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ بِهِ ، تَقَدَّمَ إِلَى أَبِي الْفَتْحِ بِالْمُضِيِّ إِلَى شِيرَازَ وَالْمَسِيرِ فِي صُحْبَةِ وَلَدِهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ لِإِنْجَادِ عِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَوَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ وَجَرَى مَا جَرَى مِنْ مَوْتِ سُبُكْتِكِينَ وَمُحَارَبَةِ أَصْحَابِهِ حَتَّى انْجَلَوْا عَنْهَا ، وَطَمِعَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ فِيهَا ، وَمُكَاتَبَتِهِ أَبَاهُ بِمُفَارَقَتِهَا وَتَسْلِيمِهَا إِلَى عِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَكَتَبَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَبِي الْفَتْحِ بِالْقِيَامِ بِذَلِكَ وَالتَّكَفُّلِ بِهِ ، حَتَّى يُفَارِقَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بَغْدَادَ فِي قِصَّةٍ هِيَ مَذْكُورَةٌ فِي التَّوَارِيخِ ، فَتَشَدَّدَ ابْنُ الْعَمِيدِ عَلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ ، وَخَاطَبَهُ فِيهِ مُخَاطَبَاتٍ حَقَدَهَا عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ قَالَ لِابْنِ الْعَمِيدِ : مَا حَظِيتُ مِنْ وُرُودِي إِلَى بَغْدَادَ بِفَائِدَةٍ ، وَقَدْ أَطْلَقْتُ بِسَبَبِهَا أَمْوَالًا صَامِتَةً لَا تُحْصَى . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْفَتْحِ : مَا سَلِمَ مِنَ الْأَعْطِيَاتِ سُلْطَانٌ ، وَلَا خَلَا مِنَ النَّفَقَاتِ مَكَانٌ ، وَلَوِ اسْتَقْصَيْتَ مِقْدَارَ مَا فَرَّقْتَهُ لَكُنْتَ مُبَذِّرًا . فَقَالَ لَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ : أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ شَرُفَ قَدْرُكَ وَعَلَا ذِكْرُكَ ، كَنَّاكَ خَلِيفَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَلَقَّبَكَ ، فَأَنْتَ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ

أَبُو الْفَتْحِ ، فَأَعْظِمْ بِذَلِكَ مِنْ نَخْرٍ يَبْقَى بَقَاءَ النَّيِّرَيْنِ وَيَدُومُ دَوَامَ الْعَصْرَيْنِ ، وَكَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ يَقُولُ : خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ وَأَنَا زُرَيْقٌ[1] الشَّارِبُ — لِأَنَّ سَفَلَةَ النَّاسِ وَالْعَامَّةِ كَانُوا يَذْكُرُونَهُ بِذَلِكَ — وَخَرَجَ ابْنُ الْعَمِيدِ مُكَنًّى مِنَ الْخَلِيفَةِ ، مُلَقَّباً بِذِي الْكِفَايَتَيْنِ . فَلَمَّا مَاتَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ وَقَامَ مَقَامَهُ بِالرَّيِّ وَتِلْكَ النَّوَاحِي ابْنُهُ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ بُوَيْهِ ، كَانَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ وَزِيرَهُ ، فَخَلَعَ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ وَاسْتَوْزَرَهُ وَالصَّاحِبُ عَلَى جُمْلَتِهِ فِي الْكِتَابَةِ لِمُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ ، فَكَرِهَ أَبُو الْفَتْحِ مَوْضِعَهُ فَبَعَثَ الْجُنْدَ عَلَى الشَّغْبِ وَهَمُّوا بِقَتْلِ الصَّاحِبِ ، فَأَمَرَهُ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ بِالْعَوْدِ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَأَسَرَّ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ إِلَى أَشْيَاءَ كَانَ يَنْبَسِطُ فِيهَا يَحْمِلُهُ عَلَيْهَا نَزَقُ الشَّبَابِ ، وَانْضَافَ إِلَى ذَلِكَ تَغَيُّرُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ وَكَثْرَةُ مَيْلِ الْقُوَّادِ وَالْعَسَاكِرِ إِلَيْهِ ، فَخِيفَتْ مِنْهُ غَائِلَةٌ فَكَتَبَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَخِيهِ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ يَأْمُرُهُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَاسْتِصْفَاءِ أَمْوَالِهِ وَتَعْذِيبِهِ ، فَقَبَضَ

---

(١) سيأتي معنى زريق الشارب بعد

عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ إِلَى بَعْضِ الْقِلَاعِ ، وَبَدَرَتْ إِلَيْهِ مِنْهُ كَلِمَاتٌ فِي حَقِّ عَضُدِ الدَّوْلَةِ نُمِيَتْ إِلَيْهِ فَزَادَتْ فِي اسْتِيحَاشِهِ مِنْهُ ، فَأَنْهَضَ مِنْ حَضْرَتِهِ مَنْ تَكَفَّلَ بِتَعْذِيبِهِ وَاسْتِخْرَاجِ أَمْوَالِهِ وَالتَّنْكِيلِ بِهِ ، فَأَوَّلُ مَا عَمِلَ بِهِ أَنْ سَمَلَ[1] إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ نَكَّلَ بِهِ وَجَزَّ لِحْيَتَهُ وَجَدَعَ أَنْفَهُ ، وَعُذِّبَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ . قَالَ :

بُدِّلَ مِنْ صُورَتِي الْمَنْظَرُ ... لَكِنَّهُ مَا بُدِّلَ الْمَخْبَرُ

وَلَيْسَ إِشْفَاقاً عَلَى هَالِكٍ ... لَكِنْ عَلَى مَنْ لِي يَسْتَعْبِرُ[2]

وَوَالِهِ الْقَلْبِ بِمَا مَسَّنِي ... مُسْتَخْبِرٍ عَنِّي وَلَا يُخْبَرُ

فَقُلْ لِمَنْ سُرَّ بِمَا سَاءَنِي ... لَا بُدَّ أَنْ يُسْلَكَ ذَا الْمَعْبَرُ

وَوُجِدَ عَلَى حَائِطِ مَجْلِسِهِ بَعْدَ قَتْلِهِ :

مَلِكٌ شَدَّ لِي عُرَا الْمِيثَاقِ ... بِأَمَانٍ قَدْ سَارَ فِي الْآفَاقِ

لَمْ يَحُلْ رَأْيُهُ وَلَكِنَّ دَهْرِي ... حَالَ عَنْ رَأْيِهِ فَشَدَّ وَثَاقِي

فَقَرَى الْوَحْشَ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمِي

وَسَقَى الْأَرْضَ مِنْ دَمِي الْمُهْرَاقِ

(١) سمل عينه . فقأها بحديدة محماة (٢) أدرك أبو الفتح أن فى البيت الأول ما يشير إلى أسفه وحزنه فقال : ولم آسف إشفاقا على نفسى ولكن لمن خلق

فَعَلَى مَنْ تَرَكْتَهُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ حَبِيبٍ تَحِيَّةُ الْمُشْتَاقِ

وَفِي بَنِي الْعَمِيدِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ :

مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِ بَنِي الْعَمِيدِ فَأَلْفَيْتُ السَّعَادَةَ فِي خُمُودِ
فَقُلْ لِلشَّامِتِ الْبَاغِي رُوَيْدًا فَإِنَّكَ لَمْ تُبَشَّرْ بِالْخُلُودِ

قَالَ : وَكَانَ أَبُو الْفَتْحِ قَدْ أُغْرِمَ قَبْلَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ بِإِنْشَادِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَا يَجِفُّ لِسَانُهُ عَنْ تَرْدِيدِهِمَا :

مَلَكَ الدُّنْيَا أُنَاسٌ قَبْلَنَا رَحَلُوا عَنْهَا وَخَلَّوْهَا لَنَا
وَنَزَلْنَاهَا كَمَا قَدْ نَزَلُوا وَنُخَلِّيهَا لِقَوْمٍ غَيْرِنَا

فَلَمَّا حَصَلَ فِي الِاعْتِقَالِ وَأَيْقَنَ أَنَّ الْقَوْمَ يُرِيدُونَ دَمَهُ وَأَنَّهُ لَا يَنْجُو مِنْهُمْ وَإِنْ بَذَلَ مَالَهُ ، مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَيْبِ جُبَّةٍ عَلَيْهِ فَفَتَقَهُ عَنْ رُقْعَةٍ فِيهَا ثَبَتٌ[1] مَالَا يُحْصَى مِنْ وَدَائِعِهِ وَكُنُوزِ أَبِيهِ وَذَخَائِرِهِ ، فَأَلْقَاهَا فِي كَانُونِ نَارٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لِلْمُوَكَّلِ بِهِ : اصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ ، فَوَاللهِ لَا يَصِلُ مِنْ أَمْوَالِي الْمَسْتُورَةِ إِلَى صَاحِبِكَ دِينَارٌ وَاحِدٌ ، فَمَا زَالَ يَعْرِضُهُ عَلَى الْعَذَابِ إِلَى أَنْ تَلِفَ ، وَلَمَّا أَحَسَّ بِالْقَتْلِ قَالَ :

---

(١) ثبت : بين فيها

رَاعُوا قَلِيلاً فَلَيْسَ الدَّهْرُ عَبْدَكُمُ
كَمَا تَظُنُّونَ وَالأَيَّامُ تَنْتَقِلُ

وَهٰذَا شَيْءٌ مِنْ خَبَرِهِ وَشِعْرِهِ :

قَالَ : كَانَ أَبُو الفَضْلِ أَبُوهُ قَدْ جَعَلَ جَمَاعَةً مِنْ ثِقَاتِ أَبِي الفَتْحِ فِي صِبَاهُ يُشْرِفُونَ عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ وَمَكْتَبِهِ وَيَنْهُونَ إِلَيْهِ أَنْفَاسَهُ ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ أَنَّ أَبَا الفَتْحِ اشْتَغَلَ لَيْلَةً بِمَا يَشْتَغِلُ بِهِ الأَحْدَاثُ مِنْ عَقْدِ مَجْلِسِ مَسَرَّةٍ وَإِحْضَارِ النُّدَمَاءِ فِي خِفْيَةٍ شَدِيدَةٍ وَاحْتِيَاطٍ مِنْ أَبِيهِ ، وَأَنَّهُ كَتَبَ إِلَى مَنْ سَمَّاهُ يَسْتَهْدِيهِ شَرَاباً نَحَمَلَ إِلَيْهِ مَا يُصْلِحُهُمْ مِنَ الشَّرَابِ وَالنُّقْلِ وَالمَشْمُومِ ، فَدَسَّ أَبُوهُ إِلَى ذٰلِكَ الإِنْسَانِ مَنْ جَاءَ بِالرُّقْعَةِ الصَّادِرَةِ عَنْ أَبِي الفَتْحِ ، فَإِذَا فِيهَا بِخَطِّهِ «بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» : قَدِ اغْتَنَمْتُ اللَّيْلَةَ — أَطَالَ اللّٰهُ بَقَاءَ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ — رَقْدَةً مِنْ عَيْنِ الدَّهْرِ ، وَانْتَهَزْتُ فِيهَا فُرْصَةً مِنْ فُرَصِ العُمْرِ ، وَانْتَظَمْتُ مَعَ أَصْحَابِي فِي سِمْطِ[1] الثُّرَيَّا ، فَإِنْ لَمْ تَحْفَظْ عَلَيْنَا النِّظَامَ بِإِهْدَاءِ المُدَامِ ، عُدْنَا كَبَنَاتِ نَعْشٍ[2] وَالسَّلَامُ . فَاسْتُطِيرَ أَبُوهُ فَرَحاً وَإِعْجَاباً بِهٰذِهِ

---

(١) السمط : الخيط مادام اللؤلؤ منتظما فيه ، والكلام على التشبيه .

(٢) كناية عن تفرقهم لأن نجوم بنات نعش متفرقة ليست مجتمعة كالثريا

الرُّقعةِ البَديعةِ وقالَ : الآنَ ظهرَ لي أثرُ بَراعتِه ووَثِقتُ بجَرْيِه في طَريقي ونيابتِه منابي، ووقَّعَ لهُ بألْفَيْ دِينارٍ .

وحدَّثَ أبو الحُسينِ بنُ فارسٍ قالَ : جرَى في بعضِ أيَّامِنا ذِكرُ أبياتٍ استحسَنَ أبو الفضلِ بنُ العميدِ وزْنَها واستحْلَى روِيَّها ، وأنشدَ جماعةٌ منْ حضرَ ما حضرَهُمْ على ذلكَ الرَّوِيِّ ، وهُوَ قوْلُ القائلِ :

لَئِنْ كَففتَ وَإلَّا   شَقَقْتُ مِنكَ ثِيابِي

فَأصغَى إليْهِ أبو الفتْحِ ، ثُمَّ أنشدَ في الوقْتِ :

يا مُولَعًا بِعَــــذابي   أَمَا رَحِمْتَ شَبَابِي ؟

تَرَكْتَ قلبًا قَرِيحًا   نَهْبَ الأَسَى وَالتَّصابِي

إنْ كُنتَ تُنْكِرُ مَابِي   مِنْ ذِلَّتِي وَاكْتِئابِي

فَارْفَعْ قَليلًا قَليلًا   عَنِ العِظَامِ ثِيابِي

قالَ : فتأمَّلْ هذهِ الطَّرِيقةَ وانْظُرْ إلَى هذا الطَّبْعِ ، فإنَّهُ أتى بِمثلِ ما أُنشِدَهُ في رشاقتِه وخفَّتِهِ ، ولَمْ يعْدُ الجِنْسَ ولَمْ يقصِدْ دُونَهُ ، وبذلكَ يُعْرَفُ قدْرُ القادِرِ على الخَطابةِ والبَلاغةِ ، ومِنْ مُسْتحْسَنِ شِعرِهِ :

عُودِي وَمَاءُ شَبِيبَتِي فِي عُودِي لَا تعمَدِي لِمَقَاتِلِ الْمعْمُودِ[1]

وَصِلِيهِ مَا دَامَتْ أَصَائِلُ عَيْشِهِ
تؤْوِيهِ فِي فَيْءٍ لَهَا مَمْدُودِ

مَا دَامَ مِنْ لَيْلِ الصِّبَا فِي فَاحِمٍ
رَجْلِ الذُّرَا فَيْنَانَ كَالْعنقُودِ

قَتَلَ[2] الزَّمَانُ فَطَارِقَاتُ جُنُودِهِ
يُبْدِلْنَهُ يَقَقًا بِرُبْدٍ سُودِ

وَلَهُ :

إِذَا أَنَا بُلِّغْتُ الَّذِي كُنْتُ أَشْتَهِي
وَأَضْعَافَهُ أَلْفًا فَكِلْنِي إِلَى الْخَمْرِ

وَقُلْ لِنَدِيمِي قُمْ إِلَى الدَّهْرِ فَاقْتَرِحْ
عَلَيْهِ الَّذِي تَهْوَى وَدَعْنِي مَعَ الدَّهْرِ

وَلَهُ :

أَيْنَ لِي مَنْ يَفِي بِشُكْرِ اللَّيَالِي فِي مُضِيفٍ خَيَالَهَا وَخَيَالِي[3] ؟

---

(١) عودى أمر من العود ، وعودى الثانية : العود مضاف إلى الياء ، والمعمود : من هزله الحب (٢) كانت فى الاصل : « قبل » ومعنى البيت : إن حادثات الزمان تأتى على المرء فتبدله بحالة الشباب وسواد الشعر ، حالة الكبر والشيب .

(٣) مضيف : جامع «عبد الخالق»

لَمْ يَكُنْ بِي عَلَى الزَّمَانِ اقْتِرَاحٌ
غَيْرَهَا مُنْيَةٌ فَجَادَ بِهَا لِي

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ: حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ جَدِّي قَالَ: لَمَّا سَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مِنْ بَغْدَادَ عَائِداً إِلَى فَارِسَ أَقَامَ أَبُو الْفَتْحِ ابْنُ الْعَمِيدِ بَعْدَهُ، وَوَصَلَ إِلَى حَضْرَةِ الطَّائِعِ لِلَّهِ حَتَّى خَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ وَكَنَّاهُ وَلَقَّبَهُ ذَا الْكِفَايَتَيْنِ، وَتَنَجَّزَ مِنْهُ خِلَعاً وَلَقَباً لِفَخْرِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحَسَنِ، وَأُقْطِعَ مِنْ نَوَاحِي السَّوَادِ ضِيَاعاً كَثِيرَةً رَتَّبَ فِيهَا نَائِباً يَسْتَوْفِي ارْتِفَاعَهَا وَيَحْمِلُهُ إِلَيْهِ، وَدَعَاهُ أَبُو طَاهِرِ بْنُ بَقِيَّةَ عِدَّةَ دَعَوَاتٍ وَمَلَأَ عَيْنَهُ بِالْهَدَايَا وَالْمُلَاطَفَاتِ وَقَالَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ: لَا بُدَّ أَنْ أَخْلَعَ عَلَى ابْنِ الْعَمِيدِ فِي مَجْلِسِي وَدَعَاهُ، فَلَمَّا قَعَدَ وَأَكَلَ وَجَلَسَ عَلَى الشُّرْبِ أَخَذَ ابْنُ بَقِيَّةَ بِيَدِهِ فَرَجِيَّةً وَرِدَاءً فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْجَلَالَةِ وَوَافَى بِهِمَا إِلَى ابْنِ الْعَمِيدِ وَقَالَ لَهُ: قَدْ صِرْتَ أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ «جَامِدَارَكَ[1]» فَانْظُرْ هَلْ تَرْتَضِينِي لِخِدْمَتِكَ؟

(١) جامدارك: وظيفة من الوظائف الحكومية فى ذلك الوقت، والكاف لا ينطق بها.

وَطَرَحَ الفَرَجِيَّةَ عَلَيْهِ، وَقَدَّمَ الرِّدَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَخَذَهُ وَلَبِسَهُ.

وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الْحَبْسِ:

مَا بَالُ قَوْمِي يَجْفُونِي أَكَابِرُهُمْ؟

أَأَنْ أَطَاعَتْهُمُ الأَيَّامُ وَالدُّوَلُ؟

أَأَنْ تَقَاصَرَ عَنِّي الْحَالُ تَقْطَعُنِي

عُرَاهُمُ؟ سَاءَ مَا شَاءُوا وَمَا فَعَلُوا

أَغَرَّهُمُ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَسْكَتَنِي

عَنْهُمْ وَتَنْطِقُ فِيهِ الشَّاءُ وَالإِبِلُ

قِدْمًا رُمِيتُ فَلَمْ تَبْلُغْ سِهَامُهُمْ

وَأَخْطَأَ النَّاسِ مَنْ مَرْمِيُّهُ زُحَلُ

وَلَهُ:

يَقُولُ لِي الْوَاشُونَ: كَيْفَ تُحِبُّهَا؟

فَقُلْتُ لَهُمْ: بَيْنَ الْمُقَصِّرِ وَالْغَالِي

وَلَوْلَا حِذَارِي مِنْهُمُ لَصَدَقْتُهُمْ

وَقُلْتُ: هَوًى لَمْ يَهْوَهُ قَطُّ أَمْثَالِي

وَكَمْ مِنْ شَفِيقٍ قَالَ: مَالَكَ وَاجِمًا؟

فَقُلْتُ: أَنَا مَالِي وَتَسْأَلُنِي مَالِي؟

قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْفَتْحِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُقَدَّرِ الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَ : حَدَّثَ أَحَدُ أَصْحَابِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ الْمُخْتَصِّينَ بِهِ قَالَ : كَانَ أَبُو الْفَتْحِ ابْنُ أَبِي الْفَضْلِ يُبَاكِرُ أَبَاهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ ، فَاتَّفَقَ أَنْ دَخَلَ يَوْمًا وَأَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا رَآهُ مُقْبِلًا فِي الصَّحْنِ وَشَاهَدَ عِمَّتَهُ وَكَانَتْ دَيْلَمِيَّةً وَمِشْيَتَهُ وَهُوَ يَخْتَالُ فِيهَا وَيُسْرِفُ فِي تَلَوِّيهَا ، عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لِي : أَمَا تَرَى إِلَى هَذِهِ الْعِمَّةِ وَهَذِهِ الْمِشْيَةِ فِي مُخَالَفَتِهَا لِعَادَتِنَا وَمُفَارَقَتِهَا طَرِيقَتَنَا ؟ فَقُلْتُ : قَدْ رَأَيْتُ وَإِنْ رَسَمَ[1] الْأُسْتَاذُ أَنْ أُخَاطِبَهُ فِيهَا وَأَنْهَاهُ عَنْهَا فَعَلْتُ . فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهُ قَصِيرُ الْعُمُرِ ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أُدْخِلَ عَلَى قَلْبِهِ هَمًّا وَلَا أَمْنَعَهُ هَوًى . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أَبَا الْفَضْلِ وَجَدَ لَهُ رُقْعَةً كَتَبَهَا إِلَى بَعْضِ مَنْ يَنْبَسِطُ إِلَيْهِ وَفِيهَا :

أَدِيبُنَا الْمَعْرُوفُ بِالْكُرْدِي يُولَعُ بِالْغِلْمَانِ وَالْمُرْدِ
أَدْخَلَنِي يَوْمًا إِلَى دَارِهِ فَنَاكَنِي وَالْأَيْرُ مِنْ عِنْدِي

---

(١) أى أمر

فَلَمَّا وَقَفَ ابْنُ العَمِيدِ أَبُوهُ عَلَى ذَلِكَ غَضِبَ وَقَالَ : أَمِثْلُ وَلَدِي يَكْتُبُ مِثْلَ هَذَا الفُحْشِ وَالفُجُورِ ؟ ثُمَّ قَالَ : أَمَا وَاللهِ لَوْلَا وَلَوْلَا ، ثُمَّ أَمْسَكَ كَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى مَا حُكِمَ لَهُ مِنْ سُوءِ العَاقِبَةِ وَقِصَرِ العُمْرِ .

حَكَى أَبُو الحُسَيْنِ بْنُ فَارِسٍ مِمَّا أَوْرَدَهُ أَبُو مَنْصُورٍ فِي اليَتِيمَةِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الأُسْتَاذِ أَبِي الفَتْحِ بْنِ العَمِيدِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الحَرِّ ، فَرَمَتِ الشَّمْسُ بِجَمَرَاتِ الهَاجِرَةِ فَقَالَ لِي : مَا قَوْلُ الشَّيْخِ فِي قَلْبِهِ (١) ، فَلَمْ أُحِرْ (٢) جَوَابًا لِأَنِّي لَمْ أَفْطَنْ لِمَا أَرَادَ ، وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ هُنَيْهَةٍ أَقْبَلَ رَسُولُ الأُسْتَاذِ الرَّئِيسِ يَسْتَدْعِينِي إِلَى مَجْلِسِهِ فَقُمْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ تَبَسَّمَ إِلَيَّ ضَاحِكًا وَقَالَ :

مَا قَوْلُ الشَّيْخِ فِي قَلْبِهِ ؟ فَبُهِتُّ وَسَكَتُّ ، وَمَا زِلْتُ أُفَكِّرُ حَتَّى انْتَبَهْتُ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ الخَيْشَ ، وَكَانَ مَنْ يُشْرِفُ عَلَى أَبِي الفَتْحِ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ، فَدَعَانِي وَلِفَرْطِ اهْتِزَازِهِ لَهَا أَرَادَ مُجَارَاتِي فِيهَا ، وَقَرَأْتُ صَحِيفَةَ السُّرُورِ

(١) قلب الشيخ : خيش ، يريد مكاناً يفيئون إليه فى الخيش

(٢) أى لم يستطع أن يرد جوابا

مِنْ وَجْهِهِ إِعْجَابًا بِهَا ، ثُمَّ أَخَذْتُ أُتْحِفُهُ بِنُكَتِ نَثْرِهِ وَمُلَحِ نَظْمِهِ ، فَكَانَ مِمَّا أُعْجِبَ بِهِ وَتَعَجَّبَ مِنْهُ وَاسْتَضْحَكَ لَهُ حِكَايَتِي رُقْعَةً وَرَدَتْ لَهُ عَلَيَّ وَصَدْرُهَا : وَرَدَتْ رُقْعَةُ الشَّيْخِ أَصْغَرَ مِنْ عَنْفَقَةِ (١) بَقَّةٍ ، وَأَقْصَرَ مِنْ أُنْمُلَةِ (٢) نَمْلَةٍ .

وَقَرَأْتُ فِي تَارِيخِ ذِي الْمَعَالِي زَيْنِ الْكُفَاةِ الْوَزِيرِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْآبِيِّ قَالَ : كَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ يَنْقِمُ (٣) عَلَى أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ أَشْيَاءَ ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِهَا فِي نَفْسِهِ : حَدِيثُهُ بِبَغْدَادَ لَمَّا خَرَجَ لِنَجْدَةِ بَخْتِيَارَ فَإِنَّهُ جَوَّدَ الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ فِي رَدِّ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَنْ بَغْدَادَ ، وَأَقَامَ لِنَفْسِهِ بِذَلِكَ بِبَغْدَادَ سُوقًا تَقَدَّمَ بِهَا عِنْدَ أَهْلِ الْبَلَدِ وَالْخَلِيفَةِ حَتَّى لَقَّبَهُ الْخَلِيفَةُ ذَا الْكِفَايَتَيْنِ ، وَكَنَّاهُ فِي مَكْتُوبِهِ بِأَبِي الْفَتْحِ . وَلَمَّا انْصَرَفَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَنْ بَغْدَادَ وَقَدْ ظَهَرَتْ لَهُ مَخَايِلُ الْغَدْرِ مِنْ بَخْتِيَارَ مِنْ قِيَامِ أَهْلِ بَغْدَادَ عَلَيْهِ وَتَصْرِيحِهِمْ بِالشَّتْمِ لَهُ وَلَقَّبُوهُ زُرَيْقًا الشَّارِبَ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ تَقَدَّمَ

---

(١) العنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن (٢) الأنملة : مثلثة الهمزة والميم : رأس الاصبع أو المفصل الأعلى الذى فيه الظفر (٣) نقم عليه : عابه وكرهه أشد الكراهة لسوء فعله .

بِاتِّخَاذِ مُزَمَّلَةٍ [١] فِي دَارِهِ لِيَشْرَبَ مِنْهَا الْجُنْدُ وَالْعَامَّةُ ، وَلَمْ يَكُنْ عُهِدَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي دُورِ السَّلاطِينِ قَبْلُ ، وَكَانَ فِي قَسِّهِ أَزْرَقَ الْعَيْنِ فَلَقَّبُوهُ بِذَلِكَ ، فَكَانَ يَقُولُ : خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ وَأَنَا زُرَيْقٌ الشَّارِبُ ، وَابْنُ الْعَمِيدِ الْوَزِيرُ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ وَأَبُو الْفَتْحِ .

فَلَمَّا مَاتَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلاثِمِائَةٍ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، ضَبَطَ أَبُو الْفَتْحِ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ الْأَمْرَ أَحْسَنَ ضَبْطٍ ، وَسَكَّنَ الْعَسْكَرَ وَفَرَّقَ فِيهِمْ مَالَ الْبَيْعَةِ ، وَكَانَ مُطَاعاً فِي الدَّيْلَمِ مُحَبَّباً إِلَيْهِمْ كَثِيرَ الْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ ، وَبَادَرَ بِالْخَبَرِ إِلَى مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ بِأَصْبَهَانَ ، فَوَرَدَ الرَّيَّ وَمَعَهُ وَزِيرُهُ الصَّاحِبُ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادٍ يَوْمَ السَّبْتِ لِثَلاثٍ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرٍ ، وَجَلَسَ لِلتَّعْزِيَةِ ثُمَّ انْتَصَبَ فِي مَكَانِ أَبِيهِ ، وَكَانَتْ لَهُ هَيْبَةٌ وَسِيَاسَةٌ ، وَفِيهِ سَخَاءٌ وَسَمَاحَةٌ ، وَخَلَعَ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ ذِي الْكِفَايَتَيْنِ خِلَعَ الْوَزَارَةِ ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِخَمْسٍ

(١) المزملة : جرة أو خابية لتبريد الماء

خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ الصَّاحِبُ يَرْغَبُ أَنْ يُقِيمَ بِالرَّيِّ وَيَخْلُفَهُ فَلَمْ يَأْمَنْ أَبُو الْفَتْحِ جَانِبَهُ ، وَضَرَبَ الْحِجَابَ الشَّدِيدَ بَيْنَهُمَا ، وَخَوَّفُوهُ مِنْهُ لِمَحَلِّهِ مِنَ الصِّنَاعَةِ وَلِمَكَانِهِ مِنْ قَلْبِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ ، فَأَرَادَ إِبْعَادَهُ عَنِ الْحَضْرَةِ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الْإِيقَاعِ بِهِ إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ ، وَأَشَارَ عَلَى مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ بِأَنْ يَرُدَّهُ إِلَى أَصْفَهَانَ لِيُدَبِّرَ أَعْمَالَهَا وَالْمُقَامِ بِهَا ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ عَلَى رَسْمِ الْوِزَارَةِ الْقَبَاءَ وَالسَّيْفَ وَالْمِنْطَقَةَ وَمَا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ ، وَخَرَجَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

وَأَخَذَ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ فِي التَّدْبِيرِ عَلَى ابْنِ الْعَمِيدِ وَالِاحْتِيَالِ لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُقْدِمُ عَلَى ذَلِكَ لِمَحَلِّ الرَّجُلِ فِي قُلُوبِ الدَّيْلَمِ وَانْصِبَابِهِمْ بِمَوَدَّتِهِمْ إِلَيْهِ ، وَإِخْلَاصِهِمْ فِي الْمُوَالَاةِ لَهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى الدَّوَاعِي لِمِحْنَتِهِ ، وَآكَدَ أَسْبَابِ نَكْبَتِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ مُقْتَبَلَ الشَّبَابِ قَلِيلَ التَّجَارِبِ غَيْرَ مُفَكِّرٍ فِي الْعَوَاقِبِ ، قَدْ وُلِدَ فِي النِّعْمَةِ الضَّخْمَةِ وَنَشَأَ فِيهَا ، وَخَافَ أَبَاهُ وَلَهُ دُونَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ

وَلَهُ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَاعْتَادَ خِدْمَةَ الْأُمَرَاءِ (١) وَالقُوَّادِ وَمُثُولَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَنَافُسَهُمْ فِي خِدْمَتِهِ ، وَكَانَ يَرْكَبُ إِلَى الصَّيْدِ وَإِلَى الْمَيْدَانِ لِضَرْبِ الصَّوَالِجَةِ (٢) فَيَتْبَعُهُ أَكْثَرُ أَكَابِرِ الْحَضْرَةِ فَيَتَرَجَّلُونَ لَهُ وَيَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ يُضِيفُ فِي أَكْثَرِ أَيَّامِهِ جَمَاعَةً مِنْهُمْ فَيَخْلَعُ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ الْخِلَعِ النَّفِيسَةِ ، وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى الدَّوَابِّ الْفَارِهَةِ بِالْمَرَاكِبِ الثَّقِيلَةِ ، وَكَانَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ يُرَخِّصُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَيَعْجَبُ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ تَرْبِيَتَهُ وَابْنَ مَنْ طَالَتْ لَهُ صُحْبَتُهُ وَخِدْمَتُهُ ، فَلَمَّا انْتَقَلَ الْأَمْرُ إِلَى مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ ، وَكَانَتِ الْأُمُورُ أَيْضاً بَعْدُ عَلَى جَانِبٍ مِنَ الِاضْطِرَابِ فَلَمْ يَسْكُنْ إِلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ فَخْرَ الدَّوْلَةِ كَانَ مُدَاجِياً (٣) لِأَخَوَيْهِ ، وَكَانَ أَحَبَّ إِلَى الدَّيْلَمِ مِنْهُمَا فَلَمْ يَأْمَنَاهُ ، وَكَانَ عِزُّ الدَّوْلَةِ مُكَاشِفاً بِالْخِلَافِ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ الْعَمِيدِ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مِنَ الْمُصَافَاةِ فَاسْتَرَابَا (٤) بِهِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حَنَقِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ مِمَّا قَدَّمَهُ فِي حَقِّهِ

---

(١) خدمة مصدر مضاف إلى فاعله (٢) الصوالجة : العصى التي تضرب بها الكرة

(٣) مداجياً لأخويه : يستر لهما العداوة (٤) استرابا به : داخلهما الشك في أمره

عِنْدَ كَوْنِهِ بِبَغْدَادَ ، وَامْتَدَّتِ الْعَيْنُ إِلَى ضِيَاعِهِ وَأَمْوَالِهِ وَخَزَائِنِهِ وَأَسْبَابِهِ وَدُورِهِ وَعَقَارِهِ وَبَسَاتِينِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَمْلِكُ مِنَ ذَلِكَ مَا يَمْلَأُ الْعَيْنَ وَيَفُوتُ الْوَهْمَ ، فَرَاسَلَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَخَاهُ مُؤَيَّدَ الدَّوْلَةِ عَلَى لِسَانِ أَبِي نَصْرٍ خَوَاشَادَه الْمَجُوسِيِّ ، وَكَانَ مِنْ ثِقَاتِهِ وَأَمَاثِلِ أَصْحَابِهِ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ يُوَافِقَ عَلِيُّ بْنُ كَامَةَ عَلَى أَمْرِهِ لِيُؤَمِّنَ نَاحِيَةَ الْعَسْكَرِ وَيُوَتِّبَهُمْ[1] بِمَكَانِهِ ، وَجَعَلُوا يُجِيلُونَ الرَّأْيَ أَيَّاماً ، وَيَرْكَبُ خَوَاشَادُه إِلَى عَلِيِّ بْنِ كَامَةَ لَيْلاً وَيُجَارِيهِ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنِ اتَّفَقُوا يَوْمَ السَّبْتِ سَادِسَ عَشَرَ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ عَلَى الْقَبْضِ عَلَيْهِ عِنْدَ بُكُورِهِ مِنَ الْغَدِ إِلَى الدَّارِ ، وَكَانَ خُوَاشَادُهْ عَشِيَّةَ هَذَا الْيَوْمِ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ كَامَةَ . وَلِابْنِ الْعَمِيدِ ضِيَافَةٌ قَدِ اجْتَمَعَ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُوَّادِ ، فَارْتَابَ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ بِالْأَمْرِ ، وَقَدَّرَ أَنَّهُ قَدْ أَحَسَّ بِالسِّرِّ وَجَمَعَ الدَّيْلَمَ لِتَدْبِيرٍ عَلَيْهِ وَامْتِنَاعٍ مِنْهُ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى عِنْدِهِ خُوَاشَادُهْ أَمَرَهُ أَنْ يُلِمَّ بِابْنِ الْعَمِيدِ لِيَتَفَرَّسَ فِيهِ وَفِي الْمُجْتَمِعِينَ عِنْدَهُ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَالرَّجُلُ مُشْتَغِلٌ بِقَصْفِهِ

---

(١) وتبه : ثبته وسكنه

مُتَوَفِّرٌ عَلَى طَرَبِهِ ، فَتَأَمَّلَهُ وَعَادَ وَأَرَادَ أَنْ يَحْبِسَهُ عِنْدَهُ فَامْتَنَعَ وَرَجَعَ إِلَى الدَّارِ فَقَالَ لِمُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ : الرَّجُلُ غَارٌّ غَافِلٌ (١) فَلَا يُهِمَّنَّكَ أَمْرُهُ ، وَبَكَّرَ ابْنُ الْعَمِيدِ سَحَرًا إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ ، وَكَانَ الرَّسْمُ إِذْ ذَاكَ أَنْ يَحْضُرُوهَا بِالشُّمُوعِ وَالْمَشَاعِلِ قَبْلَ الصَّبَاحِ .

فَلَمَّا وَصَلَ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ (٢) عَلِيُّ بْنُ كَامَةَ وَكَلَّمَهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ فَوَعَدَهُ بِهَا فَقَالَ : قَدْ وَعَدْتَنِي بِهَا غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَمْ تَقْضِهَا ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ يَجْذِبُهُ مِنْ مَكَانِهِ ، وَكَانَ قَدْ كَمَنَ لَهُ فِي الْمَمَرِّ جَمَاعَةٌ مِنْ خَوَاصِّ الدَّيْلَمِ وَثِقَاتِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ ، فَعَاوَنُوهُ عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ وَإِدْخَالِهِ إِلَى حُجْرَةٍ هُنَاكَ وَتَقْيِيدِهِ ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ سَابِعِ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَأُدْخِلَتْ عَلَيْهِ الشُّهُودُ فَشَهِدُوا عَلَيْهِ بِبَيْعِ أَمْلَاكِهِ جَمِيعِهَا وَضِيَاعِهِ وَمُسْتَغَلَّاتِهِ مِنْ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا حَضَرَ الْعُدُولُ أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ كِتَابًا كَانَ كَتَبَهُ بِطَلَاقِ امْرَأَتِهِ ابْنَةِ جِسْتَانَ وَأَشْهَدَهُمْ طَائِعًا عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ . وَقِيلَ : إِنَّهُ

---

(١) غافل تفسير غار (٢) الضمير لأبي الفتح بن العميد

إِنَّمَا فعلَ ذَلِكَ خوفاً مِنْ مُؤيِّدِ الدَّوْلَةِ أَنْ يَفضَحَهُ فِيهَا ، فَأَرَادَ أَنْ يَنفَصِلَ مِنهَا وَتَبِينَ مِنهُ لِئَلَّا يَلزَمَهُ العَارُ فِيهَا ، وَلَمَّا حَضَرُوا لِلعَقْدِ بِالْبَيْعِ كَشَفَ لِلعُدُولِ عَنْ قَيْدِهِ وَأَقَرَّ بِالْبَيْعِ ، ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ أُفْرِجَ عَنْ مَحْبُوسٍ كَانَ فِي الدَّارِ ، فَعَدَا غُلَامٌ لَهُ مُسْتَبْشِرًا وَقَالَ : قَدْ أُفْرِجَ عَنِ الأُسْتَاذِ يُرِيدُ أُسْتَاذَ نَفْسِهِ ، وَصَكَّتِ الكَلِمَةُ أَسْمَاعَ العَامَّةِ فَتَبَاشَرُوا وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ أُفْرِجَ عَنْ أَبِي الفَتْحِ ، وَصَاحَتِ البَلْدَةُ صَيْحَةً وَاحِدَةً ، وَاجْتَمَعَ مِنْ أَهلِ البَلَدِ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ وَمَيْدَانِهِ وَفِي دَارِهِ مَاغَصَّتْ بِهِ الأَمَاكِنُ ، وَامْتَلَأَتْ مِنْهُمُ الشَّوَارِعُ وَالْمَسَاكِنُ ، وَرَكِبَ الدَّيْلَمُ بِأَجْمَعِهِمْ مُسْتَبْشِرِينَ ، وَتَلَقَّوْهُ عَلَى زَعْمِهِمْ فِي الخِدْمَةِ فَرِحِينَ ، وَرَأَى مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ مِنْ ذَلِكَ مَاهَالَهُ ، وَظَنَّ أَنَّ العَسْكَرَ قَدْ رَكِبَ لِاسْتِنْقَاذِهِ ، فَلَمَّا عَرَفَ حَقِيقَةَ الحَالِ سَكَنَ وَأَمَرَ بِطَرْدِ العَامَّةِ ، وَأَرْكَبَ الحُجَّابَ لِطَرْدِ القُوَّادِ وَالدَّيْلَمِ ، وَأَنْفَذَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ابْنَ العَمِيدِ إِلَى قَلْعَةِ أُسْتُونَاوَنْدَ وَقُتِلَ فِيهَا بَعْدَ أَيَّامٍ وَوَرَدَ رَأْسُهُ .

قَالَ الوَزِيرُ أَبُو سَعْدٍ : وَسَمِعْتُ الصَّاحِبَ كَافِيَ الكُفَاةِ

رَحِمَهُ اللهُ يَذْكُرُ أَمْرَهُ فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ : إِنَّ مُؤَيِّدَ الدَّوْلَةِ قَالَ لِي عِنْدَ خُرُوجِي إِلَى أَصْبَهَانَ : إِنْ وَرَدَ عَلَيْكَ كِتَابٌ بِخَطِّي أَوْ جَاءَكَ أَجَلُّ حُجَّابِي وَثِقَاتِي لِلِاسْتِدْعَاءِ فَلَا تَبْرَحْ مِنْ أَصْفَهَانَ وَلَا تُفَارِقْهَا إِلَى أَنْ يَجِيئَكَ فُلَانٌ الرِّكَابِيُّ فَإِنَّهُ إِنِ اتَّجَهَتْ لِي حِيلَةٌ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ وَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ بَادَرْتُ بِهِ إِلَيْكَ ، وَهُوَ الْعَلَامَةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . قَالَ : فَاسْتَعْظَمْتُ لِحَدَاثَةِ سِنِّي وَغِرَّةِ الصِّبَا وَقِلَّةِ التَّجْرِبَةِ مَا حَكَاهُ الصَّاحِبُ مِنْ قَوْلِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ : « إِنِ اتَّجَهَتْ لِي حِيلَةٌ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ » وَتَعَجَّبْتُ مِنْهُ وَأَرَدْتُ الْغَضَّ مِنْ أَبِي الْفَتْحِ وَالتَّقَرُّبَ بِذَلِكَ إِلَى الصَّاحِبِ فَقُلْتُ : وَكَانَ لِأَبِي الْفَتْحِ مِنَ الْقَدْرِ أَنْ يَصْعُبَ حَبْسُهُ أَوْ يَحْتَاجَ صَاحِبُهُ إِلَى الِاحْتِيَالِ مَعَهُ ؟ فَانْتَهَرَنِي الصَّاحِبُ وَقَالَ يَا فُلَانُ : أَنْتَ صَبِيٌّ تَحْسَبُ أَنَّ الْقَبْضَ عَلَى الْوُزَرَاءِ سَهْلٌ ، فَفَطِنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُ الرَّفْعَ مِنْ شَأْنِ الْوَزَارَةِ وَتَفْخِيمِ أَمْرِهَا ، فَعَدَلْتُ عَنْ كَلَامِي الْأَوَّلِ إِلَى غَيْرِهِ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : حَدَّثَنِي أَبُو الطَّيِّبِ الْكِيمَائِيُّ قَالَ : قُلْتُ

لِأَبِي الفضلِ بعدَ أنْ سمّ الحاجبَ النيسابوريّ وبعدَ أنْ خطبَ عَلَى حمْدٍ ودسّ إلى ابْنِ هندٍ وغيرِهمْ منْ أهْلِ الكتابةِ والمروءةِ والنعمِ : لوْ كففتَ ، فقدْ أسرفتَ ، فقالَ يا أبا الطيّبِ: أنا مضطرٌ .قالَ:فقلتُ وأيُّ اضطرارٍ هاهُنا؟ واللهِ إنّ مخادعتنا لأنفسنا في ضرّنا ونفعنا لأعجبُ منْ مكابرةِ غيرِنا لنا في خيرِنا وشرّنا ، وهذا واللهِ رينُ القلوبِ وصدأُ العقلِ وفسادُ الاختيارِ ، وكدرُ النفسِ وسوءُ العادةِ ، وعدمُ التوفيقِ. فقالَ يا أبا الطيّبِ : أنتَ تتكلّمُ بالظاهرِ وأنا أحترقُ في الباطنِ . قالَ فقلتُ : إنْ كانَ عذرُكَ في هذهِ السيرةِ المخالفةِ لأهلِ الديانةِ وأصحابِ الحكمةِ قدْ بلغَ هذا الوضوحَ والجلاءَ فإنّكَ معذورٌ عندَنا ، ولعلّكَ أيضاً مأجورٌ عندَ اللهِ مالكِ الجزاءِ ، وإنْ كنتَ تعلمُ حقيقةَ ما تواجعني عليهِ القولَ وتناقلني بهِ الحجاجَ فإنّكَ منَ الخاسرينَ الذينَ باءوا بغضبٍ منَ اللهِ على مذاهبِ الناسِ أجمعينَ ، فبكى فقلتُ لهُ : البكاءُ لا ينفعُ إنْ كانَ الإقلاعُ ممكناً ، والندمُ لا يجدِي متى كانَ الإصرارُ قائماً ، هذا كلّهُ بسببِ ابنكَ أبي الفتحِ ، واللهِ إنّ أيامَهُ لا تطولُ ، وإنّ عيشَهُ لا يصفو ،

وَإِنَّ حَالَهُ لَا يَسْتَقِيمُ ، وَلَهُ أَعْدَاءٌ لَا يَتَخَلَّصُ مِنْهُمْ وَقَدْ دَلَّ مَوْلِدُهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّكَ لَا تَدْفَعُ عَنْهُ قَضَاءَ اللهِ وَهُوَ لَا يُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِكَ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَقَدْ ذَكَرَ ابْنَ عَبَّادٍ وَأَبَا الْفَضْلِ بْنَ الْعَمِيدِ ثُمَّ قَالَ : وَأَمَّا أَبُو الْفَتْحِ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ فَإِنَّهُ كَانَ شَابًّا ذَكِيًّا مُتَحَرِّكًا حَسَنَ الشِّعْرِ مَلِيحَ الْكِتَابَةِ كَثِيرَ الْمَحَاسِنِ ، وَلَمْ يَظْهَرْ كُلُّ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ لِقِصَرِ أَيَّامِهِ ، وَاشْتِعَالِ دَوْلَتِهِ وَطَفْوِهَا بِسُرْعَةٍ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

إِنِّي مَتَى أَهْزُزْ قَنَاتِي تَنْتَثِرْ أَوْصَالُهَا أُنْبُوبَةً أُنْبُوبَا
أَدْعُو بِعَالِيهَا الْعُلَى فَتُجِيبُنِي وَأَقِي بِحَدِّ سِنَانِهَا الْمَرْهُوبَا (١)

وَلَهُ كَلَامٌ كَثِيرٌ نَظْمٌ وَنَثْرٌ ، وَلَهُ فِي صِفَةِ الْفَرَسِ مَا يُوفِي عَلَى كُلِّ مَنْظُومٍ ، وَلَوْ أَبْقَتْهُ الْأَيَّامُ لَظَهَرَ مِنْهُ كُلُّ فَضْلٍ كَبِيرٍ . وَدَخَلَ بَغْدَادَ فَتَكَلَّفَ وَاحْتَفَلَ وَعَقَدَ مَجَالِسَ مُخْتَلِفَةً لِلْفُقَهَاءِ يَوْمًا ، وَلِلْأُدَبَاءِ يَوْمًا ، وَلِلْمُتَكَلِّمِينَ يَوْمًا ، وَلِلْمُتَفَلْسِفِينَ يَوْمًا ، وَفَرَّقَ أَمْوَالًا خَطِيرَةً وَتَفَقَّدَ أَبَا سَعِيدٍ

---

(١) المرهوبا مفعول أقي

السِّيرَافِيَّ وَعَلِيَّ بْنَ عِيسَى الرُّمَّانِيَّ وَغَيْرَهُمَا وَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الْمَسِيرَ مَعَهُ إِلَى الرَّيِّ وَوَعَدَهُمْ وَمَنَّاهُمْ وَأَظْهَرَ الْمُبَاهَاةَ بِهِمْ، وَكَذَلِكَ خَاطَبَ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيَّ وَأَبَا سُلَيْمَانَ السِّجِسْتَانِيَّ الْمَنْطِقِيَّ وَابْنَ الْبَقَّالِ الشَّاعِرَ وَابْنَ الْأَعْرَجِ النَّمْرِيَّ وَغَيْرَهُمْ. وَدَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَاحْتَشَدَ وَبَالَغَ وَوَصَلَ وَوَهَبَ فَجَرَتْ فِي هَذِهِ الْمَجَالِسِ غَرَائِبُ الْعِلْمِ وَبَدَائِعُ الْحِكْمَةِ، وَخَاصَّةً مَا جَرَى مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الْعَامِرِيِّ، وَلَوْلَا طُولُ الرِّسَالَةِ لَرَسَمْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَمِنْ ظَرِيفِ مَا جَرَى وَفِي سَمَاعِهِ فَائِدَةٌ وَاعْتِبَارٌ خَبَرُ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الْعَامِرِيِّ، وَقَدْ ذَكَرْتُهُ فِي أَخْبَارِ السِّيرَافِيِّ.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: وَحَضَرْتُ الْمَجْلِسَ يَوْمًا آخَرَ مَعَ أَبِي سَعِيدٍ وَقَدْ غَصَّ بِأَعْلَامِ الدُّنْيَا وَبُرُدِ الْآفَاقِ، فَجَرَى حَدِيثُ الصَّابِئِ، فَقَالَ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ: ذَاكَ رَجُلٌ لَهُ فِي كُلِّ طِرَازٍ نَسْجٌ، وَفِي كُلِّ حَوْمَةٍ رَهْجٌ[1]، وَفِي كُلِّ فَلَاةٍ رَكْبٌ، وَمِنْ كُلِّ غَمَامَةٍ سَكْبٌ، الْكِتَابَةُ تَدَّعِيهِ بِأَكْثَرَ مِمَّا يَدَّعِيهَا، وَالْبَلَاغَةُ تَتَحَلَّى بِهِ بِأَحْسَنَ

(١) الرهج: الغبار

مِمَّا يَتحلَّى هُوَ بِهَا ، وَمَا أَحْلَى قَوْلَهُ :

حَمْرَاءُ مُصْفَرَّةُ الأَحْشَاءِ بَاعِثَةٌ　　طِيباً تَخَالُ بِهِ فِى الْبَيْتِ عَطَّارَا
كَأَنَّ فِى وَجْهِهَا تِبْراً يُخَلِّصُهُ　　قَيْنٌ(١) يُضَرِّمُ فِى أَفْنَانِهِ النَّارَا

وَقَوْلَهُ :

مَا زِلْتُ فِى سُكْرِى أُلَمِّعُ كَفَّهَا　　وَذِرَاعَهَا بِالْقَرْصِ وَالآثَارِ
حَتَّى تَرَكْتُ أَدِيمَهَا وَكَأَنَّمَا　　غُرِسَ الْبَنَفْسَجُ فِى نَقَا الْجُمَّارِ

وَبَلَغَ الْمَجْلِسُ أَبَا إِسْحَاقَ تَحَضَّرَ وَشَكَرَ وَطَوَى وَنَشَرَ وَأَوْرَدَ وَأَصْدَرَ ، وَكَانَ كَاتِبَ زَمَانِهِ لِسَاناً وَقَلَماً وَشَمَائِلَ ، وَكَانَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ يَدٌ طُولَى فِى الْعِلْمِ الرِّيَاضِىِّ ، وَسَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ يَقُولُ : هُوَ ابْنُ أَبِيهِ لِلَّهِ دَرُّهُ ، وَأَخَذَ فِى تَعْظِيمِ أَبِيهِ .

قَالَ عَبْدُ اللهِ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ : وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو حَيَّانَ قِصَّةَ أَبِى الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ وَسَبَبَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً مَشْرُوحَةً وَقَدْ نَقَلْتُهَا هَا هُنَا عَنْهُ بِكَمَالِهَا فَإِنِّى لَمْ أَجِدْ أَحَداً ذَكَرَهَا أَكْمَلَ مِنْهُ .

---

(١) القين : الحداد ، والذى فى هذا الأصل : « قير »

قَالَ: وَلَمَّا مَاتَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلاثِمِائَةٍ أُجْتَمَعَ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ أَبُو الْفَتْحِ وَعَلِيُّ بْنُ كَامَةَ أَحَدُ أُمَرَاءِ الدَّيْلَمِ وَالْأَعْيَانِ وَتَعَاهَدَا وَتَوَاثَقَا وَتَحَالَفَا وَبَذَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْإِخْلَاصَ لِصَاحِبِهِ وَالْمَوَدَّةَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالذَّبَّ وَالتَّوْقِيرَ عِنْدَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَأَجْتَهَدَا فِي الْأَيْمَانِ الْغَامِسَةِ (١) وَالْعُقُودِ الْمُوَثَّقَةِ، وَدَبَّرَا أَمْرَ الْجَيْشِ، وَوَعَدَا الْأَوْلِيَاءَ، وَرَدَّا النَّافِرَ، وَرَكِبَا الْخَطَرَ الْخَاطِرَ، وَعَانَقَا الْخَطْبَ الْعَاقِرَ، وَبَاشَرَ كُلَّ ذَلِكَ أَبُو الْفَتْحِ خَاصَّةً بِجِدٍّ مِنْ نَفْسِهِ، وَصَرِيمَةٍ مِنْ رَأْيِهِ، وَجَوْدَةِ فِكْرِهِ، وَصِحَّةِ نِيَّتِهِ، وَتَوْفِيقِ رَبِّهِ.

فَلَمَّا وَرَدَ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ الرَّيَّ مِنْ أَصْبَهَانَ وَصَادَفَ الْأَمْرَ مُتَّسِقًا وَلَقِيَ كُلَّ فَتْقٍ مُرْتَقًا بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْحَزْمِ فِيهِ، وَنَفَذَ مِنَ الرَّأْيِ الصَّائِبِ عِنْدَهُ أَنْكَرَ الزِّيَادَةَ الْمُوجِبَةَ لِلْجُنْدِ فَكَرِهَهَا وَدَمْدَمَ بِذِكْرِهَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْفَتْحِ بِهَا نَظَمْتُ لَكَ الْمُلْكَ، وَحَفِظْتُ لَكَ الدَّوْلَةَ، وَصُنْتُ

(١) الأيمان الغامسة واليمين الغموس: التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار

الْحَرِيمَ ، فَإِنْ خَالَفَتْ هَذِهِ الزِّيَادَةُ هَوَاكَ فَأَسْقِطْهَا فَالْيَدُ الْعُلْيَا لَكَ .

وَكَانَ ابْنُ عَبَّادٍ قَدْ وَرَدَ وَحَطَبُهُ رَطْبٌ وَتَنُّورُهُ بَارِدٌ وَأَمْرُهُ غَيْرُ نَافِذٍ ، هَذَا فِي الظَّاهِرِ ، وَأَمَّا فِي الْبَاطِنِ ، فَكَانَ يَخْلُو بِصَاحِبِهِ وَيُؤَنِّبُهُ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ بِمَا يَجِدُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعْنِ وَالْقَدْحِ ، فَأَحَسَّ بِذَلِكَ ابْنُ الْعَمِيدِ فَأَلَّبَ الْأَوْلِيَاءَ عَلَى ابْنِ عَبَّادٍ حَتَّى كَثُرَ الشَّغَبُ وَعَظُمَ الْخَطْبُ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ وَقَالَ لِلْأَمِيرِ : لَيْسَ مِنْ حَقِّ كِفَايَتِي فِي الدَّوْلَةِ وَقَدِ انْتَكَثَ حَبْلُهَا ، وَقَوِيَتْ أَطْمَاعُ الْمُفْسِدِينَ فِيهَا أَنْ أُسَامَ[1] الْخَسْفَ ، وَالْأَحْرَارُ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى نَعَرَاتِ الذُّلِّ وَغَمَرَاتِ الْهَوَانِ . فَقَالَ لَهُ فِي الْجَوَابِ : كَلَامُكَ مَسْمُوعٌ وَرِضَاكَ مَتْبُوعٌ ، فَمَا الَّذِي يُبْرِدُ فَوْرَتَكَ عَنْهُ ؟ قَالَ : يَنْصَرِفُ إِلَى أَصْفَهَانَ مَوْفُوراً ، فَوَاللَّهِ لَوْ طَالَبْتُهُ مُنْصِفاً بِرَفْعِ الْحِسَابِ لِمَا نَظَرَ فِيهِ لَيَعْرَقَنَّ جَبِينُهُ ، وَلَئِنْ أَحَسَّ الْأَوْلِيَاءُ الَّذِينَ أَصْطَنِعُهُمْ بِمَالِي وَإِفْضَالِي بِكَلَامِهِ فِي أَمْرِي ، وَسَعْيِهِ فِي فَسَادِ حَالِي ، لَيَكُونَنَّ هَلَاكُهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ أَسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ إِذَا

---

(١) أى أذل وأهان ، من أسامه الخسف : أى أذاقه الذل والهوان .

خَطِفَ، وَمِنَ الْمُزْنِ إِذَا نَطَفَ. فَقَالَ لَهُ: لَا مُخَالِفَ لِرَأْيِكَ، وَالنَّظَرُ لَكَ، وَالزِّمَامُ بِيَدِكَ.

وَتَلَطَّفَ ابْنُ عَبَّادٍ فِي خِلَالِ ذَلِكَ لِأَبِي الْفَتْحِ وَقَالَ لَهُ: أَنَا أَتَظَلَّمُ مِنْكَ إِلَيْكَ، وَأَتَحَمَّلُ بِكَ عَلَيْكَ، وَهَذَا الِاسْتِيحَاشُ سَهْلُ الزَّوَالِ إِذَا تَأَلَّفْتَ الشَّارِدَ مِنْ حِلْمِكَ، وَعَطَفْتَ عَلَى الشَّائِعِ مِنْ كَرَمِكَ، وَلِّنِي دِيوَانَ الْإِنْشَاءِ وَاسْتَخْدِمْنِي فِيهِ وَرَتِّبْنِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَحْضِرْنِي بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، وَسِمْنِي بِرِضَاكَ فَإِنِّي صَنِيعَةُ وَالِدِكَ، وَاتَّخِذْنِي بِهَذَا صَنِيعَةً لَكَ، وَلَيْسَ يَجْمُلُ أَنْ تَكُرَّ عَلَى مَا بَنَى ذَلِكَ الرَّئِيسُ فَتَهْدِمَهُ وَتَنْقُضَهُ، وَمَتَى أَجَبْتَنِي إِلَى هَذَا وَآمَنْتَنِي فَإِنِّي أَكُونُ خَادِمَكَ بِحَضْرَتِكَ، وَكَاتِبًا يَطْلُبُ الزُّلْفَةَ عِنْدَكَ فِي صَغِيرِ أَمْرِكَ وَكَبِيرِهِ، وَفِي هَذَا إِطْفَاءُ النَّائِرَةِ الَّتِي قَدْ ثَارَتْ بِسُوءِ ظَنِّكَ وَتَصْدِيقِكَ أَعْدَائِي عَلَيَّ. فَقَالَ فِي الْجَوَابِ: وَاللهِ لَا تُجَاوِرُنِي فِي بَلَدِ السَّرِيرِ، وَبِحَضْرَةِ التَّدْبِيرِ وَخَلْوَةِ الْأَمِيرِ، وَلَا يَكُونُ لَكَ إِذْنٌ عَلَيَّ وَلَا عَيْنٌ عِنْدِي، وَلَيْسَ لَكَ مِنِّي رِضًا إِلَّا بِالْعَوْدِ إِلَى مَكَانِكَ مِنْ أَصْبَهَانَ، وَالسُّلُوُّ عَمَّا تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسُكَ.

فخرج ابن عباد من الري على صورة قبيحة متنكرا بالليل ، وذلك أنه خاف الفتك والغلبة ، وبلغ أصبهان وألقى عصاه بها ، ونفسه تغلي وصدره يفور ، والخوف شامل والوسواس غالب ، وهم أبو الفتح بإنفاذ من يطالبه ويؤذيه ويهينه ويعسفه فأحس هو بالأمر .

فحدثني أبو النجم قال : عمل على ركوب المفازة إلى نيسابور لما ضاق عطنه [1] ، واختلف على نفسه ظنه ، وإنه لفي هذا وما أشبهه ، حتى بلغهم أن خراسان قد أزمعت الدلوف [2] إليهم ، وتشاورت في الإطلال [3] عليهم .

فقال الأمير لأبي الفتح : ما الرأي وقد نمي إلينا ما تعلم من طمع خراسان في هذه الدولة بعد موت ركن الدولة ؟ فقال أبو الفتح : ليس الرأي إلي ولا إليك ، ولا الهم علي ولا عليك ، هاهنا من يقول لك : أنت خليفتي ، ويقول لي : أنت كاتب خليفتي ، يدبر هذا بالمال والرجال وهو الملك عضد الدولة أخوك . قال : فاكتب إليه وأشعره

(١) العطن : مبرك الابل والغنم ، وهذا كناية عن الخوف من كل ما حوله

(٢) أزمعت : اعتزمت ونوت ، والدلوف : التقدم والزحف (٣) يريد محاربتهم .

وَأَشِعْ مَا قَدْ مُنِينَا بِهِ وَأَشْهِرْهُ، وَسَلْهُ يُدَاوِى هَذَا الدَّاءَ.

فَكَتَبَ أَبُو الْفَتْحِ وَتَلَطَّفَ. فَصَدَرَ[1] فِي الْجَوَابِ: إِنَّ هَذَا لَأَمْرٌ عُجَابٌ، رَجُلٌ مَاتَ وَخَلَّفَ مَالًا وَلَهُ ابْنٌ فَلَمْ يُحْمَلْ إِلَيْهِ مِنْ إِرْثِهِ شَيْءٌ زَوْيًا عَنْهُ وَاسْتِئْثَارًا دُونَهُ، ثُمَّ يُخَاطَبُ بِأَنْ يَغْرَمَ شَيْئًا آخَرَ مِنْ عِنْدِهِ قَدْ كَسَبَهُ بِجُهْدِهِ، وَجَمَعَهُ بِسَعْيِهِ وَكَدْحِهِ، هَذَا وَاللهِ حَدِيثٌ لَمْ نَسْمَعْ بِمِثْلِهِ، وَلَئِنِ اسْتُفْتِيَ الْفُقَهَاءُ فِي هَذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنْهُ بَتَّةً إِلَّا التَّعَجُّبُ وَالِاسْتِطْرَافُ وَرَحْمَةُ هَذَا الْوَارِثِ الْمَظْلُومِ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ حُرِمَ مَالَهُ بِحَقِّ الْإِرْثِ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ يُطَالَبُ بِإِخْرَاجِ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ، وَإِنْ شَاءَ حَاكَمْتُ كُلَّ مَنْ سَامَ هَذَا إِلَى مَنْ يَرْضَى بِهِ.

فَلَمَّا سَمِعَ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ هَذَا قَالَ لِأَبِي الْفَتْحِ: مَا تَرَى؟ قَالَ: قَدْ قُلْتُ وَلَيْسَ لِي قَوْلٌ سِوَاهُ، هَذَا الرَّجُلُ هُوَ الْمَلِكُ وَالْمُدَبِّرُ وَالْمَالُ كُلُّهُ مَالُهُ، وَالْبِلَادُ بِلَادُهُ، وَالْجُنْدُ جُنْدُهُ وَالْكُلُّ لَهُ، وَالِاسْمُ وَالْجَلَالَةُ عِنْدَهُ، وَلَيْسَ هَاهُنَا إِرْثٌ قَدْ

---

(١) يريد بجاء الجواب من عضد الدولة فصدر

زُوِيَ عَنْهُ، وَلَا مَالٌ اسْتُؤْثِرَ بِهِ دُونَهُ، وَالنَّادِرَةُ لَا وَجْهَ لَهَا فِي أَمْرِ الْجِدِّ وَفِيمَا لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِاللَّعِبِ، أَمَّا خُرَاسَانُ فَكَانَتْ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً تُطَالِبُنَا بِالْمَالِ وَتُهَدِّدُنَا بِالْمَسِيرِ وَالْحَرْبِ، وَنَحْنُ مَرَّةً نُحَارِبُ وَمَرَّةً نُسَالِمُ، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ تَفَرَّقُ الْمَالَ بَعْدَ الْمَالِ عَلَى وُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَاحْسَبْ أَنَّ رُكْنَ الدَّوْلَةِ حَيٌّ بَاقٍ، هَلْ كَانَ لَهُ إِلَّا أَنْ يُدَبِّرَ بِمَالِهِ وَرِجَالِهِ وَذَخَائِرِهِ وَكُنُوزِهِ؟ أَفَلَيْسَ هَذَا الْحُكْمُ لَازِماً لِمَنْ قَامَ مَقَامَهُ وَجَلَسَ مَجْلِسَهُ، وَأُلْقِيَ إِلَيْهِ زِمَامُ الْمُلْكِ وَأُصْدِرَ عَنْهُ كُلُّ رَأْيٍ؟ وَهَلْ عَلَيْنَا إِلَّا الْخِدْمَةُ وَالنُّصْرَةُ وَالْمُنَاصَحَةُ فِي كُلِّ مَا سَهُلَ وَصَعُبَ؟ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ ذَلِكَ بِالْأَمْسِ مِنْ جِهَةِ الْمَاضِي.

فَقَالَ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ: إِنَّ الْخَطْبَ فِي هَذَا أَرَاهُ يَطُولُ، وَالْكَلَامُ يَتَرَدَّدُ، وَالْمُنَاظَرَةُ تَرْبُو، وَالْفَرِيضَةُ تَعُولُ، وَالْفُرْصَةُ تَفُوتُ، وَالْعَدُوُّ يَسْتَمْكِنُ، وَأَرَى فِي الْوَقْتِ أَنْ نَذْكُرَ وَجْهاً لِلْمَالِ حَتَّى نَحْتَجَّ بِهِ، ثُمَّ نَسْتَمِدَّ فِي الثَّانِي مِنْهُ، وَيَرْضَى الْجُنْدُ فِي الْحَالِ وَنَتَحَزَّمَ فِي الْأَمْرِ، وَنُظْهِرَ الْمَرَارَةَ وَالشَّكِيمَةَ بِالِاهْتِمَامِ وَالِاسْتِعْدَادِ، حَتَّى يَطِيرَ الْخَبَرُ إِلَى خُرَاسَانَ بِجِدِّنَا

وَاجْتِهَادِنَا، وَحَزْمِنَا وَاعْتِمَادِنَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ مَكْسَرَةً لِقُلُوبِهِمْ وَحَسْماً لِأَطْمَاعِهِمْ، وَبَاعِثاً عَلَى تَجْدِيدِ الْقَوْلِ فِي الصُّلْحِ وَرَدِّ الْحَالِ إِلَى الْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ. فَقَالَ: نَسْأَلُ اللهَ بَرَكَةَ هَذَا الأَمْرِ فَقَدْ نَشَأَتْ مِنْهُ رَائِحَةٌ مُنْكَرَةٌ، مَا أَعْرِفُ لِلْمَالِ وَجْهاً، أَمَّا أَنَا فَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ جَمِيعِ مَا عِنْدِي مَرَّةً بِمَا خَدَمْتُ بِهِ الْمَاضِي تَبَرُّعاً حِدْثَانَ[1] مَوْتِ أَبِي، وَمَرَّةً بِمَا طَالَبَنِي بِهِ سِرًّا، وَأَوْعَدَنِي بِالْعَزْلِ وَالاِسْتِخْفَافِ مِنْ أَجْلِهِ، وَمَرَّةً بِمَا غَرِمْتُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ فِي نُصْرَةِ الدَّوْلَةِ، وَهَذِهِ وُجُوهٌ اسْتَنْفَدَتْ قُلِّي وَكُثْرِي، وَأَتَتْ عَلَى ظَاهِرِي وَبَاطِنِي، وَقَدْ غَرِمْتُ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ مَا إِنْ ذَكَرْتُهُ كُنْتُ كَأَنِّي مُمْتَنٌّ عَلَى أَوْلِيَاءِ نِعْمَتِي، وَإِنْ سَكَتُّ كُنْتُ كَالْمُتَّهَمِ عِنْدَ مَنْ يَتَوَقَّعُ عَثْرَتِي، فَهَذَا هَذَا. وَأَمَّا أَمْوَالُ النَّوَاحِي فَأَحْسَنُ أَحْوَالِنَا فِيهَا أَنَّا نُزْجِيهَا فِي نَوَاحِيهَا مَعَ النَّفَقَةِ الْوَاسِعَةِ فِي الْوَظَائِفِ وَالْمُهِمَّاتِ الَّتِي تَنُوبُنَا، وَأَمَّا الْعَامَّةُ فَلَا أَحْوَجَ اللهُ إِلَيْهَا، وَلَا كَانَتْ دَوْلَةٌ لَا تَثْبُتُ إِلَّا بِهَا وَبِأَوْسَاخِ

---

(١) مصدر حدث الشيء: ابتدأ، يريد عند موت أبي

أَمْوَالِهَا . فقَالَ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ وَكَانَ مُلَقِّنًا : هَذَا ابْنُ كَامَةَ وَهُوَ صَاحِبُ الذَّخَائِرِ وَالْكُنُوزِ وَالْجِبَالِ وَالْحُصُونِ ، وَبِيَدِهِ بِلَادٌ وَقَدْ جَمَعَ هَذَا كُلَّهُ فِي دَوْلَتِنَا وَحَازَهُ مِنْ مَمْلَكَتِنَا وَأَيَّامِنَا وَبِدَوْلَتِنَا ، وَهُوَ جَامٌّ[1] مَاشِيكَ ، وَمَخْتُومٌ[2] مَافُضَّ مُذْ كَانَ مَانَقُولُ فِيهِ . قَالَ : مَالِي فِيهِ كَلَامٌ فَإِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَهْدًا مَا أَخِيسُ[3] بِهِ وَلَوْ ذَهَبَتْ نَفْسِي . فقَالَ : أَطْلُبْ مِنْهُ الْقَرْضَ . قَالَ : إِنَّهُ يَسْتَوْحِشُ وَيَرَاهُ بَابًا مِنَ الْغَضَاضَةِ ، وَقَدْرُ الْقَرْضِ لَا يَبْلُغُ قَدْرَ الْحَاجَةِ ، فَإِنَّ الْحَاجَةَ مَاسَّةٌ إِلَى خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ عَلَى التَّقْرِيبِ ، وَنَفْسُهُ أَنْفَعُ لَنَا وَأَرَدُّ عَلَيْنَا وَأَحْصَنُ لَنَا وَإِلَيْنَا مِنْ مَوْقِعِ ذَلِكَ الْمَالِ ، وَبُعْدُ رَأْيِهِ وَتَدْبِيرُهُ وَاسْمُهُ وَصِيتُهُ فَوْقَ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ .

قَالَ : وَإِذْ لَيْسَ هَهُنَا وَجْهٌ فَلَيْسَ بَأْسٌ بِأَنْ يُطَالِعَ الْمَلِكُ بِهَذَا الرَّأْيِ لِيَكُونَ نَتِيجَتُهُ مِنْ ثَمَّ . قَالَ : أَنَا لَا أَكْتُبُ بِهَذَا فَإِنَّهُ غَدْرٌ . قَالَ يَا هَذَا : فَأَنْتَ كَاتِبِي

---

(١) الجام : المجتمع من الشيء ، يريد أن ماله مجتمع ماشيك ، وشيك مجهول من شاكه : آلمه بالشوك ، وذلك كناية عن كثرة ماله (٢) مختوم مافض : كناية عن أن مايملكه لم تمسه يد (٣) أخيس : أنكث عهده وأنقضه « عبد الخالق »

وَصَاحِبُ سِرِّي وَالزِّمَامُ فِي جَمِيعِ أَمْرِي ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى إِخْرَاجِ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَتَوَلَّ حَارَّهُ وَقَارَّهُ ، وَغَثَّهُ وَسَمِينَهُ ، وَمَحْبُوبَهُ وَمَكْرُوهَهُ فَمَنْ ؟

قَالَ يَاأَيُّهَا الْأَمِيرُ : لَا تَسُمْنِي الْخِيَانَةَ ، فَإِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُ عَهْدًا يَذَرُ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ [1] ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، وَلَعَنَ اللهُ عَاجِلَةً تُفْسِدُ الْآجِلَةَ . فَقَالَ : إِنِّي لَسْتُ أَسُومُكَ أَنْ تَقْبِضَ عَلَيْهِ وَأَنْ تُسِيءَ إِلَيْهِ ، أَشِرْ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَى الْمَلِكِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَخَلَاكَ ذَمٌّ ، فَإِنْ رَأَى الصَّوَابَ فِيهِ تَوَلَّاهُ دُونَكَ ، وَإِنْ ضَرَبَ عَنْهُ أَعَاضَنَا رَأْيًا غَيْرَ مَا رَأَيْنَا ، وَأَنْتَ عَلَى حَالِكَ لَا تَنْزِلُ عَنْهَا وَلَا تُبَدَّ لَهَا ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ بَيْنَ يَدَيَّ كَتْبُ حَرْفَيْنِ : إِنَّهُ لَا وَجْهَ لِهَذَا الْمَالِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ فُلَانٍ ، وَلَسْتُ أَتَوَلَّى مُخَاطَبَتَهُ عَلَيْهِ ، وَلَا مُطَالَبَتَهُ بِهِ وَفَاءً لَهُ بِالْعَهْدِ ، وَثَبَاتًا عَلَى الْيَمِينِ ، وَجَرْيًا عَلَى الْوَاجِبِ ، وَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ تُجِيبَ إِلَى هَذَا

(١) أي يتركها خرابا ، جمع بلقع

القَذَرِ ، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى النَّكْثِ وَالْخِلَافِ وَالتَّبْدِيلِ . وَمَا زَالَ هَذَا وَشِبْهُهُ يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمَا حَتَّى أَخَذَ خَطَّهُ بِهَذَا عَلَى أَنْ يُصْدِرَهُ إِلَى أَخِيهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِفَارِسَ . فَلَمَّا حَصَلَ هَذَا الْخَطُّ عِنْدَهُ وَجَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَحْضَرَ ابْنَ كَامَةَ وَقَالَ لَهُ : أَمَا عِنْدَكَ حَدِيثُ هَذَا الْمُخَنَّثِ فِيمَا أَشَارَ بِهِ عَلَى الْمَلِكِ فِي شَأْنِكَ ؟ وَأَوْرَدَ عَلَيْهِ فِي حَقِّكَ وَأَمْرِكَ ، وَإِطْمَاعِهِ فِي مَالِكَ وَنَفْسِكَ ، وَتَكْثِيرِهِ عِنْدَهُ مَا تَحْتَ يَدِكَ وَنَاحِيَتِكَ . فَقَالَ ابْنُ كَامَةَ : هَذَا الْفَتَى يَرْتَفِعُ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ ، وَلَعَلَّ عَدُوًّا قَدْ كَادَهُ بِهِ ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا لَا مَنْفَذَ لِلسِّحْرِ فِيهِ ، وَلَا مَسَاغَ لِظَنٍّ سَيِّءٍ بِهِ . قَالَ : مَا قُلْتُ لَكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ حَقَّقْتُ مَا قُلْتُ ، وَدَعْ هَذَا كُلَّهُ فِي الرِّيحِ ، هَذَا كِتَابُهُ إِلَى الْمَلِكِ بِمَا عَرَّفْتُكَ ، وَخَطُّهُ بِيَدِهِ فِيهِ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ كَامَةَ : أَنَا أَعْرِفُ الْخَطَّ وَلَكِنْ هَاتُوا كَاتِبِي ، فَأَحْضَرَ كَاتِبَهُ الْخَثْعَمِيَّ فَشَهِدَ أَنَّ الْخَطَّ خَطُّهُ ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ كَامَةَ

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل بابك

عَنْ سجيَّتِهِ ، وَخرَجَ مِنْ مَسْكَنِهِ وقَالَ : مَا ظَنَنْتُ بَعْدَ الأَيْمَانِ الْمُغَلَّظَةِ الَّتِي بَيْنَنَا أنَّهُ يَسْتَجِيزُ مِثْلَ هَذَا . قالَ الأَمِيرُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، إِنَّمَا أَطْلَعَكَ الْمَلِكُ عَلَى سِرِّ هَذَا الغُلَامِ فِيكَ ، لِتَعْرِفَ فَسَادَ ضَمِيرِهِ لَكَ ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ هَنَاتٍ أُخَرَ ، وَآفَاتٍ هِيَ أَكْبَرُ ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي حَرَّكَ مَنْ بِخُرَاسَانَ ، وَكَاتَبَ صَاحِبَ جُرْجَانَ ، وأَلْقَى إِلَى أَخِينَا بِهَمَذَانَ - يَعْنِي فَخْرَ الدَّوْلَةِ - أَخْبَارَنَا ، وَهُوَ عَيْنٌ لِبُخْتِيَارَ هَاهُنَا ، وَقَدِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَعْمَلُ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْبِلَادِ ، وَيَكُونُ وَزِيراً بِالْعِرَاقِ ، فَقَدْ ذَاقَ مِنْ بَغْدَادَ مَا لَا يَخْرُجُ مِنْ ضِرْسِهِ إِلَّا بِنَزْعِ نَفْسِهِ ، وَكَانَ أَبُو نَصْرٍ الْمَجُوسِيُّ قَدْ قَدِمَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ يَفْتِلُ الْحَبْلَ وَيُبْرِمُ ، وَيَهَابُ مَرَّةً وَيُقْدِمُ ، وَكَانَ الْحَدِيثُ قَدْ بُيِّتَ بِلَيْلٍ وَاهْتُمَّ بِهِ قَبْلَ وَقْتِهِ بِزَمَانٍ . فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ كَامَةَ : فَمَا الرَّأْيُ الْآنَ ؟ قَالَ : لَا أَرَى أَمْثَلَ مِنْ طَاعَةِ الْمَلِكِ فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِ وَقَدْ كُنَّا عَلَى ذَلِكَ قَادِرِينَ ، وَلَكِنْ كَرِهْنَا أَنْ يُظَنَّ بِنَا أَنَّا هَجَمْنَا عَلَى نَاصِحِنَا ، وَمُرَبِّبِ[1] نِعْمَتِنَا وَنَاشِيءِ دَوْلَتِنَا ،

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل «مرتب» ويقال : رب فلان الصبي وربيه : أى رباه حتى أدرك .

فَمَهَّدْنَا عِنْدَكَ الْعُذْرَ ، وَأَوْضَحْنَا لَكَ الْأَمْرَ . قَالَ : فَأَنَا أَكْفِيكُمُوهُ ، ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْهِ وَكَانَ مِنْهُ مَا كَانَ ، وَاسْتَدْعَى ابْنَ عَبَّادٍ مِنْ أَصْفَهَانَ وَوَلِيَ الْوِزَارَةَ وَدَبَّرَهَا بِرَأْيٍ وَثِيقٍ وَجِدٍّ رَتِيقٍ(١) .

وَذَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ مِسْكَوَيْهِ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ قَالَ : كَانَ حَسْنَوَيْهِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْكُرْدِيُّ قَدْ قَوِيَ وَاسْتَفْحَلَ لِمَا وَقَعَ مِنْهُ مِنَ الشُّغْلِ بِالْفُتُوحِ الْكِبَارِ ، لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا وَقَعَ حَرْبٌ بَيْنَ الْخُرَاسَانِيَّةِ وَبَيْنَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَظْهَرَ عَصَبِيَّةَ الدَّيْلَمِ وَصَارَ فِي جُمْلَتِهِمْ ، وَخَدَمَ خِدْمَةً يَسْتَحِقُّ بِهَا الْإِحْسَانَ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ — مَعَ مَا أُقْطِعَ وَأُغْضِيَ عَنْهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَبَسَّطَ فِيهَا وَالْإِضَافَاتِ الَّتِي يَسْتَوْلِي عَلَيْهَا — ، رُبَّمَا تَعَرَّضَ لِأَطْرَافِ الْجَبَلِ وَطَالَبَ أَصْحَابَ الضِّيَاعِ وَأَرْبَابَ النِّعَمِ بِالْخِفَارَةِ وَالرُّسُومِ الَّتِي يَبْتَدِعُهَا ، فَيَضْطَرُّ النَّاسُ إِلَى إِجَابَتِهِ وَلَا يُنَاقِشُهُ السُّلْطَانُ ، فَكَانَ يَزِيدُ أَمْرُهُ عَلَى الْأَيَّامِ وَيَتَشَاغَلُ الْوُلَاةُ عَنْهُ ، إِلَى أَنْ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَهْلَانَ ابْنِ مُسَافِرٍ خِلَافٌ وَمُشَاحَّةٌ تَلَاجَّا فِيهَا ، إِلَى أَنْ

(١) من رتق الشيء : جعله يلتئم بعضه مع بعض

قَصَدَهُ ابْنُ مُسَافِرٍ فَهَزَمَهُ حَسْنَوَيْه ، وَكَانَ يَظُنُّ ابْنُ مُسَافِرٍ أَنَّهُ لَا يُكَاشِفُهُ ، وَلَا يَبْلُغُ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا إِلَى مَا بَلَغَتْ إِلَيْهِ ، فَلَمْ تَقِفِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا حَيْثُ ظَنَّ ، وَانْتَهَى الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا إِلَى أَنِ اجْتَمَعَ الدَّيْلَمُ وَأَصْحَابُ السُّلْطَانِ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ إِلَى مَوْضِعٍ شَبِيهٍ بِالْحِصَارِ ، وَنَزَلَ الْأَكْرَادُ حَوَالَيْهِمْ وَمَنَعُوهُمْ مِنَ الْمِيرَةِ[1] وَتَفَرَّقُوا بِإِزَائِهِمْ ، ثُمَّ زَادَ الْأَمْرُ وَبَلَغَ إِلَى أَنْ أَمَرَ حَسْنَوَيْهِ الْأَكْرَادَ أَنْ يَحْمِلَ كُلُّ فَارِسٍ مِنْهُمْ عَلَى رَأْسِ رُمْحِهِ مَا أَطَاقَ مِنَ الشَّوْكِ وَالْعَرْفَجِ[2] ، وَيَقْرُبَ مِنْ مُعَسْكَرِ سَهْلَانَ مَا اسْتَطَاعَ وَيَطْرَحَهُ هُنَاكَ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ حَوْلَ عَسْكَرِ سَهْلَانَ شَيْءٌ كَثِيرٌ فِي أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ تَقَدَّمَ بِطَرْحِ النَّارِ فِيهِ مِنْ عِدَّةِ مَوَاضِعَ فَالْتَهَبَ وَكَانَ الْوَقْتُ صَيْفًا ، وَحَمِيَتِ الشَّمْسُ عَلَيْهِمْ مَعَ حَرِّ النَّارِ فَأَخَذَ بِكَظْمِهِمْ[3] وَأَشْرَفُوا عَلَى التَّلَفِ ، فَصَاحُوا وَطَلَبُوا الْأَمَانَ فَرَفَقَ بِهِمْ وَأَمْسَكَ عَمَّا

---

(١) الميرة : الزاد (٢) العرفج : نبات سهلي سريع الالتهاب

(٣) الكظم : الحلق أو الفم أو مخرج النفس ، كناية عن شدته عليهم

هَمَّ بِهِ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ رُكْنَ الدَّوْلَةِ فَلَمْ يَحْتَمِلْ ذَلِكَ كُلَّهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى وَزِيرِهِ أَبِي الْفَضْلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْعَمِيدِ ، وَهُوَ الْأُسْتَاذُ الرَّئِيسُ بِقَصْدِهِ وَاسْتِئْصَالِ شَأْفَتِهِ ، وَأَمَرَهُ بِالِاسْتِقْصَاءِ وَالْمُبَالَغَةِ ، فَانْتَخَبَ الْأُسْتَاذُ الرَّئِيسُ الرِّجَالَ وَخَرَجَ فِي عُدَّةٍ وَزِينَةٍ ، وَخَرَجَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ مُشَيِّعاً لَهُ وَخَلَعَ عَلَى الْقُوَّادِ ، وَوَقَفَ حَتَّى اجْتَازَ بِهِ الْعَسْكَرُ وَعَادَ إِلَى الرَّيِّ ، وَسَارَ الْوَزِيرُ وَمَعَهُ ابْنُهُ أَبُو الْفَتْحِ ، وَكَانَ شَابّاً قَدْ خَلَفَ أَبَاهُ بِحَضْرَةِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَعَرَفَ تَدْبِيرَ الْمَمْلَكَةِ وَسِيَاسَةَ الْجُنْدِ ، فَهُوَ بِذَكَائِهِ وَحِدَّةِ ذِهْنِهِ وَسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ ، قَدْ نَفَقَ نَفَاقاً شَدِيداً عَلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لِقِلَّةِ حُنْكَتِهِ [1] وَنَزَقِ شَبَابِهِ وَتَهَوُّرِهِ فِي الْأُمُورِ يُقْدِمُ عَلَى مَا لَا يُقْدِمُ عَلَيْهِ أَبُوهُ ، وَيُحِبُّ أَنْ يَسِيرَ فِي خَوَاصِّ الدَّيْلَمِ وَهُمْ يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَخْتَلِطَ بِهِمُ اخْتِلَاطَ مَنْ يَسْتَمِيلُ قُلُوبَهُمْ ، وَيَخْلَعَ عَلَيْهِمْ خِلَعاً كَثِيرَةً ، وَيَحْمِلَ رُؤَسَاءَهُمْ وَقُوَّادَهُمْ عَلَى الْخُيُولِ الْفُرَّهِ بِالْمَرَاكِبِ الثِّقَالِ ، وَيُرِيدُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ أَنْ يُسَلِّمُوا لَهُ

---

(١) الحنكة : كثرة التجربة والمران

الرِّيَاسَةَ حَتَّى لَا يَأْنَفَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْمَشْيِ قُدَّامَهُ إِذَا رَكِبَ ، وَكَانَ جَمِيعُ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُؤْثِرُهُ الْأُسْتَاذُ الرَّئِيسُ وَلَا يَرْضَاهُ لِسِيرَتِهِ ، وَكَانَ يَعِظُهُ وَيَنْهَاهُ عَنْ هَذِهِ السِّيرَةِ وَيُعْلِمُهُ أَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مِمَّا يُرَخَّصُ فِيهِ ، لَكَانَ هُوَ بِنَفْسِهِ قَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ .

قَالَ مِسْكَوَيْهِ : وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ خَلَوَاتِهِ يَشْرَحُ لَهُ صُورَةَ الدَّيْلَمِ فِي الْحَسَدِ وَالْجَشَعِ ، وَأَنَّهُ مَا مَلَكَهُمْ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا بِتَرْكِ الزِّينَةِ ، وَبَذْلِ مَالًا يُبْطِرُهُمْ وَلَا يُخْرِجُهُمْ إِلَى التَّحَاسُدِ ، وَلَا يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي مَرْتَبَةِ أَوْسَطِهِمْ حَالًا ، وَأَنَّ مَنْ دَعَاهُمْ وَاحْتَشَدَهُمْ وَحُمِلَ عَلَى حَالَةٍ فَوْقَ طَاعَتِهِ ، لَمْ يَمْنَعْهُمْ ذَلِكَ مِنْ حَسَدِهِ عَلَى نِعَمِهِ وَالسَّعْيِ فِي إِزَالَتِهَا ، وَتَرَقُّبِ أَوْقَاتِ الْغِرَّةِ فِي آمَنِ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُمْ فَيَفْتِكُونَ بِهِ ذَلِكَ الْوَقْتَ ، وَكَانَ يُورِدُ عَلَيْهِ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّهُ قَدْ مَلَأَ قَلْبَهُ رُعْبًا ، وَأَنَّهُ سَيَكُفُّ عَنِ السِّيرَةِ الَّتِي شَرَعَ فِيهَا ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يُفَارِقَ مَجْلِسَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُعَاوِدَ سِيرَتَهُ تِلْكَ ، فَأَشْفَقَ

الأُسْتاذُ فِي سفرَتِهِ هٰذِهِ أَنْ يَتْرُكَهُ بِحَضْرَةِ صاحِبِهِ، فَيَلِجَ فِي هٰذِهِ الأَخْلاقِ وَيغتَرَّ[1] بِمَا يَرَاهُ مِنَ احْتِمالِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَا لَا يَتلافاهُ، فَسَيَّرَهُ مَعَهُ وَاسْتَخْلَفَ بِحَضْرَةِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبَا عَلِيٍّ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ المَعْرُوفَ بِابْنِ البَيِّعِ، وَكَانَ فَاضِلاً أَدِيباً رَكِيناً، حَسَنَ الصُّورَةِ مَقْبُولَ الجُمْلَةِ، حَسَنَ المَخْبَرِ خُلُقاً وَأَدَباً.

فَلَمَّا كَانَ الرَّئِيسُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ — وَكَانَ يَرْكَبُ العِمَارِيَّاتِ[2] وَلَا يَسْتَقِلُّ عَلَى ظُهُورِ الدَّوَابِّ لِإِفْرَاطِ عِلَّةِ النِّقْرِسِ[3] وَغَيْرِهِ عَلَيْهِ — الْتَفَتَ فَلَمْ يَرَ فِي مَوْكِبِهِ أَحَداً، وَسَأَلَ عَنِ الخَبَرِ فَلَمْ يَجِدْ حَاجِباً يُخْبِرُهُ وَلَا مَنْ جَرَتِ العَادَةُ بِمُسَايَرَتِهِ غَيْرِي، فَسَأَلَنِي عَنِ الخَبَرِ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الجَمَاعَةَ بِأَسْرِهَا مَالَتْ مَعَ أَبِي الفَتْحِ إِلَى الصَّيْدِ، فَأَمْسَكَ حَتَّى نَزَلَ فِي مُعَسْكَرِهِ، ثُمَّ سَأَلَ عَمَّنْ جَرَتِ العَادَةُ بِاسْتِدْعَائِهِ لِلطَّعَامِ، وَكَانَ يَحْضُرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشَرَةٌ مِنَ

---

(١) كانت فى هذا الأصل «فيغتر» بالفاء (٢) العمارية . هودج يجلس فيه

(٣) النقرس : مرض يجعل جسم الانسان حساسا جدا للغاية ، بحيث لايتحمل أى جسم عليه مهما كان صغيرا .

القُوَّادِ عَلَى مَائِدَتِهِ الَّتِي تَخُصُّهُ ، وعِدَّةٌ مِنَ القُوَّادِ عَلَى أَطْبَاقٍ تُوضَعُ لَهُمْ ، وَذَلِكَ عَلَى نَوْبَةٍ مَعْرُوفَةٍ يَسْعَى فِيهَا نُقَبَاؤُهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ وَاسْتَقْصَى فِي السُّؤَالِ فَقِيلَ : إِنَّ أَبَا الْفَتْحِ أَضَافَهُمْ فِي الصَّحْرَاءِ فَاسْتَشَاطَ مِنْ ذَلِكَ وَسَاءَهُ أَنْ يَجْرِيَ مِثْلُ هَذَا وَلَا يُسْتَأْذَنَ فِيهِ ، وَقَدْ كَانَ أَنْكَرَ خُلُوَّ مَوْكِبِهِ وَهُوَ فِي وَجْهِ حَرْبٍ وَلَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَسْتَمِرَّ هَذَا التَّشَتُّتُ مِنَ الْعَسْكَرِ فَتَتِمَّ عَلَيْهِ حِيلَةٌ ، فَدَعَا أَكْبَرَ حُجَّابِهِ وَوَصَّاهُ أَنْ يَحْجُبَ عَنْهُ ابْنَهُ أَبَا الْفَتْحِ ، وَأَنْ يُوصِيَ النُّقَبَاءَ بِمَنْعِ الدَّيْلَمِ مِنْ مُسَايَرَتِهِ وَمُخَالَطَتِهِ ، وَظَنَّ أَنَّ هَذَا الْمَبْلَغَ مِنَ الْإِنْكَارِ سَيَغُضُّ مِنْهُ وَيَنْهَى الْعَسْكَرَ عَنِ اتِّبَاعِهِ عَلَى هَوَاهُ ، فَلَمْ يُؤَثِّرْ كَلَامُهُ هَذَا كَبِيرَ أَثَرٍ وَعَادَ الْفَتَى إِلَى عَادَتِهِ ، وَاتَّبَعَهُ الْعَسْكَرُ وَمَالُوا مَعَهُ إِلَى اللَّعِبِ وَالصَّيْدِ وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ، وَكَانَ لَا يُخْلِيهِمْ مِنَ الْخِلَعِ وَالْإِلْطَافِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْأُسْتَاذِ الرَّئِيسِ جِدًّا وَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يَخْرِقَ هَيْبَةَ نَفْسِهِ بِإِظْهَارِ مَا فِي قَلْبِهِ ، وَلَا الْمُبَالَغَةِ فِي الْإِنْكَارِ وَهُوَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَجْهِ ، فَيُفْسِدَ

عَسْكَرَهُ وَيُطْمِعَ فِيهِ عَدُوَّهُ ، فَدَارَى أَمْرَهُ وَتَجَرَّعَ غَيْظَهُ ، وَأَدَّاهُ ذَلِكَ إِلَى زِيَادَةٍ فِي مَرَضِهِ حَتَّى هَلَكَ بِهَمَذَانَ وَهُوَ يَقُولُ فِي خَلَوَاتِهِ : مَا يُهْلِكُ آلَ الْعَمِيدِ وَلَا يَمْحُو آثَارَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا هَذَا الصَّبِيُّ — يَعْنِي ابْنَهُ — وَهُوَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ : مَا قَتَلَنِي إِلَّا جُرَعُ الْغَيْظِ الَّتِي تَجَرَّعْتُهَا مِنْهُ ، فَلَمَّا حَصَلَ بِهَمَذَانَ اشْتَدَّتْ عِلَّتُهُ وَتُوُفِّيَ بِهَا ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ السَّادِسِ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

وَانْتَصَبَ ابْنُهُ أَبُو الْفَتْحِ مَكَانَ أَبِيهِ ، وَكَانَ الْعَسْكَرُ كَمَا ذَكَرْتُ مَائِلًا إِلَيْهِ ، فَزَادَ فِي بَسْطِهِمْ وَتَأْنِيسِهِمْ وَوَعَدَهُمْ وَمَنَّاهُمْ ، وَبَذَلَ لَهُمْ طَعَامَهُ وَمُنَادَمَتَهُ ، وَأَكْثَرَ مِنَ الْخِلَعِ عَلَيْهِمْ ، وَرَاسَلَ حَسْنَوَيْهِ وَأَرْغَبَهُ وَأَرْهَبَهُ وَحَضَّهُ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَأَوْمَأَ إِلَى مُصَالَحَتِهِ عَلَى مَالٍ يَحْمِلُهُ يَقُومُ بِمَا أَنْفَقَ عَلَى الْعَسْكَرِ ، وَيَتَوَفَّرُ بَعْدَ ذَلِكَ بَقِيَّةٌ عَلَى خِزَانَةِ السُّلْطَانِ ، وَيَضْمَنُ إِصْلَاحَ حَالِهِ ـ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ ـ مَعَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَشُقُّ عَلَى سَهْلَانَ بْنِ مُسَافِرٍ لِمَا فِي نَفْسِهِ مِنْ حَسْنَوَيْهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الِانْتِقَامَ مِنْهُ وَالتَّشَفِّي

بِهِ ، وَكَانَ أَبُو الفَتْحِ يَرَى مُفَارَقَةَ حَسْنَوَيْهِ وَالْعَوْدَ إِلَى صَاحِبِهِ بِمَا بِهِ لَمْ يَثْلِمْ عَسْكَرَهُ وَلَا خَاطَرَ بِهِمْ ، وَأَنْ يَلْحَقَ بِمَكَانِهِ مِنَ الْوَزَارَةِ قَبْلَ أَنْ يُطْمَعَ فِيهِ أَوْلَى(١) وَأَشْبَهَ بِالصَّوَابِ .

وَقَدْ كَانَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْبَيِّعِ خَلِيفَةُ أَبِيهِ قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا(٢) عَرَفَهُ بِالْكِفَايَةِ وَالسَّدَادِ وَأَرْجَفَ لَهُ بِالْوَزَارَةِ ، فَسَفَرَ الْمُتَوَسِّطُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَسْنَوَيْهِ إِلَى أَنْ تَقَرَّرَ أَمْرُهُ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَجَبَا كُورَةَ الْجَبَلِ وَجَمَعَ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْبِغَالِ وَسَائِرِ التُّحَفِ مَا بَلَغَ مِقْدَارُهُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِ كُتُبُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بِمَا قَوَّى قَلْبَهُ وَشَدَّ مَتْنَهُ(٣) ، وَأَحْمَدَ جَمِيعَ مَا دَبَّرَهُ ، وَأَمَرَهُ بِالْعَوْدِ إِلَى الْحَضْرَةِ بِالرَّيِّ .

قَالَ : وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ تَمَكَّنَ أَبُو الْفَتْحِ ابْنُ الْعَمِيدِ مِنَ الْوَزَارَةِ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ رُكْنُ الدَّوْلَةِ تَدْبِيرَ مَمَالِكِهِ ، وَمَكَّنَهُ مِنْ أَعِنَّةِ(٤) الْخَيْلِ ، فَصَارَ وَزِيراً

---

(١) أولى مفعول ثان ليرى (٢) ما زائدة
(٣) شد متنه : قوى ظهره (٤) أعنة جمع عنان : وهو الزمام

وَصَاحِبَ جَيْشٍ عَلَى رَسْمِ وَالِدِهِ ، إِلَّا أَنَّ وَالِدَهُ بَاشَرَ هٰذِهِ الْأُمُورَ فِى كَمَالٍ مِنْ أَدَوَاتِهِ وَتَمَامٍ مِنْ آلَاتِهِ ، فَدَبَّرَهَا [1] بِالْحَزْمِ وَالْحُنْكَةِ . وَأَمَّا أَبُو الْفَتْحِ فَكَانَ فِيهِ — مَعَ رَجَاحَتِهِ وَفَضْلِهِ فِى أَدَبِ الْكِتَابَةِ وَتَيَقُّظِهِ وَفَرَاسَتِهِ — نَزَقُ الْحَدَاثَةِ ، وَسُكْرُ الشَّبَابِ ، وَجُرْأَةُ الْقُدْرَةِ ، فَأَجْرَى أَمْرَهُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِظْهَارِ الزِّينَةِ الْكَثِيرَةِ ، وَاسْتِخْدَامِ الدَّيْلَمِ وَالْأَتْرَاكِ وَالِاحْتِشَادِ فِى الْمَوَاكِبِ وَالدَّعَوَاتِ ، حَتَّى خَرَجَ بِهِ عَنْ حَدِّ الْقَصْدِ إِلَى الْإِسْرَافِ ، فَجَلَبَ ذٰلِكَ عَلَيْهِ ضُرُوبَ الْحَسَدِ مِنْ ضُرُوبِ السَّلَاطِينِ وَأَصْحَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ .

وَكَانَ صَاحِبُهُ رُكْنُ الدَّوْلَةِ قَدْ شَاخَ وَسَئِمَ مُلَابَسَةَ [2] أُمُورِ الْجُنْدِ ، وَأَحَبَّ الرَّاحَةَ وَالدَّعَةَ فَفَوَّضَ إِلَيْهِ الْأُمُورَ ، وَرَآهُ شَابًّا قَدِ اسْتَقْبَلَ الدُّنْيَا اسْتِقْبَالًا ، فَهُوَ يُحِبُّ التَّعَبَ الَّذِى قَاسَاهُ رُكْنُ الدَّوْلَةِ ثُمَّ مَلَّهُ ، وَيَسْتَلِذُّ فِيهِ الِانْتِصَابَ لِلْأَمْرِ وَالنَّهْىِ وَمُخَالَطَةَ الْجُنْدِ وَالرُّكُوبَ إِلَى الصَّيْدِ وَمَشْىَ خَوَاصِّ الدَّيْلَمِ وَكِبَارِ الْجُنْدِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ مُشَارَبَتَهُمْ

---

(١) كانت فى هذا الأصل : « فدبره » (٢) أى مخالطة أمور الجند ، ومعرفة باطن الأمور .

وَمُؤَانَسَتِهِمْ وَالإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ بِالخِلَعِ وَالحُمْلَانِ (١). فَأَوَّلُ مَنْ أَنْكَرَ هَذَا الفِعلَ عَلَيْهِ عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَمُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ ابْنَا رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَكُتَّابُهُمَا ثُمَّ سَائِرُ مَشَايِخِ الدَّوْلَةِ، وَرَأَوْهُ يَرْكَبُ فِي مَوْكِبٍ عَظِيمٍ وَيَغْشَى الدَّارَ، فَإِذَا خَرَجَ تَبِعَهُ الجَمِيعُ وَخَلَتْ دَارُ الإِمَارَةِ حَتَّى لَا يُوجَدَ فِيهَا إِلَّا المُسْتَخْدَمُونَ مِنَ الأَتْبَاعِ وَالحَاشِيَةِ، ثُمَّ تَرَقَّى أَمْرُهُ فِي قِيَادَةِ الجَيْشِ وَالتَحَقُوا بِهِ إِلَى أَنْ نُدِبَ إِلَى الخُرُوجِ إِلَى العِرَاقِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنَ الرَّيِّ وَالاجْتِمَاعِ مَعَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ لِنُصْرَةِ بُخْتِيَارَ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ فِي الخِلَافِ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَتْرَاكِ المُسْتَعْصِينَ عَلَيْهِ، فَأَقَامَ هُنَاكَ وَوَاطَأَ (٢) بُخْتِيَارَ فِي أُمُورٍ خَالَفَ فِيهَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ، وَذَاكَ أَنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ لَمَّا عَادَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى فَارِسَ شَرَطَ عَلَى ابْنِ العَمِيدِ أَلَّا يُقِيمَ بِبَغْدَادَ بَعْدَهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ يَلْحَقَ بِوَالِدِهِ بِالرَّيِّ، فَلَمَّا خَرَجَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ طَابَتْ لِابْنِ العَمِيدِ بَغْدَادُ، فَاتَّبَعَ هَوَى صِبَاهُ وَأَحَبَّ الخَلَاعَةَ وَالدُّخُولَ مَعَ بُخْتِيَارَ فِي أَفَانِينِ

---

(١) ما يحمل عليه من الدواب (٢) واطأه : وافقه واتفق معه

لَهْوِهِ ولَعِبِهِ ، ووَجَدَ خُلُوًّا مِنْ أَشْغَالِهِ ، ورَاحَةً مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرِ صَاحِبِهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ مُدَّةً ، وحَصَلَتْ لَهُ زَبَازِبُ[1] وَدُورٌ عَلَى الشَّطِّ وَسِتَارَاتُ غِنَاءٍ وَمُغَنِّيَاتٌ ، وَتَمَكَّنَ مِنَ اللَّذَّاتِ وعَرَفَ بُخْتِيَارُ لَهُ مَاصَنَعَ مِنَ الْجَمِيلِ فِي شَأْنِهِ[2] ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ جَرَّدَ مِنَ الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ فِي رَدِّ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَنْ بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ نَشِبَتْ فِيهَا مَخَالِبُهُ وَتَمَلَّكَهَا ، وَقَبَضَ عَلَى بُخْتِيَارَ وَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ ، فَخَلَّصَهُ وَأَعَادَ مُلْكَهُ عَلَيْهِ ، وَصَرَفَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ عَنْ بَغْدَادَ ، فَكَانَ يَرَاهُ بُخْتِيَارُ بِصُورَةِ مَنْ خَلَّصَهُ مِنْ مَخَالِبِ الْأَسَدِ بَعْدَ أَنِ افْتَرَسَهُ ، وَأَنَّ سَعْيَهُ بَيْنَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَعَضُدِ الدَّوْلَةِ هُوَ الَّذِي رَدَّ عَلَيْهِ مُلْكَهُ ، فَبَسَطَهُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ وَزَارَتَهُ وَتَمْكِينَهُ مِنْ مَمَالِكِهِ عَلَى رَسْمِهِ ، وَأَلَّا يُعَارِضَهُ فِي شَيْءٍ يُدَبِّرُهُ وَيَرَاهُ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ وَقَالَ : لِي وَالِدَةٌ وَأَهْلٌ وَوَلَدٌ وَنِعْمَةٌ قَدْ رُتِّبَتْ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَهِيَ كُلُّهَا فِي يَدِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَلَا أَسْتَطِيعُ مُفَارَقَتَهُ ، وَلَا يَحْسُنُ بِي أَنْ يُتَحَدَّثَ عَنِّي بِمُخَالَفَتِهِ ، وَلَا يَتِمُّ أَيْضًا لَكَ مَعَ مَاعَامَلَكَ بِهِ مِنَ الْجَمِيلِ ، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ إِنْ

---

(١) أى : سفن (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « بابه » وأصلحت

قَضَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ مَاهُوَ قَاضٍ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، أَنْ أَصِيرَ إِلَيْكَ مَعَ قِطْعَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ عَسْكَرِهِ فَإِنَّهُمْ لَا يُخَالِفُونَنِي، وَرُكْنُ الدَّوْلَةِ مَعَ ذَلِكَ هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ[1]، وَلَيْسَ يَتَأَخَّرُ أَمْرُهُ، وَاسْتَقَرَّ بَيْنَهُمَا ذَلِكَ سِرًّا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْعَلَوِيُّ، فَإِنَّهُ تَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا وَأَخَذَ عَهْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، وَلَمْ يُظْهِرْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ حَتَّى حَدَّثَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بَعْدَ هَلَاكِ أَبِي الْفَتْحِ، وَلَكِنَّ الْغَلَطَ الْعَظِيمَ كَانَ[2] مِنْ أَبِي الْفَتْحِ كَوْنُهُ أَقَامَ بِبَغْدَادَ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَحَصَّلَ أَمْلَاكًا اقْتَنَاهَا هُنَاكَ وَإِقْطَاعَاتٍ اكْتَتَبَهَا وَأُصُولًا أَصَّلَهَا عَلَى الْعَوْدِ إِلَيْهَا، ثُمَّ الْتَمَسَ لَقَبًا مِنَ السُّلْطَانِ وَخِلَعًا وَأَحْوَالًا لَا تُشْبِهُ مَافَارَقَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَيْهَا، ثُمَّ اسْتَخْلَصَ[3] بِبَغْدَادَ بَعْضَ أَوْلَادِ التُّنَّاءِ[4] بِشِيرَازَ يُعْرَفُ بِأَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي شُجَاعٍ الْأَرَّجَانِيِّ مِنْ غَيْرِ اخْتِبَارٍ لَهُ وَلَا خِلْطَةٍ قَدِيمَةٍ تَكْشِفُ لَهُ أَمْرَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ كَانَتْ تِلْكَ

---

(١) مثل يضرب لمن قرب أجل حياته (٢) كان زائدة (٣) كانت هذه الكلمة في الأصل: «استخلف». (٤) التناء كقفاز جمع تانيء: الدهقان.

الْأَسْرَارُ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَخْتِيَارَ - وَالتَّرَاجِمُ بَيْنَهُمَا تَدُورُ - كُلُّهَا عَلَى يَدِهِ وَيَتَوَسَّطُهَا ، وَيُهْدِي إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ جَمِيعَهَا وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِهَا ، فَلَمَّا عَرَفَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ وَمُخَالَفَةَ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ لَهُ ، وَدُخُولَهُ مَعَ بَخْتِيَارَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ مَعَ اللَّقَبِ السُّلْطَانِيِّ الَّذِي حَصَّلَهُ وَهُوَ ذُوالْكِفَايَتَيْنِ، وَلُبْسِهِ الْخِلَعَ وَرُكُوبِهِ بِبَغْدَادَ مَعَ ابْنِ بَقِيَّةَ فِي هَذِهِ الْخِلَعِ ، عَرَفَ مُكَاشَفَتَهُ إِيَّاهُ بِالْعَدَاوَةِ ، وَكَتَمَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ إِلَى أَنْ تَمَكَّنَ مِنْهُ فَأَهْلَكَهُ كَمَا ذَكَرْنَا .

قَالَ أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ : أَنْشَدَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ بِهَا ، أَنْشَدَنَا أَبُو زَيْدٍ صُعْلُوكُ بْنُ إِمِيلَوَيْهِ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ الْجِيلِيُّ : قَدِمَ عَلَيْنَا قَالَ : أَنْشَدْتُ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ فِي ابْنِ الْعَمِيدِ وَمَوَدَّتِهِ :

وِدَادُكَ لَازِمٌ مَكْنُونُ سِرِّي ... وَحُبُّكَ جُنَّتِي وَالْعِشْقُ زَادِي
فَإِنْ وَاصَلْتَنِي أَزْدَادُ حُبًّا ... وَإِنْ[1] صَارَمْتَنِي يَزْدَدْ سُهَادِي
وَخَالُكَ فِي عِذَارِكَ فِي اللَّيَالِي ... سَوَادٌ فِي سَوَادٍ فِي سَوَادِ

(١) كانت فى هذا الأصل : « فان » وأصلحت .

فَأَجَابَهُ ابْنُ الْعَمِيدِ :

دَعَانِي فِي انْبِلَاجِ اللَّيْلِ صُبْحٌ   فَنَادَى قُمْ نُحَيِّ عَلَى الْفَلَاحِ
فَقُلْتُ لَهُ : تَرَفَّقْ يَا مُنَادِي   أَلَيْسَ الصُّبْحُ مُسْوَدَّ النَّوَاحِي ؟
فَثَغْرِي وَالْمُدَامُ وَحُسْنُ وَجْهِي   صَبَاحٌ فِي صَبَاحٍ فِي صَبَاحِ

﴿ ٣٩ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الشِّمْشَاطِيُّ الْعَدَوِيُّ أَبُو الْحَسَنِ * ﴾

علی بن محمد الشمشاطی

وَشِمْشَاطُ مِنْ بِلَادِ إِرْمِينِيَةَ مِنَ الثُّغُورِ . وَكَانَ مُعَلِّمَ أَبِي تَغْلِبَ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ وَأَخِيهِ ثُمَّ نَادَمَهُمَا ، وَهُوَ شَاعِرٌ مُجِيدٌ وَمُصَنِّفٌ مُفِيدٌ ، كَثِيرُ الْحِفْظِ ، وَاسِعُ الرِّوَايَةِ ، وَفِيهِ تَزَيُّدٌ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : إِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُهُ قَدِيمًا ، وَبَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ تَرَكَ كَثِيرًا مِنْ أَخْلَاقِهِ عِنْدَ عُلُوِّ سِنِّهِ . قَالَ : وَهُوَ يَحْيَا فِي عَصْرِنَا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَهُوَ الَّذِي رَوَى الْخَبَرَ الَّذِي جَرَى بَيْنَ الزَّجَّاجِ وَثَعْلَبٍ فِي حَقِّ سِيبَوَيْهِ وَاسْتِدْرَاكُهُ عَلَى ثَعْلَبٍ

(*) لم نعثر على من ترجم له سوى ياقوت

فِي الْفَصِيحِ عِدَّةَ مَوَاضِعَ ، وَقَدْ ذُكِرَ ذَلِكَ فِي تَرْجَمَةِ الزَّجَّاجِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، وَكَانَ (١) رَافِضِيًّا دَجَّالًا يَأْتِي فِي كُتُبِهِ بِالْأَعَاجِيبِ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ . وَلِأَبِي الْقَاسِمِ الرَّقِّيِّ الْمُنَجِّمِ فِيهِ يَهْجُوهُ :

حَفُّ خَدَّيْكَ دَلَّ يَا شِمْشَاطِي أَنَّهُ دَائِمًا لِغَيْرِ لِوَاطِ
وَانْبِسَاطُ الْغُلَامِ يُعْلِمُنِي أَنْـ ـنَكَ تَحْتَ الْغُلَامِ فَوْقَ الْبِسَاطِ
وَشُرُوطٍ (٢) صَبَرْتَ كُرْهًا عَلَيْهَا لَا لَهَا بَلْ لِلَذَّةِ الْمِشْرَاطِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : لَهُ كِتَابُ النُّزَهِ وَالِابْتِهَاجِ وَهُوَ مَجْمُوعٌ يَتَضَمَّنُ غَرَائِبَ الْأَخْبَارِ وَمَحَاسِنَ الْأَشْعَارِ كَالْأَمَالِي ، كِتَابُ الْأَنْوَارِ مَحْبُوبٌ يَجْرِي مَجْرَى الْمُلَحِ وَالتَّشْبِيهَاتِ وَالْأَوْصَافِ عَمِلَهُ قَدِيمًا ثُمَّ زَادَ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، كِتَابُ الدِّيَارَاتِ كَبِيرٌ ، كِتَابُ الْمُثَلَّثِ الصَّحِيحِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ أَبِي تَمَّامٍ وَالْمُخْتَارِ مِنْ شِعْرِهِ ، كِتَابُ الْقَلَمِ جَيِّدٌ ، كِتَابُ تَفْضِيلِ أَبِي نُوَاسٍ عَلَى أَبِي تَمَّامٍ .

---

(١) أي صاحب الترجمة (٢) الواو نائبة عن رب أو شروط بالضم عطفا على حف « عبد الخالق »

وَحَدَّثَ الشِّمْشَاطِيُّ فِي كِتَابِهِ كِتَابِ النُّزَهِ وَالِابْتِهَاجِ قَالَ: كُنَّا لَيْلَةً عِنْدَ أَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ بَعْضُهُمْ يَلْعَبُ النَّرْدَ فَطَالَ الْجُلُوسُ حَتَّى مَضَى مِنَ اللَّيْلِ هَزِيعٌ وَالسَّمَاءُ تَهْطِلُ، فَقَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ لِفَتْحِ بْنِ نَظِيفٍ: يَا فَتْحُ، كَمْ قَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا نِصْفُ بَيْتِ شِعْرٍ. فَقَالَ لِبَعْضِ مَنْ فِي حَضْرَتِهِ: أَتِمَّهُ، فَقَالَ: هَذِهِ قَافِيَةٌ صَعْبَةٌ لَا تَطَّرِدُ إِلَّا أَنْ نَجْعَلَ بَدَلَ الْيَاءِ وَاوًا فَعَمِلْتُ فِي الْوَقْتِ، وَاسْتَغْلَقَتِ الْقَافِيَةُ حَتَّى لَا يُزَادَ عَلَيْهَا بَيْتٌ وَاحِدٌ إِلَّا أَنْ تُكَرَّرَ الْقَافِيَةُ بِلَفْظٍ مُؤْتَلِفٍ وَمَعْنًى مُخْتَلِفٍ، مِثْلِ الْغَيْلِ: اللَّبَنِ يُرْضَعُ مِنَ الْمَرْأَةِ وَهِيَ حَامِلٌ، وَقَدْ أَتَيْنَا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ وَمِثْلِهَا لَفْظًا وَلَمْ نَأْتِ بِهِ مَعْنًى[1]، وَكَالْغَيْلِ: السَّاعِدِ الرَّيَّانِ. وَالْغَيْلِ: مَا جَرَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. وَالْغَيْلِ: الشَّجَرِ الْمُلْتَفِّ وَمِثْلِ الْقَيْلِ نِصْفِ النَّهَارِ وَقَدْ أَتَيْنَا بِهِ. وَالْقَيْلِ: الْمَلِكِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَقُلْتُ[2]:

---

(١) يريد بجملة ولم نأت أن المعنى مختلف واللفظ متحد (٢) هذه القصيدة من المنسرح مستفعلن مفعولات مستفعلن، وهى مطردة فيه بفرض أن مستفعلن الجزء الأخير مقطوع وباعتبار حرف الروى مكسورا، إلا أن الكسر قد يتخلف فيخلفه الضم كما فى البيتين السابع والثانى عشر، وإذا ففى الشعر إقواء، —

يَا فَتْحُ كَمْ قَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ؟

قُلْ وَتَجَنَّبْ مَقَالَ ذِي المَيْلِ

فَعَارِضُ النَّوْمِ مُسْبِلٌ خُمُرًا (١) وَعَارِضُ الْمُزْنِ مُسْبِلُ الذَّيْلِ

وَاللَّيْلُ فِي الْبَدْرِ كَالنَّهَارِ إِذَا أَضْحَى وَهَذَا السَّحَابُ كَاللَّيْلِ

يَسْكُبُ دَمْعًا عَلَى الثَّرَى فَتَرَى الْـ

ـسَمَاءَ بِكُلِّ الدُّرُوبِ كَالسَّيْلِ

وَالبُرْدُ تُلْهِي عَنِ الْمَنَامِ إِذَا الْـ ـقُصُوصُ جَالَتْ كَجَوْلَةِ الْخَيْلِ

إِذَا لَذِيذُ الْكَرَى تَدَافَعَ عَنْ وَقْتِ رُقَادٍ أَضَرَّ بِالْحَيْلِ

إِنَّ أَمِيرَ الْهَيْجَاءِ فِي مَأْزِقِ الْـ ـحَرْبِ الْهُمَامُ الْجَوَادُ وَالْقَيْلُ

مَنْ حِزْبُهُ السَّعْدُ طَالِعٌ لَهُمُ

وَحَرْبُهُ (٢) مُوقِنُونَ بِالْوَيْلِ

— وهو اختلاف حركة الروى ، وقد أردت أن أجعل القافية مقيدة غير أنى لم أستطع ، لأنه يلزم أن يكون الضرب أحذ مذيلا ، وهذا لاسبيل إليه ، وما وجدت لها مخرجا فى فنى العروض والقافية ، فتركتها على الاقواء ، على أنه يجوز أن يكون الروى ساكنا إذا وقفنا عليه بالنقل أى نقل حركة الحرف الأخير إلى ما قبله ، فتقول مثلا : الليل والسيل ، ولكنى لا أرى أن النطق كان هكذا ، فليبق على ماهو عليه .

(١) جمع خمار ، يريد أن النوم يغطى على الأبصار كالخمر « عبد الخالق »

(٢) حربه : محاربوه ، فالحرب المحارب — وجملة السعد خبر من ، وصلة من : جملة المبتدأ المحذوف وخبره أى هم حزبه ، يريد : أن السعد طالع حزبه ، والويل طالع حربه .

نَجِيبُ أُمٍّ لَمْ تُغْذِهِ سَيِّئُ الْـ
سَقْسَمِ [١] وَلَا أَرْضَعَتْهُ مِنْ غَيْلِ

يَحْمِلُ أَعْبَاءَ كُلِّ مُعْضِلَةٍ تَجِلُّ أَنْ تُسْتَقَلَّ بِالشَّيْلِ

أَمْوَالُهُ وَالطَّعَامُ قَدْ بُذِلَا لِآمِلِيهِ بِالْوَزْنِ وَالْكَيْلِ

جَاوَزَ عَمْراً [٢] بَأْساً وَقَصَّرَ عَنْ
جُودِ يَدَيْهِ السَّيْحَانُ وَالسَّيْلُ

لَا زَالَ فِي نِعْمَةٍ مُجَدَّدَةٍ
يَشْرَبُ صَفْوَ الْغَبُوقِ وَالْقَيْلِ [٣]

وَحَدَّثَ الشِّمْشَاطِيُّ فِي كِتَابِهِ هَذَا أَيْضاً قَالَ: أَخَذْتُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي عَدْنَانَ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ حَمْدَانَ رُمَّانَةً فَكَسَرْتُهَا وَدَفَعْتُ مِنْهَا إِلَى مَنْ حَضَرَ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَالْأُدَبَاءِ وَقُلْتُ :

يَا حُسْنَ رُمَّانَةٍ تَقَاسَمَهَا كُلُّ أَدِيبٍ بِالظَّرْفِ مَنْعُوتِ

كَأَنَّهَا قَبْلَ كَسْرِهَا كُرَةٌ وَبَعْدَ كَسْرٍ حَبَّاتُ يَاقُوتِ

---

(١) نجيب خبر إن فى إن أمير ، والقسم بالفتح : الماء . (٢) يريد عمرو بن معديكرب الشجاع صاحب الصمصامة « سيفه » والسيحان : نهر بالشام وآخر بالبصرة وكانت فى الأصل : « الفحيان » (٣) القيل : الشرب نصف النهار . « عبد الخالق »

٤٠ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْخَلَّالِ أَبُو الْحَسَنِ
الْأَدِيبُ النَّاسِخُ *

على بن محمد ابن الخلال

صَاحِبُ الْخَطِّ الْمَلِيحِ وَالضَّبْطِ الصَّحِيحِ، مَعْرُوفٌ بِذَلِكَ مَشْهُورٌ. مَاتَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.

٤١ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَيْرٍ النَّحْوِيُّ الْكِنَانِيُّ *

على بن محمد الكنانى

يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ. كَانَ أَحَدَ الْفُضَلَاءِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مِقْسَمٍ، رَوَى عَنْهُ أَمَالِيَّ ثَعْلَبٍ فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فَسَمِعَهُ مِنْهُ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْبَلَّاجِ وَأَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْمُقَدَّرِ.

٤٢ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ
ابْنُ دِينَارٍ الْكَاتِبُ *

على بن محمد ابن دينار

أَبُو الْحُسَيْنِ، بَصْرِيُّ الْأَصْلِ وَاسِطِيُّ الْمَوْلِدِ وَالْمَنْشَإِ، قَالَ الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ: وَسَأَلْتُهُ يَعْنِي أَبَا الْكَرَمِ

(*) راجع بغية الوعاة

(*) راجع بغية الوعاة

(*) راجع بغية الوعاة ص٣٥٢

خَمِيس بْنَ عَلِيّ الْحَوْزِيّ عَنِ ابْنِ دِينَارٍ فَقَالَ : سَمِعَ أَبَا بَكْرِ
ابْنَ مِقْسَمٍ ، وَلَقِيَ الْمُتَنَبِّيَ فَسَمِعَ مِنْهُ دِيوَانَهُ وَمَدَحَهُ
بِقَصِيدَةٍ هِيَ عِنْدَنَا مَوْجُودَةٌ فِي دِيوَانِهِ أَوَّلُهَا :

رَبَّ الْقَرِيضِ إِلَيْكَ الْحَلُّ وَالرَّحْلُ
ضَاقَتْ عَلَى الْعِلْمِ إِلَّا نَحْوَكَ السُّبُلُ
تَضَاءَلَ الشُّعَرَاءُ الْيَوْمَ عِنْدَ فَتًى
صِعَابُ كُلِّ قَرِيضٍ عِنْدَهُ ذُلُلُ

وَكَانَ شَاعِراً مُجِيداً ، شَارَكَ الْمُتَنَبِّيَ فِي أَكْثَرِ مَمْدُوحِيهِ
كَسَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ وَابْنِ الْعَمِيدِ وَغَيْرِهِمَا ، وَكَانَ
حَسَنَ الْخَطِّ يُقَالُ : إِنَّهُ عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ مُقْلَةَ . مَاتَ سَنَةَ
تِسْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . حَمَلَ النَّاسُ عَنْهُ الْأَدَبَ فَأَكْثَرُوا بِوَاسِطَ
وَغَيْرِهَا ، وَكَانَ سَهْلَ الْخَلَائِقِ جَمِيلَ الطَّرِيقَةِ ، سَأَلَهُ النَّاسُ
بِوَاسِطَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ الْعَلَوِيِّ أَنْ يَجْلِسَ
لَهُمْ صَدْراً فَيُقْرِئَهُمْ فَامْتَنَعَ وَقَالَ : أَنَا أَتَعَمَّمُ مُدَوَّرَةً وَكُمِّي
ضَيِّقٌ وَلَيْسَتْ هَذِهِ حِلْيَةَ أَهْلِ الْقُرْآنِ ، أَظُنُّنِي سَمِعْتُ ذَلِكَ
مِنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَغَازِلِيِّ الشَّاهِدِ ، هَذَا آخِرُ مَا قَالَهُ خَمِيسٌ .
قُلْتُ : وَقَدْ سَمِعَ أَبُو غَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرَانَ مِنِ ابْنِ دِينَارٍ
كَثِيراً ، فَرَوَى عَنْهُ كُتُبَ الزَّجَّاجِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ

عَلِيّ بْنِ الْجَصَّاصِ عَنِ الزَّجَّاجِ ، وَرَوَى عَنْهُ مُصَنَّفَاتِ ثَعْلَبٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مِقْسَمٍ عَنْهُ .

وَرَوَى لَهُ كُتُبَ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ عَنِ ابْنِ مِقْسَمٍ عَنْ ثَعْلَبٍ عَنْهُ ، وَرَوَى لَهُ كُتُبَ ابْنِ السِّكِّيتِ جَمِيعَهَا كَالْإِصْلَاحِ وَالْأَلْفَاظِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ مِقْسَمٍ عَنِ الْمَعْبَدِيِّ عَنِ ابْنِ السِّكِّيتِ ، وَرَوَى لَهُ كُتُبَ ابْنِ قُتَيْبَةَ : كِتَابَ غَرِيبِ الْحَدِيثِ ، وَكِتَابَ أَدَبِ الْكَاتِبِ ، وَكِتَابَ الْأَشْرِبَةِ وَعُيُونَ الْأَخْبَارِ وَعَدَدَ كُتُبٍ كُلُّهَا عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْآمِدِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ أَبِيهِ ، وَرَوَى لَهُ كُتُبَ الْآمِدِيِّ جَمِيعَهَا عَنْهُ . وَرَوَى لَهُ كِتَابَ أَبِي الْفَرَجِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِيِّ الْأَغَانِيَّ الْكَبِيرَ وَغَيْرَهُ عَنْهُ . وَرَوَى لَهُ كِتَابَ الْجَمْهَرَةِ لِابْنِ دُرَيْدٍ عَنْ أَبِي الْفَتْحِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ النَّحْوِيِّ جَخْجَخٍ عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ شَرْحُهُ ، وَأَخَذَ ابْنُ دِينَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ وَأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ ، وَمَوْلِدُ ابْنِ دِينَارٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُمَيْدِيُّ فِي ثَبَتِهِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو غَالِبٍ

ابْنُ بِشْرَانَ النَّحْوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ
ابْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ دِينَارٍ الْكَاتِبُ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى أَبِي الْفَرَجِ
عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِيِّ جَمِيعَ كِتَابِ الْأَغَانِيِّ.

﴿ ٤٣ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّهَاوَنْدِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

علي بن محمد النهاوندي

رَوَى عَنْ جُنَادَةَ أَبِي أُسَامَةَ وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ أَحْمَدَ
ابْنِ الْحُسَيْنِ عَنِ الْمُبَرِّدِ.

﴿ ٤٤ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْحَسَنِ الْهَرَوِيُّ * ﴾

علي بن محمد الهروي

وَالِدُ أَبِي سَهْلٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْهَرَوِيِّ الَّذِي يَكْتُبُ
الصِّحَاحَ وَقَدْ ذُكِرَ فِي بَابِهِ، وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ هَذَا عَالِمًا
بِالنَّحْوِ إِمَامًا فِي الْأَدَبِ، جَيِّدَ الْقِيَاسِ صَحِيحَ الْقَرِيحَةِ حَسَنَ

(*) راجع بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة بما يأتى قال :

هو من أهل هراة ، قدم مصر واستوطنها ، وروى عن الأزهرى ، وهو أول من أدخل نسخة من كتاب الصحاح للجوهرى مصر فيما قيل ، ووجد فيها خللا ونقصاً فهذبه وأصلحه ، وصنف كتابا كبيراً فى النحو عدة مجلدات موجودا بمصر ، وصنف كتابا فى معانى العوامل سماه « الأزهية » رأيته بخط ولده أبى سهل وملكته والحمد لله ، وله مختصر فى النحو سماه المرشد ، رأيته وملكته وعليه خط السنجارى

ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

الْعِنَايَةِ بِالْآدَابِ، وَكَانَ مُقِيمًا بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ. وَلَهُ تَصَانِيفُ مِنْهَا: كِتَابُ الذَّخَائِرِ فِي النَّحْوِ نَحْوُ أَرْبَعِ مُجَلَّدَاتٍ رَأَيْتُهُ بِمِصْرَ بِخَطِّهِ، وَكِتَابُ الْأَزْهِيَةِ شَرَحَ فِيهِ الْعَوَامِلَ وَالْحُرُوفَ، وَهُمَا كِتَابَانِ جَلِيلَانِ أَبَانَ فِيهِمَا عَنْ فَضْلِهِ.

٤٥ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَنْدَلُسِيُّ *

علي بن محمد الاندلسي

أَبُو الْحَسَنِ الْكَاتِبُ، مَشْهُورٌ بِالْأَدَبِ وَالشِّعْرِ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي التَّشْبِيهَاتِ مِنْ أَشْعَارِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ. كَانَ فِي أَيَّامِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ، وَعَاشَ إِلَى أَيَّامِ الْفِتْنَةِ ذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ.

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت

انتهى الجزء الرابع عشر

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء الخامس عشر ﴾

﴿ وأوله ترجمة ﴾

﴿ على بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدى ﴾

فهرس

الجزء الرابع عشر

من كتاب معجم الأدباء

لياقوت الرومى